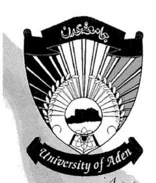
الجمهورية اليمنية

جامعة عـدن

كليـــة الآداب



الندوة العلمية

اليمــن ..

وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ

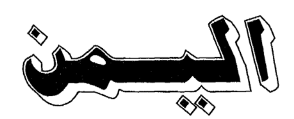
١٢-١٤ فبراير ٢٠٠١م



دار جامعة عدن للطباعة والنشر ٢٠٠١م

جـــامعة عدن
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار

الندوة العلمية



وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ

١٢-١٤ فبراير ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الغلاف الأمامي مأخوذة من كتاب

اليمن بلاد الملكة سبأ

إصدار : معهد العالم العربي – باريس

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية – عدن ١٠ لعام ٢٠٠١م

الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

National Library Aden , No. 10, 2001

1st Edition, 2001



الجمهورية اليمنية . عدن . مدينة الشعب . ص . ب . ١١٠١٦ ☎ ٣٦٠٠٨٧ – ٣٦٠١٣٥

فاكس: ٣٦٠٧٠١ بريد الكتروني **E-mail: unipress@y.net.ye**

REPUBLIC OF YEMEN. ADEN. MADINAT AL – SHAAB P . O . BOX 11016 ☎ 360087-360135 FAX :360701

الفهرس

برنامج الندوة

اليوم الأول : يوم الاثنين ١٢ / ٢ / ٢٠٠١م
المكان : قاعة المؤتمرات
ديوان رئاسة الجامعة

حفل الافتتاح	
الجلسة الافتتاحية	٩,٠٠ – ١٠,٠٠
القرآن الكريم	
كلمة اللجنة التحضيرية – أ . د . اسمهان الجرو	
كلمة رئيس الجامعة – د . صالح علي باصره	
كلمة المحافظ	
استراحة	١٠,٠٠ – ١٠,٣٠
الجلسة الأولى المحور الجغرافي والحضاري القديم الرئيس : د . حسين باسلامة المقرر : د . نصر سالم هادي	
الخصائص الجيوبولوتيكيه الجديدة لدولة الوحدة اليمنية . أ . د . عبده علي الخفاف أ . م . حياة عبده ردمان	١٠,٣٠ – ١٠,٤٥
المقومات الطبيعية للوحدة اليمنية . أ . د . عبدالرقيب ثابت	١٠,٤٥– ١١,٠٠
الانتقال الديموغرافي في اليمن د . علي أحمد السقاف	١١,٠٠– ١١,١٥
كرب ايل وتر الكبير أول موحد لليمن . أ . د . عبدالله حسن الشيبة	١١,١٥–١١,٣٠
كيف تطورت الصيغة الإتحادية بين القبائل إلى وحدة شاملة في اليمن القديم ؟ أ . د . اسمهان سعيد الجرو .	١١,٣٠ – ١١,٤٥
القيالة والأذوائية وعلاقتها بالنظام الملكي المركزي في اليمن . د . ناجي جعفر الكثيري	١١,٤٥ – ١٢,٠٠
الوحدة اللغوية في اليمن القديم د . فاروق إسماعيل	١٢,٠٠ – ١٢,١٥
وحدة اللغة والحروف اليمنية القديمة عبدالأحد زيد أبو العيون	١٢,١٥ – ١٢,٣٠
مناقشة البحوث	١٢,٣٠ – ١٣,٠٠

اليوم الثاني : يوم الثلاثاء ١٣ / ٢ / ٢٠٠١م
المكان : مدرج الشهيد / محمد الذرة
كلية الآداب

الجلسة الثانية المحور الثقافي والاجتماعي الرئيس : د . طه علي أحمد المقرر : د . سعيد سلام	
الوحدة اليمنية قيمة تربوية د . عبدالله الذيفاني	٩,٠٠ – ٩,١٥
الوحدة اليمنية في فكر الحركة الطلابية بمصر د . أحمد القصير	٩,١٥ – ٩,٣٠
الوحدة اليمنية في البنية السكانية لأبناء محافظة تعز د . قائد محمد طربوش	٩,٣٠ – ٩,٤٥
عدن .. رمز الوحدة اليمنية أ . م . شفيقة عراسي	٩,٤٥ –١٠,٠٠
الحراك المكاني في عهد الوحدة : تحليل مقارن . أ . م . د . سليمان بن عزون	١٠,٠٠ – ١٠,١٥
مناقشة الأبحاث	١٠,١٥ – ١٠,٤٥
استراحة	١٠,٤٥– ١١,١٥
الجلسة الثالثة محور التاريخ السياسي (أ) الرئيس : د . عبدالله حسن الشيبة المقرر : د . هشام السقاف	
اليمن بين الوحدة والتجزئة أ . م . ايمان أحمد شمسان	١١,١٥ – ١١,٤٥
موقف الأئمة الزيديين الهادويين من قضايا الوحدة والسيادة الوطنية اليمنية أ. م . د . عبدالغني غانم	١١,٤٥ –١٢,٠٠
دور السياسة البريطانية – العثمانية في تقسيم اليمن (١٨٣٩ – ١٩١٨م) أ . م . د . حمود محمد أحمد أ . م . محمد سعيد شكري	١٢,١٥–١٢,٣٠
العمق التاريخي لدولة الوحدة اليمنية ومراحل النضال الوطني في سبيل إعادة تحقيقها د . سلطان المعمري	١٢,٣٠ – ١٢,٤٥
المسار التاريخي للوحدة اليمنية د . عبدالوهاب العقاب	١٢,٤٥ –١٣,٠٠

١٣,٠٠ – ١٣,١٥	وحدة نضال الشعب اليمني في مرحلة الحكم العثماني الأول (١٥٣٨) – (١٦٣٥) أ . م . د . أسماء ريمي
١٣,١٥ – ١٣,٣٠	الوحدة والديمقراطية د . ناصر علي ناصر
١٣,٤٥ – ١٤,١٥	مناقشة البحوث

اليوم الثالث : الأربعاء ١٤/٢/٢٠٠١م
المكان : كلية الآداب

	الجلسة الرابعة محور التاريخ السياسي (ب) الرئيس : د . سليمان بن عزون المقرر : د . محمد صالح بلعفير
٩,٠٠ – ٩,١٥	الوحدة اليمنية والتعليم العالي أ . د . صالح علي باصره
٩,١٥ – ١٠,٠٠	الثورة اليمنية والأهمية الوطنية الجيوسياسية للوحدة السياسية اليمنية المعاصرة د . محمد عبدالملك المتوكل
١٠,٠٠ – ١٠,٣٠	مناقشة الأبحاث
١٠,٣٠ – ١١,٠٠	استراحة
١١,٠٠ – ١٢,٠٠	الحفل الختامي
	كلمة الباحثين أ . م . محمد سعيد شكري
	توصيات الندوة

كلمة اللجنة التحضيرية

أ. د. اسمهان سعيد الجرو
رئيسة اللجنة العلمية للندوة

الأخ / محافظ محافظة عدن الأستاذ طه أحمد غانم.
الأخ / المهندس وحيد رشيد وكيل محافظ محافظة عدن.
الأخ / عبد الكريم شائف الوكيل المساعد لمحافظ محافظة عدن.
الأخوة قناصل الدول الشقيقة والصديقة.
الأخ / أ. د. صالح علي باصرة رئيس جامعة عدن.
الاخوة نواب رئيس الجامعة، وعمداء الكليات.
ضيوفنا الأعزاء.
الحضور الكريم

ينعقد هذا اللقاء العلمي الذي يبحث في قضايا وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ، في أجواء تحتضن ولادة لحظة تاريخية جديدة، ينبثق عنها فعل سياسي وثقافي وحضاري يماني جديد ؛ يتمثل في انخراط أفراد الشعب في عملية ديمقراطية شكلها انتخابات المجالس المحلية في كل أنحاء اليمن الجديد، ومحتواها توسيع المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار وترسيخ الخيار الديمقراطي لدولة الوحدة اليمنية، وتجذيره في الحياة السياسية الشعبية من خلال مؤسسته ؛ وما المجالس المحلية إلا واحدة من التجسيدات المادية للديمقراطية كمؤسسة تضمن لها الاستمرارية والتطور والحماية ... إنها لمصادفة جميلة لهذا اللقاء العلمي أن ينعقد وسط هذه الأجواء، وهي بداية تبشر بخير على صعيد التكامل بين السياسة والعلم، وبين السياسي والمفكر.

أقول هذا وأنا أعي تماماً أن المؤرخ على وجه الخصوص لا يمكن له الادعاء بالحيادية العلمية التامة بحيث لا يرى في كل حدث سوى أنه تاريخ، وذلك لأن السياسة والتاريخ كليهما وجه لعملة واحدة حيث السياسة اليوم هي تاريخ في الغد، كما أن التاريخ اليوم كان في إحدى تعبيراته سياسة الماضي، الأمر الذي يبرر لنا اليوم، ونحن نشهد تكون المجالس المحلية، أن نبحث عن العمق التاريخي لهذه الممارسة فنبحث عن (الملأ) ودوره مع بلقيس عندما قالت لقومها : " " ومجالس (المسود) التي تعني المجالس النيابية ودورها في نظام الحكم في الممالك اليمنية القديمة، أسباب نجاحها أو إخفاقاتها، ونحن نتوخى حماية وصيانة المجالس المحلية لتقوم بدورها السياسي راهناً ومستقبلاً. إن التاريخ ليس هو الماضي فقط ولكنه مع شعب تواق لتحقيق حرية وكرامة الإنسان، والمساهمة في صنع الحضارة الإنسانية، يتجلى في كونه حاضراً ومستقبلاً أيضاً، في حالة استلهامه، وإعادة قراءته في ضوء المعطيات العلمية الجديدة، وفي هذا المعنى يكمن المبَرر الموضوعي لهذا اللقاء العلمي ولدور ومساهمة المشاركين فيه. وانطلاقاً من هذا فلقد حددت اللجنة التحضيرية للندوة أهداف هذا اللقاء العلمي في الأطر التالية :

١- تأصيل مفهوم الوحدة أكاديمياً، من خلال الدراسة المنهجية العلمية والموضوعية، بالاعتماد على المصادر النقشية والأثرية، والغوص في أعماق المخطوطات اليمنية، وفي أعماق التراث الوطني والخروج برؤية علمية جديدة. وإلى ذلك، فإن هدفنا الأساسي هو العمل على نقل الكثير من القضايا الحيوية في مجتمعنا إلى حيّز المناقشة العلمية للاستفادة من قدرات العلم

كونـــه الشـــكل النموذجـــيَ للبحث الحر، كما يمتلك القدرة على وضع مجالات الفكر كلها في الوضع الصحيح.

٢- لقـــد كانـــت خصائص الوحدة وما تزال، وستظل صمام أمان الانتماء للوطن، وهي التي ستقود الأمـــة إلـــى مســـار الشعوب الحية والفاعلة أمام تحديات العصر ؛ واليمني يفخر بذلك الانتماء الوطني والقومي، وهو الصانع، بتواضع، علاقات إنسانية مع بني البشر منذ آلاف السنين.

٣- تسعى الندوة إلى شرح وتوضيح الصورة معززة بحقائق العلم وثوابت الانتماء، اللذين يشكلان القواعد الأساسية لمصداقية القضية المدافع عنها والمرغوب في شرحها وتوضيحها.

إن هـــذا اللقـــاء العلمي الذي ينعقد في أجواء العرس السياسي الديمقراطي الذي تعيشه بلادنا في عهـــد فـــارس العرب الرئيس الرمز علي عبد الله صالح، وهو يناقش موضوعات تاريخية حضارية، وثقافـــية اجتماعية، وسياسية تاريخية من خلال قضية وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ، إنما هو خطـــوة إضـــافية علـــى طريق ترسيخ حرية البحث العلمي الذي تسعى إلى تأكيده (جامعة عدن) في نشاطاتها الأكاديمية المختلفة، والارتباط بالقضايا الحيوية للمجتمع.

وإذ أرحـــب بكم جميعاً، ضيوفنا الأعزاء، أتوجه بالشكر لكم لتجشمكم عناء السفر، تلبية لدعوتنا لكـــم للمشاركة في هذا اللقاء العلمي ... كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لقيادة جامعة عدن، وعلـــى رأســـها الأستاذ الدكتور صالح علي باصرة، على كل التسهيلات المادية والمعنوية التي قدمها مـــن أجـــل إنجـــاح هـــذه الـــندوة. وشكر خاص لمطبعة جامعة عدن وعلى رأسها مديرها العام النـــشـــط د. محمد باسليم، وشكر إلى كل من عمل بجهد وإخلاص لإبراز هذه الندوة إلى حيـــز الوجود، نشكركم مرة أخرى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحور الأول

المحور الجغرافي والحضاري القديم

الخصائص الجيوبولوتيكيه الجديدة لدولة الوحدة اليمنية

ا . د . عبد علي حسن الخفاف
رئيس قسم الجغرافية – كلية التربية / عدن

أ . م . حياة عبده ردمان الرديني
قسم الجغرافية / كلية الآداب / عدن

١- الغرض من البحث :

يهـدف هذا البحث إلى تحديد الخصائص الجيوبولوتيكيه التي اتصفت بها اليمن بعد توحيد شطريها الشـمالي والجنوبي في ٢٢ مايو ١٩٩٠ م فكانت الجمهورية اليمنية واختفت من خارطة العالم السياسية الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية .

٢- تحديد المفاهيم :-

لعـل المفهـوم الوحـيد الـذي يحتاج إلى تحديد وتعريف لمعناه هو الجيوبولوتيك ومنه الخصائص الجيوبولوتيكيه . فما هو الجيوبولوتيك وماهي تلك الخصائص الجيوبولوتيكيه ؟

(٢) -١- الجيوبولوتيك : Geopolotic

أول مـن اسـتخدم هـذه المفردة الألماني (رودلف كيلن – ١٨٦٤- ١٩٢٢ م) وهو جغرافي عمل أسـتاذاً بإحدى الجامعات السويدية وقد عرف بفلسفته أن القوة أهم من القانون . لقد استخدمها كمرادف للجغرافـية السياسـية ، وقد اهتم بعلم الجيوبولوتيك العديد من الجغرافيين والسياسيين ولعل من رواده الأوائل والمفكرين فيه الجغرافي الألماني (هاوس هوفر) – ١٨٦٩ – ١٩٤٦ م والجغرافي الإنكليـزي (هالفورد ماكندر – ١٨٦١- ١٩٤٧).

لقد عرف (كيلن) الجيوبولوتيك بأنه التطبيق العملي للجغرافية السياسية في تحليل القوة القومية . وعرفه (هاوس هوفر) بأنه دراسة علاقات الأرض ذات المغزى السياسي .

والـيوم يـدرس الجيوبولوتيك الدولة كعلاقات داخلية وخارجية بين السكان والأرض من وجهة نظر قومية وذاتية ويركز على (خمسة) جوانب أساسية هي :-

١- الاكتفاء الذاتي للدولة .
٢- المجال الحيوي للدولة .
٣- الفكرة الإقليمية .
٤- الصراع بين كل من القوى البحرية والبرية .
٥- الحدود السياسية .

و لأجـل أن نفهـم الجيوبولوتـيك لابد لنا من توضيح الاختلاف بينه وبين ما تعنيه الجغرافية السياسية politicalgeo فلنرى ماذا تعني هذه الأخيرة .

(٢) -٢- الجغرافية السياسية :-

يعد الجغرافي الألماني (فريدريك راتزل – ١٨٤٤ – ١٩٠٤) مؤسس الجغرافية السياسية وقد ظهرت آرائـه فـي كـتاب حمـل عنوان (الجغرافية السياسية) وذلك عام ١٨٩٧ . وقد تعددت تعريفات الجغرافية السياسية بفعل التعدد الكبير لتعريفات الجغرافية عموماً .

وسـوف لا نشـير هـنا سـوى لـتعريف (برانش – J. Brunches) باعتباره ربط هذا الحقل من الجغرافـية بالتاريخ اكثر مما ربطه بالجغرافية فعرفها بأنها جزء من جغرافية التاريخ وتتبع التاريخ اكثر من تبعيتها للجغرافية !

إننا لا نميل أن نعطي لكل فرع من فروع الجغرافية تعريفاً خاصاً به يعكس اهتمامه ، بل نميل إلى استلال تعـريف كـل فـرع مـن الـتعريف العام للجغرافية انطلاقاً بان الجزء فيه بعض سمات الكل ، فإذا ما عرفنا الجغرافـية بأنهـا دراسة العلاقات المكانية لظواهر سطح الأرض ، فسيكون تعريفنا للجغرافية السياسية بأنها دراسة العلاقات المكانية للظواهر السياسية ، وبالطبع فان إطار هذه الظواهر هي الدولة .

(٢) -٣- بماذا يختلف الجيوبولوتيك عن الجغرافية السياسية .

١- الجيوبولوتيك دراسة جغرافية سياسية ذات نزعة ذاتية وهذا يعني أن كلاهما يدرس البيئة الطبيعية والظروف البشرية والاقتصادية للدولة و أثرها في سلوك الدولة وسياستها ولكن دراسة موضوعية في الجغرافية السياسية وذاتية تستند إلى الانحياز الوطني في الجيوبولوتيك .

٢- يقوم الجيوبولوتيك المسائل الوطنية والقومية والعلاقات الدولية تقويماً يستند إلى المصلحة الوطنية أساساً . بينما توصف الجغرافية السياسية بأنها تدرس ذلك وفق منهج الموضوعية ، وبالتالي فهي تقود إلى السلام بينما يقود المنهج الأول إلى الحرب .

٣- يركز الجيوبولوتيك على الدراسات المستقبلية بينما يأتي تركيز الجغرافية السياسية على دراسات الماضي والحاضر .

٤- يرسم الجيوبولتيك الخرائط السياسية بهدف تحقيق المصالح القومية بينما ترسمها الجغرافية السياسية بهدف ايضاح الحقائق العلمية فقط .

أما نحن فنرى أن الجيوبولوتيك هو وجهة نظر في الجغرافية السياسية تختص (بالأنا) الجغرافية ، وهذا الضمير لا يمكن أن يختفي أبداً عن موضوعية الجغرافية السياسية ، وهو قد يكون (أنا) مهذبه لا تقود إلى الحرب وتستند إلى العقلانية والموضوعية في السلوك السياسي، وقد لا تكون (الأنا) مهذبه فتقود إلى الحرب حيث لا تستند إلى العقلانية ولا إلى الموضوعية.

وهكذا فإننا نتناول الخصائص الجيوبولوتيكيه لليمن باعتبار هذه الخصائص تكشف عن أبعاد القوة السياسية لدولة الوحدة ، وهي ليست بالضرورة أبعاداً لقوة العدوان بمقدار ماهي ابعاد لقوة الدفاع وقوة التنمية والتغيير .

٣- الخصائص الجيوبولوتيكيه لليمن الموحد :-

ستهتم بالخصائص الجيوبولوتيكيه ذات العلاقة بقوة الدولة فموضوع القوة من الموضوعات التي يهتم بها الجيوبولوتيك والجغرافية السياسية وعلم العلاقات الدولية فالقوة مهمة للسياسي كأهمية النقود للاقتصادي . وحالة الصراع من اجل بناء القوة حقيقة لا يمكن تجاهلها في أي زمان ومكان وبصدد تعريفها فنحن نرى مازال تعريف (جونز) لها صحيحاً ودقيقاً عندما عرفها بأنها المساهمة في صنع القرارات (Jones - 1954) على إننا نتفق تماماً مع الاراء التي ترى بان القوة يمكن أن تمارس سلمياً ودبلوماسياً وليس من الضرورة أن تمارس على أساس التهديد بالنسبة للسلوك الدولي (الهيثي وعبد الوهاب – ١٩٨٩) وهكذا فنحن مع من يعتقدون أن سياسة القوة هي سياسة الأمن .

بقي علينا تحديد صنف القوة الذي سنتناوله ، فالقوة (ثلاثة) اصناف هي : القوة الفعلية (actual power) ويقصد منها القوة المتوفرة لدى الدولة ويمكن استعمالها في أية لحظة وفي المكان المناسب . أما القوة المحتملة (potential power) وهي الامكانات القابلة للتحويل إلى قوة فعلية في المستقبل . واخيراً فان القوة الاعتبارية (prestige power) فتعني مستوى تقدير الدول الاخرى لقوة الدولة .

ونحن سوف نتناول الصنف الأول وهو ما يمكن دراسته بشكل سريع اذ أن عناصر هذه القوة معروفة عادة .

ونؤكد أن البحث انصب على الاهتمام بالقوة الداخلية دون التطرق إلى القوة الخارجية وعناصرها ، ولايضاح ذلك نشير إلى أن جهد الدولة في سبيل ايجاد اقليم متجانس موحد داخل حدودها السياسية ثم سعيها إلى ضمان الأمن والدفاع عن سكانها و اقليمها و مواردها وسيادتها ، يتطلب منها ادامة القوة داخل حدودها السياسية وهو ما يطلق عليها القوة الداخلية.

أن هذه الخصائص هي :-

-١- الموقع :-

وهو الحيز المكاني الذي تحتله الدولة ويمثل سيادتها ويبدو الموقع وكأنه حالة جغرافية ثابته الا انه في حقيقة الامر غير ثابت ويتعرض للتغيير من حيث القيمة وبالتالي من حيث الاستراتيجية والتاثير ولعل المثل المعروف لمثل هذا التغير ، ما حصل من تطور كبير في الموقع الجغرافي لمصر بعد فتح قناة السويس وكيف اثر فتح هذه القناة على موقع راس الرجاء الصالح جنوب القارة الافريقية .

ولدراسة الموقع لابد من الاهتمام في (ثلاثة) انماط من الموقع وهي :-

الموقـــع الفلكي والموقع الجغرافي وموقع الجوار أو الموقع السياسي ، ولكل هذه الأنماط اثارها في قوة الدولة.

(٣) -١-١- الموقع الفلكي :

عـند الـنظر إلى خارطة اليمن نرى انها تمتد مابين درجتي العرض (١٢°) وحتـــى (٢٠°) شمال خط الاسـتواء ، وتمتد ما بين خطي الطول (٤١ °) و (٥٤°) شرقاً خط جرينتش ، وهذا يعني أن اليمن تمتد إلى شـرق خط جرينتش على (١٣) خطاً طولياً ، بينما هي لا تمتد سوى على (٨) من دوائر العرض ، من ذلك جاء شكل الدولة اقرب إلى الشكل المستطيـل (attentinateds)

ولايعـد الشكل المستطيل للدولة من الاشكال الباعثة على القوة فالدراسات السياسية التقليدية تعد الشكل الدائـري افضـل الأشكال حيث تقترب أجزاء الدولة فيه إلى حالة التماسك . وتزداد مصاعب الدولة السياسية عـادة فـي الشـكل المسـتطيل إذا ما كانت الدولة جزريه مجزئة و إذا ما كانت العاصمة فيها تقع في مكان متطرف، ولا شك أن حالات الضعف التي يتحدث عنها الأدب السياسي التقليدي لم تبقى بمستوى ما كانت عليه بسبب تقدم التقنيات في الاتصالات والمواصلات وغيرها من وسائل الإدارة والسيطرة .

ويشـير الموقـع إلـى أن اليمـن من الأقطار المدارية فجميع أراضيها ضمن المنطقة المدارية الشمالية فالشـمس علـيها ذات سقوط متعامد طول العام وأطراف اليمن الجنوبية قريبة إلى المنطقة شبه الاستوائية . وبذلك فلا غرابة أن تجد في الفلورا اليمنية الكثير من الأصناف الاستوائية وشبه الاستوائية وكذلك أنواعاً من الفاكهة شبه الاستوائية .

(٣) -١-٢- الموقع الجغرافي :

ويقصـد به الموقع من الظواهر الجغرافية الكبيرة ، وعلى هذا الأساس فاليمن ، كما تبدو من الخارطة ، آخر ارض اسيوية تشكل جنوب غرب اسيا تقترب كثيراً من القرن الافريقي حيث لا يفصلها سوى مضيق باب المندب باتساع لا يزيد عن (٢٤) كم .

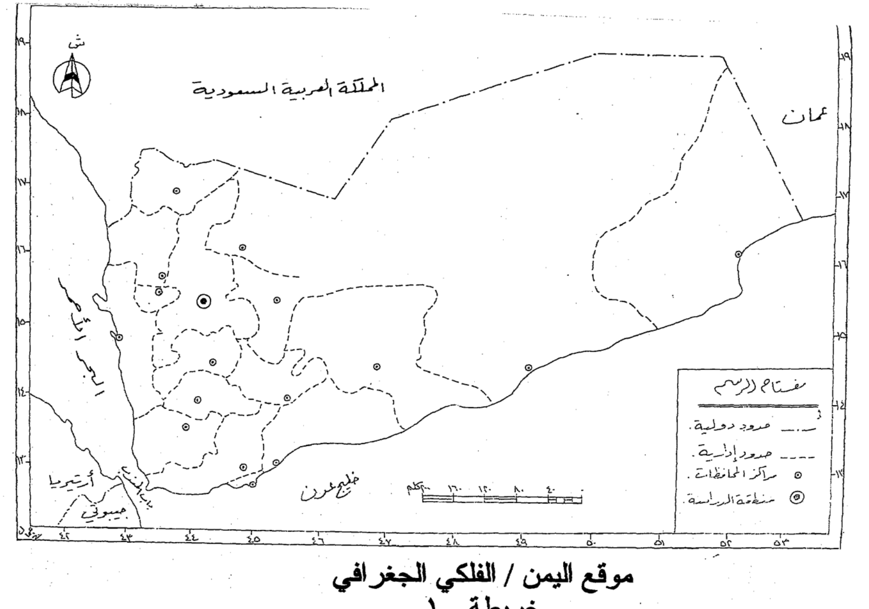
وهي بموقعها هذا تتقاسم ساحل شبه الجزيرة العربية الجنوبي مع سلطنة عمان ، انها تشرف على البحر العربي وعلى الجزء المحصور منه ما بين كتلة شبة الجزيرة واليابس الافريقي والذي يطلق عليه خليج عدن . كما يحيط بها غرباً البحر الاحمر . ولعل من الظواهر الجغرافية التي يشار اليها أيضا صحراء الربع الخالي الواسـعة والتي كانت تمثل تخوماً طبيعية تفصل اليمن بل تعزلها لدرجة كبيرة عن جيرانها . ولا شك أن لهذا الموقـع الجغرافـي آثاره في التاريخ الحضاري لليمن كما تلاحظ مظاهر التأثير الافريقي في الأراضي اليمنية وكذلـك التأثـيرات اليمنية في القرن الافريقي . كما أن لهذا الموقع البحري دوره في دفع اليمنيين لاستخدام الـبحر عبر التاريخ حتى وصلوا جنوب شرق اسيا ، فما زالت تأثيراتهم حتى الوقت الحاضر في اقطار جنوب شرق آسيا كافة، وحتى دخلوا أراضي القرن الافريقي وتفاعلوا واثروا تاثيرات كبيرة في هذه الجهات .

(٣) -١-٣- موقع الجوار :-

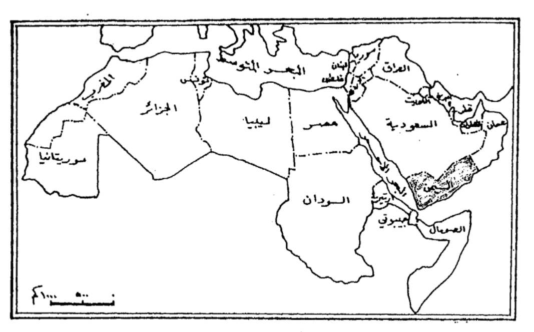
ويقصـد به الموقع السياسي ، أي الدول المحيطة والمجاورة لليمن ، واليمن من هذه الناحية من الدول القلـيلة الجـيران وهـذه صـفة لها سلبياتها من الناحية الاقتصادية اذ تمثل حالة من حالات البعد والعزلة الجغرافـية . ولكـنها صـفة ايجابـية من الناحية السياسية حيث أن قلة الجيران لابد أن تعني قلة المشاكل السياسية وقلة الاحتكاك السياسي .

وتشـبه اليمن في قلة جيرانها تونس فكلا القطرين لايجاور سوى دولتين هما بالنسبة لتونس ليبيا شرقاً والجزائر غرباً . وهما بالنسبة لليمن سلطنة عمان شرقاً والمملكة العربية السعودية شمالاً .

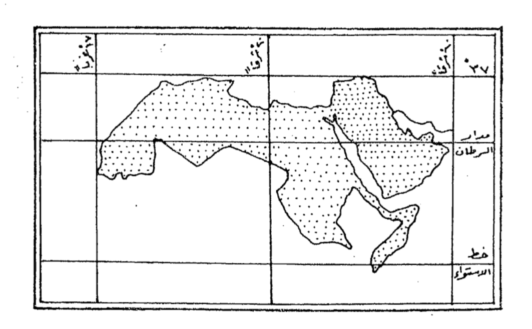
وعندما اشرنا إلى احتمال قلة المشاكل السياسة عند قلة الجيران فان مثل هذا الاحتمال يكون ضعيفاً أمام دولة مثل السودان تحيطها ارتيريا واثيوبيا وكينيا واوغنده وزائير وافريقيا الوسطى وتشاد وليبيا ومصر ، أن مـثل هـذا الموقع السوداني الذي تحيطه (٩) دول منها (٦) دول غير عربية قد يؤشر حالة من المستقبل السياسي الصعب ، على العكس ما نتوقعه من موقع اليمن الذي تحيطه بحار وتخوم طبيعية مع كل من عمان والسعودية ، فاذا ما عولجت مشكلات الحدود بشكل موضوعي سوف تتمتع الدولة بحالة من الامان السياسي ومـن علاقات اخويه مع شعبين عربيين مسلمين جارين هما العمانيون والسعوديون . ولعل لحل الذي استند إلـى التحكيم الدولي في قضية جزيرة حنيش وما جاورها مع ارتيريا يعطي نموذجاً للعقلانية السياسية في حل مشكلات الحدود والمشكلات السياسية الناتجة عن الموقع .



موقع اليمن / الفلكي الجغرافي
خريطة - ١ -



خريطة رقم (2): أقطار الوطن العربي



خريطة رقم (٣) : موقع الوطن العربي بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض



خريطة ـ ٤ ـ الوطن العربي من العالم

أن النظرة الشمولية لموقع اليمن تؤشر الى الجوانب الايجابية والجوانب السلبية المتعلقة به ، فهو موقع متطرف منعزل من ناحية وموقع اشراف على سواحل بحرية في البحر العربي والبحر الاحمر ومضيق باب المندب من ناحية ثانية ، فلربما كان موقعاً ضعيفاً من الناحية الاقتصادية بفعل عزلته وتطرفه وبعده وموقعاً قوياً من الناحية السياسية بفعل اشرافه على بحرين لهما اهميتهما المستقبلية ، وكذلك للاشراف على مضيق باب المندب في عنق الزجاجة في ظروف الحرب والسلم .

أن الدولة أو بعض اجزائها ذات الاهمية الاستراتيجية في وقت ما كقواعد ، أو تتحكم في طرق النقل ومناطق العبور ، وهو ما تتمتع به اليمن ، حيث تحتل مركزاً خاصاً في العلاقات الدولية . وقد لعبت الوحدة اليمنية في تطوير الموقع فبعد أن كان كل شطر لا يشرف سوى على بحر واحد فان الوحدة جعلت من الدولة ذات موقع ساحلي يشرف على بحرين كما أن جزر سقطرى وعبد الكوري وما حولها في المحيط الهندي ، انضمت الى مجموعة جزر حنيش وما حولها في البحر الاحمر ، ولهذه الحالة دورها الفعال والمعروف في المجال الاستراتيجي .

(٣) –٢– الامتداد والمساحة :

لقد اشار الادب السياسي التقليدي كثيراً إلى موضوع المساحة التي تشغلها الدولة وركز على اهمية المساحة الكبيرة ولقد عبر (راتزل) عن ذلك بقوله : (أن المجال الكبير يحفظ الحياة) وقد اكد هذا الادب أن المساحة اقليم تقود فيه سياسة حسن الجوار إلى قيام الثقة المتبادلة بين الدول . ومن هنا اكد الجغرافيون السياسيون على اهمية مساحة الدولة ، ولعل ظهور علم الجيوبولوتيك يقترن بتزايد الاهتمام بموضوع المساحة وسعة المساحة وهو اهتمام قاد إلى مبدأ التوسع الاقليمي كضرورة عضوية (بدوي – ١٩٧٢م) .

أن المساحة واحدة من اعتبارين سياسين مهمين وهما المساحة والسكان ، فالمساحة لها اهميتها في اقتصاد الدولة وفي واقعها العسكري والاستراتيجي ، وتعني سعة المساحة التنوع في المناخ والتنوع في التركيبات الجيولوجيه وفي أنواع الترب وهذا ما يعكس التنوع الزراعي والمعدني والصناعي ، وهكذا يمكن القول أن المساحة الواسعة ثروة وقوة .

واليمن متوسطة المساحة حسب تقسيم (باوندز) للدول من حيث سعة المساحة فهي لا من الدول العملاقة ولا من الدول الكبيرة جداً التي تقع بضمنها كل من السودان والسعودية والجزائر وليبيا ، ولا هي من الدول القزمية (micro state) أو الدول الصغيرة جداً مثل البحرين وقطر والكويت.

لقد بلغت مساحة اليمن بعد الوحدة . (٥٥٥,٠٠٠) كم٢ من دون الربع الخالي . وهي بهذه المساحة تقع ضمن القسم الخامس من التقسيم المذكور والذي يضم الدول المتوسطة المساحة (pounds – ١٩٧٢) وعلى الصعيد العربي فاليمن اليوم تأتي في المرتبة الثامنة في تسلسل الاقطار العربية حسب سعة المساحة في موقع وسطي بين الاقطار العربية الكبيرة جداً والتي تجاوزت المساحة فيها اثنين مليون كم٢ والاقطار العربية الكبيرة التي تجاوزت المساحة فيها واحد مليون كم٢ وبين تلك الاقطار الصغيرة والصغيرة جداً . انها قريبة من مساحة الصومال و المغرب والعراق أيضا حيث تقل عن القطر الأول قليلاً وتفوق القطرين الاخيرين قليلاً أيضا .

لقد كانت مساحة الشطر الشمالي من اليمن (١٩٥,٠٠٠) كم٢ وكان يشار إلى أن مساحة الشطر الجنوبي كانت (٣٦٠,٠٠٠) كم٢ من دون الربع الخالي ، وبالوحدة التي تحققت اصبح أبناء اليمن من الشطر الشمالي بامكانهم الاستفادة من المساحات الجديدة لدولة الوحدة ، المساحات الساحلية المشرفة على خليج عدن والبحر العربي وبكل خصائصها الجغرافية ومواردها الطبيعية ، وكذلك شأن أبناء الشطر الجنوبي فبامكانهم الاستفادة من المساحات الجديدة بكل مواردها المتنوعة في وسط وشمال البلاد .

ويجب أن لا تغفل المساحات التي تشغلها الجزر اليمنية تلك الواقعة في البحر العربي وفي البحر الأحمر والمحيط الهندي ولعل اكبر واهم هذه الجزر هي :

جزيرة سقطرى :–

اكبر الجزر اليمنية وتقع في المحيط الهندي على بعد (٤٠٠) كم من الساحل الجنوبي للبلاد ، وتمتد من الغرب إلى الشرق بطول (١٢٠) كم و من الجنوب إلى الشمال بطول (٣٥,٢) كم وبذلك فان مساحتها حوالي (٣٧٠٠) كم٢ ويعيش فيها حوالي (٦٠,٠٠٠) نسمة جزيرة كمران :

وتقع في البحر الاحمر على بعد (٦,٥)كم قبالة ميناء الصليف ، وهي طولية الشكل يصل طولها (٢٢,٥) كم وعرضها (١٠) كم وتبلغ مساحتها حوالي (٥٧) كم٢ .

جزيرة بريم (ميون) :-
وتقع عند مدخل باب المندب وتبلغ مساحتها (١٣) كم وتنتشر قريباً منها الجزر السبع.

جزيرة حنيش الكبرى :-
ومساحتها (٦٦) كم٢ .

حنيـــش الصغرى :
ومساحتها (١٥) كم٢ ،إلى جانب العديد من الجزر الصغيرة الأخرى .
هــذه الجزر مساحات إضافية لليمن وهي ذات مواقع استراتيجية لها اهميتها في ظروف السلم والحرب على حد سواء . ولعل اهميتها الجغرافية والاستراتيجية تضيف على اليمن اهمية في دورها في العلاقات الدولية .

(٣) - ٣ - الحدود :-
كانــت الــثخوم الطبيعــية حدوداً كافية للفصل في الماضي بين الدول والامبراطوريات على مدى التاريخ وبذلك كفلت الثخوم (Frontiers) الامن والطمأنينة لابناء هذه الدول ، وكانت اليمن تتمتع بمثل هذه الثخوم الطبيعية التي ساعدت على نضوج الشخصية اليمنية عبر تاريخها الحضاري الطويل .
وبفعــل تزايد أعداد البشر وزحفهم بالضرورة للاستيطان في جهات لم يفكروا فيما مضى بالاستقرار فيها حصــلت المنافســة بين دول العالم لضم هذه الثخوم الواسعة إلى مجالها السياسي مما استلزم تحديد الحدود ورســمها فيما بينها على شكل خطوط فاصلة ليس لها ابعاد الا الطول (line boundry) وهكذا بفعل هذه التطورات كان لابد أن ترسم اليمن حدودها بعدما كانت تستند إلى الحواجز الجبلية والصحراء ، فظهرت لديها مــا يطلــق علــيه (خطوط اتفاقية line of refrence) وهوماتم الاتفاق عليه مع سلطنة عمان والمملكة العربية السعودية .

لقــد جــاءت هذه الاتفاقيات الحدودية بهدف التخلص من المشكلات المستقبلية التي تقع بسببها فلا تخلو السياســة الدولــية المعاصــرة من مشكلات الحدود بين الدول وذلك يعود لاخضاع رسم الحدود إلى تاثيرات سياســية وعســكرية خارجــية احياناً فمعظم حدود دول العالم الثالث رسمتــها الدول الاستعمارية (نعمة - ١٩٧٩) .
وتهــتم دراسات الجيوبولوتيك بدراسة الحدود وبتحليل وظائفها ومعرفة مدى قناعة الدول المشتركة فيها واخــيراً دراســة مشكلاتها أن وجدت . (القصاب واخرون) - دون سنة) . ومن هذه الحقيقة يرى البعض أن الــدول المتصارعة تسعى عادة إلى تعزيز حدودها لمنع التسلل اليها وبذلك فان اقوى الحدود اقصرها واكثرها اســتقامة كمــا اكــد ذلك (راتزل) (السماك - ١٩٨٨) ونحن نرى أن اقوى الحدود ما استند إلى حسن الجوار !!
ويشــرح الادب السياســي الكثــير عــن وظــائف الحدود ، الوظائف العسكرية والسياسية والاقتصادية والديموغرافية والقانونية وغيرها ولعلنا يمكن أن نوجز هذه الوظائف عندما تمثلها بحاجز قانوني يمثل اللقاء بين وحدتين سياسيتين وبنفس الوقت يمثل نقطة الفراق بين نفوذهما السياسي .
وكمــا اشرنا فان اليمن قليلة الجيران فلا يجاورها سوى عمان وهي بحدود برية تصل إلى (٢٢٠) كم وفــي معظمهــا واضحة وعبارة عن حدود مستقيمة . أما الحدود مع السعودية فهي (اربعة) اضعاف الحدود الســابقة فتصل الحدود البرية إلى حوالي (١٠٠٠) كم وهي الاخرى قليلة التعاريج عبارة عن خط مستقيم يتكســر باتجــاه القطرين ، ونلاحظ شدة تعرجات خط الحدود في القسم الغربي له ، وتفسير ذلك هو أن خط الحــدود مــع عمان ومع المملكة العربية السعودية عند معظم اجزائه يمتد فوق اراضي صحراويه منبسطه ، بينما يمتد عند الطرف الغربي في منطقة جبلية معقدة نسبياً .
هكــذا نرى أن الحدود البرية لليمن ليست طويلة فهي اجمالاً حوالي (١٢٢٠) كم . بينما تبقى الحدود الغربية والجنوبيــة حدوداً بحرية فيبلغ الساحــــل على البحر الاحمر ، من باب المنــــدب الى راس المعوج (٥٠٠)كــم ويتضــاعف الساحل على البحر العربي (ثلاث) مرات ليصــل (١٥٠٠) كم ما بين راس الشيخ سعيد على باب المندب وحتى راس ضربة علي في المهرة .

(٣) –٤– الموارد الطبيعية :–

–٤ –١– المعادن :

للمعـــادن اهمـــية كبيرة في القوة الجيوبولوتيكيه للدولة وهي بهذا الصدد تقسم عادة إلى (ثلاثة) أنواع : هـــي المعـــادن الاستراتيجية التي لا غنى عنها بالنسبة للدفاع عن الدولة ويزداد الطلب عليها وقت الطوارئ لدخولهـــا في صنع المعدات القتالية ، والمعادن الضرورية والمعادن الخطيره التي لا غنى عنها في الدفاع عن الوطن (الديب – ١٩٧٨)

وعـــن الـــنوع الأول فالمعادن هي : الانتمون والكروم والمنغنيز والزئبق والمايكا والنيكل و التنجستون والقصـــدير ، وهـــي معـــادن لـــم يعثر عليها في اليمن بعد وذلك لان البلد مازال يحتاج إلى المسوح المعدنية الشـــاملة والدقـــيقة . وبصـــدد معـــادن الـــنوع الثاني فهي الحديد الصلب والنحاس والرصاص والمغنيسيوم والفوسفات والبوتاسيوم والزنك وحامض الكبريتيك . وقد عثر على

الجدول (١)

المساحة و السواحل اليمنية :–

	المساحة (كم٢)	السواحل (كم)
الشطر الشمالي	١٩٥,٠٠٠	٥٠٠
الشطر الجنوبي	٣٦٠,٠٠٠	١٠٠٠
اليمن الموحد	٥٥٥,٠٠٠	١٥٠٠
*المساحة دون الربع الخالي		

الحديد في اليمن في منطقة مكيراس ومنطقة مورا في محافظة لحج وفي ابين كما يوجد في منطقة صعدة كمـــا عثر على النحاس في وادي قير في حضرموت وفي منطقة حيفان جنوب غرب الراهدة في محافظة تعز كما يوجد في البيضاء أيضاً .

أمـــا بالنسبة إلى معادن النوع الثالث فهي الالمنيوم والجرافيت واليود والفانديوم والاسبيتوس . وارض اليمن ما زالت بكراً بحاجة إلى عمليات دقيقة وواسعة للتحري المعدني كما اشرنا إلى ذلك ، وقد كشفت بعض الـــتحريات عـــن وجود الذهب في وادي مدن في حضرموت ومنطقة عياد في شبوة . وكذلك معادن وعناصر الاتربة النادرة في لودر في محافظة ابين وترسبات الرمال الساحلية السوداء في حضرموت والحديدة والرخام في وادي مقصب وقرية شيبان في محافظة تعز كذلك في محافظات حجة وابين وحضرموت .

والـــى جانـــب هـــذه لمعادن يوجد الملح الصخري في رواسب كبيرة في شبة جزيرة الصليف على البحر الاحمـــر في محافظة الحديدة كما توجد في شرق منطقة صافر شمال شرق محافظة مأرب وكذلك في محافظة شبوة . كذلك توجد خامات الحجر الجيري في منطقة باجل في محافظة الحديدة وفي منطقة عمران في محافظة صنعاء ومنطقة المفرق في محافظة تعز . وخامات الجبس هي الاخرى توجد في الصليف في محافظة الحديدة ومحافظة صنعاء وكذلك في تعز وحضرموت وابين .

ولابـــد من الاشارة إلى النفط فقد بذلت الجهود منذ عام (١٩٦٩) لاكتشافه واستغلاله ، ومنذ ذلك التاريخ مازالـــت عملـــيات التنقيب عنه مستمرة وهي تكشف مناطق جديدة من حين لاخر ، واهم حقول النفط هي في حـــوض (صافر – مأرب) واهم الآبار هناك هي : (ألف – ازال – ريدان) ثم حقول شبوة واهم الآبار هي (امـــل –عـــياد) ولقد قدرت كميات الإنتاج بحوالي (١٣٢٣٠٧٠٠٠) برميل في السنة وتم تقدير الاحتياطي منه بحوالي (٠,٥) مليار برميل .

الجدول (٢)

تقدير كميات الاحتياطيات المقدرة لبعض المعادن :-

الخام / المعدن	الموقع / المحافظة	الكمية المقدرة / م٣
صخور	تعز / مارب / الحديدة / ذمار / ابين / حضرموت	١١١٠ مليون
جرافيت (رخام)	تعز / صنعاء / حجة / ابين / الحديدة / ذمار	٣٤٥ مليون
ذهب	حضرموت	١٣٦ مليون

- الجمهورية اليمنية / وزارة التخطيط والتنمية / الخطة الخمسية الأولى – للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٩٦– ٢٠٠٠) ص ٩١

أما بالنسبة للغاز الطبيعي فقد كشفت دراسات التحري عن وجود كميات كبيرة من الاحتياطي العالمي في اليمن واهم حقوله المصاحبة للنفط هي في حوض (صافر – مارب) وتم انشاء عدد من المعامل بهدف تغطية الاحتياجات المنزلية منه و احتياجات المصانع ويوجد البعض من هذه المعامل في عمران (محافظة صنعاء) وجبلة (محافظة اب) .

لا شك أن مجموعة المعادن التي تم اكتشافها سوف تكون القاعدة الاساسية في بناء صناعة المستقبل في هذه البلاد ، وعند ملاحظة توزيعها على أية خارطة لليمن سوف نرى انها قد انتشرت على ارض البلاد الواسعة في الشطرين الشمالي والجنوبي فتوزيعها الجغرافي لم يكن مركزاً و محصوراً في جهة دون أخرى .

(٣) – ٤ – ٢– الأسماك :-

تشكل الأسماك مورداً طبيعياً مهماً فهي اهم موارد الثروة البحرية في اليمن فقد توفرت البيئة الجغرافية الساحلية التي تساعد على انتاج هذه الثروة كما توفرت البيئة الحيوية اللازمة لكثرة الأسماك في المياه الاقليمية في كل من البحر العربي والبحر الاحمر . و يعد الساحل في محافظتي حضرموت والمهرة من اغنى مناطق الصيد في العالم وهو ما عرف به ساحل البحر العربي عموماً ، ففي هذا الساحل المياه باردة نسبياً (١٨) درجه مئويه ومالحه جزئياً والساحل غني بعناصر الفسفور والسيليكون ونسبة ضئيلة من الاوكسجين المذاب ، كما يتعرض الساحل إلى دورات تقلب المياه الراسية وهي من الظواهر الفيزيائية البحرية المهمة في تكوين البيئة الحيوية الملائمة لانتاج البلانكتون الذي يعد مراعي للاسماك . من ذلك كان الساحل إحدى اهم مناطق الأسماك في العالم من حيث الكم والنوع . كذلك في البحر الاحمر فان دورات التقلب الراسي للمياه قليلة الا أن وجود المرجان والشعب المرجانية قد وفر البيئة الملائمة لوجود وتكاثر الأسماك .

لقد بلغ انتاج الأسماك (١٠٥٨١٧) طناً عام (١٩٩٧) وبذلك تاتي اليمن في المقام الأول بين الاقطار العربية في آسيا وفي المقام الثالث في الوطن العربي عموماً ، وقد اسهم القطاع السمكي بحوالي (٧ %) من إجمالي الدخل القومي ، وهذه نسبة ضعيفة تؤشر حقيقة عدم الاستغلال الواسع لهذه الثروة الطبيعية .

و بصدد الموارد الطبيعية فهي لا تقتصر على المعادن وفلزاتها وعلى الأسماك بل انها تشمل الكثير من موارد البحر الذي لم تصله اليد اليمنية بعد ، كذلك فان النبات الطبيعي المتنوع هنا ، من أشجار وشجيرات ونباتات طبية وأخرى تدخل في بعض صناعات التجميل وغيرها هي الأخرى موارداً مهماً ، كذلك التربة وأنواعها والإمكانات الزراعية في الوديان وعلى المدرجات ، إلى جانب إمكانات السياحة المتنوعة ، ولكن لا يمكن سوى أن نشير إلى ذلك اذ ليست من مهمة هذا البحث أن نتناول هذه الموارد بالتفصيل .

الجدول (٣)
تطور إنتاج الأسماك (اسماك السطح والأعماق والأحياء البحرية الأخرى)

السنة	الإنتاج / ألف طن
١٩٩٠	٧٨٣٣٧
١٩٩١	٨٢٥٤١
١٩٩٢	٧٨٣٦٦
١٩٩٣	٨١٨٦٥
١٩٩٤	٨١٨٨٥
١٩٩٥	١٠٨٦٠٣
متوقع	ـــــــــ
عام ٢٠٠٠	١٦٧٠٩٨

الجمهوريـــة اليمنـــية – وزارة التخطـــيط و التنمية –(الخطة الخمسية الأولى للـ تنميةالاقتصادي والاجتماعية – ١٩٩٦ – ٢٠٠٠) ص ٩٨

(٣) –٥– السكان :

ســبق وان اشرنا إلى أن المكانة المتميزة التي تحتلها الدولة تستند إلى اعتبارين اساسين هما المساحة والســكان . فالبشر هم الايدي العاملة المنتجة فهم عنصر العمل وهو العنصر الثاني من العناصر الاربعة التي تعــتمد علــيها عملــية الانتاج . ولا ننسى أن البشر مثلما ينتجون فهم يستهلكون وبالتالي لا بد من حصول الموازنة ما بين الانتاج والاستهلاك بهدف تحقيق الرفاهية.

ويؤثــر الســكان كثــيراً في جيوبولوتيكيه الدولة فهم عنصر القوة فيها وبنفس الوقت عنصر الضعف ويــتوقف هــذا التاثــير علــى خصائص السكان ومقدار تفاعلهم مع الدولة وايمانهم بان الدولة تعمل لتأمين الرفاهية لهم والمحافظة عليهم من الاخطار .

تهــتم الدراســات الجيوبولوتيكيه عادة بمعرفة ما يمكن أن يحققه الكم والنوع الديموغرافي لقوة الدولة ومعــرفة جملة الخصائص الديموغرافية التي تسبب الضعف في الدولة ولربما انهيارها بشكل نهائي من ذلك فان هذه الدراسات تتناول :–

١– الكم والنوع الديموغرافي :–

فالكم يشكل حجم السكان ولا شك أن حجم السكان يشكل حجم القوى البشرية العاملة ، ولعل من مقومات الــدول الكــبرى والقوية هو الحجم السكاني الكبير ، فقد كانت المساحة والسكان وتنوع الموارد من السمات الاساسية في واقع الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الامريكية ، وعندما نتحدث عن احتمالات بروز قوى سياسية جديدة مستقبلاً فان هذه الاحتمالات ترشح الصين والهند ومن ثم اليابان لتقدمها التقني الكبير .

كذلــك يشــكل الــنوع الديموغرافي اهمية كبيرة فحجم السكان المتعلم والمتدرب تقنياً والصحيح جسدياً وعقلياً ذات قوة وفعالية اكثر تاثيراً من حجم سكاني امي ومريض.

الخصائص البشرية :

وتشــمل دراســة التركيــب السلالي والقومي واللغوي والديني إذ أن التنوع عادة يسبب القلق السياسي والتجانس يدعو إلى حالة الاستقرار لدرجة كبيرة .

وبالنسبة لليمن فقد عملت الوحدة على ظهور الدولة بحجم سكاني متوسط قياساً للواقع العربي ، فسكان الدولــة اليوم (١٨,٣) مليون نسمة ، وهي بهذا الحجم قريبة من السعودية ومن سورية ، ولعلها مع هذين تشــكل مرتبة الأقطار التي تقترب أعداد السكان فيها من (عشرين) مليون نسمة ، وهي مجموعة تأتي بعد العراق الذي تجاوز هذا الحجم ومن ثم بعد اقطار الثلاثين مليون وهي المغرب والجزائر والسودان وبعد مصر التي تجاوزت (٦٠) مليون نسمة .

الجدول (٤)

تطور أعداد السكان في اليمن :-

السنة	الشطر الشمالي	الشطر الجنوبي	اليمن الموحد
١٩٧٣	–	١٥٩٠٢٧٥	–
١٩٧٥	٤٥٤٠٢٣٠	–	–
١٩٨٦	٩٢٧٤٠١٧	–	–
١٩٨٨	–	٢٣٤٥٢٦٦	–
١٩٩٤	–	–	١٥٨٠٤٦٥٤
٢٠٠٠	–	–	١٨٣٠٠٠٠٠

نتائج تعددات السكان

تقديرات عام ٢٠٠٠م / عن / الجمهورية اليمنية / وزارة التخطيط والتنمية / مسيرة عشر سنوات ١٩٩٠-٢٠٠٠م

تشير تحليلات نتائج تعداد السكان لعام (١٩٩٤) إلى شدة فتوة المجتمع اليمني فتوزيع السكان على فئات العمر الثلاث الرئيسة يؤشر أن الاطفال وصغار السن ممن تقل اعمارهم عن (١٥) عاماً يشكلون نسبة (٥٠,٣ %) . وهذا يعني أن عددهم بحدود (٨) مليون نسمة هم المعالون وهم خارج ميدان العمل إلاما ندر.

أما فئة الشباب والقادرين على العمل والانتاج فقد كانت نسبتهم (٤٦,٢ %) وهم بهذه النسبة قد بلغوا اقل من (٧) مليون نسمة بقليل . أن هذه الفئة العمرية (١٥-٦٤) عاماً هي فئة العمل والانتاج الاقتصادي وكذلك العمل والانتاج العسكري في ظروف الحرب .

وعلى وجه الدقه يقدر حجم قوة العمل البشرية نحو (٤,٦) مليون نسمة عام (٢٠٠٠) وهو متوسط يشكل نسبة (٤٧ %) من افراد الفئة العمرية السابقة الذكر ، وتمثل النساء حوالي (٢٥%) من قوة العمل هذه .

الجدول (٥)

توزيع السكان على فئات العمر الثلاث الرئيسة (١٩٩٤)

فئة العمر	النسبة المئوية لعدد السكان
اقل من ١٥ عام	%٥٠,٣
١٥-٦٤ عام	%٤٦,٢
٦٥ عام فاكثر	%٣,١
– عن نتائج مقدار السكان – (الباحثان)	

ومن مظاهر الفتوة والشباب في المجتمع السكاني هو معدل النمو الطبيعي (growth natural) فهو رغم هبوطة في السنوات الاخيرة إلى (٣,٥% في السنة (الاطار العام لرؤية اليمن الاستراتيجية ٢٠٢٥) ، فهو مازال من اعلى المعدلات في العالم . وهذا ناتج عن ارتفاع خصوبة المراة اليمنية فقد اظهرت نتائج المسح الديموغرافي لعام (١٩٩٧) أن (٣٧ %) من الولادات تتم في تباعد اقل من سنتيين وان (٣٥ %) من النساء يحملن قبل العشرين من العمر أو بعد (٣٥) عاماً وبذلك كانت الخصوبة الكلية للمراة عالية بلغت (٦,٥) .

وبصدد الحجم الديموغرافي الذي قد يتطور في حدوده الدنيا إلى (٣٥) مليون نسمة عام (٢٠٢٥) وما ينتج عنه من حجم لقوى العمل البشرية لابد من الاشارة إلى اهمية الموارد البشرية في دولة مثل اليمن قد عرف سكانها الهجرة إلى محيطهم الاقليمي وتعلموا العمل بمختلف اشكاله ومستوياته في اقطار الخليج العربي وفي المملكة العربية السعودية وخارج الوطن العربي في جنوب شرق اسيا وفي الاقطار الافريقية وفي اوروبا وكندا والولايات المتحدة الامريكية انهم بذلك يشكلون جزءاً مهماً في ثروة البلاد من خلال حجم التحويلات التي يقومون بها ، وهذا الواقع يتطلب الانتباه إلى ضرورة الاعداد الجيد للعامل اليمني في التكوين والتعليم والتدريب حتى يبقى منافساً قوياً في ميادين العمل العربية والاجنبية ، أن هذه النظرة جزء من النظرة الاستراتيجية المستقبلية .

وفــي الموضــوعات المهمــة في هذا الجانب طبيعة التوزيع الجغرافي للسكان فبالاضافة إلى المشكلات الكثــيرة والمتنوعة التي يسببها تركز السكان فان لهذا التركز مشكلاته العسكرية أيضا فقد اشارت الدراسات العسكرية أن وسائل الدفاع الجوي لا يمكنها أن تسقط اكثــر من (٢٠ %) من القاذفات المغيرة قبل أن تصل إلــى اهدافها مهما كانت شبكات الرادار ويقظة المدافعين فان (٨٠ %) من الطائرات وغيرها لابد أن تصل اهدافها (الديب – ١٩٧٨) من ذلك فان تركز السكان في بعض مناطق الدولة سوف يجعلهم عرضة للهجمات ويسبب خسارة بشرية واقتصادية سريعة .

و بهذا الصدد لا تبدو في اليمن منطقة تركز سكاني استحوذت على نسبة عاليه في السكان كأن تصل إلى (٣٠ %) أو (٢٥ %) كما يحصل في بعض الاقطار العربية حيث تستحوذ منطقة العاصمة عادة على مثل هذه النسب ، ويؤشر الجدول الأتي حالة من عدم التركز الواضحة فلم تصل نسبة تركز السكان في أية محافظة إلــى سدس السكان وهي نسبة (١٦ %) تقريباً . وهذا التوزيع جيد في المنظور السياسي والعسكري على انه يكشف عن وجود مناطق تخلخل بشري في بعض الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من البلاد وذلك بفعل صــعوبة البيــئة الطبيعــية هناك حيث يشتد الجفاف وتمتد مظاهر الصحراء على مساحات واسعة مما يجعلها مناطق طاردة للسكان .

أمــا بصــدد الخصائص النوعية للسكان فبفعل تراكمات الماضي الثقيلة التي سببت التخلف لهذا البلد فقد اشــر الاطــار العــام لــرؤية اليمــن الاســتراتيجية وكذلك اشرت الخطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعــية (١٩٩٦– ٢٠٠٠) الكثير مما يجب أن يعمل على صعيد التنمية البشرية فتقدر نسبة الامية (٥٦%) وهــي بنسبة (٧٦%) للإناث (٣٧ %) للذكور وهي من اعلى النسب في الوطن العربي . كما أن نســبة الملتحقين بالتعليم الاساسي حوالي (٦٧ %) وهي بواقع (٤٦ %) للإناث و (٨٧ %) للذكور في الفــئة العمرية (٦– ١٥) عاما . وتتدنى مؤشرات الحالة الصحية كذلك فلا تغطي شبكــة الخدمات الصحية ســوى (٤٠%) من السكان وتعاني المراه والطفل بشكل اكبر من قصور هذه الخدمات (الاطار لرؤية اليمن الاستراتجية ٢٠٢٥) .

الجدول (٦)

التوزيع النسبي للسكان حسب نتائج تعداد (١٩٩٤)

المحافظة	العدد	%
امانة العاصمة	٩٧٢,٠١١	٦,١٥
صنعاء	١,٩١٠,٢٨٦	١٢,٠٩
عدن	٥٦٢,١٦٢	٣,٥٦
تعز	٢,٢٠٥,٩٤٧	١٣,٩٦
الحديدة	١,٧٤٩,٩٤٤	١١,٠٧
لحج	٦٣٤,٦٢٢	٤,٠٢
اب	١,٩٥٩,٣١٣	١٢,٤٠
ابين	٤١٤,٥٤٣	٢,٦٢
ذمار	١,٠٥٠,٣٤٦	٦,٦٥
شبوة	٣٧٧,٠٨٠	٢,٣٩
حجة	١,٢٦٢,٥٩٠	٧,٩٩
البيضاء	٥٠٩,٢٦٥	٣,٢٢
حضرموت	٨٧٠,٠٢٥	٥,٥٠
صعدة	٤٨٦,٠٥٩	٣,٠٨
المحويت	٤٠٣,٤٦٥	٢,٥٥
المهرة	١١٢,٥١٢	٠,٧١
مأرب	١٦٧,٣٨٨	١,٠٦
الجوف	١٥٧,٠٩٦	٠,٩٩
عمران	–	–
الضالع	–	–
اليمن	١٥,٨٠٤,٦٥٤	١٠٠,٠٠

و عن الخصائص البشرية فينتمي الشعب اليمني سلاليا إلى الجنس القوقازي شعبة البحر المتوسط فهو بذلــك يتشــكل من تكوين سلالي واحد وان وجدت بعض العناصر الزنجيه أو ذات الاصول الزنجيه فهي قليلة العدد ولا تشكل نسبة تذكر .

ومما يزيد من تماسك الشعب اليمني انتماؤه إلى قومية واحدة هي القومية العربية ، والقومية تختلف عن الســلالية حيث تعني الاولى الانتماء إلى الامة تاريخياً واجتماعياً فالدولة تنطبق على الاقليم السياسي والامة تنطبق على العنصر البشري وهي مجموعة من الناس يوجد بينهم وجدان اجتماعي وسياسي مشترك وانتماء إلى ايدولوجيات وتقاليد وخصائص ثقافية مشتركة ولا يقتصر الامر على اليمن بل الملاحظ أن التشابه السلالي الكبير في الوطن العربي كان ومازال عنصراً هاماً في تماسك المجتمع العربي في ظل الدولة الحديثة . وكذلك فالمجــتمع العربي عموماً وفي اليمن بشكل خاص ثمة وحدة واضحة ومتميزة في اللغة والدين مما يقود إلى وحــدة الثقافة . ففي عموم الوطن العربي لا يشكل غير المسلمين سوى (٦ %) من سكانه وهم المسيحيون الذيــن يعــودون بجذورهم إلى العهد البيزنطي وهم يتكلمون اللغة العربية ويعتزون بعروبتهم وغالبيتهم اتباع المذهــب الارثوذكسي اليوناني والباقـــون من الكاثوليــك (aruri – ١٩٧٢) أن اليمن من اكثر الاقطار العربــية فــي التجانس القومي و الديني ومن ثم السلالي ولا تشكل فيه التباينات الطفيفة أية مشكلات محتملة من هذا النوع في المستقبل .

(٤) الوزن الجيوبولوتيكي المستقبلي :

أن توحــيد اليمــن الذي حقق اتساع الرقعة المساحية والزيادة الكمية في عدد السكان وطول السواحل وتراكم الموارد الطبيعية وبالتالي توحيد الموقف السياسي اعطى خواص جيوسياسيه جديدة لهذا البلد ، فلاشك انه اقوى مما كان عليه في شطرين يتقاطعان احياناً لاسباب هامشية ، ولاجل تنمية قوة اليمن الجيوبولوتيكيه، تلك القوة التي تستند إلى العناصر السياسية والعسكرية فهي تستند أيضاً إلى العناصر الاجتماعية والاقتصادية فتنمــية المجــتمع تعليمياً وصحياً وتقنياً قوة للدولة اليمنية كذلك فان تنمية الزراعة والصناعة والتعدين التي تقــود الى قوة الاقتصاد هي الاخرى قوة للدولة اليمنةي ، اذ ماعادت اليوم القوة تقتصر على القوة الجغرافية والعسكرية والسياسية بل أن الاقتصاد عنصر قوة والمجتمع عنصر قوة أيضا .

وتشــير المؤشــرات الاحصائية إلى حصول الكثير من التطورات خلال العقد الاخير مما يعزز قوة الدولة جيوبولوتيكــياً وذلــك فــيما يخص التوجه للمشاركة الشعبية وترسيخ العمل الديموقراطي . أن نهوض اليمن الحضــاري في المرحلة القادمة يستلزم المضي قدماً بالنظام السياسي والتجربة الديموقراطية لتحقيق الانتقال مــن حالــة الديموقراطــية الناشئة الى الديموقراطية الناضجة والمستقرة ، بحيث تصبح التعددية السياسية والحزبــية واحــترام حقــوق الإنســان والــتداول السلمي للسلطة آليات المجتمع الراسخة والقوية في العمل الديموقراطــي وفي إدارة الحكم وتحقيق التطور السياسي للمجتمع ككل والتنمية الجيوبولوتيكيه للدولة لتصبح قادرة على فرض الأمن الوطني والامن الاجتماعي وعلى النضال لتقدم الواقع الاقتصادي .

وتــنطلق هــذه الرؤية من الثوابت والمسلمات التي اجمعت عليها مبادئ وبرامج كافة الاحزاب والقوى السياسية في الساحة اليمنية و المتمثلة في الأتي : (الاطار العام لرؤية اليمن الاستراتيجية – ٢٠٢٥)

١- الالتزام بالعقيدة الإسلامية باعتبارها المرتكز الرئيس لكل قواعد السلوك .
٢- التمسك بالنظام الجمهوري ومبادئ الثورة اليمنية / سبتمبر وأكتوبر .
٣- حماية الوحدة اليمنية ارضاً وانسانا وتعميق الوحدة الوطنية .
٤- تأسيس الدولة اليمنية الحديثة على أساس ديموقراطي والالتزام بها .

ولا يمكن أن نغفل الواقع الذي نعيشه وهو واقع العولمة و التكتلات الاقتصادية الكبرى والذي فرض على اســتقرار الــدول وعلى تطورها السياسي أن تكون قادرة على التفاعل الإيجابي مع محيطها الإقليمي والدولي وفــق مــبادئ المصــالح المشتركة وهذا يعني بالضرورة توظيف السياسة الخارجية للدولة لخدمة المصالح السياسية والاقتصادية وهو ما يمكن ملاحظته في سياسة اليمن في حل مشكلاتها مع جيرانها ونضالها الدؤوب لخلق الدولة الحديثة ، دولة المؤسسات .. ،

الخلاصة :-

يحــتم موضــوع الخصائص الجيوبولوتيكيه بدراسة عناصر القوة في الدولة ،تلك العناصر التي تشكل الجزء المهم من المظاهر الجغرافية ، سواء كانت مظاهر طبيعية تتعلق بالموقع والمساحة و أشكال التضاريس

و أنمــاط المناخ والموارد الطبيعية والتربة ، أو تلك التي تتعلق بالإنسان من حيث الكم والنوع وهي المظاهر البشرية .

ولا شــك أن توحيد شطري اليمن في كيان سياسي واحد كان طموح أبناء اليمن سواء من الشماليين أو الجنوبيين على حد سواء ، ذلك لان هذا التوحيد هو العملية السياسة الطبيعية التي ألغت أسباب التشطير فهي دون شك أسباب تاريخية كانت من دون إرادة الشعب اليمني .

بهــذه الوحــدة تغــيرت حقائق اليمن من حيث الموقع الجغرافي وامتداد المساحة التي تجمعت أجزائها لتصــبح الــيوم (٥٥٠,٠٠٠)كم² دون الــربع الخالــي ، وبذلك أصبحت اليمن في موقع الأقطار العربية المتوســطة المساحة . كذلك فقد طالت أطوال السواحل فأصبحت الدولة الموحدة تشرف على البحرين العربي والأحمر في مساحة تزيد على (١٥٠٠) كم ، بكل ثرواتها البحرية المتنوعة . كما أضيفت الموارد المعدنية الشمالية إلى الجنوب وبالعكس مما خلق قاعدة معدنية تحتاج إلى مزيد من التحري والتنقيب .

وبخصــوص الحجــم الديموغرافــي فقد اصبح يناهز العشرين مليون نسمة في الوقت الحاضر ، ومازال المجتمع اليمني فتياً من الناحية الديموغرافية وسوف يستمر بمعدلات مرتفعة للزيادة ويقدر أن يصــــل إلى (٣٥) ملــيون نســمة في اقل التقديرات عام (٢٠٢٥) وهذا الحجم الديموغرافي هو قوة عمل وقوة إنتاج سواء كانت إنتاجاً مدنياً أو إنتاجاً عسكرياً في ظروف الحرب .

تــتعاظم خصــائص القــوة هذه في ظل ظروف التنمية المستديمة وفي ظل السياسة التي ترى في حسن الجوار اكبر قوة جيوبولوتيكيه .. ،

المصادر :-

١- بدوي ، محمد طه (١٩٧٢) مدخل إلى علم العلاقات الدولية – دار النهضة العربية – بيروت .
٢- الديب ، محمد محمود (١٩٧٨) الجغرافية السياسية ، أسس وتطبيقات / الانجلو مصرية – القاهرة.
٣- الهيتي ، صبري فارس وعبد الوهاب ، عبد المنعم (١٩٨٩) الجغرافية السياسية / جامعة بغداد .
٤- نعمة ، كاظم هاشم (١٩٧٩) العلاقات الدولية – دار الكتب والنشر – بغداد .
٥- السماك ، محمد ازهر (١٩٨٨) الجغرافية السياسية / أسس وتطبيقات/ جامعة الموصل.
٦- إصدارات حكومية :-
- الجمهورية اليمنية / وزارة التخطيط والتنمية / الخطة الخمسية الاولى (١٩٩٦- ٢٠٠٠) .
- الجمهورية اليمنية / وزارة التخطيط والتنمية / مسيرة عشر سنوات (١٩٩٠-٢٠٠٠) .
ج- وزارة التخطيط والتنمية / مكتب الوزير / الإطار العام لرؤية اليمن الاستراتيجية ٢٠٢٥ .
د- الجمهوريــة اليمنــية / رئاسة الوزراء / المجلس الوطني للسكان – الأمانة العامة- الندوة التعريفية لنــتائج الدراســة الميدانية حول معارف واتجاهات وممارسات المجتمع عن الصحة الانجابية وتنظيم الاســرة / محافظة عــدن / ٢٤-٢٥ / ٤/ ٢٠٠٠ (أوراق العمل) .
هـ التعدادات السكانية / جداول نتائج التعدادات .

Aruvi , N.H. (1972) Jordan ; astudy in political development , Nether lands Martinus .

Jones ,S .E. (1954) The power Inventory and National strategy – world politics , Vol. VI .

Pounds . N.J (1972) political Geography – Negrow- Hile, ,Co . N.Y .

الانتقال الديموغرافي في اليمن

د/ علي احمد السقاف

قسم الإحصاء والمعلوماتية- كلية العلوم الإدارية- جامعة عدن

مقدمة

إن تأثير التغيرات الديموغرافية على التنمية الاقتصادية في البلدان النامية جذب انتباه العديد من الباحثين حديثا وذلك لسببين. أولهما النمو في الخطط والبرامج والطموحات لزيادة الناتج القومي في البلدان النامية وبالذات تلك التي تتصف بمعدلات مدا خيل منخفضة . ثانيا، الانخفاض المتزايد في معدلات الوفيات في البلدان والتي كانت تعاني حتى وقت قريب من أخطار الوفيات المرتفع . هذه البلدان لديها معدلات مواليد مرتفعة ، وهكذا فان الانخفاض في الوفيات يعني إن النمو السكاني متسارع.

إن نظرية الانتقال الديموغرافي تصف سلوك المتغيرات الديموغرافية (معدل المواليد، معدل الوفيات ومعدل النمو) في عملية الانتقال من مواليد ووفيات مرتفعة إلى مواليد ووفيات منخفضة وذلك بالارتباط بالعملية التنموية . النظرية مبنية على ملاحظتين (١) : المواليد والوفيات مرتفعة في المجتمعات التقليدية ومنخفضة في المجتمعات الحديثة و (٢) المجتمع الحديث جدا مر من معدلات مرتفعة إلى منخفضة . والظاهرة أصلا تحدث خلال ثلاثة مراحل : أولا، المرحلة المتوازنة ، وفيها يكون كلا من المواليد والوفيات مرتفعا . ثانيا ، المرحلة الانتقالية ، وتتصف بانخفاض معدلات الوفيات ولكن معدلات المواليد في ارتفاع مستمر . ثالثا ، مرحلة جديدة متوازنة وفيها تكون كلا من المواليد والوفيات منخفضة والنمو السكاني في تناقص .

الاتجاهات في الوفيات

شهدت اليمن انخفاضا ملحوظا في الوفيات خلال العقود الماضية وذلك منذ عام ١٩٥٠ . جدول ١ يوضح معدلات الوفيات في اليمن خلال الفترة ١٩٥٠- ١٩٩٠

جدول رقم ١

معدلات الوفيات في اليمن خلال الفترة ١٩٥٠- ١٩٩

	المحافظات الشمالية والغربي	المحافظات الجنوبية والشرقية
	معدل الوفيات	معدل الوفيات
١٩٥٠- ٥٥	٣٢	٣٢
١٩٥٥- ٦٠	٢٩،٦	٢٩،٦
١٩٦٥-٧٠	٢٨،١	٢٧،٩
١٩٧٠-٧٥	٢٦،٦	٢٥،٣
١٩٧٥-٨٠	٢٥،٦	٢٣،١
١٩٨٠-٨٥	٢٠،٢	٢٠،٩
١٩٨٥-٩٠	١٧،٨	١٧،٤
	١٥،٧	١٥،٨

المصدر: عبد الرحيم عمران، ١٩٨٨ و *Europe World Year Book, 1990*

من الجدول أعلاه يمكن ملاحظة إن معدل الوفيات في المحافظات الشمالية والغربية انخفض من ٣٢(لكل ١٠٠٠من السكان) في الفترة ١٩٥٠- ٥٥ إلى ١٥،٧ في الفترة ١٩٨٥-٩٠ أي بنسبة انخفاض ٥١% .وبالمثل في المحافظات الجنوبية والشرقية فان معدل الوفيات قد انخفض من ٣٢ (لكل ١٠٠٠ من السكان) في الفترة ١٩٥٠-٥٥ إلى ١٥،٨ في الفترة ١٩٨٥-٩٠ ، أي بنسبة انخفاض ٥٠% .

مما تقدم ممكن الاستنتاج بأنه و بالرغم من الاختلافات في النظام الاقتصادي والاجتماعي في شطري اليمن السابق ، إلا إن مؤشر الوفيات اظهر تشابها كبيرا في الفترة ١٩٥٠- ١٩٩٠

إن الانخفــاض في معدلات الوفيات في اليمن والذي بدا في الستينات يمكن إن ينسب إلى التطور الصحي الــذي شهدته البلدان النامية ، كنتيجة للمساعدات من منظمة الصحة العالمية والمنظمات الدولية الأخرى ذات العلاقــة وذلك للقضاء على الأمراض الفتاكة مثل الملاريا ، الجدري ، الكوليرا والحصبة ٠٠الخ . ومن جانب آخر فان التغير الاقتصادي والاجتماعي الذي حصل في اليمن نتيجة للثورتين ٢٦ سبتمبر و١٤ أكتوبر كان له الأثر الكبير على حياة الإنسان اليمني.

بعــد الوحدة بين شطري اليمن السابق ونشوء الجمهورية اليمنية في مايو ١٩٩٠ . اجري أول تعداد للســكان والمســاكن فــي عام ١٩٩٤ . وطبقا لهذا التعداد فقد سجل معدل الوفيات ١١،٣٥ (لكل ١٠٠٠ من السكان)

الاتجاهات في المواليد

جدول رقم ٢ يبين معدلات المواليد في اليمن خلال الفترة ١٩٥٠- ١٩٩٠ .

جدول رقم٢
معدلات المواليد في اليمن خلال الفترة ١٩٥٠-١٩٩٠

الفترة	المحافظات الشمالية والغربية	المحافظات الجنوبية والشرقية
	معدل الوفيات	معدل الوفيات
١٩٥٠- ٥٥	—	—
١٩٥٥-٦٠	—	—
١٩٦٠-٦٥	٤٦	٤٦
١٩٦٥-٧٠	—	—
١٩٧٠-٧٥	٤٩	٤٩
١٩٧٥-٨٠	٥٠	٤٧،٦
١٩٨٠-٨٥	٤٨،٦	٤٧،٠
١٩٨٥-٩٠	٤٧،٩	٤٧،٣

المصدر : نفس المصدر جدول رقم ١

مــن الجــدول رقم ٢ يمكن ملاحظة إن معدلات المواليد في اليمن لم تشهد تغيرا معنويا خلال الأربعين سنة الماضية .

بالنسبة للمحافظات الشمالية والغربية معدلات المواليد كانت ٤٦، ٥٠ ، ٤٧،٩ للفترات ١٩٦٠-٦٥،١٩٧٥-٨٠، ١٩٨٥-٩٠ علــى التوالي. وبالمثل فان معدلات المواليد في المحافظات الجنوبية والشرقية كانت ٤٦، ٤٧،٦ ، ٤٧،٣ للفترات ١٩٦٠-٦٥ ، ١٩٧٥-٨٠ ، ١٩٨٥-٩٠ على التوالي .
معــدلات المواليــد المرتفعة في اليمن يمكن إن يفسر بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتي تلعب دورا مهمــا فــي التأثــير على الخصوبة . ومن هذه العوامل فان تعليم الفتيات يلعب الدور الأساسي ،وطبقا للــتعداد ين اللذين اجريا في عامي ١٩٨٦ ، ١٩٨٨ في المحافظات الشمالية والغربية والمحافظات الجنوبية والشــرقية علــى التوالــي.فان نسبة تعليم الفتيات في المحافظات الشمالية والغربية كانت ٩% وهذه النسبة للمحافظــات الجنوبية والشرقية كانت ٣٦% . وبالتأكيد فان تدني نسبة التعليم للفتيات يؤثر سلبا على معدلات الإنجاب.

الــتعداد العــام للســكان والمساكن لعام ١٩٩٤ اظهر بان معدل المواليد ٥٢ لكل ١٠٠٠ من السكان ومعدل الخصــوبة الكلــي ٧،٤ مواليد لكل امرأة . معدل الأمية المرتفع بين النساء في اليمن (٧٦% ،تعداد١٩٩٤) والذي يؤدي أيضا إلى الاستخدام المتدني لوسائل تنظيم الأسرة يفسر الارتفاع في معدلات الخصوبة في اليمن . نسبة النساء المتزوجات اللاتي يستخدمن وسائل تنظيم الأسرة في اليمن في عام ١٩٩٥ سجل ٧% مقارنة ب ٦٠% ، ٥٥% ، ٤٨% في كل من تونس ، لبنان ومصر على التوالي . (اليونيسيف ١٩٩٧)

مراحل الانتقال الديموغرافي في اليمن

بلاكـر (١٩٤٧) فـي نظريته الانتقال الديموغرافي عرف الخمس المراحل الآتية للانتقال من معدلات مواليد ووفيات مرتفعة إلى معدلات مواليد ووفيات منخفضة.

- مرحلة السكون المرتفعة ، مع معدلات مواليد ووفيات مرتفعة .
- مرحلة الاتساع المبكرة ، مع معدلات مواليد مرتفعة ولكن انخفاض متسارع في معدلات الوفيات .
- مـرحلة الاتسـاع المـتأخرة مـع تناقص في معدلات المواليد ولكن بانخفاض متسارع اكثر في معدلات الوفيات .
- مرحلة السكون المنخفضة ،مع معدلات مواليد منخفضة متوازنة مع معدلات الوفيات المنخفضة .
- مرحلة التناقص ،مع معدلات وفيات منخفضة ، مواليد منخفضة ولكن الوفيات اكبر من الموال

بناء على تصنيف مراحل الانتقال الديموغرافي المذكور أعلاه ومن الجدول ١ و ٢ يمكن ملاحظة إن اليمن (الشـطرين السـابقين) حتى الفترة ١٩٧٠-٧٥ كانت في المرحلة الأولى من الانتقال الديموغرافي . حيـث إن كلا من معدلات المواليد والوفيات كانت مرتفعة في كلا الشطرين السابقين من اليمن خلال هذه الفـترة (معـدلات المواليـد والوفيات كانت ٥٠ و٢٥،٦ على التوالي في المحافظات الشمالية والغربية والنسبة المقابلة للمحافظات الجنوبية والشرقية كانت ٤٧،٦ و٢٣،١ على التوالي).

الفـترة ١٩٧٥-٨٠ لم تشهد أي تغير في المواليد ولكن الوفيات انخفضت بشكل ملحوظ (معدل الوفيات كان ٢٠،٢ فـي المحافظات الشمالية والغربية بينما كان ٢٠،٢ في المحافظات الجنوبية والشرقية.وهكذا فان الفترة ١٩٧٥ - ٨٠ يمكن اعتبارها بداية المرحلة الثانية للانتقال الديموغرافي في اليمن.

بحلـول الفـترة ١٩٨٥- ٩٠ قـدرت معـدلات الوفيات للمحافظات الشمالية والغربية ١٥،٧ وللمحافظات الجنوبـية والشرقية ١٥،٨ ولكن لم يطرأ أي تغيرات ملحوظة على معدلات المواليد خلال نفس الفترة ، وهكذا في الفترة ١٩٨٥-٩٠ اليمن مازالت في المرحلة الثانية من الانتقال الديموغرافي .

كمـا ذكر آنفاء بعد الوحدة اليمنية في مايو ١٩٩٠ ، اجري أول تعداد للسكان في عام ١٩٩٤ . نتائج التعداد أظهـرت بـان معدلات المواليد والوفيات كانتا ٥٢ و١١ على التوالي . بهذا المعدل المرتفع للمواليد والمعدل المـنخفض جـدا للوفيات في عام ١٩٩٤ يمكن إن نضع اليمن في المرحلة الثانية للانتقال الديموغرافي وذلك طبقا لنظرية بلاكر للانتقال الديمرغرلفي .

ممـا تقـدم يمكن أن نستنتج بان اليمن ستبقى في المرحلة الثانية للانتقال الديموغرافي ولفترة طويلة ولايمكن لها أن تدخل المرحلة الثالثة ما لم يطرأ انخفاض ملحوظ في معدلات المواليد.

الخلاصة

الانتقال الديموغرافي في اليمن حاليا في مرحلته الثانية . منذ ١٩٦٠ شهدت اليمن انتقالا ملحوظا في الوفيات ولكن لم يقابل هذا بالانتقال في المواليد . ويبدو أن اليمن ستبقى في المرحلة الثانية من الانتقال الديموغرافي ولا يمكن لها أن تنتقل إلى المرحلة الثالثة ما لم يطرأ تغيرات ملحوظة على معدلات المواليد.
العوامل الاقتصادية والاجتماعية تلعب دورا فعالا في التأثير على الانتقال الديموغرافي . فتحريك العوامل الاقتصادية والاجتماعية (الانتقال الاقتصادي والاجتماعي) سيؤثر بالضرورة على العوامل الديموغرافية (الانتقال الديموغرافي .)

هوامش

١. بيانات المواليد والوفيات أخذت من عبد الرحيم عمران ، سكان العالم العربي ، ١٩٨٨ و *Europe World Year Book , 1990*.
٢. *Ali Assakaf ,Demographic Transition in Yemen , Ph.D Thesis,1999.*
٣. *Unicef, The State of The Worlds Children, 1997.*
٤. الجهاز المركزي للاحصاء ، النتائج النهائية للتعداد العام لعام ١٩٩٤ ، الجمهورية اليمنية.

كرب ايل وتر الكبير أول موحد لليمن

أ . د . عبدالله حسن الشيبة
كلية الآداب / جامعة تعز

لاجدال في أن أشهر الباحثين عن آثار اليمن القديمة هو المستشرق النمساويا إدوارد جلازر ، الذي بدأ حياته بدراسة الفلك ، واشتغل مدة من الزمن في المرصد الإمبراطوري – الملكي في فينا ، إلى أن عهدت إليه أكاديميـة بـاريس في سنة ١٨٨٠ بالذهاب إلى اليمن وجمع النقوش والآثار من هناك . وقد أراد جلازر قبل مباشـرة هذا العمل أن يتقن التكلم بالعربية ويعرف عادات العرب وتقاليدهم ، فسافر لهذه الغاية إلى تونس ثم إلى مصر وفي رحلته الثالثة إلى اليمن في سنة ١٨٩٢ تمكن جلازر من استنساخ عدة نقوش يمنية قديمة من بينها النقش الموسوم GL 1000A,B=RES3945/3946 والمعروف لدى الدارسين باسم نقش النصر الذي تبلغ كلماته أكثر من ألف كلمة وفيها حوالي ٨٠ اسماً لموضع وواد وقصر ونخل .

فعلـى مسـافة ٤٠ كيلو متراً من مأرب باتجاه المرتفعات يوجد معبد صرواح الكبير الذي تنتصب في حـرمه كـتلة حجـرية مربعة لا يقل وزنها عن حوالي ١١ طناً ، نقش على جوانبها على امتداد سبعة أمتار نقشان ، أحدهما في عشرين سطراً والآخر في ثمانية أسطر ، وهما نقشان رئيسيان من أجل فهم تاريخ اليمن القديم .

والملك الذي يروي هنا مآثره هو " مكرب " سبأ كرب ايل وتر بن ذمار علي [م ك ر ب تعني في اللغة اليمنـية القديمة : الموحد أو المجمع من الجذر (ك ر ب) أنظر : بيستون ، أ . ف . ل – ريكمانز ، جاك – الغـول ، محمود – مولر ن والنز : المعجم السبئي ، دار نشريات بيترز (لوفان الجديدة) – مكتـبة لبـنان (بـيروت ١٩٨٢] الـذي تشير إليه الحوليات الآشورية من عهد سنحريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق . م .) تحت اسم " كربوايلو" وهذا يعني أن النقش يمكن تأريخه في بداية القرن السابع ق . م .

فعـن أي شـيئ يتحدث النقشان ؟ أقصر هذين النقشين يتحدث عن نشاط كرب ايل السلمي : فقد بنى قصـره سـلحين وقام بتنظيم وبناء عدة مشاريع تتعلق بالري في مأرب ، بالإضافة إلى استملاك قرى وأرض زراعـية لعشيرته فيشان . أما النص الآخر المكون من عشرين سطراً فيعالج فيه المكرب الأحداث السياسية وفي المقام الأول صراعات سبأ العسكرية مع جيرانها الذين كانوا ينافسونها ، يبدأ النقش – التقرير الحربي – قـبل الحديـث عـن الحملات العسكرية بتقرير موجز يشير فيه كرب ايل إلى الالتزامات والواجبات التي أداها بصـفته مكـرب سـبأ فـي زمن السلم . فقد وحد القبائل والعشائر السبئية تحت قيادته ، وعمل على رفاهية المجتمع السبئي ، بتنفيذه لمشاريع الري الزراعية في واحة مأرب .

بعـد هذا المدخل ينتقل النص المتبقي – حوالي سبعة عشر سطراً – إلى الحديث عن الأخبار العسكرية للمكـرب ، بكلمـات مقتضبة ودقيقة جداً . فيذكر المناطق التي انتصر عليها ويعدد أرقام القتلى والسجناء من الأعـداء والإشـارات الطبوغرافـية التي ترد في النص مهمة جداً بالنسبة للدارسين في الوقت الحالي ، فعن طـريق هـذه الأسـماء نملـك الـيوم صورة تقريبية عن هذه الحملات (أنظر – Al- Sheibah , A.H.Die Ortsnamen in den Alt Sudarabischen Inschriften , Marburg(L) (11982)

فقد ورد ذكر لثمان حملات عسكرية قادها المكرب بنجاح وعلى النحو التالي :–
الحملـة الأولى إلى المناطق الواقعة إلى الجنوب الغربي ، أي منطقة المعافر (الحجرية حالياً) أما الحملات الـثلاث التالية فقد اتجهت ضد مملكة أوسان خصم سبأ الرئيسي ، في مرخـه (في البيضاء حالياً) وحلفائها في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي ، وهي مناطق (دهس – تبني – كخد) أما الحملتان الخامسة والسادسة فقـد تـم فـيما إخضاع نشان ونشق في الجوف (السوداء والبيضاء حالياً) وتشير الحملة السابعة لعدد من المـدن يصعب تحديد مواقعها ويمكن البحث عنها في المرتفعات الجبلية وفي مناطق تهامة أما الحملة الثامنة فقد كانت موجهة ضد عدة مدن وقبائل في وادي ضهر (على مسافة عشر كيلو مترات شمال غرب صنعاء) ثم قاد المكرب السبئي حملة عسكرية ثقيلة ضد قبيلتي مهأمر وأمير في المناطق الواقعة بين نجران والجوف.

اذن ، فحمـلات كـرب ايل شملت منطقة جنوب الجزيرة العربية بالكامل : شمالاً حتى نجران والجبال الغربـية المطلـة علـى البحر الأحمر ، وجنوباً حتى خليج عدن وبحر العرب وغرباً حتى مضيق باب المندب مروراً بجبل صبر والحجرية وشرقاً حتى مسافط وادي مذاب في الجوف .

يظهر من هذا أن أبرز قوة في هذه الفترة كانت قوة الأوسانيين وحلفائهم ، وقد استوجب القضاء عليها ثـلاث حمـلات متعاقبة . ومن القوى التي ظهرت في هذه الفترة قتبان التي أقطعها كرب ايل بعض الأراضي التـي اسـتولت جيوشـه عليها من دولة أوسان مكافأة لها على التزامها بموقف الحياد خلال حروبه ، وهو مطمئن إلى بقائها موالية له .

ولنا أن نقول الآن : إن اليمن أصبح في كرب ايل وتر ولاول مرة يغطي جنوب بلاد العرب بأكمله ، إذ لـم يحـدث من قبل (أبداً) أن مثل هذه المساحة من الجزيرة العربية قد وحدت في ظل دولة مركزية واحدة قويـة ، الأمـر الذي أدى الى تغير طبيعة السلطة تغيراً جدرياً . فلم يعد المكرب السبئي الذي كان يجمع بين السلطة الروحية والزمنية أي بين الكهانة والملك يحكم بصفته من سلالة الالهة وإنما أصبح يحكم بصفته ملكاً مـن البشر. أما في المجال الثقافي ، فقد أصبحت الثقافة واحدة ومجمع آلهة مشترك (مع تنويعات محلية في الأسماء) وتعبير فني مشترك ...الخ .

إن كـرب ايل وتر بعد إنجازه هذا المشروع الكبير قد انصرف الى توطيد الأمن في أرجاء البلاد ، عن طـريق إعـادة تعمـير المدن وإعادة تحصينها . ثم عن طريق مواصلة سياسة أسلافه العمرانية في الاهتمام بمشروعات الري وما إليها (انظر الشيبة ، ع . ح . : دراسات في تاريخ اليمن القديم ، مكتبة الوعي الثوري ، تعز ١٩٩٩ ، ص ١٦ وما بعدها) .

إن وجود هذا النقش الكبير للملك كرب ايل وتر ايضاً في أيدينا جعلنا نملك أول وثيقة تاريخية مهمة ، نجـد فيها بوضوح حدود الدولة اليمنية القديمة . وليس صحيحاً ما يردده البعض من أن حروب هذا الملك لم تكـن سوى صراعات قبلية صغيرة على الصعيد المحلي ، بل كانت معارك حاسمة حددت مسار تاريخ اليمن اللاحـق . فقـد تعرضت بلاد اليمن الى عدة نكسات بعد ذلك وأنتظرت زهاء أحد عشر قرناً أي حتى القرنين الرابع والخامس للميلاد ، حتى تستعيد وحدتها مع الملكين الحميريين شمر يهرعش وأبي كرب أسعد .

إن اليمـن أصبح شعباً واحداً مع سلطة مركزية قوية ولغة واحدة (السبئية) وكتابة واحدة (اليمنية القديمة) . ومع ذلك فإن الإخفاق كان على مفترق الطرق . فقد أدى انهيار سد مأرب في نحو العام ٥٨٠م ، بعـد أن عجـزت الدولـة على ترميمه ، ولم تعد أنظمة الري صالحة للعمل ، ودخل اليمانيون في صراعات وحروب داخلية مدمرة بين إمارات تتصارع فيما بينها ويمزق بعضها البعض الآخر ، وانحسر النشاط التجاري في شمال الجزيرة العربية ، ودخلت الديانتان اليهودية والمسيحية في صراع طويل قسمت البلاد والعباد ، ولم تتمكن حمير من إقناع السكان بالقبول بخيرات الوحدة في ظل التنوع ... كان اليمن الموحد يتفتت ويظهر يمن جديد يعتمد على الخصوصيات المحلية التي انتصرت على عوامل الوحدة .

وكـان على اليمن في هذه المرة أن ينتظر تسعينات القرن العشرين (أي زهاء ١٤ قرناً من الزمان) لتتمكن الوحدة التي طالما انتظرها الناس من أن تتحقق في ٢٢ من مايو ١٩٩٠م وتعمد هذه المرة أيضاً بالدم في يونيو ١٩٩٤م.

كيف تطورت الصيغة الاتحادية بين القبائل إلى وحدة شاملة في اليمن القديم؟

أ. د. أسمهان سعيد الجرو
أستاذ التاريخ القديم – كلية الآداب
جامعة عدن

أن للطبيعة الجغرافية لليمن القديم أثراً كبيراً وفعالاً في طبع الحضارة اليمنية بطابع خاص ومتميز، بل أنه ليصعب معرفة التنظيمات الاجتماعية، والتكوينات السياسية التي عرفها اليمن القديم بمعزل عن معرفة الطبيعة التضاريسية التي تميز بها من تراكيب جغرافية متنوعة : جبال تعيش على الأمطار الموسمية، وسهول، وأودية، وهضاب ذات خصوبة عالية، ذلك التنوع انعكس ــ دون شك ــ على تنوع المناخ، وتنوع المحاصيل الزراعية، مما وفر اكتفاءً ذاتياً لسكان المنطقة. فمن خلال النقوش نستشف أن الزراعة كانت الحرفة الرئيسة لليمنيين، فقد كانوا شعوباً زراعية بدرجة أساسية، لذلك نجد أن التنظيم الاجتماعي قام في بادئ الأمر على مجتمع القرية (بيت) في النقوش (المعجم السبئي، ١٩٨٨، ٣٤) وهو مصطلح يطلق على كل الجماعة وموقع سكناها، كما يرتبط اسم تلك الجماعة في الغالب بالبيت نفسه (القرية) (بيستون، ١٩٧٤، ٢١).

ويبرز لنا شكل آخر من التنظيم الاجتماعي، هو الشعب، أقدم ذكر للفظة شعب جاءت في نقش النصر(RES 3945) الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، يتشكل هذا التنظيم عادةً أما بفعل توحد عدد من تلك التجمعات (البيت)، أو نتيجة لاتحاد مجموعة قبائل مكونة شعوبا، (اتحاد قبلي) كما في عبارة الشعب (سمعي)، مع وجود الشعب حاشد، وحاشد كما هو معروف أحد أثلاث سمعي، والشعب قد يكون سكان قرية، أو قبيلة، أو فئة من الفئات في المجتمع كأصحاب حرفة واحدة مثلاً كما جاء في نقش (عنان ٢٢)، (بيستون، ١٩٧٤، ٢٢) فالرابطة التي تربط الشعب هي رابطة المصالح الاقتصادية المشتركة أي رابطة مواطنة، تجمع شمل المواطن روحياً ومادياً، ونجد على رأس هذا الشعب حاكم محلي يحمل لقب ملك، فالملكية هنا قبلية، وما أكثر من تلقب بلقب ملك في اليمن القديم وبالذات في المرحلة العتيقة، وهناك إله رئيس يلتف حوله الشعب بمختلف قبائله مع وجود آلهة محلية لكل قبيلة. فعندما يبرز الشعب لأسباب سياسية، واقتصادية، أو لقوة عسكرية ويحرز هيمنة على مجموعة من الشعوب المجاورة، هذا بدوره يؤدي إلى نشوء تجمع اجتماعي سياسي جديد، فتأتي الحاجة إلى التمييز بين لقب الملك الأعلى أو (ملك الأملاك)، وألقاب الملوك التابعين.

على أساس ذلك الاتحاد (الاندماج) الطوعي أو القسري لعدة قبائل (شعوب) تنشأ المدينة (الهجر) كمركز للقبيلة أو الاتحاد، بعد أن يتوفر لذلك الهجر المنشآت الأساسية كالمعبد والقصر ومصدر المياه ... الشيبة، ١٩٩٠، ٢٤).

أولاً : عصر المكارب والملوك (القرن الثامن – القرن الأول قبل الميلاد):

١- نشوء التكوينات السياسية (الممالك اليمنية القديمة) :

إن نشوء الممالك اليمنية القديمة تم أساساً بفعل اتحاد أو شبه اتحاد سياسي – ديني ضم أكثر من تجمع (شعب) لكل شعب آلهته الخاصة به، و تمثل دولة سبأ نموذجاً متميزاً للاتحاد القبلي، ففي سبأ تشكلت نواة هذا الاتحاد منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً عندما ضمت إليها ثلاث قبائل رئيسية (فيشان ، ونزحت، ويهبلح)(CIH601) (RES 3951) وكانت أراضي ذلك الاتحاد تمتد على طول وادي أذنة الغزير بمياهه الممتد بين مأرب وصرواح، شمالاً حتى خربة سعود (كتلم) على وادي (رغوان)، وكان الإله عثتر هو الإله الرئيس الحامي لهذا الاتحاد، بنيت له المعابد ومواضع عبادة في مختلف مناطقهم يزورونها لأداء الطقوس ويتقربون إليها بالقرابين. لقد عرف اليمنيون قديماً أشكالاً مختلفة من الطقوس الدينية التي تجسد ذلك الاتحاد بين القبائل وإقامة العهد مع الآلهة، فمن أبرزها :

- وثيقة التحالف وإقامة العهد مع الآلهة :

لقـد عبرت النقوش عن ذلك التحالف بين القبائل والآلهة والملك بلفظة (حبلم) المشتقة من الجذر (حبل) الذي يعني : ميثاق، (القاموس السبئي، ١٩٨٢، ٦٥)، فإقامة العهد مع الآلهة إنما كان من الطقوس الدينية المهمة، التي ظهرت في نقوش القرن الثامن والسابع قبل الميلاد وتنص صيغة التحالف على العبارات التالية : " حين أقام المكرب (لتلك القبائل) وحدة حقيقية وميثاقاً وعهداً مع الآلهة، والأسياد" لقد ذكرت تلك الصيغة في عدد من النقوش (CIH 366, CIH 366 bis, CIH 957, RES 3949) ومن الملاحظ أن المكرب هو من يكتـب الوثـيقة، كمـا لا يذكر النقش أسماء آلهة القبائل المختلفة الداخلة في إطار ذلك الاتحاد بل يرمز إليه بالآلهة، ولا تحدد اسم سادة القبائل بل لفظ الاسياد.

أما في نقش (البعثة الفرنسية – الدريب ٤) الذى نقش على سور مدينة كتال في الجوف فيقول :

- (كرب أل وترين ذمر علي سوَر مدينة كتلم (كتال) حين أقام وحدة حقيقية (بين القبائل) مع الإله، والسيد، وعهداً، وميثاق). وفي نقش آخر :

- (يثع أمر بين بن سمه علي مكرب سبأ سور مدينة مأرب حين نظم كل قبيلة (تجمع ديني) إذ جعل لكل منها إلهاً وحامياً وعهداً وميثاق).

لقـد ذكرت لنا النقوش ثلاثة من المكارب السبئيين الذين صاغوا وثيقة الاتحاد مع القبائل التي انضمت إليهم وإقامة العهد مع الآلهه، وهم :

١- كرب إل وتر بن ذمر علي(Ry 586/ 5-7,RES 3945/1, RES 3946/1 ، نقش البعثة الفرنسية – الدريب ٤).

٢- يدع إل ذريح بن سمه علي (CIH 366, CIH 957, RES 3949)

٣- يثع أمر بين بن سمه علي (Garb 1973) (Robin, 1996, 1180)

ويـندمج الاتحـاد الأول باتحـادات أخرى فنجد في النقوش (سبأ وجوم) (Ja 2848) أي سبأ والاتحـاد، ، ويـبدو من خلال النقوش أن (جوم) مصطلح شامل لاتحاد ليس له حدود واضحة، فقد ذكر هذا المصطلح في النقوش التي سبقت عهد المكرب (كرب إل وتر بن ذمر علي) (القرن السابع قبل الميلاد)، وهذا يعني أن الصيغة الاتحادية موجودة منذ زمن بعيد Robin, 1996,) 1180).

وتميز النقوش بين أبناء قبيلة سبأ وبين الاتحاد؛ أي من أنضم إليهم من القبائل ففي نقش النصر (RES 3945) السطر ٦ نجد (... و هـ أت و/ ول د / ال م ق هـ / وج وم / ح رهـ و/ وع ب د هـ و/ ب ن / أ ب ض ع/ ذ ا و س ن) ومعنى ذلك : وقد اصطحب معه (المقصود المكرب كرب إل) أولاد المقه والاتحاد أحـرارهم وعبيدهم من أرض أوسان. فقد أطلق هنا على أبناء قبيلة سبأ (أولاد المقه) وشعب سبأ كما هو معروف (كهلان)، كما جاء في النقوش (Ja 735/1)، : " وشعب سبأ كهلان في مدينة مأرب وأوديتها "، أما (جوم) فيقصد بهم قبائل الاتحاد أي كل من أنضم إلى قبيلة سبأ من قبائل الأراضي التي تروى بواسطة الإله عثتر ذو ذيبان، والمعروف أن الإله عثتر هو الإله الرئيس لذلك الاتحاد.

وهـناك نقـش معينـي يتحدث عن (وثيقة تحالف) أقامها الملك المعيني خاليكرب صدق بن أبيدع في (رصـاف) معـبد الإلــه عثتر ذو قبض يذكر إقامة العهد والميثاق بين " عثتر شرقن وكل الآلهة والقبائل مع الآلهــة والأسياد " (RES 2831/2). ويبدو أن تلك الصيغة الاتحادية ظلت سارية حتى القرون الأولى للميلاد .(Robin, 1996,1181)

صيغة اتحادية كهذه تضمن الحماية والأمان والاستقرار للقبائل، وعلى الرغم من جهلنا بحيثيات وأسس مـثل هـذه الصيغة الاتحادية، إلا أن هناك طقوس دينية تقام في زمن معين ومكان محدد، وغالباً ما تقام في معبد كرس للإله عثتر ذو ذيبان في جبل اللوذ (جبل كوران قديماً) في الجوف، يرتاد هذا المعبد قبائل متعددة ومتنوعة من مشارب المرتفعات الغربية ومغاربها. (... Robin, & Breton 1982, p. 598)

وتذكـر النقوش صيغة أخرى (صيغة تجمع) وعباراتها " المكرب دعا إلى الاجتماع من أجل الإله عثتر ذو ذبـيان" ولعـل هـذا الـنوع من التجمع يخضع للتنظيم الخاص بالجماعات الدينية ويستخلص من عبارات الاجـتماع مـن أجـل (عثتر ذو ذيبان) الدور البارز لهذا الإله كمؤسس لهذا التجمع القبلي المتحد، الذي كان الأسـاس لقيام نظام الدولة، كما توضح أكثر من ذلك مكانة المكرب "كحاكم بأمر الإله" فهو يدعو إلى الاجتماع لـيس انطلاقاً من قوته ونفوذه المستمدين من مكانته الدينية والسياسية والاجتماعية، وإنما تنفيذاً لأمر الإله عثتر (Höfner, 1970, 339-340).

ومـع تطـور البنـية الاجتماعـية والسياسـية تـتطور الصـيغة الاتحادية للقبائل، ففي نقش النصر (RES3945/1) الـذي يعـود تاريخـه إلى القرن السابع قبل الميلاد أطلق على ذلك الاتحاد القبلي ((معشرة

سـبأ)، وبعـد ذلك التوسع نجد إله القمر (المقه) يحتل المكان البارز ويصبح هو الإله القومي الرئيس لقبائل سـبأ، إلى جانب آلهة أخرى (عثتر، والمقه، و ذات حميم، وذات بعدن) ثم أضيفت الآلهة هوبس في المرتبة الثانية.

ومـنذ القـرن الثامـن قبل الميلاد بدأ التكوين السياسي الوحدوي للدولة السبئية في التبلور فتحول ذلك الاتحـاد إلى دولة توافرت لها كل المقومات، كظهور الملكية الخاصة وتعدد أشكالها، وبناء المدن (العواصم)، والمعابد، ومنشآت الري العظيمة، والكتابات النقشية، والقوى العسكرية، التي تهيأت لها الظروف لتبرهن على قدرتهـا الفعالـة، كمـا أخـذت القيادة السياسية لنفسها لقب جديد يتلاءم وتوسعاتها حيث تلقب الملك بلقب (المكـرب) من أصل الفعل (كرب) التي تعني الموحد أو (المجمع) (المعجم السبئي ١٩٨٢، ٧٨) فكان بمثابة الرئـيس الأعلـى والموحـد للقـبائل، كمـا وحدت عبادة الإله المقه القبائل السبئية في الهضبة الغربية.(Robin,1996, 1181)، لقد وصل تأثير سبأ أيضاً إلى اتحاد قبائل سمعي التي كانت تحتل إقليم شمال الرحبة حتى مدينة كانظ شمالاً، فقد حدثتنا النقوش عن علاقة ودية كانت قائمة بين ملوك سمعي ومكارب سبأ وبشكل خـاص مع (كرب إل وتر) فقد كانوا يتلقون من سبأ الاقطاعيات خارج نطاق أراضيهم صنعاء وما يجاورها (CIH 37) (بافقية، الرحبة، دراسات، ٣٣، ٢٤٥). لقد تحقق ل(كرب إل وتر) سطوة ونفوذ كبيرين عندما أقـام بتوسـيع رقعته بشكل سلمي من خلال اتحادات وتحالفات مع شعوب المنطقة المجاورة وشعوب الهضبة الغربية، وبشكل قسري من خلال حملات عسكرية عنيفة على مناطق متفرقة من اليمن.

٢- كرب إل وتر موحد اليمن في القرن السابع قبل الميلاد :

إلـى جانب اتحاد قبائل سبأ تبرز في هذه المرحلة على الساحة السياسية قبيلة كبيرة منافسة لسبأ هي قبـيلة أوسان، قامت أوسان على وادي مرخة (إلى الجنوب الشرقي من وادي بيحان)، تشكلت أوسان أساساً بفعـل تحـالف قـبائل كحـد ودهـس (يافع) وتبنو (وادي تبن) وكحد ذ سوطم، وكحد ذ حضنم (اقليم دثينة والمـرتفعات الشـمالية الشـرقية)، ذلك بالاضافة إلى (عودم) العود، وهو دون شك جبل العود جنوب غرب النادرة (كور العوازل) .

بلغـت أوسان شأناً رفيعاً من التقدم والازدهار في القرن الثامن – السابع قبل الميلاد، بسبب ما كان لها من نشاطات تجارية، وما هيأته لها طبيعتها الجغرافية من موانئ بحرية على امتداد سواحلها الجنوبية، تمكنت مـن الاسـتفادة منها واستغلالها أيما استغلال، حتى قويت شوكتها، واتسعت حدودها في عهد ملكها (مرتع)، حيـث امتد نفوذها إلى وادي عبدان ووادي ضراء شرقا، لتشمل الشريط الساحلي الجنوبي ؛ بل وامتد نشاطها الـتجاري حـتى وصل إلى الساحل الأفريقي حيث أطلق عليه (الساحل الأوساني) (كتاب الطواف، Schoff, 1912, Sec 14)، فكانـت أوسـان بتوسعها هذا قد غدت تشكل خطراً داهماً ومباشراً ليس فقط على جارتيها حضـرموت وقتـبان، وإنما على دولة سبأ التي هي الأخرى استثيرت غضباً من تضرر مصالحها، وفي خضم تلك الأجواء المشتعلة بنيران المعارك بين الأوسانيين والسبئيين راح (كرب إل وتر) يشن هجوماً على أوسان وحلفائهـا، وتمكـن بـالفعل من الانتصار بعد سلسلة من المعارك الدامية بمساندة كل من حضرموت وقتبان والقـبائل المتحالفة معه، بعد ذلك امتد نفوذ كرب إل من نجران شمالاً، إلى المدن الساحلية في البحر العربي جـنوباً ومن المعافر غرباً حتى هضبة السوط (الجول) شرقاً. فخضعت له اليمن من شمالها إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها.

لقـد صـبغت حـروب (كرب إل وتر) بنوع من القدسية والشرعية فكان يشنها باسم : الإله (المقه)، والشـعب (سبأ) فقد استهل نقشه بالعبارة التالية : " هذا ما أنجزه كرب إل وتر بن ذمر علي ـ أثناء حكمه – للمقـه ولسـبأ"، أمـا المدن والضياع التي أحاطها بسور وعين حدودها باسم الإله والمقه أيضا، وأما المدن المهزومة فقد وزعت ممتلكاتها بين الإله والملك وقبائل سبأ والحلفاء (RES 3945)

أشـار نقـش النصر أيضاً إلى الحملة العسكرية التي شنها (كرب إل وتر) ضد مدينة (نشن) في الجوف (والتـي تعـرف الـيوم بالسوداء) كان يحكمها ملك يدعى (سمه يفع) هذا الملك أصبح يشكل تهديداً صارخاً لملـوك سـبأ عندما مد نفوذه السياسي إلى مناطق تقع إلى الغرب من صنعاء بما فيها شبام كوكبان، وحقق على ذلك الملك انتصاراً كبيراً.

وكنتيجة طبيعية لتلك الانتصار توسعت الرقعة الجغرافية للدولة السبئية وبلغت أوج ازدهارها حتى غدت كـل الكيانات السياسية تدور في فلكها. ولغرض ترسيخ دعائم دولته المترامية الأطراف خلق (كرب إل وتر) نـوع مـن الاتحاد الداخلي بين أركان الدولة الثلاث (الإله، والملك، والشعب) فهذه العلاقة الثلاثية نجدها في معظـم النقوش السبئية تعبر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين أركان الدولة الإله والحاكم والشعب، فقد جاء

في نقش (Ja 455) العبارة التالية " يأخوة المقه ويدع إل بين وسبأ " يشير النقش إلى علاقة المؤاخاة التي تربط أركان الدولة السبئية (صليحي، ١٩٨٩، ٢٢٢) تلك الوحدة هدفها ــ دون شك ــ إيجاد نوع من التوازن الداخلي يضمن الاستقرار للكيان السياسي للدولة.

استطاع كرب إل وتر بعد التوحيد القسري الذي انتهجه، أن يشرع في خلق ظروف سياسية جديدة، فقد شكلت سياسته بعد ذلك وحدة تحالفية بين كل القبائل التي ناصرته في حربه، لقد تجسد ذلك الشكل الفدرالي في نقشه الذي يقول : " هذه هي المدن والأقاليم التي ملكها كرب إل وتر بن ذمر علي مكرب سبأ – في فترة حكمه– للإله المقه ولسبأ عندما نظم كل قبيلة فجعل لكل منها إلهاً وحامياً وميثاقاً وعهداً، وذبح للإله عثتر الذبائح (كقربان)، وأنار موضع (ترح)، ...وعندما نظم معاشرة سبأ لكي يتحدوا ويقومون بأمرهم وشؤونهم كرجل واحد بنية صادقة، وينهض كل إنسان لحماية أملاكه ....ويوم حقق الإله عثتر والإله المقه وعديهما فيجري مياه الأودية فيملأ السواقي ساقية ساقية ... "

حيث شهدت المنطقة حالة من الانتعاش الاقتصادي والحضاري، من خلال تنفيذ المشاريع المعمارية الكبرى : كمنشآت الري، والقصور، والمعابد والمحافد والقلاع، والأسوار.

أما قتبان وحضرموت اللتان تشكلتا أيضاً بفعل تحالف قبلي نجدهما يدخلان في تحالف ومؤاخاة مع المكرب السبئي (كرب إل وتر) الذي بدوره كافأهما على مؤازرتهم له في حربه ضد أوسان بأن أعاد إلى كل منهما أراضيها التي كانت أوسان قد سلبتها منها كما جاء في نقش النصر (RES 3945) " وأعاد للإله (سين) إله حضرموت الأكبر و(حول) وهو معبود حضرمي أيضاً و(يدع إل) ملك حضرموت وحضرموت (القبيلة) مناطقها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيين، وأعاد مناطق (عم) و(أنبي) ــ آلهة قتبان – و(ورو إل) ملك قتبان، وقتبان (القبيلة) أراضيها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيين لأن (أهل) حضرموت وقتبان قد آخو (أي تحالفوا مع) المقه (الإله القومي لسبأ) وكرب إل (مكرب سبأ) وسبأ (القبيلة) . فقد تجسدت فكرة الدولة بأركانها الثلاثة الإله، والملك، والشعب، فهذه العلاقة الثلاثية نجدها في معظم النقوش السبئية تعبر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بين هذه الأركان، والتي تهدف ــ دون شك ــ إلى ترسيخ دعائم الدولة.

بعد عصر المكارب يأتي عصر الملوك عندها نجد مصطلح سبأ يأخذ معنىً واسعاً، (بافقية، السعيدة، ١٩٨٧، ٥٩،). فقد توحدت عبادة الإله المقه بانضمام قبائل الهضبة الغربية (الرحبة) إلى سبأ، فكانت آنذاك مقسمة بين شعوبها (قبائلها) الأصلية التي انتشر بين حكامها لقب ملك، أما أراضيها فعبارة عن (أشعب) قبائل تتمتع بالاستقلال الداخلي ضمن صيغة اتحادية فدرالية، يجمعها الولاء لملوك سبأ، والإله الوطني لسبأ (المقه)، في الوقت ذاته نجد هناك ممالك مستقلة ترتبط مع دولة سبأ بمواثيق تؤمن السلام والاستقرار. (بافقيه، السعيدة) ويظهر في النقوش مصطلح (سبأ والقبائل) (Ja 550)، ثم نجد (سبأ وقبائلها) (CIH 601/9)، ثم (القبائل وسبأ) (RES 3951/2)،

في القرن الرابع قبل الميلاد برزت دولة معين في الجوف بفضل اتحاد ثلاثي لثلاث تجمعات إقليمية قرناو (معين)، يثل (براقش)، ونشن (السوداء)، وقد فرضت الظروف الاقتصادية للإقليم وجوب مثل ذلك التحالف، لقد أخذت تلك المناطق تتوحد لتصبح قوة سياسية في المنطقة، تمكنت بعدها من إخضاع مدن الجوف جميعاً لنفوذها، فشكلت بذلك دولة جديدة لم يكن لها ذكر من قبل هي دولة معين التي اتخذت من قرناو عاصمة لها.

أما قتبان في هذه المرحلة من تاريخها فراحت تتحرر نهائياً من التحالف مع السبئيين، وغدت تضم كل قبائل أوسان، وكحد، ودهس، وتبنو، وعودم، وذبحان ذ حمرر،وردمان، والملك، ويحر، ومضحي،) جميع تلك القبائل كانت تعبد إله رئيس هو إله القمر (عم) ويطلقوا على أنفسهم (أولاد عم) (RES 3675) إلى جانب عبادة آلهة أخرى، هذه الأقاليم توضح المساحة التي امتدت إليها الأراضي القتبانية، ووصل نفوذها حتى البحر الأحمر غرباً وخليج عدن جنوباً) وقد تجسد ذلك التحالف القبلي في تسمية ملوك قتبان في تلك المرحلة حيث تلقبوا ب (ملوك قتبان، وكل كل أولاد عم، وأوسان، وكحد، ودهسم (يافع) وتبنو "تبن" ويبدو واضحاً من طول هذا اللقب أن قتبان قد آلت إليها أراضي أوسان برمتها، فكانت منذ ذلك التاريخ الوريث الوحيد للأقاليم الأوسانية بعيد إنهيار دولة الأوسانيين، لقد جاء ذلك التوسع ــ دون شك ــ على حساب دولة سبأ، وهذا ما أكدته تطورات الأحداث اللاحقة التي شهدتها المنطقة على المستوى السياسي والمتمثلة في الصراع السبئي ــ القتباني ؛ فقد دخلت سبأ في حرب طاحنة مع قتبان لمدة خمسة أعوام وانتهت بالسلام بين الطرفين (Ja 550).

حضرموت (القبيلة) تكونت ــ كما أشرنا آنفاً ــ بفعل تحالف قبلي، شغلت حضرموت مساحة جغرافية واسعة، تلك المساحة سمحت لها بالتحكم بالمنافذ البرية والبحرية للتجارة، فقد أمتد نفوذ حضرموت شرقاً إلى

منطقة (خوروري) شرق صلالة. لقد حظيت حضرموت بأهمية فريدة، كمنطقة تنتج أجود وأثمن أنواع البخور، وكانت (شبوة) العاصمة بمثابة مركزاً رئيسياً لتجميع البخور ومن ثم تصديره، وبحكم تلك الامتيازات الاقتصادية نجدها تدخل في تحالف منذ عهد المكارب مع سبأ، أما في العهد الملكي فقد كانت لها علاقة متميزة مع (معين) الدولة المصدرة لتلك الأنواع من السلع الثمينة (اللبان والمر) (الجرو، ١٩٩٦، ١٠٩).

٣- التنوع والوحدة :

نظام الحكم :

لقد كانت الصيغة الاتحادية بين القبائل هي أساس التكوين السياسي للممالك اليمنية القديمة ـ كما أشرنا سابقاً ـ تلك الصيغة أملت نظام حكم متميز وفريد ،فتنوع القبائل فرض وجود نظام نيابي، أو نظام المشاركة السياسية يكون فيه تمثيل للقبائل في مجلس القبيلة أو مجلس المدينة سمي هذا المجلس في النقوش (م س و د) (مسود)، يضم سادة القوم وذوي الرأي من رجال الدولة يتمتع هذا المجلس بصلاحيات واسعة، فهو المرجع الأول والأخير في الدولة.[ا] فلم يكن للملك مطلق السلطات والقوانين، وإنما كان يتخذ القرارات بالتشاور مع هذا المجلس (GI 1150) فبالرغم من أن التشريعات تسن باسم الملك (مكرب) ، إلا أنها توقع من قبل شهود من المجلس النيابي نفسه، أما مهمة الملك فتنحصر في أخذ المبادرة لإقامة الأعمال العامة الكبرى، ، كبناء المدن وتسويرها، منشآت الري، بناء المعابد والتأكد من أن قوانين المجلس التشريعي قد نفذت، ومن ثم معاقبة كل من يخرق مثل تلك المراسيم والقوانين، كما كان يقوم بوظيفة المسجل والناشر لقوانين المجلس، فضلاً عن أنه كان هو القائد الأعلى في أوقات الحرب. .(GI 1155) وفي تنظيم الطقوس الدينية، وإبرام وثيقة الاتحاد. وثمة مجالس نيابية أخرى تساهم في إدارة المجتمع إلى جانب المجلس الشوري السابق الذكر منها :

أ- مجالس القبيلة التي تمثل الشعب تمثيلاً نيابياً، وتبلغ القبائل بالقرارات.

ب- مجالس المدن : وتعني بدراسة شؤون المدينة في السلم والحرب.

ولذلك كانت جملة من النظم التشريعية الرفيعة المستوى تصدر عن المجلس النيابي باسم الملك لإبراز حقوق المواطن وحقوق الدولة فكانت تنقش على أبواب المعابد، وأسوار المدن، حتى يتسنى لكل فرد من أفراد الشعب الاطلاع عليها بصورة دائمة، وبالرغم من أن هذه التشريعات والنظم تحمل طابعاً مدنياً، إلا أن الدين كان من مرتكزاتها الأساسية، فهي تمثل إرادة الآلهة ومشيئتها فالمخالف لهذه التشريعات يعاقب بعقوبتين : العقوبة المنصوص عليها في القوانين، والعقوبة التي تفرضها الآلهة على البشر من الإصابة بالمرض، أو الآفات الزراعية ..

أ- الدين :

عبد اليمنيون كغيرهم من الشعوب السامية آلهة تجسدها أجرام سماوية، تتمثل في : القمر، والشمس، والزهرة مضيفين إليها أسماءً ونعوتاً وألقاباً محلية متعددة، كان الناس يتقربون ويتوددون إليها بالنذور، والقرابين، والهبات، وقد كشفت لنا النقوش أعداداً كبيرة من أسماء ونعوت الآلهة لم تتم حتى الآن معرفة تفسيراتها واشتقاقاتها ... ومهما اختلفت نعوت تلك الآلهة ومناطق انتشارها، إلا أنه بالإمكان إدراجها تحت أحد أجزاء الثالوث الفلكي (الصلوي، ١٩٨٩، ١٢٤)

لقد كان للعقيدة الدينية أثر بالغ الأهمية في حياة اليمنيين قديماً : المادية والروحية، كما كانت لها بصمات على شتى مجالات الحياة، فهم يرون في الآلهة من الخوارق ممّا كان يجعلهم يتجهون لعبادتها، والتقرب إليها من خلال قيامهم بطقوس شعائرية مختلفة، فيقدمون لها القرابين، بل ويقدمون لها حصونهم وأبراجهم ، ومنازلهم وأراضيهم وأنفسهم وحيواناتهم، (Ja) رغبة في كسب حظوتها ورضاها، وطلباً لحمايتها ووقايتها، فما يفعله الإنسان من خير أو شر يكون عقابه في الدنيا، والآلهة هي التي تثيب وتعاقب، تثيب المتقي والمتعبد والمتقرب إليها بالنذور وتقديس المعابد فتعطيه رزقاً وفيراً وتبارك له في نفسه وفي أهله وتعطيه ذرية صالحة ذكوراً، وتنجيه من البلايا والآفات ومن الأوبئة والأمراض وترجعه سالماً غانماً من الحروب، أما العقوبة فتكون بإنزال البلاء لمن يستحق من الخارجين على أوامر الآلهة، المارقين على النظام، المخالفين لسلوك المجتمع المتجاوزين على حقوق غيرهم. كل ذلك حمل الناس على التقرب إلى الآلهة للحصول على حظوة ورضى الآلهة، فكل نشاط إنشائي، من نحو : بناء عام أو منشأة ري أو بناء منزل يوضع له نقش يوكله إلى حماية إلهية، فهذا الورع الديني العميق لم يتوغل في نفوس الأفراد فحسب، بل وفي حياة الشعب بأسره، فلا يمكن الفصل بين الدين والتعبيرات المختلفة للطاعة عند الفرد والمجتمع والدولة،

فعلـى المسـتوى السياسي نجد للعقيدة الدينية دوراً بارزاً في ترسيخ دعائم الدولة، فأركان الدولة تتمثل في علاقـة ثلاثية قوامها (الإله، والحاكم، والشعب) بحيث نجدها في معظم النصوص النقشية، تعبِّر عن المؤاخاة والـتحالف الوثيق بين أركان الدولة هذه، كما جاء في أحد النقوش السبئية، (Ja 455) فالدولة تعطي لنفسها ولملكهـا ولشـعبها نوعاً من القدسية، وأنه لا فرق بينها وبين الإله! فأي تمرد على الدولة يعتبر تمرداً على الإلـه الرئـيس للدولـة نقـش (Ja 577) يحكي، لنا قصة تمرد إحدى الشخصيات الكبيرة من قبيلة (خولان الجديدة) خولان صعدة، فقد أعتبر ذلك التمرد موجهاً ضد سلطان إله الدولة السبئية (المقه)، وكان الملوك – حيـن يحاربون أعدائهم ويهزمونهم – يقسمون الغنائم بما فيها الأسرى مع الآلهة والشعب، كما لا فرق بين الدولـة والإلـه فالتحالف مع سبأ يعني تحالف مع الإله الوطني المقه (RES 3945) السطر ٨، (أوسان ذ أخو المقه وسبأ) " أوسان في نهاية المطاف دخلت في تحالف مع المقه وسبأ ." السطر ١٣ من نفس النقش يـتحدث عن المؤاخاة التي تمت بين حضرموت وقتبان من جانب والمقه وكرب إل وسبأ من جانب آخر (... بذت أخو حضرموت وقتبان المقه وكرب إل وسبأ)._ (الجرو، ١٩٩٨، ٢٤٠)

وتشير الشواهد النقشية بأن للإنسان قداسة، ولحقوقه قداسة، فهو ابن الإله. وكل أفراد الشعب يعتبرون أيضـا أبناءً للإله : فشعب (قتبان) يسمى أولاد (عم) (الإله القومي لهم، وملكهم يسمى كبير (أولاد عم)، كذلك الشعب السبئي يسمون أنفسهم بأولاد (المقه)، وملوك أوسان يعتبرون أولاد (ود) معبودهم الوطني، هنا نجد القبائل تتوحد حول إله واحد.

أمـا الملـك فهـو وكـيل الإله على الأرض، فهناك نقش من نقوش الاعتراف، يتضمن مخالفة أرتكبها شخص، مما وجب عليه أن يبرأ نفسه أمام الإله والملك، ويلاحظ اشتراك الملك مع الإله في قبول التبرئة، له دلالة خاصة باعتبار أن الملك خليفة الإله على الأرض والحاكم باسمه (Ja 557).

وبالرغم من أن لكل قبيلة آلهتها الخاصة بها إلا أنها لا بد من تؤدي فريضة الحج للإله القومي لسبأ (المقه)، فنقش (RES 4176) عبارة عن مرسوم صادر عن الإله (تألب ريام) إله إتحاد قبائل (سمعي) يأمرهم بضرورة الاشتراك في مراسيم الحج السنوي التي تقام في معبد الإله (المقه) خارج مدينة مأرب، فهذا النقش يؤكد تبعية اتحاد قبائل (سمعي) رسمياً للدولة السبئية.

ج- التنوع في الفن :

ــ فن العمارة :

كشـفت لنا التنقيبات الأثرية عن فن معماري بديع ذات طابع فريد من حيث التخطيط الهندسي للمدن ومنشـآتها، ومن حيث إسلوب البناء ذاته، فهناك أنواع من البناء : الديني، والمدني، والعسكري، والزراعي ... كمـا أن مـادة البناء المتوافرة في المنطقة قد أثرت بشكل كبير في أسلوب الهندسة، والمعروف أن مادة البـناء تخـتلف من منطقة إلى أخرى وذلك حسب تكويناتها الصخرية، ففي حضرموت نجد مادتي اللبن الني والأخشاب المتوافرة كمادة بناء أساسية، أما الحجر فيقتصر استخدامه عل بناء الأساسات وجدران المعابد، أما فـي المـناطق الجبلية فقد شيدت المباني بأحجار رخامية كبيرة، قطعت وشذبت لتصبح متساوية، ثم بني بها بطـريقة لا نكاد نتبين منها تعدد الأحجار وإرسائها إلى جانب بعضها بعضا، ونجدها أحياناً تتماسك عن طريق بعض الأوتاد المعدنية المصهورة أو النحاس المصهور. وبالرغم ذلك التنوع الذي فرضته الطبيعة التضاريسة نجد أن هناك سمات مشتركة للفن المعماري في كل المنطقة تتمثل في :

- أسـاس المبانـي : في الغالب حجري يبنى على عمق بضعة أمتار في الأرض ويصب فيه الرصاص أحياناً، إمعاناً في تدعيم البناء وتثبيته.

الحـيطان : غـير عموديـة بـل تميل إلى خلف الحائط كلما ارتفعنا بالحائط إلى أعلى إذ أن الجدران العموديـة أسهل تحطيماً من غيرها. وبعد أن ينتهي البناءون من أعمالهم الإنشائية يهتم الفنانون بالزخرفة، فـتزخرف الأسـقف والحـيطان والأبـواب، كما تطعم بالحجارة الكريمة، أما تلك الزخرفة فتكون على شكل رسـومات نباتـية وحيوانـية وأشـكال هندسية تبرز بوضوح دقة تفكير الفنان ومهارته وبراعته في الرسم والنحت، وعند الإنتهاء من كل تلك الأعمال يسجل نقش عليه اسم صاحب البناء ومن عاون فيه، ثم يودع في حماية الإله الخاص والآلهة العامة. (الجرو، ١٩٩٦، ٢٥).

كمـا نجـد التشابه الكبير في خصائص البناء الديني فقد أقام اليمنيون الأقدمون لآلهتهم المعابد الكثيرة، ومواضع العبادة الوفيرة في شتى الديار من مناطقهم المختلفة ؛ وكان للمعبد ــ في إطار المؤسسة الدينية ــ وظـيفة قدسـية ذات شـأن عظـيم في بنية المجتمع، ولا ريب في أن المعبد راح مع الأيام يتطور في بنيانه وتصـميمه الهندسـي حتى غدا مقدساً ذات هيبة ورهبة، يؤمه الناس للعبادة وإقامة الشعائر الدينية، وتقديم الهبات والقرابين للآلهة، ولذلك كان قد أطلق على المعبد قديماً كما جاء في النقوش الاسم (حرم) أو (محرم)،

الــذي هو بمعنى المقدس. لقد كشفت لنا بعثات الآثار عن عدد من المعابد الفخمة والمتكاملة البناء بأسوارها، وأروقــتها، وســلالمها ومحافدها وما لها من وسوع في باحاتها ومساحاتها ... في مختلف المناطق اليمنية، وبالإضــافة إلــى ذلــك تخــبرنا النقوش عن جملة من المصطلحات الاسمية الخاصة بأجزاء المعبد وأقسامه الداخلية من نحو : (مختن)، و(صرح)، و(مسأل)، و(محراب)، و(مذبح)، و(مطهر) (الجرو، ٢٠٠٠، ٥) فكل مــن هذه المصطلحات نجدها مشتركة في كل المعابد اليمنية، وإنما تعبر عن الوظيفة الدينية التي يؤديها هذا القسم أو ذاك في سياق ممارسة الشعائر الدينية المختلفة.

د- اللغة. الكتابة :

ظهرت منذ القرن العاشر قبل الميلاد، اشتركت كل الممالك في الكتابة وإن اختلفت في بعض خصائصها، إلا أن لها سمات واحدة، وخط واحد، وعناصر ثقافية واحدة.

تميزت اللغة السبئة عن غيرها إلى جانب انتشارها في المناطق السبئية فقد كتب بها الأعراب (البدو) فــي الجوف وفي نجران، وفي قرية الفاو(وادي الدواسر) عاصمة دولة كندة (نقوش يعود تاريخها من القرن الثانــي قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعده) لغة قبائل حمير (نقوش يعود تاريخها من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي) (Robin, 1996 1105)، نجد نقوش سبئية في أثيوبيا (أقدمها يعود إلى عهد مكارب سبأ) من جانب يمكن أن نحدد إطار الدولة السبئية من خلال اللغة وانتشارها.

ثانياً : عصر ملوك سبأ وذي ريدان (القرن الأول-القرن الثالث الميلادي)

١- أبرز الأحداث السياسية :

باقتراب عصر الميلاد وخاصة في القرن الأول قبلة، شهد العالم تطورات خطيرة كانت السبب المباشر في تغيير موازين القوى في اليمن ومن أبرز تلك الأحداث :

أ- الحمــلة الرومانية على اليمن : في عام ٢٤ ق. م. كلف الامبراطور الروماني (أغسطس) نائبه على مصــر آنذاك (اليوس جالوس) بغزو جنوب الجزيرة العربية بعد أن أحكم الرومان قبضتهم على مصر وبــلاد الشــام وكــان الهــدف من ذلك الغزو تحققت السيطرة على البحر الأحمر وتحويله إلى بحيرة رومانــية، وبذلــك ستتحقق لهم الاستراتيجة التي ترسخ الترابط بين مناطق نفوذهم وممتلكاتهم بذلك ســيتحقق لهــم نصــر عســكري وسياسي واقتصادي كبير في وجه عدوهم التقليدي : الإمبراطورية الفارســية، كما أن من أبرز الدوافع السيطرة على طريق البخور من بدايته في الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وحتى نهايته في شواطئ البحر المتوسط، لتلك الأسباب جاءت فكرة غزو العرب، أما لإرهــابهم أو لإحــتلال أرضــهم، وتحويلهم ـ بعد ذلك ـ إلى حلفاء طائعين أو مهزومين خاضعين للضــريبة والسخرة، لقد نفذ الرومان الحملة التي لم يكتب لها النجاح وفشلت في تحقيق غايتها وعاد الرومان من جنوب الجزيرة العربية يجرون أذيال العار والهزيمة (الجرو، ١٩٩٦، ١٩٥-٢٠١).

ب- قــيام دولــة بني ذي ريدان (حمير): زادت في هذا القرن حركة التجارة البحرية، التي كسبت الموانئ اليمنــية ازدهــاراً ملحوظــاً، ومن بين تلك الموانئ : ميناء موزع، وعدن، شمال وجنوب غرب باب المندب، سرعان ما برز الريدانيون (بنو ذو ريدان) في تلك البقعة، الأذواء الحميريون، أصحاب القصر ريدان، بمدينة ظفار(غرب مدينة يريم)، مكونين من مجموعة من الشعوب كما جاء في النقوش (أشعب حمــير) أشــعب (جمع شعب) : وكان اتحاد قبائل ذي ريدان أو حمير يتكون من : ردمان، وخولان، ومضــحي، ويحصــب، والمعافــر... ، لقد توافرت للكيان السياسي الجديد مقومات الازدهار والنمو، مســتفيدة مــن موقعها الإستراتيجي الهام والذي يتحكم في المنافذ البحرية، كما نجدها قد قامت فوق مرتفعات ذات تربة خصبة تعيش على الأمطار الموسمية.

كانــت قبائل حمير في الأساس جزءً لا يتجزأ من قبائل دولة قتبان بل كانوا أذواء يدورون في فلك الدولة القتبانــية، وأصبحت لهم شعوباً عديدة تتبعهم (أشعب حمير) كما جاء في النقوش، فقد رافق ظهورهم بدايــة الــتقويم الحميري ١١٠ ق. م. ومنذ تأسيسها كدولة كتب الحميريون نقوشهم باللغة السبئية، ولــتحديد النطاق الجغرافي لدولة حمير فهي تقع إلى الغرب من قتبان، وتشمل مرتفعات يافع (دهس) وإقلــيم (ذمــار) و(يــريم) وامتدت دولة حمير في الثلاثة القرون الأولى للميلاد إلى منطقة (ضاف) الواقعــة شمال (قاع جهران) جنوب نقيل يسلح. إلا أن طموح حمير في أن ترث سبأ ربما كان الدافع لأن يــتخذ ملوكها اللقب المزدوج (ملوك سبأ وذي ريدان) فقد حققوا بالفعل تحالفاً سياسياً مع سبأ في القــرن الأول الميلادي، ووحدة شاملة منذ نهاية القرن الثالث الميلادي. توفرت لدولة حمير المقومات الأساسية لازدهارها، أبرزها انتعاش الملاحة في البحر الأحمر (الجرو، ١٩٩٦،٢٠٦- ٢١٠).

ج- الأوضـــاع السياسية للكيانات التقليدية : لم يبق على الساحة في هذه المرحلة سوى ثلاثة كيانات هي سبأ، وحضرموت، وحمير. في سبأ نلمس تغير واضح على البنية الاجتماعية، وعلى السلطة السياسية للدولـــة السبئية، نجد سبأ تتعرض لهجمات القبائل لبدوية القادمة من الصحراء الشمالية، خاصة بعد أن فقـدت تلك القبائل مواردها الاقتصادية التي كانت تجنيها من الطريق البري (طريق القوافل)، تلك الأوضـــاع دفعـت بالدولـــة الســبئية إلى البحث عن مكان أكثر أماناً فاتجهت قبائلها صوب المرتفعات الغربـــية وقد تم استيطان قبائل مأرب في الهضبة (سبأ وفيشان) في صنعاء وشعوب، وشبام كوكبان، أمـــا قبائل الهضبة الغربية فنجدهم يدخلون طواعية في إطار الدولة السبئية وبشكل تدريجي مكونين معهـــا وحدة سياسية ودينية قوية لم تنقطع أواصرها بالرغم من كل المتغيرات السياسية الخطيرة التي شهدتها الساحة اليمنية.

مـــنذ مطلـــع الميلاد نجد أن أغلب قبائل الهضبة الغربية، تندمج في إطار الدولة السبئية، جميعها تتقرب للإلـــه القومـــي السبئي (المقه ثهوان بعل أوام) في معبده الذي يبعد حوالي ٧ كم جنوب شرق القرية القديمة مـــأرب، كمـــا تشـــير النقوش إلى أن القبائل السبئية جميعها وأن بعدت جغرافياً ملزمة بتأدية شعائرالحج في المعبد نفســـه ســـنوياً في شهر محدد من العام يطلق عليه (ذ أبهي). كذلك بالنسبة للمعابد الرئيسية للممالك الأخـــرى نجدها قد بنت خارج المدينة، وسبب ذلك يعود إلى أن هذه المعابد اتحادية ترتادها في الغالب القبائل المســـتوطنة التي تشترك في عبادة هذا الإله، هذا بالاضافة إلى وجود معابد أخرى محلية شيدت داخل أسوار المدن والقرى.

وكنتـــيجة طبيعية للأوضاع السياسية ولتشعب الحروب، تغيرت البنية الداخلية للقبائل فتحولت إلى قبائل إقليمـــية، فـــنجد الأقيال (النبلاء) في المرتفعات بمثابة حكام محليين يتمتعون بالاستقلال الداخلي ضمن صيغة اتحاديـــة يجمعها الولاء لملوك سبأ (باڤقيه، السعيدة ، ١٩٨٧، ٥٧) بل واصبحوا ينافسون السلطة، فكان كل قـــيل ينشد أن يكون ملكاً على سبأ.وأبرز القبائل في الهضبة السبئية اتحاد قبائل سمعي يضم هذا الاتحاد في الأســـاس ثـــلاث قبائل هي : همدان ومركزها (ناعط)، وحملان ومركزها (حاز)، ويرسم ومركزها (هجر) أو (شبام سخيم)، ويشكل كل شعب من تلك الشعوب (ثلثا) من سمعي (Robin, 1982, 41-45) تقع أراضي ذلك الاتحـــاد بيـــن (خـــولان صرواح) من الشرق، وبكيل القديمة من الغرب، قبائل بكيل شمال صنعاء، بتكويناتها الثلاث (ذو سخيم، ذو عمران، وذو ريدة)، وهناك قبائل أخرى ارتبطت بالدولة السبئية منها قبيلة (مرثد)، في شـــبام أقـــيان، وقبـــيلة بنـــي جرة ومركزها (كنن)،قبائل ذمري (سمهر، قشم)، و قبيلة غيمان في الجنوب، (مازالت عدد من تلك القبائل القديمة موجودة حتى الآن تقطن في نفس الأقاليم التي كانت تسكنها قديماً نذكر مـــنها : بكيل، وحاشد، وخولان، وسنحان، وسيبان في حضرموت، أما قبيلتي حضرموت وردمان فغدت اليوم أسماء لمناطق جغرافية).

في تلك المرحلة تبرز صنعاء عاصمة جديدة للدولة السبئية إلى جانب مأرب وقد تمثلت وحدة السلطة في وحـــدة القصـــرين ســـلحين وغمدان، وكان قصر سلحين رمز السلطة في مأرب، وغمدان رمزها في صنعاء ولتأكيد وحدة السلطة تذكر النقوش القصرين كقصر واحد، (بصيغة المفرد) سلحين وغمدان، والتأكيد على أن غمـــدان ليس سوى امتداد لسلحين في صنعاء.(نامي، نقوش عربية جنوبية ١٢). كذلك للتأكيد على الوحدة الاجتماعـــية فتصـــف الـــنقوش شعبين (قبيلتين) بأنهما شعب واحد كما في حالة ردمان وخولان قبيلتي بني معاهر وذي خولان..

أما حضرموت فقد بلغت ذروة ازدهارها لقد كانت مظاهر ذلك الازدهار تتمثل بما يلي :

١- اقتسامها النفوذ السياسي – في المنطقة – مع أعظم مملكتين من الممالك اليمنية، هما (سبأ) الدولة الكبرى، و(حمير) الدولة الفتية.
٢- إنه في الوقت الذي ظل فيه السبئيون في صراع مرير مع الدولة الجديدة (حمير) ؛ فان حضرموت – في المقابل – استمرت تتحكم في إنتاج الطيوب وتصديرها.
٣- احتكارها عملية "الترانزيت" وقيامها بوظيفتها ؛ مستفيدة من موانئها الساحلية.
٤- وأمتد نفوذها شرقاً إلى (ظفار) شرق صلالة أغن الأقاليم المنتجة للبان والمر وأنشأ ملوك حضرموت ميـــناء ســـمهرم (خـــورروري حالياً)وسيطرتهم على جزيرة سقطرى الواقعة على مشارف الساحل الأفريقي والتي يرتادها التجار من كل حدب وصوب.
٥- إمـــتداد نفوذهـــا السياســـي إلـــى وادي بيحان في أعماق دولة قتبان، وذلك بعد أن دب الضعف في الأخيرة، وأخذت تتجاذبها مطامع الأقوياء من الدول اليمنية.

د – دخول الأحباش طرفاً في النزاع القائم في اليمن :

منذ القرن الأول للميلاد برزت دولة (أكسوم) كياناً سياسياً قوياً، ينافس دولة حمير الناشئة في الجهة الأخرى من الشاطئ المقابل، وكانت تلك المنافسة تهدف إلى السيطرة على البحر الأحمر، الذي كان آنذاك من أكثر الشواطئ انتعاشاً، وبحكم تلك المنافسة نجد حكام (أكسوم) يدخلون مع ملوك اليمن في صراع تارة وتحالف تارة أخرى، حسب ما تقتضيه الظروف، إلا أنهم يتطلعون بعين الطامع صوب اليمن، ويترقبون أي خلل سياسي ليتسللوا على أثره، إلى المناطق اليمنية.

هـ – الأعراب : لعب الأعراب دوراً مؤثراً في الأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة منذ القرن الأول الميلادي، فقد بدأ ظهورهم على الساحة في بداية الأمر كعناصر مشاكسة تغير على أطراف الأودية الزراعية، وبالذات المراكز الحضارية حول رملة السبعتين، قادمة من أطراف الربع الخالي، أو نجدها تتسلل من جبال السراة وتهامة، في تلك الأثناء نجد دولة سبأ تعمل كل ما بوسعها لصد الهجمات البدوية، والحيلولة دون توغل الأعراب إلى أراضيها، (الجرو، ١٩٩٦، ٢٤٨ – ٢٥١) فهل عجلت تردي الأوضاع في سبأ والغارات المتكررة للأعراب علي قيام وحدة بين الكيانين السبئي والريداني ؟

٢– اتحاد سبأ وذي ريدان :

طيلة القرن الأول الميلادي نجد سبأ وذي ريدان (حمير) متحدتان تحت قيادة واحدة أي أن اللقب الملكي سبأ وذي ريدان تعني أن هناك اتحاد أو تحالف تم بين الكيانيين بشكل سلمي نتج عنه وجود قيادة سياسية واحدة للكيانيين المتحدين ـ سبأ وذي ريدان أو (حمير) ـ وقد أشار كتاب الطواف إلى أن ظفار عاصمة الملك (كرب إل) الملك الشرعي للقبيلتين، حمير وجيرانهم سبأ،(الطواف الفقرة ؟) أما آخر الملوك الذين حكموا ذلك الاتحاد فهو : عمدان بين يهقبض الذي حكم في نهاية القرن الأول، (Robin, 1996, 1135). وقد رمزت نقوش تلك المرحلة إلى ذلك الاتحاد بالمونجرام الشهير الذي يشبه نخلة زخرفية لها ساق وغصنان وما يشبه الثمر( ) زينت به العملات المضروبة باسم القصر ريدان، كما زينت به نقوش بني ذي ريدان وأقيالهم مثل بيت ضبعان (الارياني ٤٠) فهذا الشكل يرمز إلى سبأ وحمير معاً، وما يؤكد ذلك الإضافات التي لحقت به بعد توسع الاتحاد وبعد أن دخلت إلى اللقب الملكي إضافات جديدة.

<u>ملوك سبأ وذي ريدان من القرن الأول حتى القرن الثالث الميلادي</u>

بداية الميلاد — سمه علي ذريح

٥٠ م — ذمر علي وتر يهنعم (ذمر علي بين)

٨٥–٩٠ م — كرب إل وتر يهنعم

هلك أمر — ذمر علي ذريح

كرب إل بين

١٠٠م — نشأ كرب يهأمن — يهقم

عمدان بين يهقبض (ود إل)

<u>ملوك ذو ريدان / حمير</u>

ياسر ياسر يهصدق

لعزم — شمر

ربشمس نمران ؟

١٤٦–١٤٧ — سعد شمس أسرع

<u>ملوك سبأ</u>

إلي شرح يحضب الأول

وتر يهنعم

مرثد يهحمد
ذمر علي يهبر

ثاران يعوب يهنعم

١٨٠-١٩٠م

وهب إل يحوز *
أنمار يهأمن *
كرب إل وتر يهنعم الثاني*
يريم أيمن *
علهان نهفان *

٢١٨-٢٢٣م

شعر أوتر حي عثتر يضع
لحيعثت يرخم
فارع ينهب *

لعزيز يهنيف يهصدق
شمر يهحمد

إلي شرح يحضب الثاني يأزل بين

٢٥٣م
٢٧٢-٢٧٣م

كرب إل أيفع

نشأكرب يهأمن يهرحب

ياسر يهنعم

شمريهرعش

- كتابة مظللة للملوك الذين حملوا اللقب المزدوج (ملك سبأ وذي ريدان).
- (*) ملوك حملوا لقب ملك سبأ فقط.

٣: انفصال سبأ عن ذي ريدان والحرب الطاحنة (القرنين الثاني والثالث الميلاديين) :

تتســم هذه المرحلة التاريخية بالصراعات السياسية الدامية، التي شهدتها المنطقة، فقد دب الاضطراب والضعف في أوصال الدولة السبئية فنجد سبأ تترك مشروع الوحدة مع حمير، فيتلقب ملوكها بملوك سبأ فقط، وكنتـيجة لـتردي الأوضــاع الداخلية يحتدم الصراع بين الأقيال فتسقط الأسرة التقليدية الحاكمة في مأرب، ويتربع على عرش الدولة السبئية أقيال تطلع بعض منهم في تحقيق الطموح التوحيدي بين الكيانيين، فشهدت المـنطقة حروباً متشعبة شملت كل الكيانات السياسية ودخل الأحباش طرفاً فيها كما أشرنا آنفاً، تمكنوا بعدها من احتلال بعض المناطق على الشريط الساحلي الغربي. في هذه الأثناء ، كان لمعبد الإله المقه بمأرب (معبد أوام) شأن عظيم، أما ملوك حمير فلم يتخلوا عن اللقب المزدوج.

دخلــت سبأ مع حضرموت في تحالف سياسي توج بالمصاهرة (Ja 923)،، وامتد نفوذ حضرموت إلى ردمـــان (قبـــيلة هامة تضم أراضيها كل من : قيفة، ورداع، والسوادية اليوم) بعد أن آلت إليها كل الأراضي القتبانــية، مما سمح لها أن تكون على خط التماس مع كل من سبأ وحمير.إلا أن تلك المصاهرة تحولت إلى عــداوة) كان ذلك في عام (٢٣٠م تقريباً) ودخل ملك سبأ آنذاك شعر أوتر مع حضرموت في حرب مدمرة (إريانــي ، ١٣)(الجــرو، ١٩٩٦، ٢٢٣) لقــد جــاءت حرب شعر أوتر لحضرموت بعد أن عزز موقفه مع الحميريين واصبح لديه خميسان (الجيشين) السبئي، والحميري (CIH 334/3, Ja 633) " وخمسيهو / سبأ / وحمــيرم " . وقــد وصفت النقوش التحالف بين الكيانين بأنه (جزم) أي عهد موثق بالأيمان (Ja 5763) (بافقــيه، الســعيدة، 1987، ١٢٨). فالفصل هنا بين الخميسين في إطار التحالف يؤكد الخصوصية المحلية واللامركزية العسكرية.

٤: التحالفات السياسية وطموح الوحدة يظهر في الأفق من جديد:
ساءت العلاقة بين سبأ وحمير من جديد ودخلت الأطراف الأخرى في ذلك النزاع المتشعب، أن الأوضاع السياسية المتردية عدة أشكال من التحالفات :

١- التحالف مع الأعراب : مر بنا أن الأعراب منذ مطلع الميلاد كانوا يشكلون خطراً داهماً على الكيانات السياسية بشكل عام، فلم تجد تلك الكيانات سوى انتهاج سياسة تحالف بدلاً من سياسة العداء التي غدت غير مجدية، فقد جاء ذلك التحالف : لدرء خطر الأعراب الذين كانوا يشكلون قوة تهدد أمن واستقرار الدويلات بين الفينة والأخرى، وللاستفادة من تلك القوة، لتكون قوة مساندة ورديفة للقوات النظامية للدولة تحرشات الأعراب في الجوف ومأرب بدافع من لأحباش، (Ja 560/10-11)، فمنذ القرن الثاني الميلادي بدأت دولة حضرموت باستنهاج سياسة جديدة تجاه الأعراب، تلك السياسة التي تقوم على الدمج، نجد الأعراب يبرزون كمقاتلين في صفوف الجيش النظامي الحضرمي، فقد ذكر أحد النقوش أن الجيش الحضرمي كان يضم قوة بدوية يتزعمها قائد يوصف ب (س و د / ع ر ب ن) سيد الأعراب انتهجت سبأ نفس السياسة، سياسة الدمج ففي نهاية القرن الثالث الميلادي نجد الجيش النظامي السبئي يعزز بقوات من الأعراب، وقد كان لتلك السياسة فضلاً كبيراً في تشكيل ممالك في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، كما نجدهم لاحقاً يقومون بدور هام في ترسيخ وتثبيت دعائم الدولة المركزية في اليمن (الجرو، ١٩٩٦، ٢٤٩، ٢٥٠).

٢- طموح الوحدة : ساءت العلاقة بين سبأ وحمير وتحدثنا النقوش عن تحالف بين حمير والأحباش (Ja 577) لمواجهة سبأ، إلا أن هذا العداء بين الكيانيين السبئي والحميري لم يستمر طويلاً عندما عبر الطرفان عن رغبتهما بوجود شكل من أشكال التوحد من جديد بين سبأ وذي ريدان (حمير) في عهد (إلي شرح يحضب وأخيه يأزل بين) ملكي سبأ وذي ريدان (٢٤٠ – ٢٥٠م تقريباً)، كانا حينها معاصرين للملك الحميري (شمر يهحمد) ملك سبأ وذي ريدان أو (شمر ذو ريدان) كما كانت تطلق عليه النقوش السبئية، (CIH 314, 954, Ja 576, 577) ونقش (إرياني ٦٩)، لقد كشفت لنا النقوش الخاصة بهذه المرحلة، عن الخصومة الكبيرة التي كانت سائدة بينهما، فكل منهما يطمح في التفرد بالسلطة، وتحقيق الوحدة السياسية، ويبدو أنهما كانا متكافئين بالقوة والمكانة، بدليل أن احداً منهم لم يتمكن من تحقيق النصر على الآخر، وتكشف لنا النقوش عن رغبة الطرفين في التوقيع على هدنة، يستطيعون خلالها التقاط أنفاسهم، وإعادة ترتيب صفوفهم، إلا أن الهدنة لم تدم طويلاً، وبعد معارك جديدة، يتفق الطرفان على إيجاد نوع من التوحد عبرت عنه النقوش بأنه (تآخ) مؤاخاة بينهما و(حشك) أي اتحاد حميم بين القصرين السبئي (سلحين) والحميري (ريدان) رمز السلطتين في كيان واحد مربوط برباط لا إنفصال فيه (إرياني ٦٩)، ويبدو أن تلك الرغبة في التوحد قد تحققت ونتج عنها :

- توحيد القوتين العسكريتين السبئية والحميرية.
- وقوف القوة الموحدة في وجه الأعداء الخارجيين ؛ وبالذات الأحباش وعملائهم.

وعلى الواقع العملي قاما الملكان بتشكيل قوة قوامها (سبئي – حميري)، وتزعماها ضد بقايا الأحباش في تهامة، وأعوانهم المحليين من قبائل (سهرة)، وغيرهم من الموالين للأحباش في سهول المناطق الشمالية من تهامة (الإرياني، ١٩٩٠، ٣٤٥).

ثالثاً : عصر الوحدة الشاملة ومراحل تطورها (القرن الرابع – الخامس الميلادي)

١ – الوحدة السياسية وتطور اللقب الملكي :

تمكن ملوك حمير من تحقيق الوحدة السياسية بين الكيانيين السبئي والحميري بتراضي الطرفان (إرياني ١٤) و(Ja 646-648) ذلك بوصول الملكين ياسر يهنعم وإبنه شمريهرعش إلى سدة الحكم في مأرب العاصمة السبئية، وبذلك النصر تحقق الحلم التاريخي لملوك اليمن وأصبح لقب ملك سبأ وذي ريدان لقباً حقيقياً.

بعد عشرون عاماً تقريباً من وحدة سبأ وذي ريدان، نجد الجزء الجنوبي والشرقي لليمن القديم يتوحد تحت راية الملك شمريهرعش بضم حضرموت ويمنت والمقصود بيمت المناطق الجنوبية لحمير الممتدة بين عدن وحضرموت، وليس الشريط الساحلي لحضرموت كما ذهب بعض العلماء. (بافقيه، السعيدة، ج١، ١٩٨، ٥٠، ٥١) بعد ذلك الانتصار نجد شمريهرعش يلقب نفسه ب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) تم ذلك في شهر مارس من عام ٣٠٠م (يمن، ١٣/١١ – ١٣).

في القرن الخامس الميلادي تمكن الملك الحميري أبيكرب أسعد وابنه حسان يهأمن من استمرار سياسة التوحيد مع قبائل وسط الجزيرة ومنها قبائل معد (Ry 506) بذلك التوسع أصبح اللقب الملكي (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت وينت وأعرابهم في الطود والتهائم) كان ذلك في عام (٤٥٤م).

فــي مطلــع القرن السادس الميلادي نجد اللقب الملكي يأخذ طابعاً أكثر شمولية فالملك الحميري يوسف أســأر أثــار(ذي نــواس) فــي المصادر الاسلامية، الذي أعتنق الديانة اليهودية يلقب نفسه بلقب (ملك كل الشــعوب) لقــد انــتهج يوســف سياسة مغايرة لسلفه الذي تولى الحكم كما جاء في بعض المصادر بمساندة الأحباش المسيحين، وبفضل تلك المساندة تحصل الأحباش والتجارة البيزنطية على تسهيلات كبيرة، فانتشرت الكنائس (فترة شهدت صراعاً دولياً خطيراً كان اليمن مسرحاً لتلك الصراعات التي أخذت شكلاً دينياً).

الوحدة الدينية :

أول عمل قاما به الملكان الحميريان ياسر يهنعم وإبنه شمر يهرعش عند وصولهما إلى مأرب هو إظهار الــولاء للإله القومي لسبأ إله المقه، فأصبح الإله المقه إله السبئيين هو الإله الوحيد المشترك والمقبول من قــبل كل القبائل في دولة حمير (صليحي، ١٤٩)، ذلك المسلك أخذ طابع سياسي يعني الاعتراف بالإله القومي لســبأ أصــبح الإلــه القومــي للدولــة الجديــدة ورمــزاً لتركيز السلطة السياسية وسبباً رئيسياً في ترسيخ دعائمهــا،(إرياني ١٤، وشرف الدين ٣٥)، ظل معبد المقه بمأب (معبد أوام) يرتاد من قبل القبائل السبئية والحميرية (Ja 661) وبعض القبائل العربية من وسط الجزيرة (إرياني ١٦) على حد سواء حتى القرن الرابع المــيلادي، أمــا آخر نقش عثر عليه في معبد المقه (أوام) بمأرب فيعود تاريخه إلى عهد الملك ثأران يهنعم وإبــنه ملكيكرب يهنعم (Ja 669-671)، ومن المثير أن نجد الملك نفسه (ملكيكرب مع ابنيه أبيكرب أسعد و وذرأ أمرأيمن من سطر أول نقش توحيدي يعود تاريخه إلى شهر يناير من عام ٣٨٤م (نقش بيت الأشول ٢) بعــد الــتوحد الســبئي الحميري قرابة مائة عام، ظلت عبادة الالإله المقه مستمرة في مأرب والعبادة الوثنية بشكل عام قائمة حتى حلت محلها العبادة التوحيدية

لقــد كــان لتوسع المد الحميري وظهور الديانات التوحيدية في المنطقة سبباً مباشراً في ضعف مأرب ومركــزها الديني (معبد أوام)، ففي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي اختفت عبادة الإله المقه، بعد أن توقــف الــناس عــن التقرب إلى الآلهة الوثنية بشكل عام. ظهر في النقوش عبادة الإله رب السماء، ثم رب السماء والأرض، وأصبحت الديانة التوحيدية هي السائدة، ففي هذه الفترة وصلت بعثة مسيحية تبشيرية إلى جزيــرة سقطرى بعدها انتشرت الديانة المسيحية في مناطق متفرقة من اليمن بنيت كنيسة في عدن، وأخرى فــي العاصمة الحميرية ظفار... الملك الحميري آنذاك اعتنق الديانة المسيحية، ومن ثم الديانة اليهودية التي أصبحت الديانة الرسمية للدولة المركزية الحميرية منذ ذلك القرن وحتى مطلع القرن السادس الميلادي..

٢- وحدة التقويم :

مــنذ أن توحد الكيانيين السبئي والحميري اختفى التقويم المحلي للكيانات السياسية المختلفة والذي كان قائماً على نسق التاريخ بأسماء الأشخاص وألقابهم، ليحل محله التاريخ والتقويم الحميري الذي يبدأ من ١١٠ ق. م، هو التقويم الذي ساد منذ مطلع القرن الرابع للميلاد.(Robin,1996, 1181)

٣- وحدة الكتابة :

الوحــدة السياســية لا زمتها وحدة اللغة فمنذ مطلع القرن الرابع للميلاد أصبحت كل المنطقة الخاضعة للنفوذ الحميري تكتب باللهجة السبئية، فجميع النقوش التي كتبت في تلك المرحلة كتبت بالغة السبئية.

٢- توحيد الأعراب والاستعانة بهم كقوة مرادفة للجيش النظامي للدولة الموحدة :

مــثل الأعــراب قــوة لا يستهان بها في صفوف الجيوش النظامية للدولة الحميرية، انتهج ملوك حمير سياسة مماثلة لتلك التي انتهجها ملوك سبأ في القرون الأولى للميلاد تجاه القبائل العربية وسط الجزيرة حيث كــان لهــذه السياســة نتائج إيجابية عززت التواجد الحميري وسط وشمال الجزيرة، وكان لهم فضل كبير في توســيع نفوذ الدولة المركزية، وقد عين الحميريون على تلك القوات قائداً جدنياً (من قبيلة ذي جدن) اسمه (ســعد تألــب يــتلف الجدنــي)، لقب بكبير الأعراب (كبير أعراب كندة، ومذحج، وحرمم، وباهل، وزيد إل، وأعــراب ملــك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ففي نقش إرياني (٣٢) فإذا كانت بعض القبائل الوارد

اسمها في النقوش لم يبق لها أثر، فالمهم أن قبيلتي (كندة) و(مذحج) كانتا في مقدمة القبائل التي انتظمت في صفوف الجيش الحميري، كما أن هذه القبائل جميعها شاركت متحدة في معارك عسكرية لإخضاع قبائل وسط الجزيـــرة العربية، خلال القرنين الخامس والسادس الميلادين، وتحقق لها النصر(Ja 665/1-4)، ونجد بعض النقوش مثال : (Ry 509/7) تقدم لنا كشفاً بالجماعات التي شاركت إلى جانب جيش الأعراب في العمليات العســكرية فــي وسط الجزيرة (... ومع قبائلهم حضرموت، وسبأ، وأبناء مأرب) وفي النقش (Ry 510/6) يــتحدث الكاتــب عــن مشاركة (قبائل سبأ، وحمير، ورحبتن (قبائل الرحبة) وحضرموت، ويمنت). إن تلك الأعمـــال الجلية التي قدمها جيش الأعراب لملوك اليمن، سمحت لهم بالتغلغل في أوساط اليمنيين، وخلق نوع من التعايش، الذي تنامى مع مرور الزمن، فهناك مؤشرات نقشية تؤكد ذلك التعايش والاندماج.

٥ – رمز الوحدة :

نتفق مع الرأي القائل بأن اللقب الملكي (سبأ وذي ريدان) قد تم على أساس حلف أو اتحاد حيث اتخذ رمـــزاً خلدته لنا العملات والنقوش رمز يشبه نخلة زخرفية لها ساق وغصنان وما يشبه الثمر ( ) زينت به العمـــلات المضـــروبة في ريدان، كما زينت به نقوش بني ذي ريدان وأقيالهم، مثل نقش بيت ضبعان (إرياني ٤٠)، الذي يرمز إلى سبأ وحمير معاً ويشير إلى القصرين السبئي (سلحين)، والحميري (ريدان).

لقــد كانت تلك الوحدة السياسية التي قامت بين سبأ وحمير في ظل بني ذي ريدان، قاعدة الانطلاق نحو إضافات جديدة، فقد تمكن شمريهرعش من الوصول إلى القصر الملكي (شقير) بشبوة عاصمة حضرموت في مطلــع القــرن الرابع الميلادي (Ja 662)، ولقب نفسه بلقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)، وقد عــثر علــى خاتم ملوك حمير الذي ختمت به نقوشهم بعد ضم حضرموت، فهو يتكون من ثلاثة مونجرامات متعاقبة :

١– جمع حروف كلمة بحلف وتعني : المعاهدة على التعاضد والتآزر والاتفاق.
٢– رمز دولة سبأ وذي ريدان.
٣– كلمة (شقر) والمقصود القصر الملكي بشبوة.

بذلك يمكن قراءة الخاتم كما يلي : " بحلف سبأ وحمير وحضرموت " أي بالحلف الذي آخى بين تلك القــبائل المـــرموز إلـــيها في المونجرام فهذا يعد تعبيراً – دون أدنى شك – عن الصبغة الاتحادية للدولة الحميرية .بافقيه، ١٩٨٧، ٤٠).

٦–الأعمال العمرانية وتجسيد الوحدة :

عرفت الحضارة اليمنية القديمة مظاهر التكاتف والتعاون الجماعي، على أسس طوعية متكافئة، ومعززة بـــروح الواجــب والمســؤولية المشــتركة التي تفرضها قوى الطبيعة القاسية، وضرورات الحياة الاقتصادية والاجتماعـــية، ومـــن أجل ذلك سخر اليمنيون الأقدمون – على اختلاف قبائلهم، وفئاتهم – طاقاتهم الذهنية والجســدية للتغلــب على المعضلات الطبيعية القاسية فنجدهم يهبون لبناء وترميم المنشآت الزراعية المختلفة وأبـــرزها الســـدود، والتي ينتفع بها بشكل جماعي وأكبر مثال على ذلك ترميم سد مأرب العظيم، يذكر الملك الحمـــيري (شـــرحبيل يعفـــر) في نقشه المحفور على سد مأرب (CIH 540) السطر (٦٤–٧٢) القبائل التي اشتركت في ترميم السد، وهي قبائل حمير، وحضرموت إلى جانب القبائل السبئية دون شك، كما شمل النقش علـــى الرموز الثلاثة – السابق ذكرها – والتي تشير إلى التحالف والاتحاد بين سبأ وذي ريدان وحضرموت، حـــذا أبرهة الحبشي الذي حكم اليمن، حذو الملك (شرحبيل يعفر) فقام بترميم السد عندما تعرض للانهيار من جديد، وأورد القبائل التي شاركت في الترميم، لقب نفسه بملك سبأ وذي ريدان وحرموت ويمنت وأعرابهم في الطود والتهائم، كما أورد الرموز الثلاثة كرمز للوحدة بين الكيانات السياسية في شرق وغرب اليمن. مثل تلك الأعمال تجسد – دون شك – الوحدة الحقيقية التي رسخها ملوك حمير منذ أواخر القرن الثالث الميلادي.

رابعاً : التآمر على الوحدة :

تلك الوحدة وذلك الاستقرار لم يرق للكثير من دول العالم فالتحالفات الحميرية مع قبائل وسط وشمال الجزيرة العربية أصبحت تشكل خطراً على المصالح البيزنطية في المنطقة، وقبل الولوج في حيثيات الأحداث ينبغـــي أن نلقـــي نظرة شاملة على الأوضاع الدولية وتأثيرها على اليمن، فمنذ الربع الأول من القرن الثالث المـــيلادي أخلى (البرت)مكانهم في إيران للأسرة الساسانية الفارسية حوالي ٢٢٥م ؛ وفي إمبرطورية البحر المتوســـط أصـــبحت القسطنطينية العاصمة بدلاً من روما (٣٣٠م). (حوراني، ٩٠) تلك التطورات السياسية

عملـت ــ دون شك ــ على تفاقم حدة الصراع بين الامبراطوريتين العظيمتين (فارس، وبيزنطة)، فدخلتا في صراع حربي مرير من أجل السيطرة على الطرق التجارية الاستراتيجية :

١- الطريق القادمة من المحيط الهندي وسواحله عبر الخليج إلى الفرات فبادية الشام.

٢- طريق البحر الأحمر المتجه صوب مصر وجنوب فلسطين.

٣- طريق القوافل البري في غرب شبه الجزيرة العربية.

لقـد كانت بيزنطة تعمل كل ما بوسعها لتعزيز موقفها بين النهرين، لتأمين تجارتها، إلا أن تلك الطريق يــتعذر عليها كلما اشتد الصراع بينها وبين فارس، وكان منطقياً لبيزنطة أن تجد بديلاً آمناً، وبخاصة طريق البحر الأحمر، أما الفرس بالمقابل فقد كانوا يتطلعون برغبة عارمة للسيطرة على سوريا ومصر أي السيطرة علــى الطــريق البري القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية، هذا بالإضافة إلى احتكارهم لطريق الحرير بين الصين والفرات، (سحاب،١٩٩٢،١٠٧) في جنوب شبه الجزيرة العربية قامت دولة مركزية موحدة منذ نهاية القرن الثالث الميلادي، كان لها تأثير مباشر على القبائل العربية في وسط وشمال شبه الجزيرة، كما كان لها اقتصــاد مســتقل، فــي الجهة الأخرى من البحر الأحمر كانت دولة أكسوم تزداد قوة ونفوذاً بدعم علني من بــيزنطة. فــي خضم تلك الأجواء الدولية، نجد الظروف مهيأة لامتداد ذلك الصراع إلى جنوب شبه الجزيرة العربــية (اليمــن القديــم) الذي اتخذ في جوهره بعداً سياسياً واقتصادياً، وفي شكله بعداً دينياً، فاليمن يتحكم بطريقين من تلك الطرق التي يتمحور حولها الصراع.

لقــد اســتخدمت بيزنطة العقيدة المسيحية لتحقيق أغراضها التجارية، فيما كانت اليهودية معقلاً للنفوذ السياســي الفارســي هناك، "فقد حاولت كل من الديانتين المسيحية واليهودية أن تتغلغلا في الجزيرة العربية وكانــتا متصلتين بالصراع السياسي، إذ بدت كل منهما حليفة لإحدى الدولتين الطامعتــن " (الدوري، ١٩٨٢، ٩) ففــيما كانت بيزنطة منذ مطلع القرن السادس تحالف الأحباش وتساند نفوذها ونفوذ المسيحيين في اليمن، كان الفرس يفضلون التعامل مع اليهود والمذاهب المسيحية المناهضة للروم (سحاب، ١٩٩٢، ١٢٧).

وجــد الأحباش من بيزنطة الضوء الأخضر للتحرشات بين وقت وآخر حتى وصلوا في إحدى غزواتهم إلـــى ظفار العاصمة الحميرية ذاتها، وليس هناك من سبيل لملوك حمير سوى انتهاج سياسة معادية للأحباش وحلفائهم البيزنطيين، وضرب مصالحهم في المنطقة، وأصبحت منطقة جنوب الجزيرة العربية تحت المجهر، بــل بمثابة القنبلة الموقوتة،، فتصويب الأنظار صوب اليمن شئ حتمي، ويبق السؤال أي من الإمبراطوريتين سباقة بالاستحواذ على تلك المنطقة ؟

ولتسوية ذلك التقسيم عقد مؤتمر بين الإمبراطوريتين في أرض عربية، دولة المناذرة في منطقة تدعى الرملة (جنوب شرق الحيرة)، كان ذلك في شهر فبراير من عام (٥٢٤م) . وكانت أهداف المؤتمر تتمثل في:

١- عقــد معاهدة سلام بين الإمبراطوريتين على أن تكف بيزنطة عن أطماعها فيما بين النهرين، وترك التجارة البرية والبحرية بين الصين والغرب بيد الفرس.

٢- رفــع الفرس أيديهم عن جنوب الجزيرة العربية، لتدخل ضمن النفوذ البيزنطي، وغض الطرف عن الأســلوب الــذي يمكن أن تنتهجه بيزنطة لتأديب الملك الحميري اليهودي العقيدة الذي أصبح يشكل خطراً على مصالحها في المنطقة.

٣- إطلاق سراح أسيرين رومانيين سبق أن أحتجزهم الفرس بعد غارة شنوها على أراضي الروم ...

أســفرت المهمــة عــن نجاح المفاوضات في وضع معاهدة سلام في فبراير ٥٢٤م. وفي إطلاق سراح الأســيرين البيزنطيــن المرموقيــن لقاء فدية كبيرة، وفي تعهد المنذر أن يعامل المسيحيين اليعاقبة وغيرهم معاملــة حسنة، لقد كانت المسافة بين بيزنطة واليمن شاسعة، وهذا يعيق تحقيق هدفها بالسيطرة على جنوب الجزيــرة العربية، خاصة وأن لروما تجربة فاشلة في ذلك المضمار، وليس أمامها من سبيل سوى البحث عن حلــيف يقــوم مقامهــا بتلك المهمة، فوجدت في العقيدة الدينية مبتغاها، عندما عززت تحالفها مع الأحباش، الدولــة المجاورة ذات الأطماع التاريخية في اليمن، متسترين بحجة الدفاع عن أخوتهم في العقيدة. لقد حققت الدبلوماســية البيزنطــية هدفها المرجو من مؤتمر الرملة، خاصة عندما تخلى ملك الفرس وملك الحيرة عن مســاعدة ملك اليمن عندما طلب نجدته، في الوقت الذي كان فيه (يوسف) أو (ذي نواس) بأمس الحاجة لمثل ذلك الدعم، بل كان يرى في (فارس) العدو التاريخي لبيزنطة، والسند الدولي لسياسته، لكن بيزنطة تمكنت من عزل الملك اليمني عن القوى الوحيدة المؤثرة والتي كانت بالمكان أن تسانده.

رتبــت بيزنطة للهجوم ونفذه الأحباش فليس هناك أي تكافؤ بين القوتين، دخل الأحباش اليمن في ٥٢٥م، وأصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة.

توحــيد الجــيش، توحــيد جــيش الأعــراب مــن قبل الحميريين، مع اندماج القبائل السبئية، الحميرية، والحضرمية (إرياني ٣١، ٣٢).

ولـم يـأت القرن السادس الميلادي إلا وشهد العالم متغيرات جوهرية ، فقد تمكن الأحباش عام ٥٢٥ م مـن السـيطرة علـى اليمـن بدعـم عسكري من بيزنطة ، وبسقوط الدولة المركزية اليمنية ينـهار النظام الحضاري ، ويعيش اليمن في ظل الحكم الحبشي حالة من التمزق والتشتت لم يشهد له مثيل من ذي قبل .

خلاصة :

- عـرف نظـام الحكـم في اليمن القديم بالنظام النيابي، نظام أملته طبيعة التركيبة المتنوعة للقبائل في الإقليم الواحد، الذي يفرض وجود تمثيل نيابي لكل قبيلة، نستطيع التأكد بأن اللامركزية كانت سمة من سمات الحكم عبر المراحل التاريخية المختلفة.
- النزوع إلى الوحدة والاتحاد كان سمة أساسية أيضاً فرضتها ضرورات الطبيعة الجغرافية والتضاريسية للبلاد، تلك الطبيعة التي لم تسمح في ظروف ذلك العصر بوجود وحدة مركزية مباشرة، حتى مع وجود قوى ذات وزن كقوة سبأ مثلاً، فنجد مكارب سبأ أنفسهم يعطون حق الاستقلالية لشعوبهم كما جاء في نقش النصر للمكرب السبئي (كرب إل) يقول النقش " ... عندما نظم (يقصد كرب إل) كل قبيلة وجعل لكل منها إلهاً وحامياً وميثاقاً وعهداً " وأصبح بالفعل لكل قبيلة حاكم محلي يلقب بلقب ملك، وإله خاص بها.
- توسـعت الـتحالفات الداخلـية بين القبائل لتشمل اتحادات لأقاليم مختلفة، وإن بعدت جغرافياً، فقد فرضـت المصـالح الاقتصـادية والسياسـية مـثل تلـك التحالفات أو الاتحادات، فكلما اهتز المنطقة بالصـراعات الداخلية تعود في النهاية إلى الهدوء والاستقرار بناءً على صيغة تحالفية ودية تعقد بها مواثيق وعهود.

– تدرج الصيغة الاتحادية في سبأ كما جاء في النقوش :

سبأ وجوم ($\check{G}w^m$) : سبأ والاتحاد.
معشرة سبأ.
سبأ والقبائل.
سبأ وقبائلها.
القبائل وسبأ.
سبأ وذي ريدان.
سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت.
سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود والتهائم.

مصطلحات وردت في عدد من النقوش دخلت في إطار الاتحاد والتحالف

١- أتم : اتفاق / عهد CIH 131/2, 155/3
٢- مؤاخاة : آخى : تحالف، إخاء : حلف CIH 455/ 2, 308/ 11 (القاموس السبئي ٤)
٣- جزم : حلف يميناً، قطع عهداً CIH 308/12(المعجم السبئي٥٢)
٤- جوم : الاتحاد CIH 967
٥- حبل : ميثاق / حلف Ja 2856/3 (المعجم السبئي، ٦٥)
٦- حشك : قربى، تقارب / تزاوج (المعجم السبئي، ٧٢).
٧- حمر : حلف بين جماعات، (المعجم السبئي، ٦٨)
٨- كرب : موحد / مجمع CIH 366

قائمة المختصرات

CIH : Corpus inscriptionum Himyariticarum.

مدونة النقوش السامية، الأجزاء ١، ٢، ٣، عنيت بنشر النقوش الحميرية والسبئية، (١٨٨٩-١٩٣٢).

Gl : Glaser. E.

نقوش جمعت ونشرت بواسطة (إدوارد جلازر).

Garb : Garbini. G. " Un nuovo documento per la storia dell'antico Yemen ", dans Oriens antiquus XII, 1973, p. 15-22.

Ja : Jamme. A.

نقوش نشرت بواسطة (ألبرت جام)

RES : Répertoir d'Epigraphie Sémitique.(ريرتوار)

(ريرتوار) مدونة النقوش السامية، نشرت بواسطة الأكاديمية الفرنسية للنقوش والفنون، النقوش اليمنية نشرت في ثلاثة أجزاء، الجزء الخامس صدر عام ١٩٢٩، الجزء السادس صدر عام ١٩٣٥، الجزء الثامن صدر عام ١٩٥٠م.

Ry : Ryckmans. Gonzague.

نقوش نشرت بواسطة، جوانز ريكمانز، وقد بدأ بنشرها منذ عام ١٩٢٧م وحتى عام ١٩٦٥م بلغت حلقاتها (٢٢) حلقة جميعها نشرت في مجلة (Le Muséon).

إرياني : نقوش شرحها وعلق عليها مطهر الإرياني في كتابه " تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات.." .

عنان : نقوش جمعها ونشرها زيد عنان، في كتابه "تاريخ اليمن الثقافي " .

نامـي : نقوش نشرها خليل يحيى نامي، نقوش عربية جنوبية " مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد، ٢٢، ٢٣، ٢٤، للأعوام ١٩٦٠، ١٩٦٢، ١٩٦١م.

نقـش بيـت الأشـول : أقدم نقش توحيدي عثر عليه بالقرب من بيت الأشول في ضواحي ظفار العاصمة الحميرية، يعود تاريخه الى يناير ٣٨٤م، نشر في :

Garbini, Una bilngue sabeo-ebraica (1959).

يمن، ١١/١٣ – ١٣ : نقوش نشرها وعلق عليها يوسف عبدالله في "مدونة النقوش اليمنية القديمة"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٢) (١٩٧٩).

قائمة المراجع العربية :

١- – الإريانـي، مطهـر علـي : في تاريخ اليمن، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (١٩٩٠).

٢- –بافقيه، محمد عبدالقادر : " الأقيال والأذواء ونظام الحكم في اليمـــن"، مجلة دراسات يمنية العدد (٢٧)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (١٩٨٧)، ص. ١٤١-١٥٤.

٣- ——— " فـي العربـية السـعيدة، دراسات تاريخية قصيرة"، ج ٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، (١٩٨٧م).

٤- بـيرن جاكليـن : " الفـن فـي منطقة الجزيـــرة العربية"، دراســات يمنية، العدد، ٢٣-٢٤، صنعاء، (١٩٨٦) ص، ١٦-٤٢.

٥- بيسـتون، الفـرد : " طبيعة النظام الملكي في الحضارة اليمنية القديمة "، تعريب وتلخيص : سلطان ناجـي، مجلـة الحكمة العدد (٣٤) السنة الرابعة، إتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، عدن،(١٩٧٤)، ص، ٢٠-٢٩.

٦- بيستون، الفرد وريكمنز، جاك والغول، محمود ومولر، والتر : المعجم السبئي، بيروت، مكتبة لبنان، (١٩٨٢).

٧- الجـرو، أسـمهان سعيد : " الفكر الديني عند عرب جنوب الجزيرة العربية (الألف الأول قبل الميلاد وحـتى القـرن الرابع الميلادي "، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، (١٩٩٨م)، ص ص ٢١٩ ـ ٢٥٠.

- ———، " موجـز الـتاريخ السياســي لجنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم)" مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، (١٩٩٦).

- ———— المبدأ الأخلاقي لحقوق الإنسان في الديانة اليمنية القديمة"، الندوة الدولية لمجموعة منظمات العفو الدولية في المغرب، ٢٥-٢٧ فبراير ٢٠٠٠م.
- ————"نماذج من فن العمارة في اليمن القديم"، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عدن، (١٩٩٦م).

٨- حوراني، جورج فضلو : " العرب والملاحة في المحيط الهندي " ترجمة : جعفر بكر، تصدير : يحي الخشاب، مكتبة الانجلو ـ المصرية، القاهرة، د. ت.
٩- الدوري، عبد العزيز : " مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي"، دار الطليعة، ط ٤، بيروت (١٩٨٢).
١٠-- سحاب، فيكتور : " إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف " المركز الثقافي العربي، بيروت، (١٩٩٢).
١١- الشيبة، عبدالله حسن، " الهجر ـ المدينة في اليمن القديم" مجلة دراسات يمنية، العدد (٤٠) (١٩٩٠)، ص، ٢٠-٣٥.
١٢- الصلوي، ابراهيم : " أعلام يمنية قديمة مركبة " دراسة عامة في دلالاتها اللغوية والدينية، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٨)(١٩٨٩)، صنعاء ص، ١٢٤-١٤٢.
١٣- الصليحي، عبد القوي علي : " الكيان السياسي الديني في اليمن القديم، الدولة السبئية"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٨)، صنعاء، (١٩٨٩)، ص (٢٢٠-٢٢٢).
١٤-- أ. غ. لوندن :" تطور نظام الدولة السبئية"، ت: أبوبكر السقاف، مجلة الحكمة، العدد (١٢٨) أبريل (١٩٨٦). ص ١٣-٢٠.
١٥-نامي، خليل يحيى : " نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها"، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية (١٩٤٣).

<u>قائمة المراجع الأجنبية :</u>

1-- Beeston,: "Kingship in Ancient South Arabia", in Journal of Economic and Social History of the Orient, Vol. 15, (1972).

2- Höfner. M. " Eine Südarabische Handelsinschrift in Forchunger," und Fortschritte - x, (1934).
3- Jamme, A. " Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Bltimore (1962).
4- Robin. Ch. - " SHEBA dans les iscriptions d'Arabie du Sud,"dans Supplément au dictionnaire de la Bible, Paris, (1996), p. 1043-1250.
- " Les hautes-terres du nord-Yémén avant l'Islam", tome 1, Istanbul,(1982).
5- Robin. Chr. & Breton. J. Fr. " Le sanctuaire préislamique du ǧabal al-Lawd " , dans Académie des Inscriptions et belles Lettres, comptes rendus des séances de l'année (1982). p. 590-629.
6- Al-Solehi, A" 'Imqh fonotion et nature d'un dieu sud-Arabique, " (Thèse), Paris, (1989)
7- Schoff, Wilfed. H. " The Periplus of the Erythaean Sea". (trans and commentary), Longman, Green, New York, (1912).

القبالة والأذوائية وعلاقتها بالنظام الملكي المركزي في اليمن

" دراسه في تاريخ العلاقات السياسية النافذة بين نظام الحكم المحلي في الأقاليم، ونظام الحكم المركزي في حاضرة المملكة منذ القرن الأول للميلاد حتى ظهور الإسلام " .

د. ناجي جعفر بن مرعي الكثيري
أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة حضرموت

المقدمة :

ترمي الدراسة إلى تبيان خصائص نظام حكم الأقاليم بوصفه مبرراً أساسياً لقيام نظام حكم المملكة المركزية في اليمن . ونستدل في اختيارنا لهذا الموضوع ،إلى جانب موضوعية المعلومات وفائدتها المبينة لتفاصيله، إلى عبارة ذات دلالة تاريخية عميقة، استهل بها السياق أستاذنا المؤرخ الدكتور بافقيه، جاء فيها:(لا يستقيم بحث في مسألة نظام سبأ وذي ريدان دون أن يبدأ المرء بتناول أذوائية ريدان المبرر الأساسي لقيام النظام المذكور وسبب كل الأحداث الهامة) .(بافقيه ١٩٩٤/٣٦).

لنا أن نبحث في دلالة ومدى تأثير هذا المبرر الأساسي ، إذ يعد نظام حكم الأذوائيه أو نظام حكم القيالة في الأقاليم ، وما تمثله من سلطة للحكم المحلي في مقاطعه بعينها . (بافقيه ١٩٨٥/٣٠)،من الأسباب المباشرة لرفد أو تعثر مسار مراحل تطور وحدة سلطة الإدارة والحكم في اليمن قبل ظهور الإسلام .فليس من نظام للحكم قائم في مملكه نافذة السلطة ،إلا وقد سبقه مقام من النفوذ والسلطان في إقليمه وبين قبائل وعشائر أرضه ، ومن أهله وحلفائه اجتمعت وتجمعت (الهمداني ١٩٨٧/١١٥,٣٤٦)حول المكان والمصالح.

إن التدرج في العلاقات السياسية المتصالحة بين كبار الحكام على اختلاف ألقابهم الرسمية (المركزية) أو الشعبية (الإقليمية)، تفسر جانب الصلة والأواصر القوية للمنافع المشتركة التي تنمو في وحدة من الأحكام المحلية والمقتضيات المركزية ، لتشكل بالنتيجة وحدة الخصائص الغالبة للنظام الحاكم النافذ . وإن ظل في مراحل معينه من تاريخه قيد جملة من الأسباب الداخلية القسرية كالحروب القبلية الموسمية حيناً ، ورهن تداعيات سياسة الحكم الأجنبي الجاثم الممقوت في أحيان أخرى .

فالمجتمع اليمني عبر تاريخ تطوره الإداري قد عرف تدرجاً لنظام الحكم، اقترن بمراحل تطور عوامل استقراره السياسي الاجتماعي والاقتصادي ، منذ أمد مبكر من ما قبل الميلاد حتى التحول العظيم الذي طرأ على نظام حكمه بشروق فجر الإسلام البهي . تلك المراحل المتعاقبة والمتداخلة من حيث بداياتها ونهاياتها ، كانت قد فرضت بحكم خصائصها الإقليمية صوراً متعددة للحكم . تمثلت بواكيره في شكل من التحالفات القبلية القوية للاتحادات (المستقرات) الحضرية وللاتحادات البدوية (الأعراب) (Preissler 1981/ 76) المكونة من الزعامات المتعددة في الإقليم الواحد ، أو عدد من الأقاليم برئاسة الأسرة الحاكمة الزعيمة . وهي وفقاً للنظام الإقليمي ، تمثل نظام حكم القبيلة بمناطقها وجناتها وعرها (جبالها وأوديتها ومراعيها (RES3945) . يقابلها في حالة نظام الممالك الكبيرة نظام حكم المملكة بمدنها وأقاليمها (الجرو ١٩٩٨/٤٣) ، التي تكتسبها إما بحكم سلطتها الفعلية النافذة ، أو بعد انتصارات حربية حققتها . والنقوش تحدثنا عن ثلاثة أنواع من الأقاليم ، أقاليم زراعية شاسعة خصبة خاصة بالحاكم الملك . وأقاليم خصبة للآلهة عبر المعابد ويذهب إيرادها إلى خزانة المملكة . وأقاليم خاصة بالحلفاء (حكام مناطقهم) تقسم حسب دور كل منهم في المعارك (الجرو ١٩٩٨/٤٣) .

تولت في أثناء فترة حكم الممالك ، عواصمها المشهورة حكم الأقاليم المتسناثرة في الإطار المسمى العام للسلطة المهيمنة معين - سبأ - حضرموت - حمير .وقد ظل هيكل هذا الإطار في الحكم ، حتى دب النزاع المرير بين أكبر القبائل طموحاً للسلطة المهيمنة بحلول القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الميلادي، إذ حاول السبئيون الحفاظ على ما تبقى من نفوذ لحكمهم ،بينما غلب الحماس الحميري في طموحة وعدته واندفاعه للسلطة على ما سواه . إلى أن آل الأمر لصالح حمير بعد انتصارها في نهاية القرن الثالث و وبداية الرابع الميلاديين، معلنة بذلك توحيد مملكة سبأ وذي ريدان أو سبأ وحمير، وبتحقيق هذه الوحدة السياسية (بافقيه ١٩٩٣/١٨٠) انقشعت ضائقة تلك النزاعات وانتهت حرب ضروس دامت ثلاثمائة عام . حقق هذا للحميريين نجاح قيام مملكتهم الثانية فيما عرف بحكم التبابعة، تولى ترسيخ لبناته الوحدوية الأولى أول التبابعة الملك الحميري شمر يهرعش الذي خضعت له كل أسماء اليمن، بما فيها حضرموت والشحر (JAM 656 ، بيستون ، ١٩٨٥/٢٣٠ .بافقيه ١٩٨٥/٥٤).

نتج عن هذه الأحداث بداية مرحلة من مراحل تطور نظام الحكم ، أضحت أكثر وضوحاً في خصائصها قياساً بسابقاتها ، بسبب الإجراءات الحميرية لتنظيم شئون الحكم والإدارة ، في محاولة حكامهم التبابعه ، الجمع بين المركزية في الحكم، والإدارة الإقليمية للأقاليم المستقلة أو شبه المستقلة . على أساس أن وحدة سلطة التشريع ومرونة سلطة التنفيذ في نظام الحكم والإدارة ، بين حاضرة المملكة من جهة ، والتجمعات القبلية الوا سعة ذات النفوذ المحلي في الأقاليم من جهة أخرى ، سوف يضمن ا ستمرار ولاء زعماء هذه الأقاليم لسلطتها العليا ، من خلالا ممثليهم المحليين . خاصة وأن زعماء كثير من المناطق الداخلية في أطراف وفي وادي حضرموت ، ظلت تقاوم الحكم الحميري لفترة من الوقت (JAM 665، بيستون ١٩٨٥/٢٤٠، بأفقيه ١٩٨٥ /٥٤)إلى أن نجح الحميريون في احتواء الوضع القائم لصالحهم على أثر توحيدهم للجماعات البدو تحت قيادتهم من أمثال أعراب كنده ومذحج وحرمم وباهل وزيدإل . وتأسس بهذه القبائل ما عرف بالجيش البدوي (الأعراب) الحميري ، الذي ا ستطاع به الحميريون القضاء على ماتبقى من تمرد للحضارمة، وإكمال عملية توحيد اليمن (بأفقيه ١٩٨٥/٥٤،٥٥) .

ولكن الأحداث على امتداد القرنين الرابع والخامس لم تستقر على حال نظرا لتباين طبيعتها واختلافها. في وقت نما فيه نظام حكم زعماء القبائل للإقليم صعوداً ،على الرغم من نشاط زمام السلطة المركزية في أكثر من محاولة لإعادة شمل القبائل القوية إلى متناول سلطانها المترامي .إذ كان لسبأ في السلف تجاه هذه السياسة العزة والقوه ، وصار لحمير من بعدها النجاح المبجل في حكم أقاليم الحضر والبدو في المدن و القرى وفي الجبال والتهائم .إلا أن التداعيات الناجمة عن الحروب القبلية بين الحكام على اختلافهم ، وتزامن هذا مع دخول الأجانب الأحباش ٣٤٠م، أدى إلى انحسار السلطة المركزية ونفوذ حكامها . في حين بات حكم الأقيال والأذواء والمشايخ في الأقاليم المتعددة مهلهلاً، بعدان انقادت المقولات والأذوائيات للتحالفات وللاتحادات المتصارعة المنفصلة ، كل بدافع من طموح لمصلحة محلية ، وتطلع لغاية مقلنة . حتى بلغت الحروب والنزاعات من الحدة ذروتها ، إذ منعت دون تمهيد السبيل في لم شعث أهل اليمن وضم شتاتهم (شرف الدين ١٩٨٠/٧٠٦). في حين اضطلعت المقاومة الوطنية بالدور المتميز ، وقد شملت مناطق الساحل والداخل في مقارعة الوجود الحبشي الثاني ٥٢٥م ثم الفارسي ٥٧٥م . وهي الأخرى –أي المقاومة– لم تكن بمنأى عن تأثير ما يعتمل ، إذ تعثر دورها بسبب ذلك مراراً .

وظل واقع الحال كذلك حتى جاء الحكم الإسلامي بقوله وفعله (٦٢٦م)، فإذا به يجمع بين إدارة حكم الوالي العام وإدارة العمال الولاة من ناحية ،وبين نظام إدارة حكم الأقاليم (المخاليف) من ناحية أخرى . فابقى بذلك على سلطة بعض الأقيال والأذواء في المخلاف ،ممن ساند عظمة الإسلام في جانبه الديني والإداري .والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أولى اهتماما مبكرا باليمن ، فأرسل السرايا إلى سادة المدن والقبائل منذ السنة السابعة للهجرة (ابن هشام ١٩٣٦ /١/٢٢٨،٢٤٤ ، ٢٤٥/٤-٢٥٥)، وأبدى لهم رغبته في إبقائهم حكاماً لمناطقهم (ابن سعد لا.ت /١/٧٩،٦٤،٣، الحيدرابادي ١٩٥٦/١٧١) .في وقت كانت الأقاليم فيه تعج بالزعامات القبلية الطامحة لحكم مناطقها ، أصحاب الإقطاعيات الواسعة (العلي١٩٨٩/٥٩) ، وقد ألم بها سلباً أذى د سائس الأحباش والفرس ، وويل التحالفات والتحالفات المضادة ، فظهرت في العقد الأول والثاني من القرن السابع للميلاد مضعضعة المفاصل ،فكان لها في تنظيم وحدة الإدارة ، والوفاق والاتفاق في الإسلام منقذاً حسناً .

سلطة الزعامة الإقليمية :

إن الذين يحاولون سلب الإقليم مميزاته ومقوماته الطبيعية السياسية الاجتماعية والاقتصادية ، إنما يغمطون هذه المميزات والمقومات حقها في محاولة لطمس دورها المتنامي في الأحداث برمتها . وكأنهم بذلك يضعون تلك المميزات والمقومات في الهامش القابع في زوايا النظام الحاكم المركزي المهيمن بحاضرة المملكة .في حين نجد أن سريان تفعيل الحكم المركزي لسلطته الفاعلة بالحواضر، وعلى الأرجاء والأصقاع المترامية الخاضعة أوالمؤيدة ، لا ينفي واقع التأثير المباشر للعلاقات القائمة بين حكام المملكة من ناحية ، وحكام القبالة والأذوائيه في الأقاليم من ناحية أخرى ، في شئون إدارة السلطة وفي بسط النفوذ ، وتجاه سياسة الضم أو التحالف ،بل نجد فائدة قصوى فيما لو حاولنا معرفة موجبات المصالح الإقليمية المتغيرة بالمستقرات القبلية الواسعة ،التي ظلت تشكل العمق الفاعل في مسار الأحداث المتعلقة بالحكم والحكام على مدى القرون البعيدة والقريبة من تاريخ ما قبل الميلاد وإلى الربع الأول من القرن السابع للميلاد .

إن في سيادة شكل من نظام الحكم تمثل في سلطة الزعامات القبلية في الأقاليم ، إنما كان نتاج المحاولات المستمرة لأصحاب النفوذ من كبار الزعامات القبلية للاستقلال بالحكم في مناطقها .وهذا يحدث غالبا متزامنا مع

تداعي سلطة الإدارة المركزية للممالك ،التي تتحدد بأسماء أسرها الحاكمة وألقابها ،فيما عرف عنها كمفهوم بالمؤسسة الملكية (JAM 565.بيستون ١٩٨٥/١٨٩).

إلا أن هذه السلطة الإقليمية ، لولا هيمنة النظام القبلي التي نمت بين مفاصله ، لما كان لها أن تنتظم في مجموعات قبلية حاكمة ، تتسع لها جغرافية الإقليم أو تضيق، بحسب أسباب ودواعي الاستقرار من عدمه والقائم على التحالفات القبلية المتنافسة على الحكم . مكونة إما اتحاداً قوياً، أو اتحادات قوية ينجر إلى فلكها مجموع القبائل المستقرة وقبائل البدو . إذ يصبح الاتـفاق على مشيئة مشتركة عاملا لتوسيع هده الاتحادات .بينما النزاع بسببها يعد من بين عوامل انقسامها ،أو ضعف أسباب تحالفها.

والحـال كذلـك ، كان لامحالة أن يسفر الوضع إما عن اتحاد قبلي – عشائري كبير قادر على حكم أكبر سـعة من المناطق بزعامة إحدى الأسر من ذوي العدة والعدد يبرز منها حاكم ، يتلقب بلقب ملك ، وسلطانه بمملكـة ، ربمـا لاتـزيد مساحة مملكته عن مئة كيلومتر (جواد ١٩٨٠/٥٢) .وأما يسفر الوضع عن تعدد للسلطة في شكل من الاتحادات المستقلة ،ينفرد زعماؤها كل على حده بحكم ربوع محددة معروفة من الأقاليم . قد يقتصر نفوذ بعضها أحياناً على مدينة وما جاورها . (جواد ١٩٨٠/٥٢) وهذه تكون منذ ظهورها وحتى زوالها محكومة بالدفاع عن سلطتها المكتسبة في المناطق الخاضعة لنفوذها .

وقـد يسـفر الوضع برمته عن ظهور مملكة تحكمها أسرة من الأسر الملكية الغالبة ، بعد أن تكون قد اسـتمدت الغلـبة مـن اتحادها أو تحالفها القوي بغيرها من الزعامات القبلية الموالية . وفي الوقت نفسه قد يتزامـن هـذا مع ظهور الحكام في الإقليم بسلطتهم المستقلة ، التي هي الأخرى تستمد الشكيمة والبأس من اتحادها أو تحالفها بغيرها.

واقع كهذا يفرض على الحاكم الملك بالمملكة إما الاعتراف بسلطة هؤلاء الحكام الإقليميين ، ولو في شكل من الولاء – ولاء حكام الأقاليم للمملكة – يرتقي في حده المأمول إلى الاعتراف بسلطة المملكة التشريعية والتنفيذية،وإلى الارتباط معها بروابط المصالح المشتركة (Rodokanakis/1945/42 , Nilson,1927/119) . أو العمل على إخضاعهم بتحريض الاتحادات القبلية الأخرى ضدهم بهدف إخضاعهم بالنتيجة. أما الولاء ، فقد يتخذ شكله الأسمى في الغالب ، إذ لايعني الولاء للملوك بأن من يدين لهم بذلك خاضع بمناطقه الأصلية لهم خضوعاً رسمياً . فهذا أحد الأذواء من آل ذي جدن السبئي الأصل ،كان قد قاد جيش الأعراب الحميري الكبير في أوائل القرن الرابع للميلاد ، ومعظمه من أعراب كنده ومذحج لموازرة الحميريين التبابعه في حربهم ضد حضرموت . هؤلاء الأعراب وزعماؤهم ،اصبحوا يدينون بالولاء لملوك حمير ،ولكنه الولاء الاسمي، إذ لم تخضع مناطقها ألا صليه(رسمياً) لسلطة التبابعه (الإرياني١٩٧٧/١٦٤-١٦٧،١٦٥ ،النقش إرياني٣٢، بافقيه ١٩٩٣/٢٧٣-٢٧٤) .نفهم من ذلك أن المناطق الخاضعة لنفوذ الزعامات المحلية من كبار قادة الأعراب،أو من كبار زعماء القبائل المستقرة ،كانت تحتفظ بسلطتها النافذة على مناطقها ،فهي في غير متناول سلطة حاضرة المملكة ، فالولاء الأسمى، ذلك الذي ينبغي أن يسود معترفاً به على مساحة من الأقاليم الخاضعة، بغض النظر عن فاعليه هذا الاعتراف من عدمه على واقع العلاقات القائمة غير المتكافئة بين السلالة الملكية الحاكمة والزعامات القبلية المتعدده . ومع ذلك فإن هذا الولاء (الاعتراف) لا يدوم طويلاً في أغلب الأحوال . ففي ظروف معينه، كضعف سلطة السلاله الحاكمة التنفيذ يه ،أو لظهور التحالفات الملكيه الكبيره ، أو لعدم استقرار الوضع العام بسبب الغزوات الخارجيه على البلاد ، تفقد السلطة الملكيه الحاكمه المهيمنة ذلك الاعتراف كلياً، ويصبح الولاء بسبب ذلك في خبر كان .

أمام هذا الواقع من العلاقات بين حكام الممالك و حكام الأقاليم ،ونزولاً لمقتضياته ،يصبح من الضروري الاحتكام للمصالحة ،التي لا تثمر بجدوى إلا بالاتفاق على المصلحة المتبادلة ،ولو تـفاوتت بتـفاوت السلطة والنفوذ. فالممالك تستمد التأييد و المهابة ،وتعتمد على الدعم والمؤازرة من زعامات الاتحادات القبلية الإقليمية القوية،إذ لا يقوم للمملكة مقام خارج سياج هذه العلاقة وهذه المصلحة.كما يحتكم إليها حكام الممالك للاحتفاظ بالحكم نافذاً تمارس من خلاله حاضرة المملكة سلطتها الفعلية، على حين يحتكم إليها أيضاً حكام الأقاليم لطموح في مصلحة أو حماية.لذلك أي خلل يطرأ على مصالح هذه العلاقة (المعادلة)، فإنه يضر باستقرار نظام الحكم وبسلطة الحكام ، سواء أكان على صعيد المملكة أم الإمارة (الإقليم) .ففي الإقاليم تؤيد زعماء القبائل والعشائر – حكام مناطقهم- الملك ،طالما كان قادراً على تفادي التناقض بن مصالحه ومصالحها .

لذلك قد ينال حكام الإقاليم ، وهم الزعامات ذات النفوذ ، سلطات واسعة، تتخذ منها وسيلة لبسط السيطرة على المناطق الخصبة ،وعلى المنافذ التجارية الهامة وقد يوفر لها ذلك إمكانية الاستقلال بأقاليم جديدة عن المملكة المركزية، خاصة وإن من الحكام الملوك من ارتبط بصلات حميمة مع بعض الزعامات الإقليمية التابعة والمؤيدة .مما قد يمنح لهذه الزعامات بعضاً من نفوذ ،فيما يمكن أن نسميه بـ(السلطة المقننة). في مقابل ضمان استمرار اعتراف هذه الزعامات بسيادة المملكة على حدودها ومناطقها ومصالحها.

إن هذا الإقرار بحدود وبمناطق نفوذ الغير ،أو بمناطق تابعة وأخرى مستقلة ،أو بمصالح إنما تكون مثار نزاع في أغلب الأحيان .لأن الحدود السياسية المرسومة الثابتة للممالك أو للحكومات الإقليمية لاوجود لها على الواقع .إلا ما كان من مواطن استيطان القبائل ذاتها .وهذا لا يعني غياباً تاماً للحدود .فالحدود القائمة للسلطة ذات النفوذ هي الحدود المتفق عليها ،تكون بين مد وجزر تبعاً لهيبة السلطة .لذلك فإن حدود الممالك و الإمارات الإقليمية ظل مختلفاً عليه بشـكل عام (VanBeek,1961/229) . لذلك تعد الدراسات السبئية هذا النزاع بين الأسر الزعيمة من حكام السلطة المركزية (الممالك) من جهة وحكام السلطات المحلية (الإمارات) من جهة أخرى ،أهم ما يميز التاريخ السياسي للعصر السبئي الوسيط (القرن الأول حتى القرن الرابع الميلادي) ،وهي فترة احتدام النزاع بين مملكة سبأ وحكام الأقاليم الخاضعة لسيطرة الممالك الكبيرة (روبان١٩٨٢/١١٢) . في الوقت الذي ظهر فيه الأحباش كطرف منازع هو الآخر، إذ كانت الحملات المتصلة للاكسوميين الأحباش على اليمن (أبو الصوف١٩٩٢/٥١)منذ القرن الثالث للميلاد ، وما نتج عنه من نفوذ لهم ولأعوانهم ،تأثيره سلباً على طبيعة العلاقات السياسية السائدة.في حين استأثر الحميريون في كثير من المناطق بالسلطة حيناً (Breissler 1981/76) ، وفي تزعم بعض كبارهم القبائل الموالية في حرب المقاومة حيناً آخر .توج ذلك لاحقاً بالدور القيادي لزعماء حمير من الأذواء لأهم أدوار المقاومة في مناهضة الحكم الفارسي ، هذا الدور الذي سطع جلياً من بين أبرز التطورات التي طرأت على مستوى القيادة الإقليمية الموحدة في أثناء الفترة من عام ٥٧٥م حتى ظهور الإسلام . إذ غدت وحدة عمل المقاومة بين حمير وقبائل مذحج وخولان وحضرموت وأعراب كنده خلال العقدين الأول والثاني من القرن السابع للميلاد ، من العوامل الفاصلة التي أدت إلى خلخلة الحكم الفارسي الممقوت ، ودفعت به إلى البحث عن منقذ عاجل لسلطته المنهارة في بعض المدن ، فوجد حكامه الملاذ في حكومة المدينة عندما صار لهم ما تبقى من نفوذ تحت إمرة الحاكم الوالي الإسلامي العام .

يذهب بعض الباحثين إلى وصف تلك الحروب التي نجمت عن تفاقم تلك النزاعات بين حكام الممالك فيما بينهم، وبينهم وبين زعماء الأقاليم ،إلى أ نها حرب (الكل ضد الكل) ،خاصة حرب الفترة من نهاية القرن الثاني للميلاد إلى بداية القرن الرابع للميلاد . (بافقيه١٩٩٣/١١١، بافقيه ، باطايع ١٩٩٤/٩٦) . في أثناء ظهور حمير كقوة عسكرية جديدة في المناطق الغربية لقتبان المتهالكة . هذه المناطق التي كانت محور نزاع شديد وتنافس أشد ، كونها تضم مناطق إنتاج البخور وموانئ تصديره .تلك الفترة التي تخللتها حروب المئة عام (القرن الثاني – بداية القرن الثالث للميلاد) (بافقيه ١٩٩٣/٩٨) التي انتهت بتوحيد كل أراضي سبأ وحمير (BaFagihi , 1983/81) مع نهاية الربع الأخير من القرن الثالث للميلاد ، بوصول بني ذوريدان إلى عرش مأرب . وقيام المملكة الحميرية الثانية فيما عرف بـ(عصر التبابعة –المرحلة الأولى) ، (الارياني ١٩٧٧/٨٩–٩٠ ،النقش أرياني ١٤). إذ أصبحت حدود حمير ممتدة من ردمان شرقاً إلى الهان غرباً . إلى نقيل يسلح والنقايل أو (المناقل) شمالاً (الحد الشمالي بين أرضي سبأ وحمير (بافقيه ، روبان ١٩٨٠/١٨)وجنوباً حتى عدن والبحر العربي ، وبذلك فقد شملت أجزاء واسعة من الهضبة الغربية .

تبين مما تقدم توضيحه بأن استقرار أنظمة الحكم في ظل واقع من النزاعات والحروب المريرة ، ما كان أن يتحقق إلا إذا استند على دعائم تكوينه ، وعماد قوته ، وأسباب بقائه. وكان ذلك قد تمثل في قوة رابطة التكتلات الاتحادية القبلية –العشائرية بشقيها المركزي والإقليمي . ومرد ذلك إلى أن أنظمة الحكم ، إنما ظهرت من صميم النظام القبلي المهيمن ، مستمدة منه ملامحه وخصائصه ، التي كان من أبرزها التحالفات أو الاتحادات.فقد التجأ المجتمع بكياناته القبلي – العشائري إلى مثل هذه العهود والمواثيق . لأن من خلالها كان يمارس زعماء القبائل إدارة السلطة ، إضافة إلى الحفاظ على المصالح أو الوفاق بصدد تقسيمها. كما أن في التحالف ما يحول دون الاستئثار أو الاستحواذ للسلطة وللنفوذ . حينما تحفظ لزعماء القبائل المتحالفة رغبتها في إدارة سلطتها المحلية المحددة . ومع كل ذلك لم تكن دائماً مدعاة للوفاق وللحماية ، فقد ينقلب أمرها على أصحابها بعد زوال الأسباب . أو تكون نكاية ضد متنافس ثالث . من هذه الشواهد ما حدث للتحالف الحميري الحضرمي ضد سبأ خلال حرب المائة العام الأخيرة . (ارياني ١٩٧٧/٥١–٥٣) ، التي أدت إلى تغلب الحميريين (ذوريدان)علىعرش مأرب .فحينما اعتلى الريدانيون الحكم قلبوا ظهر المجن على الحضارمة ، فحاربوهم رغم التحالف القديم بينهما (ارياني ١٩٧٧/٥١) . الذي يفترض أن يكون قائماً . فلم يعد التحالف

في نظر حمير ذا فائدة بعد أن استنفذ جدواه زمن الحرب في تأمين جانب حضرموت –المملكة القبيلة – وبذلك كان التحالف بالنسبة لحضرموت حماية لها من سبأ وحلفائها بادئ الأمر ،ثم ينقلب عليها ، حتى لم يعد بمقدورها مواجهة زخم تقدم الحميريين بتحالف مع طرف ثالث مضاد نكاية بحمير .

نخلص إلى القول بان الفعاليات المتعلقة بنظام الحكم كانت قد اقتصرت على فعاليات القبيلة المتحالفة ،أو على نشاط "العمل القبلي المتلاحم " (Grunebaum.1963/12). فقد ساد التحالف فعالاً سواء تحت ظل الحكم الملكي المركزي بالعاصمة ، أوتحت حكم الإمارات المحلية بالإقليم . مكوناً عبر عهود من تاريخ تطور نظام الحكم ماعرف بسلطة التحالفات المسيطرة الغالبة ، التي كانت تمثلها السلالات أو الأسر الحاكمة المشهود لها بالزعامة في إدارة الحكم دون غيرها .

عرف المجتمع اليمني نظام حكم الإمارة ، وبادئ ذي بدء انحصر تقريباً في أنحاء الهضبة اليمنية الغربية ، التي تعرف ب(نجد اليمن) من ناحية الشمال ، حيث أن منحدراتها الغربية هي الأصلح مناخاً . إذ تقاسم زعماء القبائل من الأسر الحاكمة بسط النفوذ في تلك الأنحاء (بافقيه ١٩٨٥/٣٠) فالأسرة كانت تحكم الإمارة في مقاطعة (إقليم) بعينه له بعض ملامح الإقطاع(بافقيه١٩٨٥/٣١) ،يُعينها على السيطرة عليها ، قبيلة أو قبائل في إطار اتحاد أو تحالف .مثل بني همدان في حاشد . إذ تضم في تحالفها أو اتحادها كل من حاشد وأقيالها وأراضي بكيل (الهمداني ١٩٨٠/٤٢) وبني تبع في حملان، وبني سخيم في يرسم أو هجر ،وكلها ضمن تحالف قبلي يعرف بـ (سمعي).ومناطقها بين بلاد صرواح (خولان)شرقا ،والجوف شمالا، أراضي بكيل القديمة غربا .ويرد ذكرها كذلك بـ(شعب سمعي). اذ تنقاد هذة القبائل لحكم حاكم (قيل) ، الذي كلما نجح على كبح جماح الحكام (الأقيال) الاخرين داخل التحالف ،احتفظ برئاسة التحالف (الزعامة).(JAM 629، بيستون ١٩٨٥/٢١٣).إن ما تصفه بحكم الأمارة في مقاطعة (إقليم) بحدودها المتداخلة ، وتحت إمارة أمير حاكم (قيل) ،هي في الغالب أراضى تابعة لملاك كبار (إقطاع) ،ممن وصفوا بـ(أمراء الإقطاع القبلي)،(بافقيه ١٩٧٣/٩٠)،الذين يديرون من موقعهم المتميز في الإقليم (المقاطعه الخاضعة)،قيادة القبائل المتحالفة منذ نحو نهاية القرن الأول قبل الميلاد . في فترة كانت فيها هيبة الملوك السبئيين في مأرب ،قد أخذت تضعف مع بدايات تفكك المملكة ،أو ضعف السلطة المركزية بها (بافقيه ١٩٧٣/٩٠).ونجد في معارك خاضتها القبيلة الكبيرة همدان تحت قيادة أمرائها الاقطاعيين ضد الحميريين ،(CIH/343) وماساد خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين العصر الذي وصف بعصر الثقافة السبئي المتوسط (بيستون ١٩٨٥/٧١)،من تعاظم الحكام الأمراء ، مثالاً لما كان عليه واقع الأمراء الحكام في الأقاليم من النفوذ والانتشار .

ربما يعود في الغالب نجاح الأسر الزعيمة من السلالات الحاكمة في الحكم ،إلى ما تتصف به من الصفات، التي ينبغي أن تنفرد بها عن غيرها، وتعرف بصفات الزعامة،أو فيما اتفق على تسميته بـ(بيت الرئاسة)،إذ وصف الحاكم القيل بأنه أحد أفراد بيت الرئاسة في شعب(بيستون١٩٨٢/١١٠) .لاتعود هذه الصفات بالضرورة إلى قوة العدد والعدة،أو إلى جاه،أو إلى نسب بعينه،رغم أن كل هذا بالحسبان في العرف القبلي السائد،وإنما إلى ما عرف عن هذه الأسر من المجد والسؤدد والمكانة والحكمة ،تهيئ أفرادها من تبوء مرتبة الزعامة ،على أنهم خير من يمثل الرئاسة ،من بين البيوتات المتنافسة. فضلاً عن أن هذا يميزها حنكة وجدارة في إدارة شؤون الحكم ،مما يجعلها من أهل الرأي والثقة .هذه الأسر المشهود لها بذلك ،تكون محل تقدير وهيبة، لايمكنهاوحسب من تولي الرئاسة ،ولكن قد تتبوأ مكانة خاصة بين الحكام الملوك و الأمراء . تسمح لها هذه المكانة من التدخل كوسيط (مصلح)لفض النزاع بين كبار الحكام . إذ يلجأ إليها الحكام بالممالك أو بالأقاليم،على أثر خلاف قائم بقصد الخروج بهدنة أواتفاقية صلح .مثال لهذا (همدان)الأسرة أو القبيلة المشهود بثقلها الاجتماعي و السياسي ، اشتهر زعماؤها بأنهم من أهل العقد و الحل يلجأ إليهم لإحلال التصالح بين القبائل المتحاربة (باوير ١٩٨٤/٩٦).فهذا الزعيم القيل(يريم أيمن)من همدان توسط لفض النزاع بين ذي رويدان من جهة ،وسبأوحلفائها من جهة أخرى،نتج عنه تصالح وسلام بين الطرفين المتحاربين(بافقيه١٩٨٥/٤٣).

تسمى الأسر الإقليمية الحاكمة،والمتميزة بتلك الصفات ،بتسمية أخرى كذلك ،كتسميتهم بـ(العائلات الرئيسة). كالأسماء التي اعتمد عليها السبئيون لزمن طويل في توثيق الأحداث ،إجلالاً لمكانة ودور أصحابها في الأحداث ، إذ يؤرخون بأسمهم . من هـذه الأسر :ذوخليل،ذوحـــرفر،ذوحذمة،وذوقضحم.(أرياني،عبدالله١٩٩٢/ ٢٨٢).وربما هي الأســـــر التي تسميهم النقوش السبئية بـ(رؤساء سبئيون) ،الذين كانوا يكلفون من قبل الحاكم الملك الأعظم للإشراف على القبائل(الشعوب).(بافقيه١٩٩٣/١٥١،١٣١،١٢١-٩١،C.541) وفي تعريف آخر لتلك الأسر الزعيمة المتميزة ، بأنهم (الأسر البارزة)مثل أذواء أحباب في صرواح أو بخولان صرواح تميزاً لها عن صرواح أرحب (CIH 4626 ، بيستون ١٩٨٥/١٨٢). أو تسميتهم بالأمراء فئة (الأعيان المحنكين) (بيوتروفسكي١٩٧٨/٧٠)، الذين استقلوا في القرن الثالث للميلاد، بحكم مناطقهم . ويمثل

الاتحاد القبلي للحميريين نموذجاً لهؤلاء الحكام الأمراء ، فالحميريون شأنهم شأن غيرهم من الحكام، بدأ ظهورهم كحكام أوأمراء من الأقيال والأذواء (بن عنان ١٣٩٦/٩٠)الذين نشط دورهم العسكري في مواجهة حكم السلاله الملكية السبئية في مأرب ، إذ لم تضع الحرب أوزارها بينهما وتنفرج نحو نهايتها بحلول نهاية القرن الثالث للميلاد، إلا بعد أن انتزعت ذو ريدان (الإذوائية) السيادة من سبأ (بافقيه١٩٩٣/٢٣٧) . في الوقت الذي تنامت خلاله بعض التطلعات (النزعات) السياسية ، وأهمها النزعة لتوحيد البلاد سياسياً على يد الاتحاد القبلي للحميريين (بيوتروفسكي ١٩٨٧/٧٠) بمؤازرة الأعيان الاقيال الذين أدركوا مدى تأثير الاتحادات القوية ،ووحدة المصالح في استقرار حكمهم في مثاويهم .الجدير بالذكر أن (حمير)كلفظ (بيوتروفسكي١٩٨٧/٧٠)،لم ترد في النقوش اسماً لكيان سياسي متميز، أو كمملكة ،قبل ظهور أذوائية بني ذو ريدان(بافقيه١٩٩٤/٣٦)،أصحاب القصر (ريدان)في ظفار ، في زمن لايتجاوز على الأرجح عام ١١٥ ق.م ،قبل قرن من الزمان تقريباً من ذكر المؤلف الإغريقي بليني(ت:٦٩م)لحمير ،مشيراً إليها بأنها من القبائل الأكثر عدداً (pliny. Bd.6,p.61) لذلك فإن حمير في النقوش لم تظهر قبيلة واحدة، بل كتجمع قبلي ،فقد جاء ذكرها بـ" أشعب حميرم" أي شعوب حمير (JAM 576). وليس قبيلة (شعب) حمير،كما نجد هذا عند ذكر قتبان وسبأ وحضرموت (الجرو١٩٩٦/٢٠٨) فالحِمْيَري (بكسر الهاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء المنقوطة بنقطتين تحتها وكسر الراء المهملة) تعني النسبة إلى حمير ،وهي من أصول القبائل .(السمعاني ١٩٨٨/٢٧٠) .

من الأمراء كذلك من عرف عنهم بـ(المحنكين)،وآخرين يرد ذكرهم في النقوش باسم (الأعيان القبليين) ،ولم نقف على تفاصيل فيما لو وجد فرق بين فئة الأعيان باسم (الأعيان التابعيين).الذين وصفوا بأنهم الأمراء الخاضعين لغيرهم من الزعامات الحاكمة القوية . الملاحظ في علاقات الأمراء بقبائلهم (شعوبهم) بأنها قوية الروابط تجسد الشعب الواحد ،على الرغم من مؤثرات التغيير الذي يطرأ عادة بسبب التغيرات السياسية (بيستون١٩٨٥/١٣١).

إن الأمراء كزعامات قبلية حاكمة ، تحكم مناطقها حينما صاروا حكاماً بلقب (ملك)، وعرف حكمهم بالحكم الملكي ،أصبحوا أقرب إلى حكام حكومات المدن ، منه إلى الممالك الصغيرة . فالواحات قد احتضنت منذ عهد مبكر التجمعات القبلية ، التي بفعل ما ترتب عن ذلك من علاقات ومصالح مشتركة أو متنافرة – ما لبثت أم تحولت إلى ممالك مدن رغم تسمية النقوش لها بـ(المقولات) أو (الإذوائيات) ، بمرتبة الممالك. من الأمثلة على هذا ، الملوك الأقيال التابعين لملوك مملكة كبيرة ، فا لأقيال من (بني سخيم) مثلاً ،كانوا تابعين لمملكة سبأ في آخر عهدها (نهاية القرن الثاني للميلاد). بينما ظلت (مقولتهم) التي تقع في الثلث الجنوبي الشرقي من أرض سمعي ، مملكة في قلب بلاد همدان (JAM 606 ، بيستون ١٩٨٥/٢٠٠ ، الأرياني ١٩٨٣/١٨) كذلك بنو الكرندي ، ملوك المعافر ، حكموا إمارة متسعة الأرجاء ، وكان لهم سلطان ظاهر ، ظل ملكهم إلى القرن السادس للميلاد (الهمداني ١٩٨٠/١٩٧٤،٢٢٩/٢٠٧-٢١٠) .

قد يبدو من الوهلة الأولى صعوبة فهم ما يحصل من تحالف أو اتحاد مملكة ومقولة ، وما قد يسفر عن هذا ، من مزج واضح لألقاب الحكام ، إلا أن معرفة ما يشير إليه اللقب من دلالة ، ربما يساعد على تذليل تلك الصعوبة _إن وجدت_ ، فاللقب (تبّع)(سورة الدخان آية ٣٧، JAM 656، بيستون ١٩٨٥/٢٣١) لحاكم من الأقيال ، قد يلقب به ملك مملكة ، مما يفسر بأنه اتحاد لمقولتين (بيستون ١٩٨٥/١٣٠)أكثر من اتحاد أو تحالف بين مملكة أو قيالة . ورد في هذا إشارة إلى الملك السبئي (علهان بن نهفان بن يريم ايمن) من ملوك سبأ وذو ريدان (القرن الثالث للميلاد) الذي أضاف إلى اسمه لقب (تبع) (بيستون ١٩٨٥/١٣٠) ،والأمر مرده إلى أن أباه كان من قبله (قيلا) ،(JAM 629 ، بافقيه ١٩٩٣/١٠٠) قبل أن يصبح أو ينقلب ملكاً (بافقيه ١٩٩٣/١٠٠ ، ١٩٨٥/٢٢، الحميري ١٩٧٨/٥٦).

يتضح من ذلك مدى ارتباط الحاكم (الملك) بأ صوله القبلية ، وربما يبرر هذا الارتباط استمرار صلة الحاكم بقبيلته وإقليمه ، حتى لو امتد سلطانه ليشمل أنحاء واسعة من الأقاليم الخاضعة أو المؤيدة .على ألا نغفل ،بأنه قد تتدخل في مثل هذه الأمور عوامل محلية أو مركزية ، داخلية أوخارجية ، تعمل على دفع أو عرقلة نشاط تلك الصلة ، إن لم تحول دون حدوثها .

عودة الي أمراء ألا قاليم ، ففي حضرموت عُرفت تسميتهم بـ(جماعه أعراب ملك سبا وكندة) (النقش شرف الدين١٣، wissmann1964/487) ديارهم في المشرق ،وباتجاه شمال غرب حضرموت .وهى من مناطق موطن كندة ،وخاصة الجزء الغربي من وادي حضرموت، الذي كان لقبائل كنده فيه سلطة نافذة، شملت هذه السلطة ، في فترات من تاريخ كندة ، بلاد حضرموت برمتها (الهمداني ١٩٥٣/٨٨،ابن حزم ١٩٦٢/ ٤٢٥-٤٢٨،جواد١٩٨٠/٣١٥,٣٧٨) لقد جعلت كنده من أولادها ملوكا على القبائل (الطبري ١٩٧٧/٨٩)وسموا ب (كنده الملوك)عندما امتد ملكهم إلى بادية الحجاز قبل الإسلام (ابن خلدون ١٣٢٩هـ/٢٥٧).

إن ما يمكن فهمه ،في معنى الحكم المحلي ودلالته ،أو الحكم الاقليمي (الأمارة)أو كما جاءت تسميته في النقوش ، وفي بعض المصادر القديمة الأخرى ،بحكم (القيالة)أو (المقولات)أو (الاذوائية)،إنما يعني حكما للمناطق (الاقاليم الأقاليم)في ظل الحكم الإداري الضعيف لسلطة المملكة المركزية –وهنا يرجح ضعف سلطتها التنفيذية– أي إنهم "حكام المناطق (الأقاليم)المتمتعين بالسلطة القصوى المحتملة (المتاحة)في المملكة المضمحلة" (بيوتر وفسكي١٩٨٧/١٨٧).

إلا أن هذا الحكم للمنا طق أو للأقاليم ،ليس مشروطا في كل الظروف بوجود مملكة مركزية ،بل إن وجودها –أي حكم الاقيال والاذواء– قد يسود مع غياب السلطة المركزية النافذة .فحينما يحتدم التنافس للاستئثار بالحكم بين السلطات القوية ،التي تمثلها الأسر الزعيمة الحاكمة بالمركز أو بالاقاليم ،تسود حالة من عدم الاستقرا ر، تسمح للحكام القوي منهم أو الضعيف على حد سواء ، بحكم مناطقهم وماجاورها . إذ ترتب على ذلك واقع من أنظمة للحكم ،وصفت بالوحدات السياسيه المتعدده (بن بريك١٩٩١–١٨–١٩) .وهذا ما حدث مع نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع للميلاد في أعقاب نجاح ذو ريدان في السيطرة على الحكم بواسطة جماعاتها القبلية من الأسر الزعيمة ،فيما عُرف بعصر حكم التبابعة. في إطار المسمي السياسي العام للحكم الذي عُرف بـ(المملكة الحميرية الثانية)وهي الفترة التاريخية التي تميزت بتفوق حكم إدارة السلطة المحلية المتعددة بزعامة (القيل)أو (الذو). فترة طغت خلالها الخصومات والنزاعات القبلية –العشائرية، مع،تزايد تأثير التحالفات والتحالفات المناوئة ، حتى غدت الحروب سمة هذه الفترة وأبرز خصائصها .

بإمكاننا أن نخلص إلى بعض الأمثلة المستقاة من الأحداث ، إذا حاولنا أن نتعقب أبرز خصائص تلك الفترة ، طالما كنا نرمي إلى تأكيد المعنى والدلالة لمفهوم حكم الإقليم (الإمارة)، الذي ساد متميزاً إبان هذه الفترة التاريخية ، مقارنة بما قبله ، وبالوضع الذي ساد بعده في ظل الإدارة الإسلامية مع مطلع القرن السابع للميلاد .

فالأسرة الريدانية من الأذواء (ذو ريدان)،التي عاصرت الأسر السبئية الملكية الحاكمة منذ أواخر القرن الأول أو مطلع القرن الثاني للميلاد ،حتى القرن الثالث ،قد نجحت في الاستقلال بمناطقها كاذواء تابعين للحكام السبئيين ، ثم بعد أن دب الضعف بالحكم المركزي في سبأ ، أخذوا يتولون أعلى المراتب في السلطة منها مرتبة (الملك)في مارب العاصمة (بافقيه ١٩٩٣/٢٦٦) .

من أولئك الأمراء (الأقيال–الأذواء)الذين أصبح لهم نفوذ معروف خلال القرن الثالث للميلاد ،أقيال ردمان وخولان ، ومنهم الحاكم القيل (نصر يهحمد بن معاهر وذي خولان)،من حكام الفترة ما بين ٢٠٠ الى ٢٢٥م أو ٢٥٠م (بأفقيه ١٩٩٣/١٢) .الذي احتفظ بسلطته الإقليمية في ظل الإدارة المركزية لمملكة حضرموت ، زمن حكم ملكها (العاذيلط بن عم ذخر) ،(CIH 3958، بيستون ١٩٨٥/١٧١ ، النقش ارياني١٣ ،بريتون ١٩٩٦/١٧١).الملك الذي اشتهر من دون ملوك حضرموت بنهجه سياسة الضم والإلحاق . وهي ما عرفت بسياسة التوسع الحضرمي نحو الغرب (بافقيه١٩٨٥/٤٨) ، حيث اصطدم بسبب سياسته هذه مع حكام الأقاليم الذين كانوا يتطلعون إلى الاستقلال بحكمهم . من هؤلاء الحكام ، زعماء قبائل (المهرة).إلى الشرق من حضرموت ،الذين ينشدون الحفاظ على استقلال مناطقهم ، في مواجهة محاولات الملك الحضرمي (العزيلط)ضم أقاليم المهرة ،(JAM 640، بأفقيه ١٩٩٣/١٠٦ ، ١٩٩٢/٤٠٧).

لقد تمكن أحد زعماء المهرة يدعى (مهْر)من التصدي لسياسة الضم التي انتهجها هذا الملك الحضرمي، فقد تحالفت جموع القبائل الحضرمية الثائرة بزعامة (أحرار يهبئر) (بيستون ١٩٨٥/٥٠–٥١) التي كانت هي الأخرى تتطلع إلى حكم مناطقها الواقعة بالمرتفعات الداخلية من حضرموت ،بعد أ ن رفضت هذه القبائل أن تكون طرفا في النزاعات القائمة بين سبأ وحلفائها من جهة، وحمير وحلفائها من جهة أخرى، في أثناء مرحلة تشعب النزاع بينهما طوا ل القرن الثالث للميلاد .بهذا التحالف قاد زعماء (أحرار يهبئر)الحرب ضد الملك (العاذيلط)، ودارت رحى معركة ضارية بمنطقة (صوْران)بين الطرفين ،وموقعها عند نقطة التقاء وادي الكسر ووادي حضرموت (بريتون ١٩٩٦/١٦٨،بأفقيه ١٩٩٣/١٠٦)، لم تضف المصادر مايوضح نتيجة هذه المعركة ،وكل ماهنالك أن زعماء (أحرار يهبئر)وصلوا إ لى الحكم ،أي حكم المملكة بعد الملك (العاذ يلط) واتخاذوا أسماء من تلك التي أشتهر بها الملوك الحضارمة (JAM 949، بأفقيه ١٩٩٣/١٠٩). ومن المرجح أن معركة (صوران)كانت من المعارك الحاسمة ، التي وقعت بين الطرفين بعد حروب دامية استمرت بعض الوقت .كما أن غياب تحديد الزمان للمعركة ،أو لغيرها من المعارك، قد يجعل من الصعوبة القول بأن (احراريهبئر)تولوا حكم حضرموت بعد هذه المعركة الفاصلة .إلا أن النصوص ذكرت أحد زعماء (أحرار يهبئر) من الذين تولوا الحكم ، واسمه الملك "يدع إل بين بن ربشمس"، الذي أعاد تعمير (شبوة) العاصمة وتعمير قصرها الملكي (شقير) (بأفقيه ١٩٩٣/١٠٨،١٠٩) .

ظلت مناطق الشرق والشمال الغربي من وادي حضرموت ،مصدر قلق على استقرار سلطة المملكة . فالأعراب ، وهم معظم سكا ن هذه المناطق ، صار لبعض زعمائهم شأن كبير في سياسة العربية الجنوبية (جواد١٩٨٠ /٧٦) وكانوا من قادة القبائل ا لقوية المناهضة لمملكة حضرموت .وقد عرف هؤلاء القادة من الأمراء (بجماعة أعراب ملك سبأ وكنده (Beaston1972/257, Sabaeam 1962/169 ، ريكمانز ٥٠٧، بن عنان ١٣٩٦ هـ/٣٣٩ -٣٤١) الذين نازعوا حضرموت على إقليم (العبر) أو (عبرن) المنطقة الصحراوية الواسعة شمال غرب وادي حضرموت . فالملوك الحضارمه كانوا يتطلعون إلى ضم العبر لسلطتهم ، ويكفي أن يكون هذا سبباً في نشوب الحرب بين الطرفين التي شملت أودية حضرموت الغربية ، بما فيها من مدن وقرى وحصون .(بافقيه ١٩٧٣/ ١٤٥ ،١٥٢) إلا أننا لم نقف على معلوما ت توضح زمن هده الحرب ،أو عن نتائجها . وكل ما ذكر عنها ، أنها انتهت بمقتل كثير من الجماعات القبلية الحضرمية الموالية للملك الحضرمي ، دون أن يرد ذكر اسمه أو مقر حكمه، وعدد آخر من جنود وفرسان الحكام الأمراء من جماعة أعراب ملك سبأ وكنده .إن هذه ا لحرب ،قد فرضت على الأمراء الحكام بالمنطقة المشمولة بالنزاع ،اتخاذ موقف مؤيد لطرف ،أو معاد لطرف آخر ، مما نشطت على أثر هذه التحالفات (بافقيه ١٩٧٣/١٥٠-١٥٢).

تحدثنا ا لنقوش كذلك عن حكا م الأقاليم في مطلع القرن ا لثالث للميلاد (RES 3945) .ومنهم أمراء (المعافر) أو (ذي معفرم)،إذ حكموا إمارة في وسط الإقليم المسمى APHARITIS ، (عبدالله ١٩٨٨/٣٠-٣١) امتد نفوذها لتشمل معظم تهامه الجنوبية ، ومن أهم مناطقها ذبحان ،الجوه ،جبأ ،صبر ،ذخر، صحاري ،الضباب ، العشين ،رسيان ،وثُباشعة.(الهمداني ١٩٧٤/٩٩-١٠٤ ، ٢٠٧ ،٢١٠. ١٩٧٧/٢/ ١١٤)

أما عن أواخر القرن الثالث للميلاد فتشير النقوش إلى أحد أقيال همدان المشهورين ، واسمه (نوف بن همدان)المعروف بـــ(القيل الكبير)الذي حكم مقولته (مقولة غيمان) .في أثناء فترة حكم الملك السبئي (أليشرح يحضب الثاني وأخيه يازل بين) (بيستون ١٩٨٥/٥١) مع نهاية مرحلة تشعب النزاع السبئى الحميري واحتدامه في أواخر هذا القرن ،ويعتبر القيل (نوف) من كبار أعوان السبئيين الذين استقلوا بحكمهم الاقليمي (JAM 585، بيستون ١٩٨٥/١٩٦) .

مـــن بيـــن مجموعـــة الإمـــارات الأخـــرى ،تفصح الدراسات ا لنقشية عن مملكة تسمى (مملكة مأذن) ،وعاصـــمتها (شـــعوب) ،تقع أراضيها إلى ا لشما ل ،وا لشما ل الغربي من صنعاء ،أما ملوكها فقد عرفوا بالاقـــيال مـــن (بنـــي ذي ما ذن) (الهمداني١٣٦٨هـــ/ ١/ ١٦٠. با فقيه ١٩٨٨/٢٠،٢٢) . وأ شير إلى هذه المملكـــة بأنها عاصرت ملوك سبأ وذو ريدان (القرن ا لثالث -الرابع للميلاد) .(بافقيه ١٩٨٨م/ ٦٢-٦٣) وتشـــمل أراضيها أيضا الجوار من أراضي حملان (من أ ثلا ث سمعي) إلى درجة أن أ راضيها عُدت مخلافا واحدا (الهمدا ني ١٩٧٤/١٣٢) .

إن الأحداث المتعاقبة منذ بداية النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد إلى بداية القرن الخامس للميلاد، تؤكد تنامي الدور العسكري للحكام المحليين من الأقيال ، وامتداد هذا الدور إلى وسط الجزيرة العربية. فقد برز الأقيال الحكام من (ذو ا لكلاع) و(ذو رعين) (CIH547) .خلال فترة حكم الملك (ابي كرب أسعد) .المعروف بـــ(أسعد الكا مل) ،ويرجح فترة حكمة ما بين ٣٧٨-٤١٥م.الذي ا ستعان بهم ،أي بالأذواء من بني الكلاع ومن اذواء رعين ،في تعزيز حملتة التي بلغت (ما سل الجمح) في أطراف نجد الجنو بية (ريكما نز ٩،٥، با فقيه ١٩٨٥/٥٩) .

كان للقبائل الزعيمة الكبير ة برئاسة الأقيال ،ومنهم الأقيال (الملوك) الثقل العسكري المتميز خلال هذه الفترة ،امتدادا إلى القرن الخامس للميلاد بأكملة .إذ لم يعد الاعتراف بالأقيال والأذواء كحكام مستقلين أو شبه مستقلين ، الأمر الذي يشغل حكام ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طودا وتهامة ، لأن حكمهم ساد نافذا وأكثر انتشارا مع ضعف المركز ية في الحكم ، وصار يعبر عن نظام للحكم في الأقاليم . فالشغل الشاغل الأهم في نظر ملوك المملكة ، كان قد تبلور في كيفية استما لة أو احتواء الحكام الأقيال والأذواء في شكل ما من التحالف أو التأييد، بقصد إضعافها ، أو الفوز بتعاونها عسكريا ، خاصة وأن حكم أسرة (أبي كرب أسعد) تطمح إلى مد سلطانها نحو الأطراف الشمالية من اليمن في اتجاه جنوب نجد (بافقيه ١٩٨٥/٥٩). وكان مسعىً حميدا لتحقيق وحدة الاداره في الحكم .نتج عن تطور للسيا سه (النزعة) الوحدويه التي تتميز بها هذه ا لمرحله من الأحداث (بافقيه ١٩٨٥/٥٩) .

إن اعتما د الملوك الحميرين على دعم ا لحكا م الأقيال والأذواء لهم ومؤازرتهم في حروبهم نحو وسط الجزيرة العربية ،إنما كان امتدادا لسياسة داخلية ناجحة ،لجأ إليها الملوك من حمير، في مواجهة المحاولات الاستقلالية في الأقا ليم والأطراف البعيدة عن متناول سلطتهم ا لفعلية .فمنذ ا لنصف الأول من

القرن الرابع للميلاد ،بعد أن تم لحمير إخضاع حضرموت (بافقيه ١٩٨٥/٦١) أخذ حكا م حمير يمنحون للأقيال والأذواء صلاحيات وسلطات مستقلة لتنفيذ بعض المها م الموكولة ، التي يندرج تنفيذها ضمن السيا سة الحميرية ا لهادفة إلى استعا دة سلطتها النا فذة على المناطق والقبائل المتمردة .فقد أوكل ملوك حمير لبعض الأذواء اليزنيين في أودية المشرق التا بع لحضرموت ،مهمة إخضاع ا لقبا ئل المتمردة في أنحاء السراة ، وفي بلاد ا لمهرة .وجعلوهم قا دة على رأس قوة من أعراب حضرموت (با فقيه ١٩٩٣/٢٧٤) .

هذه السياسة ،في الاعتماد على الأقيال والأذواء لتنفيذ مهام عسكرية لصالح ملوك حمير ،أدت إلى توسع نفوذ هم في تلك الأنحاء من الأقاليم الشرقية ، ترتب عليه توطيداً لحكمهم وسلطانهم على أقاليم جديدة، مما هيأ فرصا أخرى للإستقلال بحكمهم في ربوع واسعة غنية بالموارد والقبائل ا لمحا ربة ا لموالية . وكانت النتيجة أن حقق الأذواء اليزنيين في نهاية القرن الخامس و مطلع القرن الساد س الميلاديين ،سيطر ة كبيرة على الرقعة الواسعة التي كانت تحتلها مملكة حضرموت ا لقديمة بكاملها (ينبق ٤٧.بافقيه ١٩٧٩/ ٢٥٠) وهو ا لوضع ا لذي نجم عن وهن أصاب حكم التبابعة الحميرين في هذه الفترة ، أو لعله كان من أسباب ذ لك ا لوهن .في وقت اتحد فيه اليزنيين مع الجدنيين (بافقيه ١٩٨٥/٦١) كما تشهد على ذلك نقوشهم المعروفة من الأودية القريبة من (نصاب) ،جنوب رملة السبعتين ،ومن (عمقين) (Wissmann 1953/ 76, RES 3945) .

نجح أذواء المشرق ،الذين تلقبوا بلقب (قيل) أ يضا، في تثبيت سلطة واسعة لهم في ظل حكم التبابعة الحميرين ،منذ ا لقرن الرابع للميلا د، وعلى امتدادا الفترة من القرن الخامس إلى السادس الميلادين ،وكان الأذواء من أسرة (ملشا ن) وبنية (بنو ملشان) (بافقيه ١٩٩٣/١٤٤) .مثالاً لأذواء المشرق، يعود نسبهم إلى (ملشا ن) أحد الأذ واء الموالين لحكم التبابعه الحميرين .أو أنة حميري تولى بلقب (قيل)، حكم القيالة في مدينة (عبدان) في ا لمشرق متخذا منها مركزا لحكمه (با فقيه ١٩٩٣/١٤٧)

استفادت أسرة ملشان من الأحد اث التي جرت مع نهاية ا لنصف الأول من القرن الرابع للميلاد، في ترسيخ حكمها ،كان من أبرزها سقوط (شبوه) العاصمة في يد الحميريين، وإعلانهم ضم حضرموت (JAM 662،بافقيه١٩٩٣/١٤٤)،في أعقاب الزحف الحميري في أرض السراة وأرض الأزد وأرض مهرة وأرض نزار (بافقيه ١٩٩٣/١٤٥) وهي الأحداث التي تتصل بعهود ثلاثة من الأجيال في أسرة (بنوملشان): الأب وأبناؤه وأحد أحفاده على الأقل (برياني٣٢،بافقيه ١٩٩٣/١٤٥) وقد شملت هذه العهود فترة اشتداد مقاومة حضرموت للمد الحميري .المقاومة التي امتدت لتشمل (عبدان) مركز حكم بنوملشان .فقدهاجمتها ملكة حضرموت بسبب انحيازها إلى حمير في إحدى مراحل الصدام المتكرربين حمير وحضرموت ،وذلك بعد أن كانت المدينة من قبل تابعة أو مواليه لحضرموت . (بافقيه ١٩٩٣/١٤٥، ١٤٧).

لم يشرنقش عبدان الكبير إلى تحديد عهود حكم الاقيال الثلاثة لقيالة بنوملشان،الا أنة أ شار الي بعض الحكا م التبابعةالكبار وتسلسل عهود حكمهم (بافقيه ١٩٩٣/١٤٧) .وبذلك فان عهدحكم بنوملشان قد واكب عهود هذه الأسرمن الملوك التبابعة .التي امتدت للفترة مابين ٣٢٩م إلى النصف الأول من القرن الخامس للميلاد (ريكما نز٨٥٠٥)وكان من أ شهر حكامهم الأذواء :أذواء يزأن ويلغب وكبران ،وتتبعهم قبيلتا ضيفتين ومشرقن (بينبق٢٨)ثم وفي تاريخ لاحق من حكمهم يرجح لعام ٤٤٥م (بافقيه ١٩٩٣/١٤٨) ظهر من بينهم الأذواء صدقين وذي يصبر .وتتبعهم قبيلتا ضيفتن ورثحم (ينبق ٣٨)وهذه الإضافة في زيادة عدد الأذواء ،مثل(ذي يصبر)في اللقب (رثحم)كشعب ،إنما تدل على اتساع في النفوذ ،ليشمل المناطق الممتدة مابين (عبدان)و(عملقين)و(جردان)،من أودية المشرق .

مما تقدم شرحه ،فإن الإقليم كسلطة مستقلة ،كان يمثل نظاماً متكاملاً من النظم والأعراف القبلية ،شان أي سلطة محلية ،تحاول الحفاظ باستمرارعلى استقلالها .فكان على سلطة الاقليم أن تتغلب بنفوذها الفعلي على مناطقها الخاضعة لسيطرتها ،حتى تتصف بالقوة والمنعة ،في ظل إدارة السلطة الزعيمة الحاكمة .وخلاف ذلك ،فإنه اذا انحسر حكمها في الاقليم ،وباتت سلطتها الاسمية مطمعاً للأسر الزعمية في الممالك المناوئة، فإنها تنحدر إلى ضعف وزوا ل.

إن القصد في مانعنيه عن قوة سلطة الإقليم أو ضعفه ،بأنه على الرغم مما تعتري الإمارات الإقليمية المنهارة من ضعف ،فإنها تحتفظ بدور قبلي –عسكري معين ،بحجم صدى دور زعامتها السابقة ، ودور القبيلة جماعة وأفراداً ،وموقع ديار ومناطق القبيلة . فهي وخلال مراحل ضعفها ، تستهدف من قبل الممالك ، أو من الإمارات القوية المجاورة ، وذلك إما لغرض استمالتها بالتحالف ، أو لتحريضها بعد تأمين جانبها ضد التحالفات المضادة، حدث هذا في أثناء فترة تزايد المد الهمداني –الحميري في القرن الثالث للميلاد . فقد نجح الحميريون في استمالة بعض الزعامات الإقليمية ، التي كانت قبل ضعفها تابعة أساساً لسبأ ،وتحريضها ضد

سلطة سبأ المركزية في مأرب . من هذه الزعامات حكام خولان ،(CIH,308)، الذين تقع ديارهم في أقصى شمال الأراضي السبئية ،حول صعدة ،حتى منحدرات السراة نحو تهامة.

لذلك نجد أن طبيعة العلاقات القائمة بين حكام الأقاليم بالأذوائيات من جهة ، والحكام الملوك بالممالك من جهة أخرى ، سارية في شكل ما من الصلات . لايرتبط هذا بنهاية مملكة ، أو إمارة ، وظهور أخرى ، بالقدر الذي يرتبط بمدى تأثير الولاء، وبأهداف التحالف . وإذا كانت الإمارات بالأقاليم ، اكثر مصلحة بتلك الصلات ، إذ تستمد منها في معظم الأحيان ، أسباب استقرار حكمها . فإن الممالك تحتكم من الناحية الاستراتيجية إلى تلك الصلات ، التي تمثل في حقيقتها علاقات من الولاء والتحالف .فكم من الممالك أصبحت أثراً بعدعين ، بسبب ضعف أوانهيار تحالفاتها المهمة ، أو بسبب قيام التحالفات المناهضة والمناوئة من موقع الند للند. فسبأ مثلا في العقود الأخيرة من تاريخها السياسي،انهارت عسكرياً بسبب التحالف الكبير ضدها من الممالك الثلاثة : قتبان وحضرموت وأوسان (الشيبه ١٩٨٩/٨)، ثم ما الحق بها من هزائم في القرن الثالث للميلاد، حيث انهارت العاصمة (مأرب) أمام زحف التحالف أو الاتحاد الريداني الحميري ،الذي كان إيذاناً بقيام المملكة الحميرية الثانية (الشيبه ١٩٨٩/٨).

إلا أن من أبرز الصلات الساخنة ، التي ما إن تهدأ ، حتى تنشط أكثر ضراوة، تلك الصلات الحربية (الحروب الداخلية)،التي تنمو بتنامي التناحرات القبلية الإقليمية (بيوتروفسكي ١٩٨٧/٧٠) ، ومالها من آثار على زعزعة أنظمة الحكم . فالقرن الثالث للميلاد شهد اشتداد حرب الحميريين من بني ذو ريدان على ما تبقى من سيادة للسبئيين . وشهد القرن الرابع للميلاد تفاقم حدة النزاعات من أجل السلطة بين حكام الإمارات بالأقاليم التابعة أو المستقلة . ثم مع حلول القرن الخامس اشتد بأس حكام الإمارات ضد تطلعات الحميريين ، وخاصة بعض حكام الأذواء من سبأ الذين احتفظوا ببعض نفوذهم حتى في ظل حكم الحميريين (بيستون ١٩٨٥/١٧٨). كان على حمير إزاء هذه الأحداث أن تنقاد كطرف منازع في الحروب الاقلمية ،لمواجهة محاولات استقلال الاذواء بمنا طقهم ،ولم يكن بمقدورها إضعاف تلك المحاولات ،بسبب تنامي سلطة الأقيال والأذواء في مطلع القرن الساد س للميلاد .وهي الفترة التي انتهت بنهايتها المرحلة الثانية لعصر التبابعة ،في أعقاب تقويض سلطة حمير المركزية في ٥٢٥م، وهي آخر الأسر اليمنيه الحاكمه لليمن موحدا أو شبه موحد قبل الإسلام (بافقيه ١٩٩٣|١٧٢-١٧٣) ،واستقلال الحكام الأمراء من الأقيا ل والأذواء بأقاليمهم. لقد أدى هذا الوضع إلى حروب داخلية ضارية ،كان من بين أبرز ماتمخض عنها سلبا، لجوء بعض الأذواء إلى الاستعانة بالأجانب ،مثل ما حدث بالنسبة للنزاعات الدامية بين الملك ذي نواس ،ونصارى نجران في الربع الأول من القرن السادس للميلاد (ابن هشام ١٩٣٥/٣٨) .

حقق حكام الأقاليم من أمراء المقولات والاذوائيات، بسط سيطرتهم الفعلية على أنحاء واسعه من المناطق بعد عام ٥٢٥م ،عندما ضاقت السبل على الأحباش في مواجهة زخم المقاومة، الأمر الذي أدى إلى عدم استقرار الحياه السياسية في الأقاليم ،وإلى تعاظم الدور الحربي للحكام المحليين كقادة عسكريين .(Preissler1981/77)

ثم ، وبتعاقب الأحداث ،ومن بين جملة الوقائع الهامة،قاد الملك ذونواس الحكام المواليين له في أرض تهامه،في الحرب الطاحنة التي نشبت بينه وبين الأحباش ،عندما كانت الدبلوماسية الفارسية والرومانية تغذي هذه الحروب وتسعر ضرامها(اشبنغلرلا.ت /٢٨٣) ففي تلك الأثناء ظهر من بين قادته الأمراء الأقيال من عشيرة ذي يزن الذين كان لتأييدهم وموازرتهم له أكبر الأثر في استعادته لسلطته على ظفار وحضرموت وتهامه (بيوتروفسكي ١٩٨٧/٧٧).اذ اخذ نفوذ اليزنيين وقوتهم في هذه الفترة يتعاظم، وبدأ اسمهم يتصدر الدور القيادي في النزاعات الداخلية التي احتدمت بعد عام ٥١٥م .بسب اضطراب الوضع السياسي في أثناء فترة ضعف حكم الأمراء التبابعه مع نهاية القرن الخامس وبداية السادس للميلاد (Bafagih 1970/5-9) . الأمر الذي اظهر دور اليزنيين الطليعي في مواجهة النزاعات والتحالفات التي غلب أمرها من أجل الحكم (بافقيه ١٩٩٣/١٣٧ ومابعدها) .

بينما أظهر الاجتياح الحبشي الثاني عام ٥٢٥م ، لأراضي الأقيال والأذواء من حمير،ولأراضي الأرحبيين (بافقيه ١٩٨٥/٦٣)سلطة قوية ،عرفت بسلطة (الأعيان الجبابرة) (بيوتروفسكي ١٩٨٧/٧٨) ،وهم في الغالب من الأسر أوالزعامات القبلية المتنفذة في السلطة زمن حكم الحميريين ،الذين كانوا يتطلعون إلى السلطة ،ولقد سنحت لهم فرصة انهيار حكم المملكة الحميرية الثانية ،وتدهور الوضع السياسي في أعقاب دخول الأحباش المحتلين، إلى تحالفهم واتحادهم، وإلى قيادة القبائل في حرب ضد الأحباش للحد من تقدمهم صوب الأقاليم الداخلية .حيث أبلى زعماؤهم بلاءً حسنا في ذلك، في الوقت الذي حققوا فيه لأنفسهم نفوذا مهيمنا على أقاليمهم .وتأتي أهم أدوارهم في المقاومة ،مقاومتهم للجند الاحباش ،ممن عرفو ا بـــ(أراجييل احبوش)،

(بيستون ١٦٤/١٩٨٥) في مناطق تهامة ،وفي أرض البقاع من اليمن الأسفل جنوبا،حتى أنحاء نجران شمالا.(JAM 585 ،بيستون ١٩٧/١٩٨٥).

وتجاه تطور مجريات الأحداث في الأقاليم ،لجأ الأحباش إلى سياسة احتواء المقاومة وإضعافها .فالحاكم الحبشي (ابرهه) حاول في حوالي عام ٥٣٤م جر بعض القبائل القوية إلى التحالف ،للاستفاده من تأييدها ومن سلطتها المحلية ونفوذها على غيرها من القبائل لتدعيم مركزه في الحكم (بافقيه ١٤٦/١٩٧٣).والنقوش في إشارات واضحه، تحدثنا عن ولاء بعض الأقيال والأذواء للحكام الملوك الأحباش .ففي أحد النصوص كتب صاحب النقش "..... أقول واقدم أشعب ملك حبشت ..." وتعني " ....أقيال ملك حبشت ورؤساوه وقبائله " (نامي ١٩٤٣/٩٣-٩٥) .من هذا البعض نجد مثلاً أمراء قبيلة (سهرت) او (سهرتن) التي تمتد أراضيها على المنحدرات الغربية لجبال السراة في اتجاه جنوب تهامة اليمن (بيستون ١٩٨٥/١٩٠،٢٢٤).كما استطاع الأحباش الحفاظ على ولاء الأقيال والأذواء من قبيلة (ذومهدم)سادة أراضى (مهدمم)التي تقع أذوائيتهم في المناطق الغربية من صنعاء (بيستون ١٩٣/١٩٨٥) .

في المقابل نجد أن الأمراء الأقيال والأذواء مالبثوا أن اتحدوا في تحالفات قوية ،لمجابهه تلك السياسة الحبشية. ففي عام ٥٤١-٥٤٢م تقريباً ،تحالفت جموع العشائر الحميرية بزعامة الأمير يزيد بن كبشة ، زعيم الجماعات القبلية الكندية الحضر(CIH 541 بيوتروفسكي ٧٩/١٩٨٧،شرف الدين ١٠١/١٩٦٧،بافقيه ١٩٧٣/١٦٨-١٦٩). يؤيدهم عدد من الأمراء أقيال وأذواء سبأ، من مثل: بني مرة ، ثمامة، حنــش ، مرثد، وذوخليل .ثم تحالف معهم جميعاً الأقيال اليزنيون CIH541. بافقيه ١٦٨/١٩٧٣). يجسد هذا التحالف موقف الالتفاف الكبير للزعامات من أمراء الأقاليم بالأطراف إلى جانب أهل الحواضر ، لتشمل المناطق المستقلة والتابعة . كما يجسد كذلك اتحاد سكان الحواضر مع سكان البوادي ، وقد تجمعوا تحت إمرة قادتهم العسكريين وكبار زعمائهم (Preissler 1981/77).

إلا أن الحكام الأحباش ، ومن أجل الاحتفاظ بحكمهم ، لجأوا إلى سياسة مغايرة لعلها تضمن صلاحية سلطتهم المركزية على الأقاليم .فقد أصدر النجاشي (كالب) أوامره بتعيين الحاكم القيل (اسم يفع اشوع) حاكما على كل قبائل حمير (CIH 541) ويتولى بذلك عرش اليمن تحت السيادة الحبشية (بافقيه ٦٣/١٩٨٥) . إن هذا الإجراء الجبشي في تعيين حاكم يمني من الأقيال لحكم البلاد ،إنما ينصب في مجرى المحاولات الحثيثة المحمومة للأحباش إضعاف السخط القبلي العام الرافض لحكمهم .واعتقاداً منهم أن هذا سيحقق فرصة مناسبة بالإمكان توظيفها للقضاء على تأثير نفوذ الحكام المحليين من الأقيال والأذواء ،بعد أن تنامى دورهم في توطيد تحالفاتهم في الأقاليم المتجاورة وفي أقاليم الأطراف ، حيث أصبحت الإجراءات الحبشية العسكرية غير ذات قيمة ، في تقويض حكمهم أو إضعافه (لوندين١٩٦١/١٢٩,١٣٢) .

تلك السياسة الحبشية لم تكن ذات جدوى، بل أدت إلى انتشار سلطة القادة العسكريين الأحباش في المناطق .في مقابل ضعف سلطة الحاكم القيل (اسم يفع اشوع) الذي لم يحظ أصلا بأي دعم أو تأييد من أعوانه الأقيال والأذواء في الأقاليم ، فقد كان حكمه صورياً أو ضعيفاً في ظل الحماية الحبشية (العسلي ١٩٧١/١٩٦) ، وإن اختياره حاكماً إنما جاء نزولاً لرغبة الأحباش في حصولهم على جزية يدفعها لهم سنوياً، فرضي بذلك وحكم (جواد١٩٦٩/٤٧٢) .

ونتيجة إلى ما آلت إليه الأحداث ، كان من الطبيعي أن ينتهي الوضع إلى نهاية لاترضي النجاشي . فقد حصل أن انتزع أبرهه السلطة مجدداً وتولى سدة الحكم (عبد الله١٩٩٢/٣٥-٣٦) ،منتهزاً فرصة انشغال الأقاليم بنزاعاتها وتحالفاتها . بينما تشير المصادر في هذا الصدد ، إلى أنه على الرغم من حماية الملك النجاشي للحاكم القيل (اسم يفع اشوع) ، فإن أبرهه انتزع الحكم منه مستفيداً من عدم استقرار وضع الحكم والحكام ، إذ كان الاقتتال حينها شديداً بين اليزنيين والمذحجيين والهمدانيين (بافقيه ٦٤/١٩٨٥). وذهب البعض إلى وصف نجاح ابرهه انتزاع السلطة بتأييد بعض القبائل ، بأنه عصيان مدني على النجاشي ملك مملكة أكسوم ،أو انه كان نتيجة انقلاب محلي (بافقيه١٦/١٩٨٣).

إن اختيار القيل (اسم يفع شوع) حاكما (بافقيه١٩٧٣/١٦٢-١٦٤) حدث تلبية لحسابات سياسية وعسكرية تمحورت في تفوق سلطته ، قياساً بمن هم على شاكلته من الحكام الأمراء ، ولنفوذه القبلي الفعلي بمناطق الساحل من الناحية الغربية في امتداد الأجزاء الجنوبية من تهامة عند باب المندب (JAM 1028)، المواجهة للمنافذ البحرية المهمة ، التي تربط الوجود الحبشي في اليمن بقادته من الملوك في أرض اكسوم . وابن دريد (ت٣٢١هــ) يفسر معنى اسمه (السميفع) بأنه من (السفعه)،أي الجرأة والإقدام في لغة حميــــر (١٣٧٨هــ/٢٤٥).والوصف في محله، إذ كان هذا القيل أحد الأقيال الكبار الذي كان له السيادة على قبائل ومناطق واسعة تمتد من حضرموت إلى ظفار شرقاً (CIH621) .

إن طبيعة الوضع السائد تفيد ، بأنه لولا الحروب بين الزعامات القبلية المتنافسة من الاقيال والأذواء ، ووقوف بعضهم موالياً لأبرهه ،لما نجح القادة العسكريون الأحباش في انتزاع مقاليد الحكم من يد الحكام الأمراء ، وإضعاف سلطانهم في الأقاليم . فقد ساء حال حكام الأقاليم ، حتى وصفوا جماعات وأفراد بأنهم "يقاتل كل رجل عن اذوائيته " (الطبري ١٩٦٠/١٢٣-١٢٥) ، وإن ذلك لم يجد نفعاً ، إذ كانت الحرب قد حددت مصير أنظمة الحكم طوال القرن السادس للميلاد في ظل غياب السلطة المركزية (بيوتروفسكي ١٩٨٧/ ٢١١) . مما أظهر هؤلاء الأقيال والأذواء ، وكأنهم لم يعدوا بحاجة في حكم أقاليمهم إلى تحالفات جديدة كبيرة، وإنما أصبح يكفيهم حماية عشائرهم بالمناطق المتاح حكمها. وما أشبه هذا بحال البدو (الأعراب) حينما تشتد الحرب بينهم بسبب الثأر والغزو، حيث يكون الفرد (الحاكم) منهم في البادية حامياً لعشيرته وكفى . فلم يعد يحتاج إلى مؤازرة مجتمع ثابت وكبير (كاسكل ١٩٨٨/٧٥) .

ومع ذلك ، ورغم اشتداد وطأة التنافس السياسي بين الحكام على اختلافهم ، من أجل الإبقاء على السلطة والنفوذ ،وفي الوقت الذي انشغل فيه الأحباش بالحفاظ على القدر الممكن من ما تبقى لهم من السلطة والنفوذ ، كان قد نهض من بين الزعماء الأمراء القيل سيف بن ذي يزن ،أحد أقيال حمير العظماء (الهمداني ١٩٨٠/٢٣٩) ليتولى مهمة تحرير البلاد من الأحباش ، ولقد صادف ظهوره وفاة الحاكم أبرهة ، وتولى خلفاً له ابنه يكسوم (CIH541، RY506 ،بيستون ١٩٨٥/٦٥) الذي عرفت سيرته زمن حكم أبيه، حينما تولى حكم قيالة ردمان ،وتلقب بلقب قيل (بافقيه١٩٩٣/٢٠٨)، إلا أن فترة حكمه لم تستمر طويلاً، وتولى من بعده ابنه مسروق، وفي عهده تم طرد الأحباش من اليمن (بافقيه ١٩٩٣/٢٠٨).

سارت محاولات القيل سيف بن ذي يزن جادة في التمهيد والاستعداد لطرد الأحباش عن بلاده ، الأمر الذي تتطلب منه إعداد جيش منظم في عدته وعدده، وتوحيداً للقبائل تحت قيادته . إلا أنه واجه من أجل تنفيذ ذلك صعوبات جمة . فالأوضاع الداخلية في تشرذم مقيت، كذلك بسبب وجود التحالفات المناوئة لليزنيين في المناطق القريبة من صنعاء ، التي تتوسط الهضبة في حقول الرحبة، إذ تتمركز بها مقولات الأقيال الأرحبيين (بافقيه ١٩٩٣/٢٠٩) .

وفي اتجاه تذليل تلك الصعوبات ، لجأ سيف بن ذي يزن ، على مضض ، إلى طلب الاستعانة بالفرس ، كان هذا في حوالي عامي ٥٧٥-٥٧٦م ، فأمر له كسرى فارس بقوة عسكرية، واستعمل عليهم قائداً يقال له وهرز (ابن هشام ١٩٥٥/٦٢). حيث تكلل الموقف بطرد الأحباش ، ودخول الفرس بدلا عنهم ، إذ غدت اليمن بعد هذا التاريخ جزءاً من الامبراطورية الساسانية .

الجدير بالإشارة ، أن القيل سيف بن ذي يزن حاول الاحتفاظ بسلطته ، بعد نجاحه المؤقت في توحيد كثير من الأقاليم تحت حكمه ، للفترة مابين ٥٧٧-٥٨٧م . ولكن لم تكن سلطته قادرة على مواجهة تفاقم النزاعات والحروب الإقليمية ، كما أن لدسائس ما تبقى من نفوذ للأحباش وأعوانهم ، تأثيره سلباً على بقائه في الحكم . وانتهى عهده بمقتله على يد بعض الخدم الأحباش (ابن منبه ١٩٧٠/٩٠) ليتولى الحكم القادة الفرس ، كان أخرهم بأذان (ابن هشام ١٩٨٦/٦٩،القاسم ١٩٦٨/٦٤) الذي تعين مع ظهور الإسلام والياً على اليمن (ابن سعد ١٩٦٠/٥٣٣).

لم يستقر حكم الفرس في اليمن ،كما أن سلطتهم الشكلية لم تتجاوز بعض المرتفعات (بيوتروفسكي ١٩٨٧/٨١)، ويعود هذا إلى إصرار الزعامات القبلية من حكام الأقاليم ،الاحتفاظ بسلطتها المستقلة (بافقيه ١٩٨٥/٦٥). ففي مطلع القرن السابع للميلاد نجح تحالف الأقيال من مذحج وخولان ، وأمراء نجران ، في الحد من انتشار سلطة ونفوذ الحكم الفارسي ،على الرغم من التحالف الذي حصل بين الحكام الفرس (الأبناء) أو(الأبناويون) (السمعاني ١٩٨٨/٧٦) ،وبين همدان ، القبيلة التي كان لزعمائها تمثيل قبلي عظيم في البلاد (بيوتروفسكي١٩٨٧/٣٣٠).

ظل (الأبناء أحفاد الغزاة الفرس قلة حاكمة، في مقابل حكم الكثرة من الأقيال والأذواء ، لهذا انحسرت سلطة الإدارة الفارسية على مناطق منفردة (جواد ١٩٨٠/١٧٦)، وحتى هذه الإدارة لم تكن ناجحة في الاحتفاظ بسلطتها الفعلية ، بالمستوى الذي يمكنها من إدارة المناطق الخاضعة . لذلك لم تستمر طويلاً في ظل الإدارة الإسلامية، بعد أن اتضح لحكومة المدينة أولوية أهل اليمن ، في الحكم والإدارة .فالرسول الكريم ﷺ أرسل ، ومنذ وقت مبكر ، مبعوثيه إلى العشائر الحميرية ،لأنها من الأسر الأكثر نفوذاً بين المتنافسين على السلطة ، فأسلم منهم ومن غيرهم كثيرون (ابن هشام ١٩٣٦/٦٣-٦٥) . ولم يرد ذكر لاتصال مبكر أو مكانة حظي بها الفرس من قبل النبي ﷺ ، بينما حظي بذلك الأقيال والأذواء ، فقد حصل منهم من تولى أمر أقاليمه بنفسه ، في إطار المشورة الرشيدة لحكومة المدينة .

نخلص مما سبق توضيحه، إلى أن نظام الحكم كان قد استند إلى دواعي وأهداف العلاقات المهيمنة السائدة بالمجتمع، فإن كانت هذه العلاقات سياسية أو اقتصادية منبعها الإقليم بزعامة أحد الآسر الحاكمة ،أو بزعامة الأسر المتحالفة القوية، فإن استقرارها واستمرارها قد ارتبط بتطورها ،في إطار ما عرف بـ(الاتحادات) التي تجسد في الغالب وحدة الأقاليم . كونها ترمي في حقيقتها -أي هذه العلاقات – إلى تحقيق اكبر سعة من النفوذ الفعلي . وربما تنجر تلك العلاقات بتأثير فعل التطور في خصائصها نحو مرحلة متقدمة يمثلها نظام للحكم جديد موحد وشامل ، يطرأ كنتاج طبيعي للعلاقات المثلى من بين التحالفات أو الاتحادات القبلية المسموعة الكبيرة .

أما إذا لم يسفر هذا التطور في خصائص تلك العلاقات المتميزة عن قيام الحكم المركزي الموحد، فإنها تؤثر بشكل مباشر على مسار العلاقات الإقليمية المحلية .لأنه من الصعوبة بمكان ،أن ينأى الإقليم بحكمه المحدود عن ما يعتمل من أحداث في الأقاليم المجاورة ، كما أن التطور في خصائص العلاقات السياسية المهيمنة، يفرض الحاجة الملحة للإبقاء على الاتحادات القبلية بين المستقرات المتعددة سارية وإن تباعدت . الأمر الذي يجعل من مبدأ الوفاق والاتفاق من أجل إدارة السلطة والمصالح أمرا ملحاً لا فكاك منه .بل وفي أحيان كثيرة تعد هذه الضرورة، الاستراتيجية المنشودة للأسر أو السلالات الزعيمة الحاكمة المتنافسة ، بعد أن يكون قد تيقن لها بأن في وحدة التحالفات الإقليمية بالتحالف الأقوى (السلطة العليا النافذة) تعزيزاً لانتصار عظيم حققته وباتت نتائجه مرتقبة .أو يكون هذا إيذاناً بمولد لقب ملكي إضافي جديد، يتصف به أحد حكامها المتفوقين عسكرياً، والمتوقع تولية زمام السلطة الأعلى في المملكة المرجوة تأسيسها بعد حين .

لقد تبين أن أساس النظام الحاكم بشقيه الإقليمية (المحلي) والمملكة (المركزي) كان في القدر المتاح من العلاقات المتفوقة بين الحكام التي تقوى وتتحد من أجل المشاركة في الحكم، وتتـفق من اجل المصالح الأساسية، وهذا لا يخلو من تنافس مستمر وهدنة وحروب .في حين أن احتفاظها بصفات وألقاب الزعامة الفعلية في نطاق النظام الحاكم القائم في الإقليم أو المملكة، لا يبدو مستمراً أو معترفاً به، ما لم يكن قد استمد عافيته من تأييد ومؤازرة جماعات السلطة والنفوذ داخل القبائل الزعيمة المنافسة الأخرى .هذه القبائل التي تتمتع بثـقل قبلي ونفوذ معلوم، تنقاد طيعة هي الأخرى، بحسب ما تمليه عليها مصالحها المتغيرة، وأهمها تطلعاتها إلى الزعامة والحكم. إلا أنها تحرص بشده على الاحتفاظ بمنافع اتحاداتها القديمة والجديدة، بالقدر الذي يضمن لها في أحلك الظروف التحاقها بالركب الحاكم الكبير الموحد .وإن ظل بعضها يترقب بحنين جارف عودة وضعها السابق المندثر .

إن من الحقائق الساطعة التي نلمسها بين جنبات الأحداث عند تتبع تاريخ حكم حكام اليمن قبل ظهور الإسلام، ما تتصف به بعض المحاولات الوطنية من سمو، عندما سادت حكمها المركزي ربوع اليمن، حيث شهدت لها المواقع انتصاراتها المتوالية الساحقة الباهرة ، قبل أن ترتفع أكثر سموا من خلال ألقابها الملكية التمجيدية المعبرة عن سمو عظمة وأبهة وحدة سلطانها المترامي في البلاد حتى الطود والتهائم.

المصادر والمراجع (با للغة العربية) * :

المصادر:

١. ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ): جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط . مصر ١٩٦٢م.
٢. أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، جزء ٢ ، مطبعة التقدم القاهرة ١٣٢٩هـ .
٣. أبن دريد ، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) : الاشتقاق ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٨هـ .
٤. أبن سعد ، ابو عبد الله محمد (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى ، ط . بيروت ١٩٦٠م.
٥. أبن منبه ، وهب اليماني (ت ١١٤هـ): كتاب التيجان في ملوك حمير ، ط . الثانية ، مركز الدراسات والأبحاث اليمني صنعاء ١٩٧٠م .
٦. أبن هشام ، أبو محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ): السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا ، الابياري ، شلبي ، ط . الحلبي ١٩٣٥م ، وط . ١٩٣٦م . وتحقيق : همام سعيد ومحمد عبد الملك ، ط. الزرقاء ٨٦/ ١٩٨٨م .
٧. الحميري ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ): ملوك حمير واقيال اليمن ، قصيدة نشوان وشرحها المسماة (خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التبابعة) حققها وعلق عليها : اسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن أسماعيل المؤيد ، ط. دار الكلمة ، صنعاء ١٩٧٨م.

٨. السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن منصور (ت ٥٦٢هـ): الأنساب ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط . الأولى ، دار الجنان ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٩. الطبري ، أبو محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابرهيم ، ط. الرابعه ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧م .
١٠. الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ) الاكليل ، جزء ١٠، تحقيق : محي الدين الخطيب ، الدار اليمنية للتوزيع والنشر ، ط. الأولى ، ١٩٨٧م ، و ط. المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٦٨هـ.
– صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، دار اليمامة ، الرياض ١٩٧٤م.

المراجـــع :

* متبعين الحروف الهيجائية في ترتيبها

١. أبو الصوف ، بهنام : اطلاله على تاريخ اليمن وحضارته ، افاق عربية ، العدد السادس ، حزيران السنة ١٧ ، ١٩٩٢م .
٢. اشبنغلر ، اسوالد : تدهور الحضارة الغربية ، الجزء الثاني ، ترجمة : أحمد الشيباني ، بيروت (لا . ت).
٣. الارياني ، مطهر علي :
– في تاريخ اليمن ، شرح وتعليق على نقوش لم تنشر (٢٤ نقشاً) ، من مجموعة القاضي علي عبد الله الكهالي ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٧٧م.
– ارياني ، النقش ارياني ، مجموعة النقوش التي شرحها وعلق عليها ونشرها مطهر علي الارياني ، والموسومة ب (نقوش مسنديه)
٤. الارياني ، مطهر علي . عبد الله ، يوسف محمد :
التقويم الحميري ، الموسوعة اليمنية ، ط. الأولى ، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢م.
٥. الجرو ، اسمهان سعيد :
– موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبة الجزيرة العربية (اليمن القديم) ، ط . ، اربد الأردن ١٩٩٦م .
– النهضة الزراعية في اليمن القديم ، سبأ ، العدد ٧ ، قسم التاريخ – كلية الاداب – جامعة عدن ١٩٩٨م.
٦. الحيدر ابادي ، محمد حميد الله :
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط.الثـانية،القـــاهرة ١٩٥٦م.
٧. الشيبة ، عبد الله حسن :
اسهام عرب الجنوب في قيام وتطور اكسوم ، من دراسات وابحاث الندوة العلمية " اليمن عبر التاريخ " ، جامعة عدن ، عدن ، سبتمبر ١٩٨٩م.
٨. العسلي ، خالد :
الاعراب في النقوش العربية الجنوبية ، العرب ، العدد ٥ ،السنة الخامسة – الرياض كـــانون الثاني ١٩٧١م.
٩ . العلي ، صالح أحمد :
دراســات فــي الأداره في العهود الاسلامية الأولى ، مطبعة المجمع العلمي العــراقي ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
١٠. بافقية ، محمد عبد القادر :
– تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٣م.
– موجز تاريخ اليمن قبل الأسلام ، من كتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) ، تونس ١٩٨٥م.
– مملكة مأذن ، شواهد وفرضيات ، دراسات يمنية ، العدد ٣٤، صنعاء ، اكتوبر ، نوفمبر ١٩٨٨م.
– في العربية السعيدة – الجزء الثاني ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ١٩٩٣م.
– كـــرب إل وتـــر الاول والدولـــة الاولـــى في بلاد العرب (فرضيات عمل جديدة) ،ريدان ، حولية الأثار والنقوش اليمنية القديمة ، العدد السادس ١٩٩٤م.
١١. بافقية ، محمد عبد القادر . باطايع ، أحمد بن أحمد:
نقشان جديدان من الحد، ريدان، حولية الاثار والنقوش اليمنية القديمة العدد السادس ١٩٩٤م.
١٢. بافقية ، محمد عبد القادر. روبان ، كريستيان جوليان :
اهمية نقوش المعسال ، ريدان ، حولية الاثار والنقوش اليمنية القديمة ، العدد الثالث بيروت ١٩٨٠م.
١٣. باوير ، غ . م :
تاريخ اليمن القديم "جنوب الجزيرة العربية في أقــدم العصور" ترجمة : اسامـــة محمد –ط. الاولى – دار الهمداني للطباعة ، عدن ١٩٨٤م.
١٤. بريتون ، جان فرانسو :

شبوة ،والحواضر اليمنية القديمة "من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلادي" من كتاب " شبوة عاصمة حضرموت القديمة " نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية .- ط. الأولى ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ،صنعاء ١٩٩٦م.

١٥. بن بريك ، أحمد بن محمد :
العلاقات التاريخية بين شمال اليمن وجنوبه ١٩٧٢-١٩٧٨م ، اطروح دكتوراه، (بالانجليزية) ، بلغاريا ١٩٩١م (غير منشورة)

١٦. بن عنان ، زيد بن علي :
تاريخ حضارة اليمن القديم ، ط. الأولى ، مطبعة السلفي ،القاهرة ١٣٩٦هـ .

١٧. بيستون ، الفريد ، جاك ريكمانز ، محمود الغول ، والترمولر :
المعجم السبئي ، دار النشريات بيترز ، لوفان الجديدة ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٢م (بالانجليزية والفرنسية والعربية) .

١٨. بيستون ، الفريد ، محمد بافقية ، كرستيان روبان ، محمود الغول :
مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٨٥م .

١٩. بيوتروفسكي ، ميخائيل :
اليمن قبل الاسلام والقرون الاولى للهجرة " القرن الرابع حتى العاشر الميلادي"
ترجمة : محمد الشعيبي ، ط. الاولى ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٧م

٢٠. جواد علي :
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء ٣ ، بيروت ١٩٦٩م . والجزء ٤ ، بيروت ١٩٨٠م.
- اصول الحكم عند العرب الجنوبيين ، المجلد ٣١ ، الجزء الثاني ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، نيسان ١٩٨٠م .

٢١. روبان ، كريستيان :
تقرير البعثة الاثرية الفرنسية ١٩٧٨- ١٩٨٢م اليمن الجديد ، العدد ١١ ، السنة ١٢- نوفمبر ١٩٨٢م.

٢٢. شرف الدين ، أحمد حسين:
تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن ، ط. الثانية ، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٣. عبد الله ، يوسف محمد:
- مدينة السواء في" كتاب الطواف حول البحر الاريتري " دراسات يمنية ، العدد ٣٤ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ١٩٨٨م .
- ابرهه ، الموسوعة اليمنية، ط.الاولى ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٢م .

٢٤. القاسم يحي بن الحسين :
غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٨م.

٢٥ كاسكل، ف :
دور البدو السياسي في التاريخ العربي ، الخليج العربي العدد المجلد العشرون – السنة ١٦ . تعريب وتعليق : منذر البكر ، مركز دراسات الخليج ، جامعة البصرة ١٩٨٨م.

٢٦ .لوندين ، أ . ج. :
العربية الجنوبية في القرن السادس الميلادي ، لينجراد ١٩٦١م.

٢٧. نامي ، خليل يحي :
نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ، القاهرة ١٩٤٣م.

٢٨. ينبق :
النقوش التي جمعها ونشرها بالشرح والتعليق محمد عبد القادر بافقية وكرستيان روبان . حولية ريدان " حولية الاثار والنقوش اليمنية القديمة ، العدد ٢ ، ١٩٧٩م.

المصادر والمراجع الاجنبية :

1. Bafagih , M . ,

New light on the Yazanite Dynasty , in (PSAS) , Vol. 9., 1970.

- Le Yemen a la period des vois da saba et du – Raydan , Thesis de doctorat d,etat, le Sorbonne , Paris 1983 .

2. Beaston , A .FL. ,

Kingship in Ancient South Arabia " Journal of economic and social History of the Orient. Vol. 15, 1972 .

3. Breissler , H. ,

Abhangigkeitsverhaltnisse in sudarabien in mittels Arabischer Zeit (1 .Jh . v .u . z,-4 Jh. u . z.), promotion B, leipzig 1981.

4. CIH :

Corpus inscriptionum Semiticarum. Pars Quarta Inscriptiones himyariticas et sabaeas continens .

5. Grunebaum , G . F,

The nature of Arab unity Before Islam . Arabica, Leiden, Vol.10, x 1963.

6. JAM : Jamme A.

" sabaean Inscripitions from Mahram B ilgis "

1962. Jam 949 , " The Uqlah Texts " ,Washington 1963 .

7. Nilson , D.:

Handbuch der Alt–arabischen Altertumskunde, bd. 1., Kopenhagen , 1927 .

8. Pliny , P.,

" The Natural History " , with an English transletion by H. Raclkam (The loeb classical library) , Cambridge, London 1943.

9. RES :

Reperoire d, Epigrophie Semitigue.

10. Rhodokanakis , N.,

Der Grundsatz der offentlischkeit in Sudarabischen Urkunden, Kopenhagen , 1945.

11. RY: 506, Ryckmans, G,

Inscriptions Sud - arabes , Le Museon, Louvain , Vol. 66,1953.

12. Sabaeam :

Sabaeam inscriptions from Mehram Biligs (Marib) , Beltimore , 1962 (Publication of the American Foundation for the study of M‹an. Vol.III)

13. Van Beek, W.,

South Arabian History and Archaeology, London 1961.

14. Wissmann, H., Hofner, M.,

Beitrage zur historischen Geographic des vorislamischen sudarabien, Wisbaden 1953.

- Ancient History of Himyar, " dans le Museon, 77 , 3 –4 " , Louvain 1964 .

الوحدة اللغوية في اليمن القديم

د/ فاروق إسماعيل
جامعة تعز – كلية الآداب

يشكل تاريخ اليمن القديم بجوانبه السياسية والحضارية جزءاً مستقلاً متميزاً من تاريخ المشرق القديم ، وينعكس ذلك التميز في جوانب عدة؛ كما في طبيعة النظام السياسي والإداري والبناء الاجتماعي والطابع الاقتصادي والمعتقدات الدينية والأساليب الفنية والتميز اللغوي. وبالمقابل نجد فيه اتفاقاً ووحدة في المظاهر الحضارية المذكورة، على الرغم من تعدد الكيانات السياسية التي نشأت على أرض اليمن.

وتعد اللغة مظهراً مهماً في تحديد الطابع الحضاري، لأنها وسيلة التعبير المباشرة عن أحوال الإنسان ومكنوناته ورؤاه، كما إنها تعكس درجة الرقي الحضاري للناطقين بها. واللغة هي أداة تواصل تُحلل من خلالها التجربة البشرية إلى وحدات تملك مضموناً دلالياً وتعبيراً صوتياً. وتتجلى فيها طبيعة التصورات الفكرية والعلاقات الإنسانية ضمن الإطار الاجتماعي العام، ولذلك يرى مارتينيه أنه "ينبغي اعتبار اللغة انعكاساً للفكر؛ لفكر يتحدد – كما نتصور – بالبنى الاجتماعية، ولا يأتمر بقوانين المنطق."

تتمثل لغة اليمن القديم في آلاف النقوش الكتابية المدونة بحروف المسند التي عثر عليها في مراكز الحضارات اليمنية القديمة الرئيسية الموزعة في أصقاع اليمن المختلفة. وهي تشكل المادة الأساسية للحكم على الوضع اللغوي الذي كان سائداً في اليمن خلال العصور القديمة، أو الفترة الواقعة بين القرن الثامن ق.م والقرن السادس الميلادي.

تتفاوت النقوش اليمنية من حيث حجمها، ويغلب على معظمها طابع الإيجاز. وقد دونت على حجارة وصخور كانت تشكل جدراناً للمعابد والمباني، أو قواعد للتماثيل، أو أنصاباً، كما نقشت على مصنوعات نفيسة أو قطع خشبية. وتنوعت فشملت وصف أعمال البناء المختلفة بهدف تخليد ذكرى إنجازها والإشادة بمن ساهموا في إنجازها، كما تعرضت لتصوير مظاهر الحياة الدينية وشعائرها، وطبيعة الحياة الاجتماعية العامة وأساليب تنظيمها على أساس قانوني أو عرفي، ووصفت أيضاً مآثر الحكام وسجلت أعمالهم الحربية بشكل مفصل. وهي – بشكل عام – نقوش مصاغة بأسلوب تعبيري محدد متماثل، وبتعبيرات مكررة.....

يميّز الباحثون فيها – اعتماداً على المعطيات اللغوية والجغرافية – أربع لهجات رئيسة، هي السبئية والقتبانية والحضرمية والمعينية. أما مملكة أوسان فلم يعثر على نقوش خاصة بها، بينما تبنى الحميريون اللهجة السبئية وكتبوا بها.

ويقترح بيستون إطلاق تسمية "اللغات الصيهدية" عليها مجتمعة، وذلك نسبة إلى الاسم "صيهد" الذي يرد لدى الجغرافيين العرب القدامى للدلالة على منطقة جنوب غربي الجزيرة العربية الممتدة بين حدود الصحراء الرملية (رملة السبعتين) والأطراف الداخلية من المرتفعات الغربية في اليمن، نظراً لأن معظم النقوش اليمنية القديمة وجدت هناك.

١- السبئية: هي لهجة مملكتي سبأ وحمير. فاقت اللهجات الأخرى من حيث انتشارها، وطول زمن استخدامها. وتفوقها من حيث عدد نقوشها المعروفة التي عثر عليها في العاصمة مارب، وفي مواقع أخرى متفرقة، وهي تغطي معظم الفترة التاريخية التي ذكرناها.

شهدت السبئية، نظراً لطول مدة استخدامها، تطورات لغوية متنوعة، ولذلك يقسمها الباحثون إلى ثلاث مراحل، هي:

- المرحلة القديمة (المبكرة)، تمتد من البدايات حتى حوالي الميلاد.
- المرحلة الوسطى، تمتد من الميلاد حتى أوائل القرن الرابع م، وإليها تعود أكثر النقوش.
- المرحلة الحديثة (المتأخرة)، تمتد من أوائل القرن الرابع حتى النصف الثاني من القرن السادس م.

وتعد السبئية اللهجة الأساسية في اللغة اليمنية القديمة، وقد أضحت قواعدها النحوية واضحة ومؤكدة، ولذلك يتم الاعتماد عليها في دراسة اللغة، مع الإشارة إلى المختلف في اللهجات الأخرى. وقد تأثرت في المرحلتين الوسطى والحديثة باللغة الحميرية الأم.

٢- القتبانية: هي لهجة مملكة قتبان. تعود نقوشها المعروفة إلى الفترة الواقعة بين القرن الخامس ق.م والثاني الميلادي، وقد عثر عليها في العاصمة تمنع وفي مواقع وادي بيحان ووادي حَرِيْب وجنوبيهما. ويلاحظ فيها أنها تتضمن مظاهر لغوية موغلة في القدم.

٣- الحضرمية: هي لهجة مملكة حضرموت. وشواهدها الكتابية قليلة، وقد كشف عن معظمها في العاصمة شبوة ومناطقها، وفي وادي حضرموت، وعلى الساحل حتى شرق مدينة صلالة العُمانية (موقع خور روري، سمهر قديماً). وهي تعود إلى الفترة الواقعة بين القرن الرابع ق.م ونهاية الثالث الميلادي.

٤- المعينية: هي لهجة مملكة معين. كشف عن معظم شواهدها الكتابية في العاصمة قرناو وفي بعض المواقع القريبة منها في وادي الجوف، مثل: يثل، كمنا أو كمنهو، نشان، نشق. كما وجدت نقوش معينية في مواقع خارج اليمن؛ أهمها مستوطنة ددن (العلا) التجارية التي أقامها المعينيون في شمالي يثرب (المدينة المنورة)، وفي موقع سقارة جنوبي القاهرة، وفي جزيرة ديلوس اليونانية. وتعود النقوش المعينية إلى الفترة الواقعة بين القرن الرابع ق.م والأول الميلادي.

وكانت هناك – إلى جانب اللهجات الأربع – لهجات محلية غير رسمية مستخدمة في مناطق صغيرة المساحة، أبرزها:

- الهرمية نسبة إلى مدينة هرم شرقي وادي الجوف (خربة آل علي، قرب الحزم)، وهي لهجة قريبة من السبئية، وتتضمن بعض الظواهر اللغوية المماثلة للهجات بعض القبائل العربية الشمالية.
- الردمانية التي كان يتحدث بها الردمانيون القاطنون في المنطقة الواقعة بين رداع والبيضاء، وتبدو متأثرة بالقتبانية.
- لهجة النقوش الخشبية التي عثر عليها في وادي الجوف. وهي مدونة على قطع خشبية من عُسُب النخيل وشجر السدر (العلب) وغيرها، بخط متصل الحروف مشتق من المسند، اصطلح على تسميته بالخط الشعبي أو اليدوي أو الزبور – استناداً إلى مصطلح الزُبُر الحميرية لدى الهمداني –. وهي تتميز عن غيرها باحتوائها على صيغ ضمائر المتكلم والمخاطب، وأفعال الأمر، وعلى ألفاظ خاصة تتصل بالحياة الشعبية اليومية. ولم تنته دراسة هذه النقوش كلها بعد.
- لهجة النصين الأدبيين الوحيدين بين النقوش اليمنية، وهما نص أنشودة المطر أو الاستسقاء، ونص ترنيمة الشمس. وينفردان عن نقوش اللهجات الأربع (الرسمية) بظواهر معجمية ونحوية خاصة. ولابد من شواهد أخرى مماثلة لهما حتى تتضح صورتهما تماماً.

هاجرت قبائل يمنية كثيرة بعد انهيار سد مارب انهياراً تاماً في نحو ٥٦٥م إلى شمالي الجزيرة العربية، وتفرقت في أرجائها، وذلك بسبب الظروف الاقتصادية السيئة التي برزت خلال الاحتلال الحبشي لليمن. واختلطت هناك بالقبائل العربية الشمالية، وبدأت تستخدم لغتها. وعندما ظهر الإسلام في مطلع القرن التالي دخل فيه أهل اليمن (٦٢٨م)، وشاعت العربية الشمالية في ديارهم، وتحولوا إليها، وصارت اللغة الكتابية لديهم بدلاً من لغتهم القديمة.

لم يُعْنَ النحويون واللغويون العرب، الذين انصرفوا خلال عصر الاحتجاج (القرنين الأول والثاني الهجريين) إلى جمع لهجات القبائل العربية وتسجيلها، باللهجات اليمنية؛ وذلك انطلاقاً من الشعور الذي عبّر عنه أبو عمرو بن العلاء في قوله: "مالسانُ حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا". ولكن بعض المساند الحميرية – كما سميت في المصادر العربية – وردت بشكل متناثر في مصنفاتهم، ولقيت اهتماماً خاصاً من علماء اليمن، ولا سيما الهمداني (القرن الرابع للهجرة) الذي خصص الجزء التاسع من كتابه "الإكليل" للحديث عن لغة حمير – وهو للأسف جزء مفقود –، كما أورد مادة لغوية يمنية قديمة مفيدة في الأجزاء الأخرى، وفي كتابه "صفة جزيرة العرب". وتبعه في ذلك نشوان بن سعيد الحميري (القرن السادس للهجرة) في كتابه "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم".

وتوجد في الوقت الحاضر لهجات يمنية محكية في أطر جغرافية محدودة، تقع بشكل خاص في جنوب شرق اليمن، تتضمن مظاهر لغوية متميزة لا نجدها في النقوش. ويعتقد أنها حصيلة تطور لهجات يمنية قديمة لم تدون في نقوش؛ إذ أنه ليس هناك ما يؤكد أن اليمنية القديمة المدونة تمثل كل اللهجات التي كان اليمنيون القدماء يتحدثون بها. ومن أبرز اللهجات المعاصرة – التي ربما تكون هي المقصودة في إشارة أبي عمرو بن العلاء إلى لسان "أقاصي اليمن" –، نذكر:

- المَهْرية التي يتحدث بها بضعة آلاف من سكان محافظة المهرة (الغيضة) في أقصى الجنوب الشرقي من اليمن. وتمتد حدود استخدامها غرباً حتى الجانب الشرقي من وادي المسيلة، وشرقاً ضمن الأراضي العُمانية.
- لهجات منطقة ظفار الحدودية والموزعة بين عُمان واليمن. وهي: الهوبيوتية، الجبالية (الشخاوري)، الحرسوسية، البطحرية. وتبدو الأولى منها ذات صلة وثيقة بالمهرية؛ إذ يفهم المتحدثون بها المهرية جزئياً.

- السُقطرية التي تشمل عدة لهجات شائعة في جزر سقطرى، عبد الكوري، سمحة. وهي – بشكل عام – لهجات تتطور وتتبدل بسرعة تحت تأثير العربية، وهي مهددة بالانقراض بدرجات متفاوتة.

ومن ناحية ثانية؛ هناك ألفاظ وأبنية صرفية ونحوية قديمة ما تزال حية دارجة على الألسن في أماكن متفرقة من اليمن. وهي تشكل ثروة مهمة ومفيدة في فهم اللغة اليمنية القديمة ودراستها.

إن اللهجات الأربع الرئيسة التي ارتبطت تسمياتها بأسماء الممالك اليمنية هي تنوعات لهجية إقليمية للغة واحدة كانت سائدة في إطار جغرافي واسع يضم كيانات سياسية متعددة، ولذلك اختلفت في عدد من المظاهر، وتمايزت بعضها عن بعض بفعل افتقاد التواصل بين الناطقين بها.

أما اللهجات المحلية الأخرى فقد كانت جزراً لهجية محدودة الانتشار ، ويعود تمايزها إلى خصوصيات في الأنماط المعيشية ، أو الأغراض التي خصت بها ، كما في تدوين الأدب ، أو في طبيعة الأوضاع الاجتماعية التي ارتبطت بها ، كما في النقوش الخشبية .

وتتمثل الفروق الأساسية بين اللهجات المختلفة في عدد من المظاهر الصوتية والصرفية والنحوية التي استقلت بها كل لهجة عن الأخرى، إضافة إلى التباين في الدلالات المعجمية للمفردات. ولا شك في أن طول المدى الزمني لاستخدامها أسهم في ازدياد التباين بينها وتعميقه.

إن هذا الوضع اللغوي يتناسب مع طبيعة العلاقة بين اللغة واللهجات المتفرعة عنها، فقد كان علماء العربية القدماء لا يميزون بين اللغة واللهجة تمييزاً دقيقاً حاداً، وخلطوا بينهما من حيث الاصطلاح، ولذلك قالوا: لغة تميم ولغة طيء ولغة هذيل ...، وما كانوا يريدون بذلك سوى ما يفيد مصطلح "لهجة".

ويتضح من دراسات علم اللغة أن نمو اللهجة واستمراريتها وتباعدها عن اللغة الأم يتوقف على درجة قوة اللغة وتأثيرها في الأفراد؛ وذلك ضمن معادلة عكسية. فقد اندمجت اللهجات العربية القديمة – ومن بينها اليمنية القديمة – بسرعة في كيان اللغة العربية الفصحى بعد انتشار الإسلام وسيادته ورسوخ لغة القرآن الكريم في الأذهان والتفكير، بينما نجد بالمقابل أن اللاتينية لم تصمد إزاء اللهجات المتفرعة عنها، فاقتصر استخدامها على الشؤون الدينية، وارتقت لهجاتها كالإيطالية والفرنسية والأسبانية إلى لغات مستقلة.

كما إن عامل القوة والسيادة يؤدي دوراً مهماً في هذا الصراع العفوي بين اللغة واللهجة وبين اللهجات أنفسها، ويعود ذلك إلى أغلبية اللهجة السبئية على اللهجات الأخرى لعلو شأن المملكة السبئية عبر مراحل التاريخ اليمني القديم حتى سقوطها على يد الحميريين الريدانيين في أواخر القرن الثالث الميلادي، بل إنها قاربت – بعد ذلك – درجة اللغة الواحدة السائدة عندما تبناها الحميريون في مملكتهم التي توحدت اليمن في كنفها خلال القرون الثلاثة السابقة للإسلام، ويرتبط بهذا التحول تسمية علماء العربية الأوائل لها بلغة حمير أو لسانها.

ويمكن أن نذكر – على سبيل المثال – عدداً من لغات المشرق القديم التي تعرضت لتطورات مشابهة، فاللغة الأكدية القديمة (الأم) تمايزت إلى لهجتين، هما الآشورية في شمال العراق والبابلية في وسطها وجنوبها. وارتبطت كل منها بقوى سياسية وممالك، ومع طول المدى الزمني لاستخدامها وتوسع مناطق النفوذ السياسي انقسمت إلى لهجات أخرى أدق بدت وكأنها قائمة بذاتها كآشورية المستوطنات التجارية التي أقاموها في بلاد الأناضول، وبابلية مملكة ماري في الجزء السوري من وادي الفرات وغيرهما، كما إن اللغة الآرامية انقسمت إلى نحو عشر لهجات موزعة في مناطق متفرقة، وعندما ارتبطت اللهجة السريانية منها بالديانة المسيحية سادت وطغت على اللهجات الأخرى، وصمدت وحدها حتى أيامنا هذه.

إن اللهجات اليمنية القديمة – كما هي الحديثة – لم تكن بعيدة عن بعضها كثيراً، بل اختلفت في جوانب محدودة ومحددة، نذكر من أهمها ما يأتي:

<u>في الجانب الصوتي:</u>

تتميز اللهجة الحضرمية بخصوصية لفظ بعض الأصوات وإبدالها، والتعبير عنها بشكل مختلف كتابياً، منها:

إبدال السين (الثانية) ثاء، ولاسيما لدى كتابة الأسماء الأجنبية وكتابة اسم العدد (ثلاثة)، نحو:

د ل ث "جزيرة ديلوس"، ش ل سَ ت "ثلاثة".

تخفيف الزاي وإبدالها ذالاً في بعض أسماء الأعلام، نحو:

إ ل ع ز ← إ ل ع ذ، ي ز أ ن ← ي ذ أ ن.

إبدال العين ألفاً، نحو: ع د ← أ د "حتى".

- وفي المعينية تبدل الألف هاء لدى كتابة اسم الموصول "الذين": أ ل ← هـ ل.

وقد ترد الهاء صوتاً إضافياً في الكلمة، كما في: ب ن ← ب هـ ن "ابن"، ث م ن ← ث هـ م ن "ثمان".

<u>في الجانب النحوي:</u>

- تنفرد السبئية عن سائر اللهجات في صياغة المصدر المنتهي بنون تلحق بآخر صيغة الفعل الماضي منه، نحو: ث و ب، ث و ب ن "أصلح، إصلاح". خ م ر، خ م ر ن "وَهَبَ، وَهْب"

والراجح أن هذه النون تماثل النون التي ترد في صيغ مصدرية في العربية أيضاً، مثل: غفر غفران، عمر عمران، طاف طوفان.

- تتنوع في اللهجات صيغ بناء الاسم المعرف بأداة التعريف أو بالإضافة، أو الاسم النكرة.

وذلك حسب حالة الاسم العددية (مفرد، مثنى، جمع مذكر، جمع مؤنث، جمع تكسير). ويلاحظ فيها كثرة الصيغ الثانوية إلى حد كبير، ويتضح ذلك في الجدول التالي:

المعرف بأداة التعريف:

	المفرد، الجمع المؤنث السالم، جمع التكسير	المثنى	الجمع المذكر السالم
السبئية	ـ ن	ـ ن هـ ن وكذلك: ي ن هـ ن، ي ن ي هـ ن، ي ن هـ ي ن، ي ن ي هـ ي ن	ـ ن هـ ن (في شاهد واحد)
المعينية	ـ ن وكذلك: هـ ت ن (للجمع المؤنث)	ـ ن هـ ن وكذلك: ن ي هـ ن	
القتبانية	ـ ن	ـ ن هـ ن وكذلك: ن ي هـ ن	
الحضرمية	ـ هـ ن	ـ ي هـ ن وكذلك: ي ن	

المعرّف بالإضافة:

	المفرد، الجمع المؤنث السالم، جمع التكسير	المثنى	الجمع المذكر السالم
السبئية	ـ	ـ ي	ـ ي
المعينية	ـ هـ	ـ ي، ـ هـ ي	ـ هـ، ـ هـ ي
القتبانية	ـ هـ	ـ ي، ـ هـ ي، ـ و، ـ ي و	ـ هـ
الحضرمية		ـ ي، ـ هـ ي	ـ هـ ي

علامات تنكير الاسم:

	المفرد، الجمع المؤنث السالم، جمع التكسير	المثنى	الجمع المذكر السالم
السبئية	ـ م	ـ ن	ـ ن
المعينية	ـ م، ـ هـ م	ـ ن	ـ ن
القتبانية	ـ م	ـ ن	
الحضرمية	ـ م، ـ هـ م	ـ ن	

- تتنوع أيضاً صيغ مجموعة من أسماء الأعداد الأساسية في حالتي التذكير والتأنيث، وذلك على النحو الآتي:

	في المذكر	في المؤنث
(١)	أ ح د، ع س ت (معينية)، ط د (قتبانية)	أ ح ت، ط ت
(٢)	ث ن ي، ث ن و (قتبانية)	ث ت ي، ث ن ت ت (ردمانية)
(٣)	ش ل ث، ث ل ث	ش ل ث ت، ث ل ث ت، ش ل سَ ت (حضرمية)
(٦)	س د ث، س ث، س ت (حضرمية)	س د ث ت، س ث ت
(٨)	ث م ن ي، ث م ن، ث م ن و (ردمانية)، ث هـ م ن ي (معينية).	ث م ن ي ت، ث م ن ت، ث م ت، ث م ن و ت (ردمانية، حضرمية).

ونجـد بينها اختلافات أقل في صيغ الأعداد المركبة والعقدية والترتيبية، ولكنها تتفق في الأشكال الستة التي رمزوا بها للأرقام، ودونوا أي رقم كان.

- تتميز اللهجات غير السبئية عن السبئية بتحول الهاء في صيغ الضمائر المنفصلة إلى سين، نحو:
هـ أ : س أ "هو، هي"، هـ م : س م "هم". والصيغة السبئية الهائية هي التي تتفق مع مثيلاتها في معظم اللغات السامية، ولكنها تكون في الأكدية بالشين.
أمـا الضـمائر المتصـلة فاللافـت للانتـباه فيها صيغة ضمير الرفع المتصل الدال على الفاعل (المخاطب والمخاطـبة) التـي تكـون بالكاف (مقابل التاء في العربية). وهي صيغة مازالت شائعة في اللغة المحكية المعاصـرة فـي مـناطق متفرقة من اليمن؛ ولا سيما الواقعة بين تعز وإب. وتتنوع صيغ ضمائر النصب والجر، ونجد فيها تحول الصيغة السبئية الهائية إلى سين في اللهجات الأخرى.
- ثمة اختلافات بين اللهجات في صيغ بعض ضمائر الإشارة، ولاسيما بين السبئية والقتبانية، وكذلك في صيغ الضمائر الموصولة.
- يلاحـظ فـي الصيغ الفعلية اضطراب الصيغ الواردة في الشواهد، ونجد فيها عدم اتصال ياء التثنية وواو الجماعـة بـالفعل الماضي في المعينية، وعدم وجود فارق كتابي – بسبب اعتماد تدوين الحروف الصامتة وحدها – بين صيغ عدة مختلفة في الماضي والمضارع، وغياب المضارع المنوّن في القتبانية والحضرمية، وتميز القتبانية والمعينية بمجيء باء زائدة قبل المضارع غير المنون، نحو: ب ي م ت ع "يحمي"، ب ي ك ب ر "يكـبر"، وهـي ظاهرة لغوية مازالت شائعة بدرجة كبيرة في لهجات عربية معاصرة، كقولهم "بيكتب، بترسم...".
ولعـل أبرز سمة للتمييز بين السبئية واللهجات الأخرى هي ورود علامة تعدية الفعل أو وزن المزيد فيها مبدوءة بالهاء (هفعل)، بينما تكون في غير السبئية (سفعل).
- في باب الأدوات أو الحروف نجد عدداً من الصيغ اللهجية الخاصة، كحرف الجر م ن "من، عن" في الهرمية مقـابل ب ن في غيرها، والحرف هـ ن "من" في الحضرمية مقابل ل ن في غيرها، والحرف أ د "حتى" في الحضرمية مقابل ع ل، ع ل ي... في غيرها.
وتـتفرد الهرمية بأداة النفي ل م "لم"، والمعينية بالأداتين ل أ، ل هـ م للنفي. وتبدو أدوات الشرط متنوعة الصيغ في اللهجات، وثمة أدوات زائدة عدة؛ أبرزها الميم الزائدة التي تستخدم بكثرة في القتبانية.

وأخـيراً نشـير إلـى وجود خصوصية جزئية في المعجم اللغوي لكل من اللهجات اليمنية القديمة، كما يلاحـظ أن هـناك ألفاظـاً شاعت في لهجة دون غيرها، وأن طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية أثرت في الـثروة اللغويـة وطبيعتها بوضوح، إذ كثرت فيها الألفاظ المتصلة بمسائل الري والزراعة وبناء مستلزماتها ووسائل تنظيمها أكثر من الألفاظ المتصلة بموضوعات أخرى.

ولـو دققـنا هذه الفوارق اللهجية ضمن إطارها العام لبدا لنا أنها ليست فروقاً هائلة، وأن قسماً كبيراً منها – في شكلها المعروف لنا كتابياً – متأثر بعجز النظام الكتابي القائم على تدوين الحروف الصامتة وحدها عن التعبير بدقة عن اللفظ الصوتي، وقد قاد ذلك إلى تنوع الصيغ الكتابية، لأن الكتّاب كانوا يهملون المدود أو الصـوائت المقابلـة لهـا، وهكذا كتبت – على سبيل المثال – علامة الاسم المثنى المعرف، وهي: ن هـ ن بالصيغ المختلفة (ن ي هـ ن، ن هـ ي ن، ن ي هـ ي ن)، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الأصل في لفظ اللاحقـة كـان بكسـرتين متتاليتين "يهن". ونلاحظ هذه الظاهرة حالياً في كتابات كثير من الطلبة، وحتى في مـرحلة التعلـيم الجامعي، إذ يكتبون مثلاً: قتال (قتل)، الأوال (الأول). بل أن هذا ما حصل في الصيغ الكتابية الحديـثة لأسماء الممالك اليمنية القديمة: قتبان، معين، حضرموت، أوسان (وأصلها: ق ت ب ن، م ع ن، ح ض ر م ت، أ و س ن).

وأخـيراً نـتوقف عند تسمية "اللغة اليمنية القديمة"؛ فقد شاع في بحوث المستشرقين وغيرهم تسميتها باللغـة العربـية الجنوبية، وهي ربما توحي بأنها جزء أو فرع من اللغة العربية الشمالية (الحجازية) وغير المستقلة عنها.

لـم يصـف اليمنـيون القدماء أنفسهم في نقوشهم القديمة بالعرب، وتمايزوا تماماً في نمط معيشتهم وحـياتهم الاجتماعـية والاقتصـادية والإداريـة والدينـية عن العرب أو الأعراب في وسط الجزيرة العربية وشـماليها؛ إذ لم يعيشوا حياة بدوية بل حضرية مستقرة في مواطن محددة، وعرفت ممالكهم نشاطاً اقتصادياً ذا ملامـح خاصـة تمـثل فـي التجارة عبر مسافات طويلة، وفي بناء الأسس اللازمة لاقتصاد منظم مرتبط باسـتقرار بعيد المدى، كما في بنائهم المدرجات والسدود وحفر الآبار والسواقي. وكانت غزوات الأعراب في مناطق نجران عامل خطير وتهديد لحضارتهم.

ويـتردد كثيراً في كتابات اللغويين العرب الأوائل ما يدل على تفريق واضح بين لغة أهل الحجاز وأهل اليمـن، كمـا في قولهم: ما لسان حمير بلساننا، لسان أهل اليمن، العربية لغة مضر وربيعة لا لغة حمير ... إلخ.

ولذلـك نعتقد أن تسمية اللغة اليمنية أفضل من "العربية الجنوبية"؛ ولاسيما أن اسم اليمن قديم، ويعني "الجنوب". ومن ثم فإن تسمية "اليمنية" تعبر أكثر عن التمايز والاستقلالية.

ولمعـرفة مدى العلاقة بين اليمنية القديمة والعربية وسائر اللغات العربية التي تعود إلى أرومة واحدة بصطلح على تسميتها بـ "الساميّة"، قمنا بإحصاء معجمي مقارن بين الألفاظ اليمنية القديمة المعروفة من باب (الـباء) فـي المعجم السبئي – على سبيل الأنموذج –، وقارنا الجذور اللغوية ودلالاتها بمقابلاتها في العربية مـن ناحية، وفي مجموعة من اللغات السامية التي كانت شائعة في العراق وبلاد الشام (الأكدية والأوغاريتية والآرامية والفينيقية والسريانية) من ناحية ثانية.

تبيـن – كما هو موضح في الجدول المرافق – أن اليمنية القديمة تحتوي ألفاظاً خاصة بها لا ترد في غيرها بالمعنى نفسه، ونسبتها ٣٦٪، وتبلغ نسبة الألفاظ المشتركة لفظاً ومعنى بين اليمنية والعربية وحدهما ٢٢٪، بيـنما تصـل نسـبة الألفاظ السامية المشتركة إلى ٤٢٪ (منها ١٦٪ مشتركة تماماً، و٢٦٪ مشتركة جزئياً؛ أي في ثلاث أو أربع أو خمس لغات).

أعلـم أنها تجربة جزئية، فقد تكون النتائج مختلفة، إذا ما طبقت المقارنة على أبواب أخرى من المعجم وقـد تكون وجوه الاختلاف أو الاتفاق أكبر أو أقل. ولكنها تعطي انطباعاً أولياً – وهذا البحث واسع، ويحتاج إلـى عمـل خـاص – على أن اليمنية القديمة كانت لغة مستقلة تماماً ضمن الإطار العام لأخواتها من اللغات السـامية. بـل يمكن القول أنها كانت اللغة الأهم في الجزيرة العربية قبل الإسلام ولم تتراجع إلا بسبب نزول القـرآن الكـريم بلغة أهل الحجاز وانتشارها وسيادتها في كل أرجاء المنطقة مع سيادة الإسلام. وقد تعرضت معظم اللغات السامية القديمة الأخرى للمصير نفسه، عدا العبرية والسريانية اللتين ارتبطتا بالديانتين اليهودية والمسيحية.

ألفاظ باب "الباء" في "المعجم السبئي" وعددها (٦٩)

الألفاظ اليمنية القديمة ذات الدلالات الخاصة (عددها ٢٥، أي ٣٦٪)	ب أ د، ب ح ض، ب ذ ذ، ب ر ت، ب ر ث، ب ر ج، ب ر ض، ب ر و/ي، ب ع و، ب ع ي، ب ق، ب ق ي، ب ك ل، ب ل ت، ب ل ط، ب ل ل، ب ل و، ب ن، ب هـ أ، ب هـ ث، ب و ح، ب و ر، ب ي ت ن، ب ي د، ب ي ع.
الألفاظ المشتركة بين اليمنية القديمة والعربية وحدهما (عددها ١٥، أي ٢٢٪)	ب د ل، ب ت ر، ب ث ث، ب ح ر، ب خ ر، ب د أ، ب ذ ل، ب ر ح، ب ر هـ ن، ب ر ي، ب ض ع، ب غ ل، ب ل د، ب ل ق، ب و ص.
الألفاظ السامية المشتركة اشتراكاً تاماً (عددها ١١، أي ١٦٪)	ب أ ر، ب أ س، ب ر ق، ب ع ل، ب ق ل، ب ك ر، ب ل، ب ن و، ب ن ي، ب و أ، ب ي ت.
الألفاظ السامية المشتركة اشتراكاً جزئياً (عددها ١٨، أي ٢٦٪)	ب، ب د د، ب د و، ب ر أ، ب ر د، ب ر ر، ب ر ي، ب ر ك، ب س ل، ب ش ر، ب ش ي م، ب ص ل، ب ط ل، ب ع د، ب ع ر، ب ق ر، ب و ن، ب ي ن.

مراجع البحث

- إسماعيل، فاروق: اللغة اليمنية القديمة. دار الكتب العلمية، تعز ٢٠٠٠.
- بيستون، أ.ف.ل وآخرون: المعجم السبئي. دار نشرات بيترز (لوفان الجديدة) – مكتبة لبنان (بيروت) ١٩٨٢.
- بيستون، ألفرد: قواعد النقوش العربية الجنوبية "كتابات المسند". ترجمة رفعت هزيم، مؤسسة حمادة، إربد (الأردن) ١٩٩٥.
- سيمون – سينيل، ماري – كلود: نتائج دراسة اللغات العربية الجنوبية الحديثة وآفاقها. مجلة اليمن، جامعة عدن، العدد ١٠ (١٩٩٩) ١٦ – ٢٥.
- الصلوي، إبراهيم: ظواهر لغوية في لهجات اليمن القديم. دراسة من خلال النقوش والمصادر العربية. مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد ١٧ (١٩٩٤) ٥٣ – ٧٧.
- عبد الله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره. بحوث ومقالات. دار الفكر، بيروت – دمشق، ط ٢، ١٩٩٠.
- فانهوف، مارتين: نتائج البحث وآفاقه في مجال اللهجات العربية في اليمن. مجلة اليمن، جامعة عدن، العدد ١٠ (١٩٩٩) ٢٦ – ٣٨.
- مارتينيه، أندريه: مبادئ ألسنية عامة. ترجمة ريمون رزق الله. دار الحداثة، بيروت ١٩٩٠.
- ابن منظور: لسان العرب. دار صادر، بيروت ١٩٥٥.

- **Costaz, L.S.J.: Dictionnaire Syriaque – Francais** قاموس سرياني – عربي
- **Gordon, C.H.: Ugaritic Textbook. 3 Vol., An Or 38, Roma 1965.**
- **Hofner, Maria: Altsudarabische Grammatik. Leipzig 1943.**
- **Jean. C-F. – Hoftijzer, J.: Dictionnaire des inscriptions semitiques de L'ouest. Leiden 1965.**
- **Von Soden, W.: Akkadisches Handworterbuch. Wiesbaden 1972, 1981, 1985.**

المحور الثاني

المحور الثقافي والاجتماعي

الوحدة اليمنية قيمة تربوية

د. عبدالله احمد الذيفاني
كلية التربية –جامعة عدن

الإهداء

- الى كل من عشق الوحدة وضحى من أجلها ووضعها هدفاً لحياته ومعنى وجوده .
- الى المعلمين الذين رسخوا الوحدة قيمة تربوية في نفوس الأجيال .
- الى كل الذين أسهموا في إعادة تحقيق الوحدة من الخيرين واصحاب النوايا الطيبة للوطن اليمني الأرض والإنسان .

مقدمة

حاول البعض ويحاول النيل من وحدة الوطن اليمنى ووحدويته، بدعوى ان الوحده لم تشكل خلال فترات التاريخ المختلفة هماً وطنياً ولا قيمة من أي نوع ومستوي . وأن ما يقال عن الوحدة كلام يراد به مآرب أخرى .. وأمام هذا الزعم الذي لا يملك سنداً من التاريخ ولا حقيقة من الحاضر هذا الزعم الذي يجانب الحقيقة التاريخية والموضوعية ولا يقوم على أساس من منهجيه وعلميه بأي شكل وبأي مقدار ، قررت الكتابة عن الوحدة رداً على هذا الزعم الدامغه بالحقيقة التي يحاول النيل منها .

هكذا كانت بداية التفكير في الكتابة عن الوحدة .. ولم يكن في خاطري التوجه إلى ميدان التربية ومجال التعليم وأقوم بدراسة منهاجي الشطرين قبل الوحدة وما حملته الكتب الدراسية عنها قبل الوحدة وبعدها من أهداف وموضوعات دراسية تلقتها الناشئة بالأمس وتتلقاها اليوم ، لتتشكل بها عقيدتهم بوحدة الأرض والإنسان اليمني .. إن المنهاج والكتب والوسيلة التعليمية أدوات مسخره لترسيخ الهوية وتعزيز مكوناتها ومفاصلها واتجاهاتها المتعددة ، وأبعادها التاريخية والعقائدية والاجتماعية والجغرافية والقومية والإنسانية .. وأدوات بهذه الخطورة تمثل أهمية بالغة في صياغة تفكير الناشئة ومعتقداتهم .

نعم لم أكن أفكر في الكتابة عن الوحدة من خلال المنهاج والكتاب المدرسي وكنت اعد نفسي للكتابة عنها تاريخياً وسياسياً ، لولا تصاعد وتيرة الأزمة السياسية ووصولها إلى الحرب .. حيث سألت نفسي هل يمكن أن تؤدي الحرب إلى الانفصال ؟ هل يمكن أن ينتصر الطرف الذي قد يعلن الانفصال .. وبحكم عملي في ميدان التربية لسنوات طويلة تمتد إلى نهاية الستينات وبداية السبعينات ، قلت لابد من العودة إلى المنهجين والكتب لنرى كيف كانت الناشئة(تتربى على مسألة الوحدة وبأي منظور تتم هذه التربية) وجاءت اللحظة المناسبة وشرعت فعلاً بالدراسة والبحث ، يشدني دافع الإسهام في طرح حقيقة قد يجهلها المتقاتلون ، وخاصة من يضمر في نفسه الانفصال ؟.. ولم يكن وقتها قد تحدد الطرف وبرزت النوايا على السطح .

لقد كان همي أن أبرهن في البحث والدراسة أن الانفصال لا يمت بصلة للواقع والتاريخ القريب والبعيد .. وهكذا سرت في البحث ووجدت أمامي ثروة ضخمة من المادة العلمية ، ورصيداً لا حدود له من الحقائق الدامغة لإستواء الوحدة على كل حي في الأرض اليمنية .

على أية حال ، لن نسبق الأحداث ، وسأترك القارئ الكريم يتوغل في البحث برفق وإمعان ليري بعين بصيرته ما رأيت ، ويتأكد بعقله وفؤاده ما تأكدت منه ، والله نسأل التوفيق والسداد.

الباحث

الفصل الأول

مشكلة البحث

يحاول هذا البحث الإجابة عن سؤال كثيراً ما يبرز وكثيراً ما يحاول أعداء اليمن والأمة العربية التشكيك من خلاله بهوية الأمة وبقدرتها على التوحد والتواصل التاريخي وبجدوى هذا الالتحام بل استحالته .. السؤال هل اليمن واحده وهل يمكن للوحدة اليمنية أن تستمر وتكون نموذجاً وخطوه في اتجاه الوحدة العربية الشاملة ؟ يستند المشككون والمتآمرون وأعداء الأمة في دعواهم تلك إلى فشل التجارب الوحدوية التي شهدتها بعض الأقطار العربية ، واعتقدوا في الأزمة الأخيرة التي عاشتها اليمن ووصلت مرحلة الحرب أنها آخر المحاولات في الوحدة ، ومن خلال فشلها يستطيعون إقناع مرضى النفوس بعدم جدوى الدعوة إلى الوحدة التي فشل في تحقيقها والحفاظ عليها قطر ناهيك عن اثنين وعشرين قطراً .

أهمية البحث :

هكذا يعتقد الباحث أن البحث يشكل محاولة جادة نحو إبراز أهميه تثبيت المفاهيم والقيم من خلال المناهج الدراسية باعتبارها أداه من أدوات المعرفة ووسيلة من وسائل التربية والتعليم .. وتكمن أهميه هذه الأداة والوسيلة في كونها تستخدم في مرحله النمو المختلفة للناشئة ، وتسعى إلى تأصيل القيم والمفاهيم من سن مبكر وتستمر في أداء رسالتها في مراحل النمو حتى يقوى عود الناشئة وينمو تفكيره وتتأصل قيمه ومفاهيمه لتصبح جزءاً من شخصيته ، وبها ومن خلالها تتكون وبمضامينها ولغاياتها تكون ممارساتها .. وهنا لابد من الإشارة إلى أن المنهج لا يمكن أن يشكل هذه النتيجة لوحده بقدر ما تكون ممكنة من خلال تضافر الجهود وتوحيد السياسات والبرامج التربوية الرسمية والجماهيرية .

وهذا التوحد لا يمكن أن يكون إلا من خلال وضوح حقيقي لفلسفه الدولة ونهجها وبالتالي عكس ذلك كله على الجانب التربوي من خلال فلسفه تربوية واضحة و محدده . "١ "..(١)

أهداف البحث :-

تتحدد أهداف البحث بما يأتي :

١- إبراز موقع الوحدة اليمنية وأهميتها بالنسبة لليمن الأرض والإنسان .
٢- إبراز الأبعاد الوطنية والقومية والانسانية للوحدة اليمنية .
٣- إبراز الأهمية الاستراتيجية للوحدة اليمنية وتقاطع ذلك مع المصالح الأستعمارية من خلال إبراز أهميتها الجغرافية والتاريخية والاقتصادية .

فرضيه البحث

تتحدد فرضيه البحث من خلال القول أن الوحدة اليمنية وحدة طبيعية وحقيقة راسخة وأن التجزئة كانت قائمه بين نظامين نتيجة تباين الرؤى السياسية واختلافها .

حدود البحث :

للتعرف على موقع الوحدة وجديه السعي نحو إعادة تحقيقها قبل ٢٢ مايو ١٩٩٠م وجديه الحفاظ عليها بعد ٢٢ مايو اتخذت دراسة المناهج سبيلاً لذلك وتركزت الدراسة حول المواد الدراسية الآتية :

١ – التربية الإسلامية
٢ – اللغة العربية
٣ – التاريخ
٤ – الجغرافيا

(١) للباحث بحوث ودراسات في فلسفة التربية العربية وفلسفة التربية في الجمهورية اليمنية في ظل رؤية عربية سعى من خلالها للإجابة عن هذا الجانب .

٥ – قضايا المجتمع .
٦ – التربية الوطنية .

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي مع الاستفادة من منهج تحليل المحتوى والمنهج المقارن في وقفاته عند المحتويات وخاصة في جانب الإستخلاصات إلى حدٍ ما .

معاني البحث وخلفيته النظرية :–

يسعى البحث الى تأكيد معان مهمة في تكوين الشخصيه وتأصيل الهوية فى سياق التربيه والمجتمع ، فى نسق متفاعل يقوم على اسس واضحه ، ويؤديها عبر ادوات متنوعه . منها التعليم، والمنهج يعد وسيلة مهمة من وسائل التربيه ولأهمية بيان هذه المعاني باعتبارها خلفية نظرية يرتكز عليها البحث كان على الباحث ان يفرد جانباً من بحثه لتحقيق هذا البيان، وفيما يلى سيتم تناول هذه المعاني ذات العلاقة :–

١ – التربية والمجتمع :

التربية عمليه اجتماعيه ، وهي هدف محوري للدول وغاية كل برامجها ، فالتربية تركز على الإنسان وتحقيق مستوى افضل له معيشياً وثقافياً واجتماعياً وغيره .. وبالإنسان ذاته تعمل الدولة على تحقيق هذه الغاية ، فبقدر ما مايكون أي الإنسان غاية التنمية ، فالإنسان في ذات الوقت وسيلتها وأداتها .. لذا نجد كثيراً من الدول تنص صراحة على التربية هدفاً محورياً لها ، وتسخر كل برامجها ومؤسساتها بمختلف مهامها للعمل التضامني الهادف إلى توفير مناخ صحي وخال من كل أسباب التعثر تتحقق في ظله تنميه حقيقة ونهضة شاملة ، ينعم بخيرها كل الناس .

ولا نقول جديداً ، إذا قلنا أن المؤسسات التعليمية هي واحدة من المؤسسات التربوية وليست كلها ، فالأعلام والمساجد والأندية والبيئة والمؤسسات الأمنية والعسكرية ، والقضاء والعدل جميعها مؤسسات تربوية تعمل من اجل الإنسان والحفاظ عليه ، ولا تشكل الأحكام والزجر والردع إلا وسائل تربوية تعيد من ينحرف عن الخط القويم ويخالف قيم وتقاليد المجتمع إلى رشده والي طاعة واحترامها القيم ، وأمن المجتمع وعاداته وتقاليده . فاحترام الإنسان لذاته وحقوقه تكمن في احترامه للآخرين وحقوقهم .

ولذلك فإن عمل المؤسسات التربوية التضامني يهدف إلى إيجاد مجتمع متماسك واع لمسؤولياته ، يعمل على إعداد الشخصية الوطنية السوية العارفة بدورها ، العاملة بإيمان وإخلاص في تنفيذه ..

على أي حال لسنا هنا بصدد تتبع مفهوم التربية وأدواتها ، بقدر ما نحن معنيون بإبراز مفهومها وأهميتها في إعداد الشخصية الوطنية المؤمنة بالقيم والمبادئ والأخلاقيات العقائدية والوطنية والاجتماعية .. ونستعير هنا مفهوم ساقه الباحث في بحث له عن التربية العربية جاء فيه :

" التربية عمليه اجتماعيه تخدم المجتمع وتعمل منه وله ، بمعنى آخر التربية عمليه اجتماعيه ذات مدلول واسع وبعيد ، فهي تجسد الرؤية الأيديولوجية والفلسفية العامة للدولة والمجتمع ومن خلالها يتم ترسيخ وتجذير هذه النظرة وتلك الأيديولوجية .." التربية على هذا النحو تعمل على تشكيل الشخصية وتأصيل الهوية وتؤدي هذه الوظيفة وتحقق هذه الغاية بوسائل وأدوات مختلفة كما أشرنا ..

وفي سياق ما أشرنا إليه يعد المنهج واحداً من أهم أدوات التربية وأكثرها تأثيرا في محيط العملية التعليمية التي تنهض بها المؤسسات التعليمية من خلال عناصرها ومكوناتها المختلفة ويعرف المنهج انه مجموعه الخبرات التي تقدمها المدرسة للتلميذ ، وهذا ما نراه فى الفقرة التاليه.

٢- المنهج وأهمية مكوناته :

استناداً إلى ما سبق فان أهميه المنهج تكمن في مفهومه ووظيفته . وتأثير ذلك المفهوم وتلك الوظيفة على شخصيه الناشئة موضوع المنهج ومركز اهتمامه .. ويتكون المنهج من عناصر رئيسيه هي :

- الأهداف
- المحتوي
- الأساليب والأنشطة
- التقويم

أي أن المعلم والكتاب ووسائل الإيضاح والأنشطة الصفية واللاصفية والتقويم والامتحانات، جميعها تشكل أدوات تترجم أهداف المنهج وتعكس محتواه بوسائل وأساليب مختلفة ومتدرجة بدء بالمعلم والكتاب وانتهاء بالأنشطة والاختبارات وتقويم مدى إصابة المنهج لأهدافه .

إذن يعد المنهج كما أشرنا أداه من أدوات التربية ووسيلة من وسائلها ، تعمل على نقل المعارف والمهارات والقيم إلى الناشئة بأسلوب يؤدي إلى تأصيلها وترسيخها لتصبح سلوكاً وقناعات غير قابله للتبديل والتحويل والتجاوز . والوظيفة للمنهج بهذا المفهوم وظيفة تربوية تعليمية تعضد دور بقيه المؤسسات التربوية وتسندها في المهمة المشتركة الواحدة لهذه المؤسسات مجتمعه .

تأسيساً على هذا الفهم للمنهج يولي السياسيون والتربويون على السواء المنهج عناية خاصة وفائقة يحرص من خلالها الجميع أن يعكس المنهج ويتضمن المرتكزات الأساسية والرؤى النظرية والأيديولوجية ويعرضها في اتجاه تعميقها وتجذير تفاصيلها ومحتواها في أذهان الناشئة على نحو يجعلها مسلمات تعيش في وجدانهم وتترجم ممارسات بشكل عفوي وتلقائي . وفي ذات الوقت يتشكل لدى الناشئة الحرص الكامل على هذه القناعات إلى المستوى الذي يدفعهم إلى اعتبار أي مساس بهذه القناعات أو استهانة بها هو استفزاز مباشر بل اعتداء مباشر على ذات الشخص وماضيه وحاضره وغده .

نرى من المفيد الإشارة إن المنهج الذي نتحدث عنه هو منهاج تعده وزاره التربية والتعليم ويمثل بالضرورة وجهة النظر السياسية الأيديولوجية التربوية لنظام الحكم القائم ويتكون هذا المنهج عاده من ثلاث مكونات رئيسيه هي :

٢ - ١ - الأهداف العامة :

يقصد بها تلك الأهداف القيمية الاجتماعية السياسية الاقتصادية التربوية والتي يستهدف منها تكوين الشخصية الوطنية المتكاملة السوية وصياغتها على نحو يتماثل وقيم المجتمع ومبادئه وطموحاته ، ويؤدي بالنتيجة إلى إعدادها للحياة ويؤهلها لتكون فاعله ومتفاعلة مع قضاياها وإيجابية في المساهمة في بناء الدولة وخدمه البلاد وحمايتها .

٢ - ٢ - الأهداف الخاصة :

ويقصد بها تلك الأهداف التي تتصل بتكوين حصيلة معرفية ومهارية ووجدانية من المادة موضوع الدرس ، وبما يمكن الطالب أو التلميذ من توظيف معارفه ومهاراته التي يكتسبها في تحسين مستواه وخدمة مجتمعة وتنمية مواهبه وقدراته وبما يؤهله في أداء دوره بكفاءة واقتدار يصبح معها عنصراً فاعلاً في المجتمع وفق أهداف سلوكية يتوخاها المنهاج.

٢ - ٣ - المفردات :

يسعى واضعو المنهاج إلى تحديد مفردات تستوعب الأهداف المذكورة سابقاً بجملتها لتشكيل قاعدة وأساس للمادة الدراسية التي تصاغ من قبل هيئة ومختصين على هيئة كتاب يدرس ويقدم للطلاب والتلاميذ مراعياً سنهم وقدراتهم العقلية والاستيعابية ومرحلتهم الدراسية . هذه المراعاة تجعل من المادة الدراسية سلسله متتابعة تعطى للتلميذ أو الطالب على جرعات تظهر أبعادها واضحة في تفكيرهم عند مرحله النضج وتتأصل في وجدانهم عبر مرحله الدراسة لتبرز جليه في سلوكهم وممارستهم على الواقع وبما يترجم تحقيق الهدف التربوي - التعليمي للمؤسسات التعليمية .

باختصار شديد .. يصبح المنهاج على هذا النحو وكما يعرفه كثير من الباحثين والتربويين مجموعه الخبرات التي تقدمها المدرسة والتي تحتاجها الناشئة في حياتها وتساعد في تكوين

شخصيه الناشئ وتنميه قدرته ومواهبه ليصبح عنصراً فاعلاً في المجتمع متفاعلاً مع قضاياه على نحو فاعل وإيجابي .

٣ – الأبعاد ذات العلاقة بين متغيرى الوحدة والمنهج المدرسي :

شكل موضوعنا الذي نحن بصدد بحثه وهو الوحدة في منهج الشطرين أهم تلك القيم النبيلة والسامية التي احتواها هنا وهناك . وأخذت الوحدة قيمه تربوية عظيمة لها أبعاد كثيرة واسعة ، لا تحقق أبعادها ، ولا تكتمل صورتها ألا بوجودها الحي على الواقع ، الأمر الذي كون قناعات نضالية غير متناهية بضرورة إعادة تحقيقها لتصبح الحياة طبيعية وتسير في اتجاه غد افضل . والأبعاد التي تجسدت في المنهاج ومتصلة بالوحدة في كلا الشطرين هي :

- البعد التاريخي
- البعد الديني
- البعد الوطني بجوانبه المختلفة :
  - الاجتماعية
  - الاقتصادية
  - الثقافية
  - السياسية
- البعد القومي
- البعد الإنساني
- البعد الأيديولوجي

هذه الأبعاد وبتفاصيلها شكلت أهدافا ومفردات احتواها المنهاج والكتاب المدرسي في الشطرين قبل الوحدة وفي الجمهورية اليوم بعد تحقيق الوحدة المباركة بحمد الله في ٢٢ مايو ١٩٩٠ م .

على أي حال لسنا هنا بصدد الحديث عن المنهاج وتكويناته وعناصره ففي المادة السالفة الذكر كفاية في إعطاء صوره نعتقد إنها واضحة عن المنهاج وأهميته .. لننتقل الآن إلى الحديث عن احتواء المنهاج لأهداف عامه وخاصة محتوى دراسى يتصل بالوحدة ، وعليه فإن البحث يعمد الى تناول موضوعه عبر التالى :

أولا : الأهداف العامة

ثانياً : الأهداف الخاصة

ثالثاً : الاهتداء بنماذج من الكتابات التي احتوتها الكتب الدراسية وهي نماذج يقاس عليها لصعوبة الوقوف على كل الكتابات لكثرتها وغزارة مادتها ويصل البحث فى ختام رحلته الى استخلاصات ونتائج يبنى عليها توصيات يعتقد أهمية دراستها والأنتفاع بما يراه الاختصاصيون مفيداً ونافعاً ونبدأ رحلتنا على النحو التالى :

الفصل الثاني

الوحدة ومحتويات المنهج

" الأهداف "

- أولا :الأهداف العامة :

كرست المواد الإنسانية في الشطرين في أهدافها العامة والخاصة تعميق الانتماء للوطن اليمني الواحد ، وجاء ذلك صريحاً في كثير من الأهداف لعدد من المواد نسوقها على النحو التالي:

١-أولا الأهداف العامة للغة العربية :

في منهاج اللغة العربية للشطر الشمالي سابقاً جاء في أحد أهدافه إشارة واضحة للوحدة وتحديداً في الهدف رقم (٣) ونصه : " (٣) غرس حب الوطن في نفوس التلاميذ وبيان أن الوحدة

بيـــن شـــطري اليمـــن وحـــدة طبيعـــية ، وأن الاســـتعمار هو الذي اصطنع هذا التقسيم ليفرق بين الاخوة . (1)

وفـــي مـــنهاج اللغـــة العربـــية للشّـطر الجنوبـــي سابقا والخاص بالمدرسة الموحدة جاء التأكيد علي الوحدة في هدفين نصا علي الآتي :

١- إعـــداد الشخصـــيات الفتـــية ذات الجوانـــب المـــتعددة الـــتطور المتفانـــية فـــي ســـبيل مصـــلحة المجتمع في وطن اليمن الموحد.

٢- إعـــداد جـــيل جديـــد واع لمشـــاكل مجتمعنا الأساسية واضعاً نصب عينيه تطلعات المستقبل على ضوء الإجراءات الثورية التي يتخذها التنظيم السياسي القائد برنامجاً وتطبيقاً مستنداً على معرفة أساسية متينة لواقع المجتمع اليمني والوطن اليمني على امتداد تطورهما وشمولية تاريخهما . (1)

٢- الأهداف العامة لمنهاج التربية الإسلامية :

أكـــد المـــنهاج فـــي الشـــطرين ســـابقاً علـــى أهمية الوحدة وعلى اتصالها بالدين واعتبارها قيمة يدعـــو إلـــيها الإســـلام ويحبـــبها إلـــى الـــنفوس .. فقد ظهرت واضحة في منهاج الشطر الجنوبي سابقاً . وكانت تحت مسمى منهاج التربية الدينية وتحت الهدف السابع ونصه :

" سابعاً : غرس حب الوطن في نفس الناشئ يجاهد بقوته ويتمسك بوحدته " (٢)

٣ - الأهداف العامة لمنهاج التاريخ :

جـــاء مـــنهاج التاريخ يحمل ذات الروح ويؤكدها في اكثر من هدف عام وخاص عكسته الكتب الدراسية لمـــادة التاريخ لأكثر من صف دراسي ولأكثر من مرحلة دراسية نورد فيما يلي الهدف العام لها : في الشطر الشمالي : ومن أهداف تدريس التاريخ للمرحلة الأعدادية جاء الهدف الأول بالآتي :

" (١) غـــرس روح المواطنة الواعية في نفوس الأبناء عن طريق فهمهم لمجتمعهم في إطاره الإنساني والتاريخي فدراسة الماضي وتفسيره يوضح صورة الحاضر ويؤهل لفهم المستقبل " (٣)

وفي منهاج الشطر الجنوبي سابقاً جاء الهدف بالنص التالي :

"اليمـــن الديمقراطـــي الموحد : هدف أساسي من أهداف الشعب اليمني ودراسة التاريخ اليمني بمختلف مـــراحله سيســـاعد علي تحقيق هذا الهدف وكثيراً ما تشن القوي الرجعية العربية والعالمية حرباً ضارية ضد نظامنا الوطني الديمقراطي الذي يسعى إلى تحقيق هدفها اليمن الديمقراطي الموحد وتواجه جماهير شعبنا في ســـبيل تحقيق هدفه هذا كثيراً من التحديات الداخلية والخارجية والقضاء على مثل هذا الهدف السامي وعلينا نحـــن تكريس الطاقات في السير نحو هذا الاتجاه المنشود وتحقيق أنبل الأهداف لشعبنا لتحقيق الأمن في ظل يمن ديمقراطي موحد . (١)

٤-الأهداف العامة لمنهاج الجغرافيا :

لعـــل مـــنهاج الجغرافـــيا مـــن اكـــثر المـــناهج التـــي أعطـــت الوحدة موقعاً اكثر حضوراً وظهوراً في كتبها الدراسية اكثر من موضوع عن الوحدة .وفي مراحل الدراسة المختلفة .

ففي منهاج المرحلة الإعدادية للشطر الشمالي سابقاً جاء الهدف (٤) بالنص التالي :

"دراســـة اليمـــن مـــن النواحـــي الطبيعـــية والاقتصـــادية والبشـــرية وإبرازغـــناه بمقومـــات الازدهار والتطور "(٢)

ومن منهاج الشطر الجنوبي سابقاً جاء التأكيد علي الوحدة في الهدف (٢) والذي نصه :

غـــرس معـــنى الوحـــدة للوطـــن اليمنـــي وتعـــريفهم بـــأن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية جزء من الوطن اليمني ، وأن اليمن جزء من الوطن العربي متصل به " . (٣)

٥-الأهداف العامة لمنهاج التربية الوطنية وقضايا المجتمع :

التربـــية الوطنـــية القومـــية والإنســـانية اتخـــذت لهـــا مسميات مختلفة في الشطرين سابقا فسميت في الشـــطر الشـــمالي ســـابقاً التربـــيه الوطنـــية . وفـــي الشـــطر الجنوبي قضايا المجتمع وفي الحالتين كانتا

---

(١) منهاج اللغة العربية – إعداد وزارة التربية والتعليم ج.ع.ي ١٩٧٨م ، صـــ ١،٢ .

(١) منهاج اللغة العربية للمدرسة الموحدة – إعداد وزارة التربية ج.ي.د.ش ١٩٨٠ صـــ٢ .

(٢) منهاج التربية الدينية للدراسة الموحدة ، وزارة التربية والتعليم ج.ي.د.ش ١٩٨٠ م صـــ٢

(٣) منهاج التاريخ للمرحلة الإعدادية ١٩٧٨م صـــ١ – صنعاء – وزارة التربية .

تهتمان بذات القضايا ، وتعملان على إبراز القضايا الوطنية والقومية والإنسانية من المنظور السياسي للدولة والنظام .

ومن المؤسف أننا لم نجد مرجعاً نرجع إليه وندون منه أهداف التربية الوطنية في الشطر الشمالي سابقاً بيد أننا وجدنا من خلال الكتب الدراسية للمراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية أن هذه المادة كرست جزءً كبيراً من مادتها لخدمة هذا الانتماء إلى اليمن وأهمية الوحدة اليمنية كأساس للاستقرار وتحقيق الوحدة الوطنية ، وفي الشطر الجنوبي سابقاً جاء هذا الهدف محدداً بالنص في سياق الهدف من تدريس قضايا المجتمع نورده فيما يأتي :-

" ويهدف منهج قضايا المجتمع إلى تحقيق مهام تربوية كبيرة يساهم بشكل رئيس في تجديد الأيدلوجية الاشتراكية وبلورتها للطالب واحداث تأثير فعال ومستمر في سلوكه وفق الاتجاه التقدمي لبلادنا .. فهي تهدف نحو تربية النشء بالروح القومية والوطنية والتقدمية والأممية البرولتارية فتغرس فيه حب الوطن اليمني ومشاعر الأخوة تجاه البلدان العربية .. وأن تعزز في الطالب الاستعداد التام للدفاع عن الثورة ومنجزاتها والسير بثبات نحو إنجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية وبناء اليمن الديمقراطي الموحد " [1] .

ثانياً : الأهداف الخاصة :

نحاول هنا إيراد نماذج للأهداف الخاصة للمواد الدراسية ونعتذر عن أن نسوقها جميعاً حيث أن لكل صف دراسي وكل مادة دراسية تدرس فيه أهدافاً خاصة . ونكتفي بإيراد نماذج فقط وهما نموذجان وجدنا أهدافهما مكتوبة وواضحة تعكس معالم دقيقة لما نسعى إلى بيانه و تسليط الضوء عليه . مع التأكيد أننا وجدنا في مواد العلوم الاجتماعية والإسلامية والإنسانية موضوعات لا حصر لها جسدت بدقة متناهية الأهداف العامة وطرحتها بلغة سلسة وسهلة وموضوعية تقوم على أسانيد وترتكز على حقائق سيأتي بيانها لاحقاً والنموذجان هما :

أ – الأهداف الخاصة لمنهاج التاريخ للصف الخامس من المدرسة الموحدة للشطر الجنوبي سابقاً والتي جاءت تحت أرقام :

" ٥ " تقديم التاريخ اليمني بموضوعيه تبتعد عن المغالاة وذلك بإعطاء التلاميذ صورة صحيحة عن أحوال الشعب اليمني السياسية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فلا يقوم على دراسة تاريخ الملوك ويهمل دور الرواد من هذا الشعب . "

" ٦ " إبراز المنجزات الحضارية للشعب اليمني واستخراج الدروس والعبر بما يتفق وملامح التغيير في المجتمع اليمني وتطلعاته . "

" ٧ " إعطاء الأدلة الملموسة على وحدة الشعب اليمني ونضاله ضد الغزاة عبر التاريخ . "

" ٨ " إبراز الصلة بين الحضارة اليمنية والحضارات العالمية . " [1]

ب – الأهداف الخاصة بمنهاج الجغرافية للصف السادس المدرسة الموحدة :

" ١ " تقدير أهمية موقع اليمن وغرس حب الوطن اليمني في التلاميذ وإشعارهم بأهمية وحدته على أسس ديمقراطية .

" ٢ " إشعار التلاميذ أن الجمهورية العربية اليمنية هي جزء من الوطن اليمني وتشكل جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية جزءها الآخر .

" ٣ " الإحاطة بالتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمت في الشطر الشمالي من الوطن اليمني بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ونضال الشعب اليمني هناك للدفاع عن منجزاته .

" ٤ " تعريف الطلاب بالثروات الطبيعية في الشطر الشمالي وأهمية استغلالها لصالح التصور الإنسان اليمني . [1]

هكذا عرضت الأهداف الوحدة قيمة عظيمة وغاية سامية تستحق التضحية بالنفس والنفيس . ترى كيف عرضت هذه الحقيقة وترجمت هذه الأهداف ؟

هذا ما يعرضه الفصل القادم بعون الله .

---

[1] منهاج قضايا المجتمع للمدرسة الموحدة ١٩٨٠م صـ٢٤٣ – عدن .

[1] منهاج التاريخ للمدرسة الموحدة ، منهاج الصف الخامس صـ١٠ – عدن .

الفصل الثالث

نماذج من الكتابات

ترجمت أهداف المناهج لكل شطر في عدد من الكتب المدرسية للمواد اللغة العربية والتربية الإسلامية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية وقضايا المجتمع .

ورغم تباين وجهات النظر السياسية والأيديولوجية بين النظامين في كثير من القضايا التي كانت واضحة وجلية في فلسفة الدولة والتربية علي حد سواء إلا أن النظامين كانا علي اتفاق كامل بأهمية الوحدة وضرورة إعادة تحقيقها .. من هنا جاءت المواد الدراسية بكتبها المشار إليها جميعا متضمنة كتابات وموضوعات يصعب علينا الوقوف عليها جميعا في هذه العجالة .

لذلك كله سنحاول هنا التركيز علي مادتين فقط هما التربية الوطنية في الشمال سابقا ونختار منها نموذج وقضايا المجتمع في الشطر الجنوبي ونختار منها نموذجاً آخر . ويأتي اختيارنا هذا مبنيا علي أساس غاية في الأهمية وهو : أن المادتين تعكسان وبشكل واضح التوجه الأيدلوجي والفكري للنظامين كما سيظهر ذلك واضحا من النموذجين :

١- النموذج من الشطر الجنوبي سابقا:

كتاب قضايا المجتمع كتاب يعكس الأيديولوجية الاشتراكية العلمية التي كان الحزب الاشتراكي ينتهجها أثناء حكمة للشطر الجنوبي قبل ٢٢ مايو ١٩٩٠م وهذا الكتاب يكتسب أهمية قصوى في دراستنا هذه كونه أداة توعية وتثقيف بالرؤية والنهج الاشتراكي أولا وأداة تأصيل وجهة نظر الحزب الأيديولوجية الاستراتيجية والسياسية من القضايا المعاصرة وعل رأسها الوحدة اليمنية ثانياً ، ونسوق فيما يلي نموذجاً عن كتاب قضايا المجتمع للصف الثامن من المدرسة الموحدة والموضوع الذي اخترناه منه يقع تحت عنوان الحركة الوطنية اليمنية :

نطلق الحزب للاشتراكي اليمني في سياسته الوطنية من حقيقة مؤداها أن الحل الصحيح للقضية الوطنية والمتمثل في وحدة الأرض والمصالح والأداة يكتسب أهمية بالغة للحركة الوطنية الثورية للجماهير الشعبية من أجل تحررها الوطني والاجتماعي .[1]

ويقول الموضوع في جزء آخر :

لقد كانت القضية الوطنية ولازالت تتسم بأهمية تاريخية عظيمة سواء علي صعيد الحركة الوطنية الديمقراطية اليمنية أو علي صعيد جماهير شعبنا العريضة لأنها متغلغلة في أعماق ضميرها وعقلها ، ويري الحزب أن كل من يتحلى بالحب والوفاء لوطنه اليمني ويحرص علي مطامح شعبة المشروعة لا يمكن إلا أن يسعى إلى إنهاء حالة التجزئة والتمزق وتحقيق الوحدة ديمقراطيا . (١)

ويضيف الموضوع في جزء ثالث منه " أن أداة الثورة اليمنية كطليعة موحدة تقود النضال أمر ضروري جداً لا من أجل تحقيق الوحدة اليمنية فحسب ، ولكنها تظل أكثر ضرورة لمواصلة النضال من أجل تثبيتها وحمايتها وبالتالي إنجاز كافة الأهداف المرحلية والتاريخية والاستراتيجية للثورة اليمنية . (٢)

وهكذا كان الحزب الاشتراكي قبل الوحدة يرى مسئوليته الوطنية وهكذا عمل من خلال المنهاج علي غرس هذه المسؤولية وتعميقها في نفوس الناشئة وبالمقابل نجد في كتاب مذكرات في المجتمع اليمني للصف الأول الثانوي وما في مستواه من الشطر الشمالي سابقا أكثر من موضوع عن الوحدة اليمنية نأتي علي نموذج منه :

٢- النموذج من الكتب الدراسية من الشطر الشمالي سابقا :

كما أشرنا من قبل أن كتب التربية الوطنية بما في ذلك كتاب المجتمع اليمني تعمل علي تعميق الانتماء الوطني القومي الإنساني وتسعى إلى تأكيده كرؤيا يتمسك بها النظام ويدعو إليها . علي أية حال وكما أسلفنا أن كتاب المجتمع قد تضمن العديد من الموضوعات عن الوحدة اليمنية .. هذه الموضوعات حصرا في هذا الكتاب وحده ثلاثة :

---

[1] مركز البحوث التربوية . قضايا المجتمع للصف الثامن من المدرسة الموحدة صـ٣٣ – عدن .

الأول جاء في سياق الحديث عن أهداف الثورة اليمنية والثاني في إطار الحديث عن الميثاق الوطني وتحت عنوان يشرح رؤية الميثاق الوطني الذي هو الرؤية النظرية والفكرية للنظام الحاكم في الشمال آنذاك ، والثالث جاء في سياق الحديث عن الوحدة الوطنية لليمن الطبيعية .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن كل هذه الموضوعات التي ساقها الكتاب ولكننا سنقصر الحديث على موضوع بعينه ونختار منه عينة نقيس عليها كما فعلنا مع كتاب قضايا المجتمع في الشطر الجنوبي سابقا ونفضل أن نقف على الموضوع الثاني باعتباره يعكس وجهه نظر الحزب الحاكم آنذاك " المؤتمر الشعبي " حيث يشكل الميثاق دليله النظري ، لتتماثل النظرة للكتابين والموضوعين ويسهل بالتالي إعطاء وجهة نظر منصفة في المسالة :

عنوان الموضوع : الوحدة الوطنية مدخل للوحدة اليمنية العربية :

يقول الموضوع : إن المسلك الطبيعي الذي لابد لنا أن ننتهجه هو إعادة الوحدة اليمنية بمضمونها الديمقراطي المعبر عن إرادة الشعب .أن في العمل هذا استجابة لإرادة الجماهير اليمنية صاحبة المصلحة الأولى في الوحدة شريطة أن تجنب هذه الوحدة التبعية لأحد المعسكرين الكبيرين . [1]

ويتابع الموضوع في جزء أخر حديثه فيقول :

" والوحدة الوطنية سبيل إلى هذه الوحدة اليمنية " ويقول ((الميثاق الوطني)) وإننا إذ نركز على ضرورة الوحدة الوطنية كمدخل حقيقي لتحقيق الوحدة اليمنية فإن ذلك ليس دعوة إقليمية منغلقة ولكنه انطلاق من إيماننا بأن وحدة اليمن هي الخطوة الأولى التي لا بد أن نخطوها حتى نتمكن من الإسهام في تحقيق قيام الوحدة بين أقاليم الوطن العربي بما في ذلك إقليمها اليمني . فالعمل على استعادة أقليمنا اليمني لوحدته ، يجب أن يكتسب بعده العربي حتى يظل العمل لوحدة اليمن مرتبطا ارتباطا عضويا بالعمل الوحدوي المشترك لأمتنا العربية ، ضمن وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وثقافية شاملة بمحتواها الديمقراطي المعبر عن الإرادة الحرة للأمة العربية جمعاء " .[2]

هكذا أيضا كان المؤتمر الشعبي العام ينظر إلى الوحدة وهكذا عمل على عكس وجهة نظره في المناهج الدراسية .

– نموذجان من بعد الوحدة :

ولعله من المفيد الوقوف على موضوع ثالث اشترك فيه الجانبان بعد إعادة تحقيق الوحدة واتفقا عليه في كتاب التربية الوطنية الموحد الصادر بعد إعلان الجمهورية اليمنية ، والموضوع يتصل بأسباب التجزئة :

يقول الموضوع : كانت التجزئة نتيجة للعوامل التالية :

( ) الحكم التركي الذي حاول محاولات يائسة أن يضم اليمن إلى السيطرة العثمانية في بداية القرن السادس عشر .

( ) الإستعمار البريطاني الذي عمل جاهدا للسيطرة على الجنوب اليمني ليتحكم في مدخل البحر الأحمر والمحيط الهندي و إنشاء قوة تسيطر على طرق التجارة وتحقق توسعاً استعماريا .

( ) ضعف النظام الحاكم في اليمن وحرص الأئمة على عزلة اليمن ووقف تطوره الاجتماعي وحرصهم للاحتفاظ بعروشهم وعلى مهادنة الاستعمار .[3]

ويتحدث الكتاب ويقول وكما نرى فإن هذه التجزئة السياسية قد تمت بغير موافقة الشعب اليمني بل فرضت علية فرضاً من قبل أطراف خارجية .[4] (٢)

ويواصل الكتاب حديثة عن أسباب عدم تحقيق الوحدة بعد انتصار الثورة اليمنية فيقول أن ذلك كان لأسباب عده منها :

(١) أن جنوب اليمن لم يكن قد توحد بل كانت تنتشر فيه أكثر من عشرين أمارة وسلطنة ومشيخة . فكان لا بد أولاً من توحيد هذه الأجزاء الكثيرة في كيان واحد .

(٢) في عام ١٩٦٧م عندما حصل جنوب اليمن على استقلاله لم يكن النظام الجمهوري في شمال اليمن قد ثبت نهائياً فالمقاومة الملكية استمرت بل وحاول الملكيون إسقاط الجمهورية خلال حصار صنعاء فكان من الصعوبة بمكان توحيد اليمن في ظل تلك الظروف .

---

[1] وزارة التربية والتعليم ، مذكرات في المجتمع اليمني للصف الأول الثانوي وما في مستواه صـ٣١ –صنعاء – مطابع الكتاب المدرسي ١٩٨٨م .

[2] وزارة التربية والتعليم – التربية الوطنية للصف الثامن من التعليم الاساسي ص ٤٠ – صنعاء

[3] مركز البحوث والتطوير التربوي ، كتاب التربية الوطنية للصف الثامن من التعليم الأساسي صـ٤٠ – صنعاء " لمبكس " .

مركز البحوث والتطوير التربوي ، كتاب التربية الوطنية للصف الثامن من التعليم الأساسي صـ٤٠ – ٤١ – صنعاء " لمبكس " [4]

(٣) هـناك أطراف دولية وخارجية ظنت أن مصلحتها أن يبقى اليمن مجزءاً فشجعت على عدم تقارب شطري اليمن بل وصل الأمر إلى منع تنقل المواطنين بين شمال اليمن وجنوبه ووجدت نظم إدارية مختلفة وتم تغذيـة مشـاعر الخوف بين الدولتين اليمنيتين ودفعتها إلى الصراع المسلح بفعل تلك المؤامرات الخارجية ، غـير أن الشـعب اليمني رفض كل ذلك وحرص أن يبقى موحداً مستنداً في ذلك على حقه في أن يكون دولة واحدة في أرضة لا دولتين وتواصلت المساعي الخيرة من أجل تحقيق الوحدة اليمنية.[1]

لماذا الوحدة ضرورية ؟

هكـذا نجد في الكتابات إقراراً أن الوحدة اليمنية قائمة ويعيشها الشعب في اليمن وفي السنوات الأخيرة فرضـت علية التجزئة وهو يرفضها، وحالت التباينات السياسية والاختلاف في الرؤى وطريقة الحكم دون أن تتم الوحدة وترفع حالة التجزئة، وتعود المياه إلى مجاريها في ٢٢ مايو ١٩٩٠م .

بمعنى أكثر دقة ووضوحاً الوحدة اليمنية طبيعية وإعادتها ضرورة تفرضها قناعة الجماهير وطموحاتها . ولن نذهب بعيداً في حديثنا حتى لا يحسب ذلك علينا ويقال أننا نشطح بخيالنا ونجانب الواقع . إننا سنعمد إلى كـتاب التربـية الوطنـية بعد تحقيق الوحدة سواء ذلك الذي صدر عن مركز البحوث بعدن أو مركز البحوث بصـنعاء ، وسنجد أن الكتابين اتفقا نصاً على ضرورة الوحدة وأهميتها . أن هذه الكتابات تعني الشيء الكثير لأنهـا تغـرس في الناشئة قيماً ، وتدعوها إلى التحلي بها وتقديم أغلى ما نملك من أجل الدفاع عنها . وهي بذلـك ليسـت شـطحات أو مزايدات ولكنها تعبير صادق عن مكنون يسكن عمق الإنسان اليمني ويعيش في وجدانها .

لن نسترسل، ونترك الكتابين يتحدثان عن هذه المسألة ونسوق النص الوارد في الكتابين وهو :

وعن لماذا الوحدة ضرورية يجيب الكتابان بالآتي :

أثبتـت فترة التشطير أن الوحدة كانت ضرورة قصوى لليمن وللشعب وللأمة العربية ويتبين من خلال ذلك ما يلي :

(١) لا يمكـن لليمـن أن يحـافظ على استقلاله وهو مجزأ، بسبب التجزئة كان الجيش اليمني يواجه بعضه الـبعض بدلاً من أن يحمي حدود البلاد واستقلالها ، وكانت أجهزة الأمن تراقب بعضها البعض بدلاً من السهر على أمن البلاد وسيادتها .

(٢) بسـبب الـتجزئة كانت الحكومتان في الشطرين تنفقان أموالاً باهظة على القوات المسلحة والأمن فكل مـنهما كان يخشى الآخر . وهذه الأموال كان يمكن أن توجه لصالح تحسين مستوى معيشة المواطنين فتنفق على الصحة والتعليم وشق الطرقات وتوفير مياه الشرب والكهرباء .

(٣) فـي حالـة الـتجزئة لا يمكن بناء اقتصاد قوي متطور فالصناعة المعاصرة بحاجة إلى أسواق ورؤس أموال كبيرة والحال أن كل شطر بمفرده كان عاجزاً عن توفير مقومات الصناعة المعاصرة ، وإذا نظرنا إلى الزراعة لوجدنا أن كل الوديان الزراعية تسير من الشمال إلى الجنوب ومنها وادي بنا ووادي تبن، ومـا كـان مـن الممكـن استخدام هذه الوديان للزراعة والبلاد منقسمة إلى قسمين والتجارة مع العالم الخارجي تكون أربح فكلما كانت الدولة كبيرة زادت كمية الطلب على البضاعة ونقص سعرها.

(٤) والـثقافة تزدهـر أكثر كلما كان البلد كبيراً والحريات أوسع فالكتب والمجلات بحاجة إلى عدد كبير من القراء لكي تكون طباعتها مربحة وفي نفس الوقت فإن اختلاط أهل الفكر والأدب والفن يؤدي إلى إغناء الأفكار وإثراء المعارف وتزدهر الثقافة .

(٥) اليمـن الموحد بقدراته البشرية والاقتصادية والعسكرية الموحدة سوف يكون قادراً على أن يلعب دوراً كبيراً لصالح الأمة العربية وأمنها .

وقـوع اليمـن بجانـب باب المندب ذي الأهمية الإستراتيجية للأمة العربية ولا يستطع إلا اليمن الموحد حمايـة هذا المضيق . كما أن اليمن ما كان يستطيع أن يلعب دوراً فاعلاً في انبعاث الأمة العربية وهو مجزأ ومشغول بقضايا الصراع بين شطره الشمالي وشطره الجنوبي . اليمن الموحد هو فقط القادر على أن يساعد في عملية تكامل اقتصادي عربي وإعادة تحقيق الوحدة العربية المنشودة[1]

ويضـيف الكـتاب الآخر علاوة على ما جاء في الكتاب السالف الذكر – وهو كتاب صادر عن فرع مركز الـبحوث بعدن عن أهمية الوحدة وضرورتها ويشرح المعاناة في الشطرين ويصفها على النحو التالي بعد أن أشار إلى التلكؤات في تنفيذ الاتفاقية وإعلان الوحدة:–

---

[1] مركز البحوث والتطوير التربوي – المرجع السابق صـ٤٢ .

[1] مركز البحوث والتطوير التربوي ، كتاب التربية الوطنية للصف الثامن من التعليم الأساسي صـ٤٩،٤٨ – صنعاء .

" وإزاء هـذا التلكؤ برزت المنظمات الشعبية تطالب بسرعة إتمام الوحدة، وهب أبناء اليمن المخلصون يـنادون المسـئولين في الدولة بضرورة إزالة العوائق أمام مسيرة الوحدة ، وكانت أكبر هذه العوائق تتمثل بالقيود التي فرضت على التنقل بين الشطرين . كانت الأسر اليمنية منذ أمد بعيد متداخلة فبعض أفراد الأسرة يعـيش في الجنوب والبعض الآخر في الشمال، ولم يستطع نظام الإمامة والاستعمار أن يمنع تنقل المواطنين غـير أنـه فيما بعد عام ١٩٦٧م ظهر من المسئولين من وضع القيود الكبيرة التي حدت من تنقل المواطنين فتمزقـت الأسر وصعب على الولد أن يزور والديه وأصبحت الأم محرومة من رؤية أبنائها ، والأخ من رؤية أخيه . وأصبحت نقطتا " كرش " " الشريجة " وبراميلها رمزاً أسود لفضائح الشطرين ، كما كان المسافر بين الشـطرين يتعرض في هاتين النقطتين إلى تفتيش دقيق وطويل ويتم التحقق من أوراقه بتحر زائد كما لو أنه ذاهـب إلـى دولـة أخرى . كان ذلك يجري خلال " ٤ أو ٥ " ساعات يقضيها المسافرون تحت لهيب الشمس وعيون العسكر التي تراقب كل حركة كما لو أن هؤلاء المسافرين ليسوا في وطنهم وإنما في بلاد غريبة .

مـن المعوقات التي كانت تعثر التقدم الوحدوي انعدام الروابط الاقتصادية والثقافية ، فتنقل البضائع كان محـدوداً والمـناهج التعليمـية كانت مختلفة . كما كانت الروابط الاجتماعية ممزقة . فكان في الجنوب اتحاد العمال وفي الشمال اتحاد آخر وفي الشمال اتحاد الطلاب وفي الجنوب اتحاد آخر والمجلة والجريدة التي تطبع فـي الشمال تمنع في الجنوب والكتاب الذي يظهر في الجنوب يمنع في الشمال ، لذا طالبت المنظمات الشعبية والأدبـاء والكـتاب وكـل المحبيـن لوطـنهم وشعبهم طالبوا السلطات بإعادة الروابط الإنسانية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين أبناء الشعب الواحد ونبهوا إلى خطورة كل ذلك على مسيرة الشعب والوحدة " 1 ".

وسـار الكتاب بعد ذلك في استعراض تطورات إعادة تحقيق الوحدة حتى وصل إلى ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م ومن ثم ٢٢ مايو ١٩٩٠م يوم إعلان الوحدة وتشكيل هيئات الدولة اليمنية دولة الوحدة .

بقراءة كل ما سبق بماذا يخرج القارئ ؟

هذا ما يحاول بسطة بتركيز شديد الفصل التالي بتوفيق الله .

الفصل الرابع
خُلاصة واستنتاج

سـارت المـناهج التعليمـية في اليمن شماله وجنوبه في العهد السابق للوحدة المباركة في اتجاه تأكيد الوحـدة وأهمـية إعـادة تحقـيقها، وعملـت من أجل الوصول إلى هذه الغاية وتأصيلها في نفوس الناشئة ووجدانهـم فـي اتجاهيـن ، الاتجاه الأول حرص على تأكيد أن الوحدة طبيعية وهي قدر الشعب ومصيره في اليمن ، وهي مطلب جماهيري مُلح ، يترتب علية إعادة ترتيب البيت اليمني وإصلاح شأنه وبناء دولته القوية والحديـثة بدونها يظل كالقشة في مهب الريح لا وزن له ولا قيمة . والمناهج في هذا الاتجاه عملت وبشكل علمي وموضوعي صادق على إثبات أن التجزئة التي كان يعيشها الشعب قبل ٢٢ مايو ١٩٩٠م مجانبة للواقع ومجافـية للحقيقة التي لا يعلو عليها غُبار ولا يداخلها شك وهي أن اليمن أرضاً وإنساناً موحدة منذ أن خلقها الله وهي لذلك لا بد وأن تعود إلى حالتها التي أرادها الله لها .

وتعظـيماً لهذا الاتجاه جاء الاتجاه الثاني وهو الذي أبرز أبعاد الوحدة ومضامينها الحقيقية وكيف يمكن لهـا أن تعـود بالـنفع على الناس كافة من ناحية وكيف هي حقيقة وحدة طبيعية ذات عمق تاريخي ضارب بجذوره في أعماق التاريخ الموغل بالقدم من ناحية أخرى .

علـى آيـة حال سنحاول هنا واستخلاصاً لما جاء في منهاجي الشطرين سابقاً والكتب المدرسية لعهد ما قـبل الوحـدة ومـا بعدها في العلوم الإنسانية أن نسوق باختصار شديد الأبعاد التي جاءت فيها وهدفت إلى إبرازها وهي :

- أولاً : البعد التاريخي :

اليمن عبر التاريخ كان موحداً والتجزئة حالة طارئة حدثت لأسباب عديدة مباشرة لعوامل مختلفة داخلية وخارجية أهمها :

أ- الحكم التركي الذي حاول جاهداً ضم اليمن إلى السلطة العثمانية .

ب- الاسـتعمار البريطاني الذي عمل بكل السبل والوسائل للسيطرة على جنوب الوطن والتحكم في مداخل البحر الأحمر والمحيط الهندي.

---

[1] فرع مركز البحوث والتطوير التربوي – بعدن – كتاب التربية الوطنية للصف السابع من المدارس الموحدة في المحافظات الجنوبية والشرقية – عدن – يوليو ١٩٩٠ صـ٦٧ ، ٦٨ .

ت- ضــعف النظام الحاكم في شمال الوطن بعد عام ١٩١٨م وركونه إلى فرض نظام العزلة والانكفاء على جزء من الوطن بدلاً من التوجه إلى إعادة توحيد الوطن وإعلان حرب التحرير في جنوب اليمن امتداداً لحروب الاستقلال في الشمال .

ث- بعــد الاســتقلال في الجنوب والثورة في الشمال دخل كل شطر بظروف خاصة وصعبة : توحيد أجزاء الشطر الجنوبي ، والحروب الأهلية في الشمال لثمان سنوات أدت بالنتيجة إلى تأخر إعلان الوحدة .

ج- تبنــي الــنظام فــي الجنوب النظرية الماركسية في الحكم والنظام الشمالي كان التوجه الرأسمالي هو الواضــح في سياسته ، الأمر الذي جعل النظامين على مفترق الطرق .. فحاول كل واحد منهما فرض نفسه على الآخر بالقوة . من هنا فقد ترتب على هذه القاعدة العمل السياسي الذي يمكن رؤيته في :

من هنا فقد كان الواقع لنتاج هذه العوامل ، ولكنه لم يكن واقعاً مقبولاً من الدولتين ، حيث كان العمل السياســي يقوم على قاعدة إعادة تحقيق الوحدة بمختلف السبل . منها فرضها بالقوة ، والعمل السياسى على هــذه القاعدة يمكن رؤيته واضحاً فى المسائل التالية التى برزت فى منهاجي وكتب الشطرين ، واكدتها الكتب الدراسية بعد الوحدة وهى :-

(١) اســتراتيجية الــثورة اليمنية مرتبطة عضوياً وبدون إنفصام بوحدة الثورتين كوحدة تتوج وحدة الأرض والشعب اليمني وبالتالي وحدة المصالح المشتركة .

(٢) إنهاء حالة التجزئة وإعادة تحقيق الوحدة تعبير صادق عن الحب والوفاء للوطن اليمني ، وترجمة واعية ومخلصة لمطامح الشعب اليمني التاريخية .

(٣) اعتــبار الحــرص على مستقبل اليمن والتمسك بوحدته المقياس الحقيقي لمستوى وطنية النظام ونضاله الجاد من أجل إعادة تحقيق الوحدة لذلك كله كانت الوحدة هدفاً نضالياً للنظامين .

(٤) الوحــدة اليمنــية هي الحل الصحيح للقضية الوطنية المتمثلة في وحدة الأرض والمصالح والوصول إلى التحرير الوطني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي الكامل .

(٥) الــبعد النضالي لا يتوقف عند إعادة تحقيق الوحدة بل يتعدى ذلك إلى الاستمرار بالنضال الحثيث من أجل تثبيتها وحمايتها وبالتالي إنجاز كافة الأهداف المرحلية والتاريخية الاستراتيجية للثورة اليمنية .

(٦) إعــادة تحقــيق الوحدة بمضمون ديمقراطي هو المسلك الطبيعي المعبر عن إرادة الشعب اليمني صاحب المصلحة الأولى في الوحدة.

(٧) لن يقف ضد الوحدة ويعلن معارضته لها إلا الأعداء الحقيقيون لليمن وهم أعداء ثورتي سبتمبر وأكتوبر.

(٨) وبهــذا ومــن كل ما سبق تكون خطوة إعادة الوحدة خطوة إيجابية استوعبت الإرادة الجماهيرية وعبرت عنها ، وهي بذلك تعد وبحق تجميع لقدرات الوطن اليمني إمكانياته البشرية والمادية التي من شأنها لو أحســن استغلالها والاستفادة منها تحقيق التكامل وإيجاد نهضة وتنمية شاملة وإيجابية في شتى مجالات الحياة ومناشطها المختلفة .

ثانياً : البعد الديني :

اعتــبرت الأهــداف العامة للتربية الإسلامية وكتبها في الشطرين سابقاً وفي الجمهورية اليمنية بعد إعــادة تحقيق الوحدة اليمنية المباركة إن الوحدة اليمنية والسعي إلى تحقيقها أولاً واجب ديني ويتجسد البعد الديني بقولة تعالى :

{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ...} صدق الله العظيم

ثالثاً : البعد الجغرافي والاقتصادي :

نســتنتج من الأهداف العامة والخاصة للمنهاجين ومن الكتب الدراسية للمواد الإنسانية قبل الوحدة يعدها في جانب البعد الجغرافي والاقتصادي أن :

(١) إعادة تحقيق الوحدة هو استجابته طبيعية لجغرافية الوطن الواحد كما خلقه الله وكونه وهذه الوحدة الجغرافية تجعل الوطن اليمني :

أ – وحــدة اقتصادية تضم سهولاً ووديانا وهضاباً وبتنوع المناخ والأمطار تتنوع المحاصيل الزراعية .. عــلاوة علــى مــا تزخــر به أجزاء متعددة من اليمن الطبيعية من ثروات معدنية هائلة من الحديد والنحاس والفوسفات والذهب والبترول .. والذي يحقق في الأخير وبالنتيجة نهضة زراعية وصناعية تصبح معها اليمن من أغنى الدول وأكثرها رقياً .

ب – الوحدة الجغرافية لليمن الطبيعية تعيد لليمن مجدها التاريخي كدولة تجارية كبرى بأطول ساحل يمتد على البحر الأحمر والمحيط الهندي .

ج – الوحــدة الجغرافية لليمن الطبيعية من خلال موقعها الإستراتيجي والعسكري الفريد المتحكم بمداخل الـبحر الأحمــر والمحــيط الهـندي يُمكـنـها مــن أن تصبح قوة مؤثرة وفاعلة كبرى من خلال هذا الموقع الإستراتيجي العسكري الهام .

د – اليمــن بحكم تكوينها الطبيعي والجغرافي وموقعها تملك إمكانيات دولة زراعية ، صناعية ، وتجارية كبرى تجعل منها بوحدتها والاستخدام الأمثل لإمكانياتها قوة عظمى لها وزنها في المجتمع الدولي .

واختصاراً يمكن أن نعد (جـ ، د) مؤشراً على البعد الدولي للوحدة وبالتالي يمكن أن نعدهما مدخلين للتدخل الدولي وإعاقة مسيرة الوحدة وتحويل مسارها من الاتجاه الذي لا يحقق ما جاء فيهما .

رابعاً : البعد القومي :

لا أعـتقد أنـنا نبالغ إذا قلنا أن الوحدة اليمنية بعمقها وأبعادها المختلفة هي في الأصل والجذور أساس للوحـدة العربـية ويعد من أبعادها القومية ولذلك نجد المناهج على مختلف موضوعاتها الإنسانية وكذا الكتب الدراســية أكـدت هذه الحقيقة وعكستها على نحو واضح وجلي يصعب تتبعه وإيراده في هذه العجالة لغزارة مادته وتعدد أهدافه في أكثر من منهج ومادة واختصاراً يمكن إيجاز كل ما جاء في هذه البعد الآتي :–

١ – الوحــدة اليمنــية هــي الخطوة الأولى التي لا بد منها في اتجاه الإسهام في تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

٢ – اليمن الواحد الموحد بوحدته القادر على أن يساعد في إقامة تكامل اقتصادي عربي وتحقيق الوحدة العربية المنشودة .

٣ – اليمــن الواحــد الموحــد القوي بوحدته القادر على أن يكون صمام أمان في وجه المؤامرات التي تتعرض لها الأمة العربية إذ يطل اليمن على أهم بوابة بحرية فيها .

* الخلاصة :

إن تربــية النشــئ علــى الـنحو الذي جاء موجزا ومستخلصاً فيما سبق يعني تكوين شخصية الناشئ بأبعادهــا المخــتلفة علــى حب الوحدة والنضال الحثيث من أجل إعادة تحقيقها ، وما إن تحققت الوحدة حتى أصـبحت مهمـــة الناشئة ودورهم في التضحية بكل الجهد للدفع بالوحدة نحو تحقيق كل الغايات والأبعاد التي جئنا على ذكرها وإبرازها فيما سبق وعلى رأسها البعد القومي .

ويجدر بنا من نافلة القول الإشارة أن كل هذا لن يتأتى ولن يتم إلا بتثبيت دعائم الوحدة وترسيخ جذورها وقواعدهــا علــى أرضيه الأيمان القوي بحتمية الوحدة وحتمية استمراريتها وصلابة عودها وتاريخية بعدها وعمقها الضارب جذوره في أعماق بعيدة في التاريخ .

أن هذه الحقيقة عكستها المناهج والكتب المدرسية ، وحذرت من المؤامرات التي تحاك للنيل من الوحدة ومكتسباتها ودعت إلى التمسك بالوحدة خياراً لا ثان له وهدفاً لا يجوز التنازل عنه .

مــن هــنا وانســجاماً مــع ما جاء في المادة التي استعرضناها في منهاجي الشطرين سابقاً ومن الكتب الدراســية بعــد الوحدة يمكننا القول وبكل ثقة أن الوحدة أمر صاغه الجمهور وعمده بنضاله الطويل والمرير عــبر مئات السنين الذي تجسد في الواقع وبرز إلى الحياة بإعلان الوحدة في ٢٢ مايو ١٩٩٠م هذا الإعلان واســتناداً إلى ما جاء في منهجي الشطرين ومن الكتب الدراسية قبل الوحدة المباركة وبعدها شكل حالة طالما حلــم بهــا اليمانــيون ، وطالما تمنوا حدوثها ، وكان ٢٢ مايو ١٩٩٠م يوم اكتمال الحلم ونضج الشخصية الوطنية والعودة إلى الصواب والسير في الاتجاه الصحيح. وبالمقابل إن أي عودة أو تراجع لن يمثل للجماهير ســوى ردة مجانبة للواقع ومخالفة للسنة الإلهية في التوحيد والوحدة . وإن هذا لو حدث لن يكون إلا إعلاناً عــن حالــة تــرد وعن شيوع حالة من الاضطراب والقلق تتصدع بها الشخصية اليمنية لتدخل في حلقة من الصراع مع النفس والقيم ومع التاريخ والمفاهيم التربوية .

إن المحصلة الأخيرة التي قد تصيب الشخصية اليمنية فيما لو تحقق التراجع في أي مرحلة تاريخية هي الإصــابة بحالة فصام ناتجة عن تنافس وتضاد بين قيم يؤكد عليها نظرياً ؛ وممارسات تخالفها وتختلف عنها جملــة وتفصيلاً .. حيث لا يمكن للإنسان اليمني الذي ظل يتلقى قيماً تربوية تمجد الوحدة وتقدسها على مدى جــيل (٢٥) عاماً أن يقبل بتجاوز هذه القيم التي شكلت دافعاً قوياً بداخله ، تطلب منه أن يقدم من أجلها كل غال ونفيس ، وأن يناضل من أجل تعزيز العمل لإعادة تحقيقها .

إن الوحــدة في تاريخ الشعب وفي قيمه التربوية والسياسية .. الخ، يعد هدفاً عظيماً والتضحية من أجله أكثر عظمة ونبلاً .. إن أبسط ما يمكن تصوره هو أن يفقد الإنسان اليمني الثقة بزعامته ، ويفقد الثقة في كل ما تقوله ، ويصبح كل ما كتب ويكتب مسألة لا تشكل آي معنى أو قيمة في حاضر هذا الإنسان أو في مستقبله ، فهي جميعاً من وجهة نظره أمور ووسائل تسخر الإنسان لخدمة الزعماء ، وإن القيم الحقيقية هي المصالح

والمصـــالح وحدهـــا هي السائدة ، أي أن الإنسان لا يمكن أن يعيش حالة من الصراع في داخلة بين مُسلمات وحتمـــيات هـــي الوحـــدة وبيـــن مزاعم وخروج عن التاريخ هو الانفصال وما ينتج عن ذلك من حالة إحباط واكتئاب وانفصام أخف أضراره فقدان الثقة وعدم التصديق لأي شيء تطرحه القيادات أو تكتبه وتعلمه .

مـــن هنا يمكننا أن نقول واعتماداً على كتاب التربية الوطنية للصف الثامن من التعليم الأساسي والصف الســـابع مـــن المدرسة الموحدة إن الوحدة بأبعادها المشار إليها لا بد وأن تواجه مؤامرات ومحاولات تفكيك تتطلب مواجهاتها وصدها ونترك للكتاب التحدث عن ذلك :

" سوف تتعرض الوحدة لمؤامرات الأعداء وسوف يسعى هؤلاء إلى تمزيق الوحدة اليمنية وتفتيت اليمن مجـــدداً إلى كيانات صغيرة وضعيفة وسوف يحاول الأعداء أن يجعلوا من أهل اليمن فرقاً تقاتل بعضها البعض ليتمكـــنوا من السيطرة على الجميع ونهب ثروات الشعب اليملي ، لذا يجب على كل مواطن أن يدافع ويحمي الوحدة فكيف يمكن ذلك " . (1)

يجيب الكتاب بذكر الآتي

(١) محاربة روح التعصب القبلي .

(٢) مقاومة روح التعصب الطائفي .

(٣) الابتعاد عن ذكر هذا شمالي وهذا جنوبي .

(٤) احترام النظام والقانون .

(٥) حب الدراسة والتنظيم .

هذه أمور حث الكتاب الطالب التقيد بها لحماية الوحدة ، وهي ذاتها يمكن أن ، تقال لكل مواطن وهى ذاتها التى نريد ونريد أن يعمل على التحلي بها وتمثلها في سلوكه كل الأفراد فى الدوله والمجتمع حرصاً على اليمن وحماية لوحدتها ومكتسباتها في الديمقراطية والتعددية السياسية والحزبية والتداول السلمي للسلطة ومن الله التوفيق والسداد .

التوصيات :

إن هـــناك ضـــرورة وطنية تحتم العمل التضامني المبرمج والمدروس لكل المؤسسات التربوية بما يؤدي إلـــى تأصـــيل الوحدة في نفوس الناشئة ويعزز وجودها الحي في تفكيرهم وممارساتهم .. وبهذا الصدد يعتقد الباحث أن التوصيات التالية قد تفيد :

أولا:- وضـــع صيغة واضحة تحدد طبيعة مهام المؤسسات التربوية في ضوء فلسفة تربوية واضحة تعد من خلال الفلسفة العامة للدولة وفي ضوئها .

ثانيا :- تفعيل قانون التعليم بما جاء فيه من نصوص تشير إلى فلسفة التربية ومصادرها.

ثالـــثاً :- عمـــل بـــرامج تربوية موحدة تؤصل الوحدة وتعمل على ترسيخ مقوماتها وتتولى المؤسسات التربوية تنفيذها كل في ميدان عملة واختصاصه .

رابعـــا:- عمل برامج إعلامية تربوية توضح معاني الوحدة ومضامينها وأهميتها على المستوى الوطني والقومي وأبراز حجم المؤامرات على الوحدة وفقاً لتلك الأهمية.

خامســـا:- تقنين العلاقات مع المؤسسات الدولية العاملة في الميادين التربوية بوجه عام والمناهج بوجه خاص وبما لا يسمح لهذه المؤسسات تنفيذ أية أعمال على حساب القيم الإسلامية والوطنية والقومية .

سادسا:-تشكيل لجان وطنية من خلال مركز البحوث والتطوير التربوي تعمل على تطوير المناهج وبنائها علـــى نحو يجعلها وطنية ومستوعبة لابعاد الوحدة القومية والإنسانية ومستوعبة للمتغيرات القائمه والجارية فى المجتمع اليمنى ، وكذا مستوعبة لطموحات الناشئة والاطراف المعنيه بالتنمية والتغيير والتطوير .

المراجع والمصادر:-

أولا:-المراجع لفترة ما قبل :

(أ) المناهج والكتب الدراسية لما كان يسمى بالجمهورية العربية اليمنية :

١. وزارة التربية والتعليم ، منهاج اللغة العربية ،صنعاء ١٩٧٨م.
٢. وزارة التربية والتعليم ، منهاج التاريخ ، صنعاء ١٩٧٨م.
٣. وزارة التربية والتعليم ، منهاج الجغرافية، صنعاء ١٩٧٨م.

(1) مركـــز الـــبحوث والتطوير التربوي – صنعاء – كتاب التربية الوطنية للصف الثامن من التعليم الأساسي، مرجع سابق صـــ٥٠ . فرع البحوث والتطوير التربوي بعدن – كتاب التربية الوطنية للصف السابع من المدرسة الموحدة ، مرجع سابق .

٤. وزارة التربية والتعليم ، مذكرات في المجتمع اليمني للصف الأول الثانوي وما في مستواه ، مطابع الكتاب المدرسي ، صنعاء ١٩٨٨م.

ب:- المناهج والكتب الدراسية لما كان يسمى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
١. وزارة التربية والتعليم منهاج اللغة العربية للمدرسة الموحدة -عدن ١٩٨٠م
٢. وزارة التربية والتعليم منهاج التاريخ للمدرسة الموحدة -عدن ١٩٨٠م
٣. وزارة التربية والتعليم منهاج الجغرافية للمدرسة الموحدة -عدن ١٩٨٠م.
٤. وزارة التربية والتعليم منهاج التربية الدينية للمدرسة الموحدة -عدن ١٩٨٠م.
٥. وزارة التربية والتعليم منهاج قضايا المجتمع للمدرسة الموحدة -عدن١٩٨٠ م.
٦. وزارة التربية والتعليم منهاج التاريخ للصف الخامس للمدرسة الموحدة-عدن١٩٨٠ م.
٧. مركز البحوث التربوية ،قضايا المجتمع للصف الثامن من المدرسة الموحدة -عدن ١٩٨٠م .

ثانيا :المصادر للفترة ما بعد الوحدة :
١-وزارة التربيـــة والتعلـــيم -التربـــية الوطنية للصف الثامن من التعليم الأساسي -صنعاء -مطابع الكتاب المدرسي ١٩٩٢م.
٢-مركز البحوث والتطوير التربوي -التربية الوطنية للصف الثامن من التعليم الأساسي -صنعاء-١٩٩٣م.
٣-فـــرع مركـــز الـــبحوث والـــتطوير التربوي بعدن -التربية الوطنية للصف السابع من المدارس الموحدة للمحافظات الجنوبية الشرقية -عدن يوليو ١٩٩٠م.

- مراجع تم الاستفادة منها :-
١. د / عـــبد الله احمـــد الذيفانـــي . فلســـفة التربية العربية ، رؤية ومناقشات مجلة كلية التربية الجامعة المستنصرية عدد (٣) لعام ١٩٩٣م.
٢. د / عـــبد الله احمد الذيفاني .فلسفة التربية وبناء المنهج في الجمهورية اليمنية . بحث قدم لندوة واقع التعليم ومشكلاته في الجمهورية اليمنية بصنعاء ١٩٩٢م.
٣. د / عـــبد الله احمد الذيفاني .فلسفة التربية في الجمهورية اليمنية ، بحث قدم للمؤتمر الفكري الخامس لاتحاد التربويين العرب ، بغداد ١٩٩٣م.

الوحدة اليمنية في فكر
مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر

د.أحمد القصير
أستاذ علم الاجتماع
كلية الاداب – جامعة صنعاء

١ – مقدمة:

تتناول هذه الدراسة الحركة الطلابية اليمنية بمصر التي ظهرت مع بداية النصف الأول من القرن العشرين. وهي الحركة التي ضمت أبناء كافة مناطق اليمن، ودعت إلى إلى الوحدة اليمنية، وناهضت كل دعوة تتناقض مع هذا التوجه. فقد كانت الحركة الطلابية اليمنية بمصر هي أول من أكد في العصر الحديث على "قضية وحدة الشعب اليمني ووحدة الأراضي اليمنية". وهو ما يعني أن فكر تلك الحركة قد اتسم بالعمق، كما انطوى على نظرة استشراف حول مستقبل اليمن. فمنذ حوالي نصف قرن وقف الطلاب اليمنيون بالقاهرة ضد كل ما يهدد "قضية الشعب اليمني الواحدة في كفاحه ضد الاستبداد والاستعمار من أجل الوحدة والتحرر الوطني". فقد شهد عام ١٩٥٦ تطورا هاما في مجال البناء التنظيمي لتلك الحركة وفي مجال توجهاتها الفكرية. وتجسد ذلك في انعقاد "مؤتمر للطلاب اليمنيين الدائم بمصر"، وفي تشكيل المؤتمر لجنة تنفيذية لمتابعة تنفيذ قراراته.

ولا جدال في أن قيام جامعة عدن بعقد ندوة حول وحدة الأرض والإنسان في اليمن عبر التاريخ إنما ينطوي على تقدير للذين كانوا أول من طرح تلك الأفكار حول وحدة الشعب اليمني والأراضي اليمنية في العصر الحديث.

كان الطلاب اليمنيون يتواجدون في مصر في شكل بعثات تعليمية بدءا من نهاية أربعينات القرن العشرين. وسرعان ما أصبح ذلك التواجد يشكل تجمعا له تأثيره الفعال على الحركة الوطنية اليمنية. ومن المؤسف أن تلك القضايا لا تلقى اهتمام الباحثين والمؤرخين على الرغم من أهميتها على كل من الصعيد السياسي، والتاريخي، والثقافي، والفكري. وسوف تتناول دراستنا هذه نشاط تلك الحركة والمفهوم الذي طرحته حول "الوطن الواحد" و"الوحدة اليمنية" وحول "اليمن الطبيعي" أو "اليمن الطبيعية" حسب التعبير الذي استخدمته الحركة الطلابية. ومن ثم فإننا سنتناول فكر تلك الحركة وممارستها العملية التي توافقت بشكل واضح مع منطلقاتها الفكرية خاصة فيما يتعلق بتأكيد مؤتمر الطلاب الدائم علي "قضية وحدة الشعب اليمني ووحدة الأراضي اليمنية" حسبما أشرنا من قبل.

٢ – البنية المؤسسية للحركة الطلابية:

٢/١ – رابطة الطلاب اليمنيين (التنظيم النقابي للحركة):

تشكلت البنية التنظيمية للحركة الطلابية في مصر من شكلين رئيسيين. الأول عبارة عن تنظيم نقابي لرعاية مصالح الطلاب واتخذ شكل "رابطة الطلاب اليمنيين". وإلى جانب ذلك كان هناك الهيكل السياسي للحركة المتمثل في "مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم" و "لجنة تنفيذية" لمتابعة النشاط وتنفيذ القرارات.

وظهرت الدعوة إلى تأسيس الرابطة لأول مرة بين الطلاب اليمنيين في حلوان عام ١٩٥٢ حيث يتواجد معظم الطلاب اليمنيون في مصر. وكان أصحاب هذه الدعوة مجموعة ضمت ابراهيم صادق، وخالد فضل منصور، وعبده عثمان محمد، وطاهر أحمد رجب. وقد قام هؤلاء الأربعة بالجهد الطليعي والرئيسي في عملية تأسيس الحركة الطلابية اليمنية في مصر. وفي مرحلة لاحقة شارك بجهد بارز مجموعة كبيرة من بينها أبوبكر السقاف، وأحمد الشجني، وعمر الجاوي، ومحمد أنعم غالب، ومحمد عمر حسن اسكندر السقاف، ومحمد عبد الله العصار وآخرون. وبناء على دعوة مجموعة الأربعة [1] انعقد اجتماع في ١٩٥٢ في دار البعثة

---

[1] ابراهيم صادق هو الوحيد في هذه المجموعة الذي ينتمي إلى البعثة الطلابية المحولة من لبنان إلى القاهرة. أما خالد فضل منصور فكان ضمن بعثة لحج الحكومية. وكان عبده عثمان محمد قد جاء إلى مصر لينضم إلى البعثة المملكة المتوكلية المنقولة من لبنان. كما كان طاهر أحمد رجب قد وصل إلى مصر في عام ١٩٤٧ مع شقيقه عبد الله للدراسة بالمرحلة الابتدائية على حساب والده ومعهم

اليمنية في ٢٨ بشارع رسم بمدينة حلوان بضواحي القاهرة لمناقشة تأسيس رابطة للطلاب. غير أن ذلك الاجتماع لم ينجح ولم يتم تأسيس الرابطة في ذلك الحين. ويعود عدم النجاح إلى عدم نضج الفكرة وإلى ما ترتب على الزوبعة التي نشبت بسبب إعلان عبد الله الكرشمي في الاجتماع بأن اليمني هو من يدفع الضرائب للإمام.

وكان في حلوان ثلاث بعثات طلابية يمنية: الأولى من المملكة المتوكلية. وضمت بعض الطلاب الذين كانوا يدرسون على حسابهم الخاص أو على حساب الحكومة المصرية. وانضم أعضاء هاتين الفئتين فيما بعد إلى البعثة الطلابية للملكة المتوكلية التي تأسست في حلوان في أعقاب وصول بعثة الأربعين طالبا الذين كانوا في لبنان منذ ١٩٤٧. فقد تم تحويل هؤلاء إلى القاهرة بعد فترة من مقتل الإمام يحي. وعلاوة على ذلك شملت المجموعة الطلابية التي كانت في حلوان آنذاك عددا من الطلاب جاءوا من اليمن للالتحاق بالبعثة بالإضافة إلى عدد آخر ذهب إلى مصر على حسابه الخاص وتم ضمه إلى البعثة بناء على طلبات تقدموا بها.

كما تجدر الإشارة إلى أنه قد وصل إلى القاهرة في أول يناير١٩٤٨ بعثة صغيرة من أربعة طلاب لكنهم لم يذهبوا إلى حلوان [٢]. وكان ذلك قبل انتقال بعثة الأربعين من لبنان إلى القاهرة. وقد شكل طلاب هذه المجموعة الأخيرة الذين انتقلوا من مدارس المقاصد الحميدة في صيدا وطرابلس بلبنان الأغلبية بين الطلاب اليمنيين المتواجدين آنذاك في حلوان بضواحي مدينة القاهرة [٣](٣). ولكن سرعان ما أخذ الطلاب اليمنيون يتدفقون إلى تلك الضاحية. وهو ما أدى إلى تضاعف عدد طلاب البعثة عدة مرات في فترة وجيزة. وتجدر الإشارة إلى أن عددا من أعضاء بعثة الأربعين قد اتجه بعد إنهاء الدراسة الثانوية إلى الالتحاق بالكلية الحربية في مصر. وكان تأسيس دار للبعثة اليمنية لإقامة الطلاب قد أدى إلى تحويل مدينة حلوان إلى مركز تجمع رئيسي للطلاب اليمنيين. وأخذ الوافدون الجدد ينضمون إلى البعثة.

وكانت البعثة الطلابية الحكومية الثانية من لحج، وقد تشكلت من خمس طلاب كانوا جميعا في مدرسة حلوان [٤] . أما البعثة الحكومية الثالثة فكانت من حضرموت [٥]. أما البعثات الأهلية فلم يتواجد منها في القاهرة في ذلك الحين سوي بعثة نادي الأغابرة [٦]في عام١٩٥١، وهي من ثلاثة طلاب فقط. أما بعثة الاتحاد

قريبهم محمد عمر صبري. وحصل الثلاثة على منحة من الحكومة المصرية وبعد حصولهم على الابتدائية انتقلوا إلى مدرسة حلوان الثانوية بمنحة مصرية أيضا. وبعد وفاة والد طاهر في ١٩٤٩ انضمت هذه المجموعة إلى بعثة الطلاب اليمنيين بعد توسط أقاربهم عند الإمام. ومن ثم تركوا القسم الداخلي بمدرسة حلوان وانتقلوا للإقامة في مقر البعثة اليمنية بحلوان، واستمروا يدرسون في نفس المدرسة.

[2] وصلت إلى القاهرة في ١ يناير ١٩٤٨ بعثة من أربعة طلاب أرسلهم الإمام، إي أنهم وصلوا قبل وصول البعثة الطلابية المحولة من لبنان. وهؤلاء الأربعة هم: حسين علي الحبيشي، وعبد العزيز الفتيح، وعلي عبده سيف، ومحمد عبد الله عبده. وجاء إرسال هذه البعثة بناء على نصيحة أساتذة مصريين بإرسال طلاب إلى مصر يتم اختيارهم من بين الذين يدرسون في عدن. وطلب الإمام يحي من محمد سعيد موافي، الذي كان قد انتقل من عدن إلى تعز، بأن يقوم باختيارهم علي أن يتوفر في كل منهم الشروط التالية:

١ –أن يكون من أبناء الشمال؛

٢ – أن يكون حسن الخلق ومن المتفوقين. وتم اختيار عشرة طلاب قطعوا شوطا في الدراسة، لكن لم يسافر من بينهم في ذلك الحين سوى أربعة فقط. وذهب اثنان منهم إلي طنطا واثنان إلى المنصورة.

أما محمد أنعم غالب الذي ينتمي إلى نفس جيل هذه المجموعة فقد ذهب إلى مصر في سبتمبر ١٩٤٨ للدارسة على حساب والده. وسافر معه عبد الغني على ومحمد قائد سيف. وذهبوا في البداية إلى بني سويف ثم انتقلوا إلى حلوان وانضموا إلى البعثة.

[3] ضمت البعثة المحولة من لبنان ٤٠ طالبا هم:

ابراهيم صادق، أحمد قائد بركات، أحمد الطل، أحمد المحني، أحمد مفرح، حسن علي السقاف، حسن مكي، حسين صلاح الدين، صالح الجمالي، طاهر الكلالي، عبد الرؤوف رافع، عبد الكريم المقحفي، عبد اللطيف ضيف الله، عبد الله جزيلان، عبد الله الكرشمي، علي الحبوري، علي أحمد الخضر، علي السقاف، علي سيف الخولاني، علي الأبيض، علي أحمد العيني، علي الكهالي، علي المطري، علي محمد عبده، محسن السري، محسن العيني، محمد خشافة، محمد زبارة، محمد عبدالعزيز سلام، محمد عبد المغني، محمد مانع، محمد فائع، محمد الرعدي، محمد الماخذي، محمد الأهنومي، محمد الوجيه، هاشم الحوثي، هزاع بجاش، يحي جغمان، ويحي الديلمي. وكان مدير البعثة هو يحي المضواحي بينما كان علي الأنسي مديرها المساعد.

ومن بين الذين انضموا إلي البعثة في حلوان فيما بعد: سليمان حسن، وعبده عثمان محمد، ومحمد عبد الوهاب جباري وشقيقه عبد الله، ومحمد طه الوشلي، وفؤاد قائد محمد، ومحمد عبد الله العصار.

ضمت هذه البعثة: أحمد محمد ثابت، وعلي عبد الحق، ومحمد قائد محمد. واستقروا في حلوان أيضا.

[4] تكونت بعثة لحج في ١٩٤٨ من: أحمد سعيد صدقة، وخالد فضل منصور، وصالح حرصي فرج، وفضل حسين عنبول، وناصر عامر. وبعد فترة انضم إليهم عبد الله أحمد شهاب، وفيصل عبد اللطيف الشعبي.

[5] أعضاء تلك البعثة في حلوان هم: أحمد عمر بن سلمان، وصالح بن همام، وعبد الله سالم باعباد، وعمر بارحيم.

[6] ضمت هذه البعثة: أحمد محمد ثابت، وعلي عبد الحق، ومحمد قائد محمد. واستقروا في حلوان أيضا. ضمت البعثة التي وصلت إلى مصر في ١٩ نوفمبر ١٩٥٣: أحمد الشجني، سعيد الشيباني، عبد الوهاب عبد الباري، علي أحمد الدعيس، علي عبد الله الأغبري، فتح الأسودي، فيصل عبد المجيد الأصنج، قائد محمد ثابت، محمد غالب فارع، محمد عبد الملك أسعد، محمد نعمان القدسي،

اليمني المكونة من عدد أكبر فلم تصل إلى القاهرة إلا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ في مصر بأكثر من عام. وكـان تـاريخ وصولها هو ١٩ نوفمبر١٩٥٣ على وجه التحديد (٦). وتلي ذلك بعثة أخري للاتحاد اليمني ذهبت إلـى القاهرة في أوائل عام ١٩٥٤. وقد رشح نادي الشـباب اللحجي طلاب هذه البعثة. وتشكلت من خمسة طلاب ينتمون إلى قرية واحدة [٧]. وفي عام ١٩٥٤ أيضا أرسل الإمام بعثة أخرى إلى مصر [٨]
احـتاج تأسيس رابطة تجمع كل أبناء اليمن الطبيعي، بعد فشل محاولة تأسيسها في عام ١٩٥٢ بحلوان إلى مرور فترة من الوقت ودرجة أعلى من النضج. وقد نجحت عملية التأسيس بالفعل في السنوات التالية بعد أن تبلورت فكرتها على نحو أفضل، وبعد أن نضجت المواقف والتصورات وبعد حدوث التفاعل بين الطلاب. ولهذا انضـم إلـى الـرابطة جميع الطلاب اليمنيين في مصر من كافـة التوجهات ومن كافة المناطق الجغرافية في اليمن. وكان الراحل محمد عمر حسن اسكندر السقاف هو أول رئيس لتلك الرابطة. وقـد أسهم بدور بارز في عملـية تأسـيس هذه الرابطة عدد كبير من الطلاب. ويبرز من بينهم أبوبكر السقاف، وأحمد الشجني، وخالد فضـل منصور، وعبده عثمان محمد، وعبد الله صالح، وعبد الغني علي، وعمر الجاوي، ومحمد أنعم غالب.
وأصـبحت هذه الرابطة في واقع الأمر بمثابة مدرسة حصل من خلالها الطلاب اليمنيون على خبرة بمؤسسات المجـتمع المدنـي وإدارتهـا. كمـا مارسوا من خلالها أيضا تجربـة العمـل الديمقراطي ورعاية مصالحهم والدفـاع عنها.

٢/٢ – الهيكل السياسي للحركة:

١/٢/٢ – مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر ١٩٥٦:

أسهمت الحركة الطلابية اليمنية في مصـر بدور يتسم بالريادة فيما يتعـلق بقضية الوحـدة اليمنـية. فقـد طرحت تلك الحركة مفهوم الوطن الواحد ووحـدة التراب اليمني. وكانت أول حركة سياسية يمنية تضم جميع أبناء"اليمن الطبيعي"، كما أكدت وتمسكت "بأن اليمن الطبيعية كل لا يتجزأ وقضيتها واحـدة ذات كفاح واحد في سبيل التحرر والوحدة الوطنية الشاملة" (من قرارات مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر عام ١٩٥٦).
كانـت التنظـيمات السياسـية اليمنيـة تعمـل، في ذلك الوقت، في إطـار واقع يقوم على تجزئـة البـلاد وتقطـيعها مـا بيـن الاسـتعمار والإمارات في الجنوب والإمام في الشمال. غير أن الحركة الطلابية اليمنية تجاوزت، منذ نشأتها، هذا الواقع على مستوى كل من الفكر والممارسة. ويعتبر انعقاد مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر في٢٣ يوليو ١٩٥٦ وتشكيله لجنة تنفيذية مرحلة بارزة من مراحل تطور الحركة الطلابية اليمنية بوصـفها أحـد الفصـائل الأساسية التي تسعى إلى يمن جديد تتحقق فيه وحدة تراب الوطن بعد التخلص من الحكم الاستبدادي في الشمال، ومن الاستعمار في الجنوب.
وقـد عـاش الطـلاب اليمنيون في السنوات التالية لوصولهم إلى القاهرة تجارب خصبة أسهمت في صياغة وعـيهم وفـي تـبلور فكرهم حول قضايا الوطن اليمني والوطن العربي. ففي بداية خمسينات القرن العشرين شـهدت مصـر – حيـث يعيش الطلاب اليمنيون – تجارب كانت ذات تأثيرات بارزة على النطاق العربي. فقد عرفـت مصـر آنذاك تجربة ديمقراطية في ظل حكومة الوفد التي ألغت معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا، وأتاحت الفرصـة للكفـاح المسلح ضد القوات البريطانية في منطقة قناة السويس. وعندما تم قطع الطريق على هذه التطورات الوطنية بحريق القاهرة في فبراير ١٩٥٢ سرعان ما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.
وفـي ذلـك المـناخ تصاعدت المشاعر الوطنية على نحو غير مسبوق. وشملت هذه العملية الجميع. وعاش الطـلاب اليمنـيون تجربة تلك التطورات على امتداد ستة أعوام تقريبا. كما أسهمت أعداد ليست قليلة منهم بفاعلـية فـي النشاط العام الذي كان يجرى في مصر تلك التطـورات. وكان ذلك من خلال النشاط في منظمة

ويوسـف عـبد العزيـز عطا. وضمت هذه البعثة أيضا عبد الكريم الإرياني ومطهر الإرياني ومحمد الشهاري. لكن تاريخ وصولهم يحتاج إلى تدقيق.

[7] تكونـت هذه البعثة من: أبوبكر السقاف، و جعفر السقاف، وعلى عيدروس السقاف، وعمر الجاوي (السقاف)، ومحمد عمر حسن اسـكندر السـقاف. وينـتمون جميعا إلى قرية الوهط في لحج. وقد وصلوا إلى مصر في أوائل عام ١٩٥٤ عن طريق البحر. واستقر أعضـاء هذه البعثة بالدقي في القاهرة، لكن قام البعض منهم بتأدية امتحان الشهادة الثانوية في حلوان. كما انضم إليهم فيما بعد عبد الله حسن العالم.

[8] مـن أعضاء هذه البعثة: أحمد الحداد، وسلطان أحمد عمر، وعبد الرحمن علي عثمان، وعبد المجيد الزنداني، وعبدالواحد الزنداني، ومحمـد حسـن باجنيد. ولم تتوفر لنا بقية الأسماء. وكان عبد الله صالح من بين المرشحين لكن تم شطب اسمه. فدفـع مبلغا لخزينـة الإمـام وسافر إلى مصر وانضم للبعثة.

"الحــركة الديموقراطــية للــتحرر الوطني" المصرية المعروفة باسم "حدتو". وهو ما أكسبهم معرفة ونضجا وأغــنى تجربــتهم. وكــانوا يحرصــون دوما على أن يسخروا وعيهم وخبرتهم لخدمة قضية مستقبل اليمن ووحدتــه. (أنظــر: أحمــد القصير، شــهادة تاريخية، مركز البحــوث للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق بالقاهرة).

وفي منتصف عام ١٩٥٦ عمل الطلاب على بلورة تجربتهم وتصوراتهم حول قضايا المجتمع اليمني في ضوء الــتطورات العربــية من جانب وفي ضــوء التجــارب السابقة لحركة الأحرار والاتحاد اليمني ورابطة أبناء الجــنوب من جانب آخر. وفي إطار تلك العملية انعقد في منتصف شهر يوليو١٩٥٦ اجتماع تمهيدي لعدد من الطلاب اليمنيين في منزل محمد جباري بالدقي. وكلف الحاضرون لجنة ضمت كلا من أبوبكر السقاف، ومحمد جباري، وعبد الكريم الإرياني بالعمل على تنظيم عقد اجتماع عام للطلاب اليمنيين بالقاهــرة لمناقشة الأوضاع السياسية في كل من الشمال والجنوب. وبعد موافقة رابطة الطلاب الفلسطينيين على أن ينعقد المؤتمر بمقرها بشــــارع قصر النيل حصل الطلاب على موافقــة قسم الشرطة على انعقاد المؤتمر. وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٦ انعقــد المؤتمــر فــي ظل حراسة جنود الشرطة للعمارة التي يقــع بها مقر رابطة الطلاب الفلسطينيين. كما تواجــد بعض الضباط المصريين في غرفة خلفية تحسبا لأي طارئ. وشارك في أعمال المؤتمر عبد الله فاضل فــارع وهــو مــن المثقفين الرواد في عدن في أربعينات وخمسينات القرن العشرين، وعمل قبل تقاعده منذ سنوات مندوبا لليمن في منظمة اليونسكو العربيــة في تونس. وحضر المؤتمر مندوب عن جمال عبد الناصر، كما حضره ياسر عرفات، والشهيد صلاح خلف (أبو إياد).

٢/٢/٢ – اللجنة التنفيذية للمؤتمر:

انتخــب المؤتمــر لجنة تنفيذيــة من سبعة أشخاص لمتابعة تنفيذ قراراته. وتشكلت اللجنة من أبوبكرالسقاف ســكرتيرا عامــا وعضوية ابراهيم صادق، وسعيد الشيباني، وعبده عثمان محمد، ومحمد أنعم غالب، ومحمد عــبد الله العصــار، ومحمد عمر اسكندر السقاف،. وقد لعب طلاب آخرون أدوارا أساسية في المؤتــمر وفي صياغة توجهاته العامة. وكان خالد فضل منصور أبرز هؤلاء الطلاب.

وقد عبر تشكيل تلك اللجنة عن توجه الحركة الطلابية وإصرارها على تواصل النشاط وعدم انقطاعه. وجسدت اللجنة التنفيذية بالفعل معني الاستمرارية التي أرادها المؤتمر الطلابي. وعملت هذه اللجنة علي عرض قضية الشــعب اليمنــي في المحافل المصرية والعربية. وعبرت في ثقة عميقة ويقين راسخ بأن الوحدة اليمنية هي مســتقبل اليمــن. ومن ثم فإن اللجنة التنفيذية لمؤتمر الطلاب اعتبرت أن منطلق الوحدة هو السبيل الرئيسي للعمــل الوطنــي. وقــد وضع البيان رقم واحد الصادر عن اللجنة في ٥ أغسطس ١٩٥٦ تصورات أصبحت تشــكل، في السنوات اللاحقة، جوهر طموحات الحركة الوطنيــة اليمنيــة. ويستطيع كل من يطلع على نص ذلك البيان أن يصل إلى نفس هذا الــرأي. فقد جــاء في ذلك البيــان على سبيل المثال "فقضية الشعب اليمني قضية تحــرر من الاستبداد والاستعمار. والكفاح ضد الاستعمار إنمــا يعني استكمال الاستقلال الوطني لشعبنا مــع كفاحه ضد الاستبداد من أجل امتلاك السيادة الشعبية بقيــام حكومة شعبية ديموقراطية لكل اليمن" (أنظر النص الكامل للبيان في كتاب الوحدة اليمنية الصادر عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين في عام ١٩٨٨). ومن الملفــت للانتباه أن الطلاب حرصوا على المطالبة بقيام حكومة واحدة لكل اليمن بمجرد التحرر من الاستبداد والاستعمار.

إن مــا قامــت به اللجنة التنفيذية يشير إلى النطاق الواسع لتأثيرات فكــر ونشاط الحركة الطلابية اليمنية في مصــر. ويلاحــظ أن دور الحركة الطلابيــة لم ينحصر في مجال الطلاب والدوائر اليمنية وحدهــا. وحسبما أشــار أحــد قــادة تلــك الحركة وذلك المؤتمر فإن اتصالات اللجنة التنفيذيــة لم تكن "مقصورة على الجهات اليمنــيــة والعمــل الطلابي فقط، بل أيضا قامت اللجنة التنفيذية الدائمة بالعديد من الاتصالات مع السياسيين العرب سواء في مصر أو غيرها، مع رجال الصحافة والفكــر موضحة لهم من خلال اللقاءات وطرح القضايا السياســية أو عن طريق البيانات والدراسات لقضية الشعب اليمني" (مقابلــة مع عبده عثمان محمــد أجراها عبد الله الرديني، مجلة الكلمــة، العدد٤٨، أكتوبر ١٩٧٨).

وقد نجحت اللجنة التنفيذية في نشر الكثير من المعلومات والحقائق عن الأوضــاع في اليمن. وتم ذلك بالنشر فــي الصحف المصرية مثل صحيفتي الشعب والمساء. وهما من الصحف التي أنشأتها ثورة يوليو في مصر. كما أذاعت "صوت العرب" عدة بيانات صادرة عن الحركة الطلابية.

٣ – بعض الدلالات التاريخية لانعقاد المؤتمر:

تنطوي مسألة انعقاد المؤتمر في العيد الثالث لقيام الثورة المصرية على دلالة خاصة تشير إلى أن الثورة هي طـريق الـنجاة للشعب اليمني. ويزيد من أهمية هذه الدلالة حضور مندوب عن عبد الناصر للمؤتمر. وعلاوة علـى ذلك فإن تشكيل المؤتمر لجنة تنفيذية حمل هو الآخر أكثر من مغزى. فإن تأسيس هذه اللجنة يعبر عن توجه الطلاب وإصرارهم على استمرارية نشاط مؤتمرهم وتواجده بشكل دائم كتنظيم سياسي. وقد أعطي ذلك الأمر للحـركة الطلابية ثقلا سياسيا ظهر تأثيره المباشر على الفصائل السياسية اليمنية سواء كانت في داخل اليمـن أو في خارجه. وفضلا عن ذلك فقد طرحت الحركة الطلابية اليمنية توجهات جديدة كلية تبنتها الحركة الوطنية اليمنية.

وغنـي عـن القـول بأن البيان الصادر عن "مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم" قد عبر، في حد ذاته، عن دخول الحركة الوطنية اليمنية مرحلة نوعية جديدة مقارنة بالمراحل السابقة سواء مرحلة حركة الأحرار اليمنيين، أو مـرحلة الاتحاد اليمني بفرعيه في عدن والقاهرة ورابطـة أبنـاء الجنوب. وينبغي التنويه هنا بأن توجهات الاتحاد اليمني في عدن اختلفت بدرجة ما عن توجهات الاتحاد اليمني في القاهرة خاصة في الفترة التي انفرد فـيها الزبـيرى بتوجيه سياسة الاتحاد في القاهرة. ويعود ذلك إلى عدة أسباب من بينها أن مستوى مواقف وطموحـات الـتجار الذين كانوا يتولون مسؤولية الاتحاد في عدن كانت تفوق كثيرا طموحات حركة الأحرار اليمنيين بينما ظل الزبيرى، الذي أدار الاتحاد بالقاهرة ما بين ١٩٥٢ و ١٩٥٥، وثيق الصلة بتوجهات حركة الأحـرار التي تركزت طموحاتها في إقامة إمامة دستورية. ولهذا ظل رجال ١٩٤٨ يركزون على مسألة تولي الـبدر لولاية العهد. وكان أحمد النعمان أحد الأركان الأساسية في هذا التوجه. كما لم يكن من قبيل المصادفة سـعي الزبيرى إلى عقد اتفاق سياسي مع البدر على أساس الدستور الذي أصدر الأول في نهاية عام ١٩٥٢ بالقاهـرة باسم "آمالنا وأمانينا". وهو دستور يقر السلطة المطلقة للإمام. كما يقول الزبيري في ذلك الدستور: "وجعلنا ذروة النظام الذي ننشده هي حقوق الإمام على الشعب".

وقد التقي الزبيرى بالبدر في القاهرة في يوليو ١٩٥٤ لمناقشة الإصلاحات في اليمن على أساس ما جاء في "آمالنا وأمانينا". كما سافـر من القاهرة إلى السعودية في أبريل ١٩٥٥ لنفس الغرض. وقابل هناك البدر في حضور أحمـد محمد نعمان. وفي يوليو من نفس العام أصبحت بنود "آمالنا وأمانينا" موضع اتفاق في القاهرة بيـن الزبـيري بصفته رئيس الاتحاد اليمني بالقاهرة والبدر بوصفه وليا للعهد (أنظر:أحمد القصير، القاضي محمـد محمود الزبيري ١٩١٩ – ١٩٦٥، الموسوعة السياسية للعالم العربي، دار النشر للجامعات الفرنسية (puf): تحت الطبع).

لقد كانت الحركة الطلابية بمؤسساتها المختلفة أكثر الفصائل فهما لطبيعة المرحلة التي بلغتها الحركة الوطنية فـي اليمن شـمالا وجنوبـا. ولذلك كانت الأكثر تعبيرا عن الواقع. ويؤكد ذلك التوجهـات والآفاق الجديـدة التـي تبنـتها الحـركة الطلابـيـة اليمنية في القاهرة والتي سوف نستعرض بعض ملامحها في الصفحـات التاليـة.

٤ – التوجهات الجديدة التي طرحها المؤتمر للحركة الوطنية:

تناول مؤتمر الطلاب اليمنيين كافة القضايا الحيوية الخاصة باليمن الطبيعي. وشمل ذلـك وقوفه ضد محاولات إقامة حكم ذاتي في عدن في إطار الكومنولث البريطاني. كما وقف ضد المحاولات الرامية إلى إقامة دولة اتحادية تضم عدن وإمارات الجنوب العربي، أي المحميات الشرقية والغربية.

وعـلاوة علـى ذلك أعلن المؤتمر عن وقوفه مع نضال أبناء الجنوب من أجل التحرر الوطني. وكان التمييز الـذي وضعه بين مفهوم الوحدة والدعوة إلى الاتحاد التي ترددت على لسان بعض التنظيمات في عدن يعبر عن وعي بالأبعاد التاريخية للقضية اليمنية من جانب وعن بصيرة من جانب آخر.

وكـان ذلك هو ما جعل المؤتمر ولجنته التنفيذية يناديان بالوحـدة وليس الاتحـاد. فهما يعتبران أن دعوات الاتحـاد علي سبيل المثال ليست سوى "تمزيقـا لوحدة شعب واحد في وطنه الواحد". ويعبر هذا الموقف من جانب الطلاب عن رفضهم "تجزئة القضية الوطنية الواحدة". وقد رأت الحركة الطلابية أن "عـزل المعركة ضد الاستعمار عن الكفاح ضد الاستبداد والدعوة إلى قيـام دولـة مستقلة ذات سيادة لعدن والمحميات الشرقية والغربية من شأنه أن يؤكد مزاعم الاستعمار البريطاني بوجود كيان منفصل عن اليمن لهذه المناطق اليمنيـة الصـميمة، وفي هذا تهديد مباشر لقضية الشعب اليمني الواحدة في كفاحه ضد الاستبداد والاستعمار من أجل الوحدة والتحرر الوطني" (البيان رقم واحد الصادر باسم اللجنة التنفيذية لمؤتمر الطلبة اليمنيين الدائم بمصر).

وكـان ذلك التوجه هو الذي قد تأكد خلال مؤتمر الطلاب الذي أدان كافة التنظيمات التي دعت إلى تكوين دولة اتحاديـة. وقد نص البيان الصادر عن ذلك المؤتمر على ما يلي: "يستنكر المؤتمرون ويعارضون دعوة رابطة

أبـناء الجنوب وحزب الجبهة المتحـدة (عضوي المؤتمر الوطني في عدن) إلى إقامة دولة اتحـادية مستقلة ذات سـيادة تـتكون مـن عدن والإمارات الجنوبية (المحميات الشرقية والغربية) لأن في هذا تمزيقا لوحدة الشـعب اليمنـي والوطـن اليمني الواحد" (القرار رقم ٤ في البيان الصادر عن مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر، في كتاب الوحـدة اليمنيـة الصادر عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين).

كـان فكر الحركة الطلابية يتسم بالوضوح الشديد ولا يخشى الإعـلان عن الاتفاق أو الاختلاف مع التوجهات السـائدة آنذاك في الحركة الوطنية اليمنيـة بشأن الوحدة اليمنية. فقد كانت الوحدة اليمنية هي المحور الذي تتركز حوله التوجهات السياسية للمؤتمر الدائم ولجنته التنفيذية. وعبرت اللجنة التنفيذية بوضوح عن القضايا التي تتفق الحركة الطلابية اليمنية حولها مع الآخرين، كما عرضت القضايا التي تعتبر موضع اختلاف.

فقـد رأت اللجـنة أن "الوحـدة الطبيعـية والتاريخية التي تؤكدها بعض الهيئات الوطنية أمر في غنى عن التوضـيح والتأكيـد، وإن ما ينحصر فيه الخلاف بيننا هو سعي هذه الهيئات لإيجاد دولة مستقلة ذات سيادة تتكون من عدن والإمارات الجنوبية (المحميات الشرقية والغربية). فالعمل لإيجاد هذه الدولـة يعني بالضرورة وجـود شـعبين متميزيـن في اليمن، وعليه فإن تمسك هذه الهيئات بالوحدة مع سعيها لإيجاد دولة مستقلة سـيجعل الوحـدة فـي المستقبل منوطا بهذه الدولة المستقلة تقرره حسب مشيئتها كما هو الحاصل بالنسبة للوحـدة العربـية المقـترحة، وهذا أمر يتنافى مع المفهوم الصحيح لوحـدة الشعب اليمني ووحدة الأرض اليمنية" (البيان رقم واحد للجنة التنفيذية لمؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر).

لا يسـتطيع كـل من يقرأ ذلك النص إلا أن ينظر بتقدير إلى تلك الرؤية الثاقبة التي استشرفت المستقبل على نحـو يتسـم بالتفرد. لقد اتصف تفكير الحركة الطلابية ببعد النظر. وكان قادتها يخشون أن تؤدي مشروعات "الاتحاد" تلك إلى تكريس مسألة وجـود يمنيين، ومن ثم تتعرقل قضية الوحدة اليمنية.

ولا جـدال في أن التوجهات الجديدة التي عبر عنها المؤتمر شكلت علامة على أن الحركة الوطنية اليمنية قد دخلـت مـرحلة جديدة بفكر حديث وآفـاق جديدة تتجاوز فكر وتوجهات حركـة الأحـرار اليمنيين والاتحاد اليمنـي من جانب وفكر وتوجهات رابطة أبناء الجنوب وحزب الجبهة المتحدة من جانب آخر. وسوف يتضح ذلك أيضا عند الحديث عن العلاقة بين حركة الطلاب والفصائل السياسية اليمنية الأخرى خاصة الاتحاد اليمني بزعامة النعمان والزبيري في مصر.

٥ – الدعوة إلى الحوار بين الفصائل الوطنية اليمنية:

١/٥ – الحركة الطلابية والاتحاد اليمني:

دعـت الحـركة الطلابـية اليمنـية في مصر إلى الحوار الوطني بين التنظيمات اليمنية المختلفة مثل "الاتحاد اليمنـي" و "رابطـة أبـناء الجنوب العربي". لكن هذه الدعوة لم تنجح حيث أن توجهات رابطة أبناء الجنوب العربـي لـم تكن معنية بقضية الوحدة اليمنية. ومن جانب آخر لم تتقبل قيادة الاتحاد اليمني بعض التوجهات الجديدة للحركة الوطنية التي طرحها مؤتمـر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر ولجنته التنفيذية. وهي توجهات لم تعبر عن دخول هذه الحركة منعطفا فحسب، بل عبرت أيضا عن ظهور قيادات جديدة.

وقـد علق أحد قادة تلك الحركة الطلابية ومؤتمر الطلاب على قرارات المؤتمر وعدم نجاح عملية الحوار التي دعـا إلـيها قـائلا "تشكلت لجنة تنفيذية دائمة لمتابعة هذه القرارات منها محاولة التوفيق عن طريق الإقناع والحـوار بين الاتحاد اليمني وما كان يسمى برابطة أبناء الجنوب العربي باعتبار هذين التنظيمين السياسيين كانـا يوجـدان في مصر في ذلك الوقت. ونتيجة لتعنت ما كان يسمي برابطة أبناء الجنوب العربي إلى درجة عـدم اعـترافها بمـبدأ الوحدة اليمنيـة، وأيضا عدم التجاوب من الاتحاد اليمني مع بعض ما طرح من آراء جديـدة تخدم الحركة الوطنية ككل. وكان من جراء ذلك أن اللجنة الدائمة التي انبثقت عن المؤتمر الطلابي لم تتمكـن مـن التوصل إلى تحقيق دعوة التلاحم في العمل الوطني بين التنظيمين في ضـوء قرارات المؤتمر" (مقابلة مع عبده عثمان محمـد، مجلة الكلمة، العدد ٤٨، أكتوبر ١٩٧٨).

وعلـى الـرغم مـن عدم نجاح دعوة الحركة الطلابية إلى التلاحم والحوار بين التنظيمات اليمنية إلا أن هذه الدعـوة انطوت في حد ذاتها على مضامين هامة فيما يتعلق بالوحدة. فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي تتم فـيها محاولـة تنسيق الجهود بين تنظيم شمالي الطابع وهو الاتحاد اليمني وآخر جنوبي التكوين، أي رابطة أبـناء الجـنوب، وثالث يمثل الشمال والجنوب في آن واحد وهو مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر. وتجدر الإشـارة إلـى أن "حزب الجبهة المتحدة" الذي كان في تحالف مع رابطـة أبناء الجنوب في إطار "المؤتمـر الوطني في عدن"، لم يكن له وجود في مصر.

وعلـي أي حـال فقد كان للحركة الطلابية اليمنية تأثيرها الفعلي على بعض توجهات الاتحاد اليمني بالقاهرة. ويسـتطيع أي مراقـب أن يستخلص نفس النتيجة إذا ما قـارن بين الدستور الذي أصدره الزبيرى في نهاية

١٩٥٢ تحت عنوان "آمالنا وأمانينا" وبين "مطالب الشعب" التي أصدرها أحمد محمد نعمان مع الزبيري في عام ١٩٥٦. ففي "آمالنا وأمانينا" الذي صدر دون الرجوع إلى الاتحاد اليمني في عدن يحاول الزبيري أن يسترضي الإمام ويسعى إلى مصالحته. فهو يخاطب الإمام في مقدمة ذلك الدستور قائلا:
"إلى صاحب الجلالة الإمام أحمد نقدم هذا المنهج الذي انتهجناه في دعوتنا، وجعلنا ذروة النظام الذي ننشده هي حقوق الإمام على الشعب تسليما منا بحق صاحب الجلالة". وعلاوة على ذلك يقول الزبيري في المادة التاسعة من "آمالنا وأمانينا" أن الإمام "له السمع والطاعة على جميع أفراد الشعب في حدود أحكام شريعة الإسلام" (أنظر النص الكامل لدستور "آمالنا وأمانينا" في مقال علي محمد عبده بعنوان الاتحاد اليمني من المهد إلى اللحد، مجلة الكلمة، العدد ٤٧، مايو ١٩٧٨).
أما في "مطالب الشعب" الذي صدر باسم "الأحرار الدستوريين" نيابة عن "الشعب اليمني المجيد" فنجد أن نغمة التصالح مع الإمام قد اختفت، كما ظهرت مطالب تدعو إلى تقييد سلطة الأمام. فقد نصت "مطالب الشعب" على أن "الملك يملك ولا يحكم"، كما دعت إلى "تأليف حكومة انتقالية من أبناء الشعب تقوم بإجراء انتخابات لجمعية تأسيسية". وعلاوة علي ذلك طالبت بإلغاء الاحتكار وإطلاق حرية التجارة، وتحريم زج الناس في السجون وقطع الرؤوس إلا بحكم قضائي، والتحقيق في عمليات الإعدام التي تمت من قبل ومعاقبة المسؤولين عنها، وإطلاق سراح المسجونين السياسيين والرهائن، وإلغاء الخطاط والتنافيذ والتخمين وجعل الزكاة أمانة في اليمن كلها. كما نصت المطالب علي إنشاء مجالس إقليمية وبلدية وقروية على أساس النظام اللامركزي (أنظر نص "مطالب الشعب" في نهاية مقال علي محمد عبده، الاتحاد اليمني من المهد إلى اللحد- ٢، مجلة الكلمة، العدد ٤٨، أكتوبر ١٩٧٨).
يعبر ما جاء في "مطالب الشعب"عن تحول هام مقارنة بما هو موجود في "آمالنا وأمانينا". ولذلك شكلت هذه المطالب مرحلة جديدة في توجهات الاتحاد اليمنى بالقاهرة. ولم يكن هذا التحول بتأثير الحركة الطلابية وحدها وإنما بفعل تأثيرات عديدة من بينها ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر، وتطور الحركة الوطنية في عدن، وتميز دور الاتحاد اليمني في عدن عن دوره في القاهرة. فقد كان يختلف مع توجهات الزبيرى التي أعلنها في "آمالنا وأمانينا". وعلاوة على ذلك ساهم انضمام النعمان إلى قيادة الاتحاد بعد وصوله إلى القاهرة في أغسطس ١٩٥٥ في التحول الإيجابي في سياسة الاتحاد اليمني. وينبغي التنويه بأن تأثيرات الحركة الطلابية على التوجهات الجديدة للاتحاد اليمني تمثلت في التأثير العام لفكر الحركة الطلابية ونشاطها من جانب وفي انتقادها لسياسة المهادنة.
لقد كان أحمد نعمان والقاضي الزبيري يتعرضان على الدوام في القاهرة لضغوط وانتقادات من جانب الحركة الطلابية اليمنية في مصر. وينبغي التنويه بأن الحركة الطلابية كانت تدعم الاتحاد اليمني لكنها دأبت في نفس الوقت على انتقاده والضغط عليه لكي يتبنى مواقف أكثر حسما. وعلى الرغم من هذه المواجهة المستمرة والتي كانت تأخذ طابعا حادا في بعض الأحيان فإن الطلاب كانوا يلجأون إلي الاتحاد اليمني برئاسة النعمان والزبيري كلما واجهوا مشكلة مع السلطات المصرية.

٦ – موقف الفصائل الوطنية في عدن تجاه الحركة الطلابية:

تمثلت أبرز ردود الفعل التي ظهرت في عدن تجاه الحركة الطلابية وقرارات مؤتمر الطلاب اليمنيين في مصر والبيان الصادر عنه فيما كتبه عبد الله باذيب بصحيفة الفجر في عدن يوم ٦ أغسطس ١٩٥٦، أي بعد أسبوعين من انعقاد المؤتمر. وقد أوضح باذيب أن: "البيان ككل وثيقة سياسية خطيرة تدعم كفاح الشعب في الجنوب كله وتلقي أضواء جديدة من شأنها تعميق جذور حركتنا الوطنية ودفعها نحو النضج والتكامل <...> ولكم كان البيان رائعا وصادقا في أكثر من مكان". (عبد الله باذيب، كتابات مختارة – الجزء الأول، صفحة ١٧٠). كما قال باذيب في نفس المقال: "إننا نفهم الوحدة كما أوضحها بيان مؤتمر الطلاب في القاهرة" (المرجع السابق، صفحة ١٧١).
وتدل هذه الكلمات على أن فكر الحركة الطلابية اليمنية كان يمثل الجديد الذي تجاوز الأفكار والطموحات التي كانت مطروحة آنذاك من قبل التنظيمات السياسية اليمنية. فلم يطرح أي تنظيم يمني في ذلك الوقت قضية الوحدة اليمنية بمثل هذا الوضوح والعمق سوى الحركة الطلابية. وهو ما دفع باذيب إلى أن يصف بيان مؤتمر الطلاب اليمنيين في مصر بأنه وثيقة سياسية خطيرة "تلقي أضواء جديدة من شأنها تعميق جذور حركتنا الوطنية ودفعها نحو النضج والتكامل".

٧ – دور أعضاء الحركة الطلابية في بناء اليمن والوحدة:

اكتسب الطلاب اليمنيون في مصر خبرات خاصة ووعيا متميزا. ويعود ذلك إلى المناخ السياسي والثقافي الذي كان سائدا في مصر في ذلك الحين. كما يعود ذلك أيضا إلى الخبرة المكتسبة من خلال العمل في رابطة الطلاب اليمنيين ومؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر ولجنته التنفيذية. كما أسهم في تعميق الوعي بشكل عام النشاط الذي مارسه بعض الطلاب من خلال تنظيم "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني". فقد كانت "حدتو" تسمح للعرب المقيمين بمصر بالانضمام إلى صفوفها (أنظر: أحمد القصير، شهادة تاريخية، مركز البحوث العربية للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق).

لقد لعب الذين أسسوا حركة الطلاب اليمنيين في مصر فيما بعد أدوارا رئيسية تتعلق بمستقبل اليمن. وغطت هذه الأدوار مجالات عديدة من بينها المشاركة في صياغة الأهداف العامة للمرحلة التاريخية الجديدة، والتحضير للثورة في الشمال والجنوب، والدفاع عنها بما في ذلك ملحمة الدفاع عن صنعاء أثناء حصار السبعين، وفي بناء مؤسسات الدولة الجديدة بعد ثورة سبتمبر في الشمال ونجاح الكفاح المسلح وتحقيق الاستقلال في الجنوب. كما شاركوا بدور أساسي في صياغة جوانب رئيسية من ثقافة المجتمع اليمني الحديثة.

وفي مجال الثقافة والأدب نذكر عمر الجاوي وأبوبكر السقاف ومحمد أنعم غالب. غير أن هذه الشخصية الأخيرة تعتبر أيضا من بين مجموعة الشعراء بالحركة الطلابية. وقد عبر شعر محمد أنعم غالب عن جوانب هامة في التاريخ الاجتماعي لليمن الحديث. وضمت مجموعة الشعراء التي نعنيها الراحل إبراهيم صادق رائد الشعر الحديث في اليمن وصاحب ديوان "عودة بلقيس" وأغنية "أنا يمني اسأل التاريخ عني" وأغنية "يا طير كم أحسدك حريتك في يدك"، وعبده عثمان محمد وهو من أبرز رواد الشعر الحديث، كما ضمت المجموعة الشاعر الغنائي سعيد الشيباني. وكانوا جميعا من أبرز قادة الحركة الطلابية. كما ظهر بين المنتمين لتلك الحركة الطلابية شخصيات عديدة أخرى. فما أكثر أعضاء الحركة الطلابية اليمنية في مصر الذين لعبوا أدوارا بارزة في بناء اليمن الجديد.

ولم تكن مصادفة أن بعض الذين انتموا إلى تلك الحركة لعبوا فيما بعد أدوارا هامة في مجال العمل من أجل الوحدة اليمنية وتحقيقها. وقد تولى البعض منهم مسؤولية ملف الوحدة في بعض الفترات ومن بين هؤلاء الراحل أحمد الشجني. كما تولت شخصيات أخرى مسؤوليات مختلفة تتعلق أيضا بهذه القضية. ومن بينهم عبده عثمان محمد الذي شغل منصب وزير الوحدة في عهد الرئيس عبد الله السلال، وخالد فضل منصور رئيس حزب التجمع الوحدوي اليمني حاليا، وقد لعب بوصفه وزيرا للعدل في اليمن الجنوبي آنذاك دورا هاما في هذا المجال في بداية ثمانينات القرن العشرين.

وغني عن القول بأن شخصية الراحل عمر الجاوي قد جسدت التوجهات والتطلعات السامية نحو الوحدة اليمنية التي عبرت عنها الحركة الطلابية اليمنية التي كان من أبرز قادتها. ويعرف الجميع دوره اللاحق في مجال العمل من أجل الوحدة، ومحاولاته الدائبة والجسورة لتجاوز واقع التجزئة علاوة على دوره في صياغة دستور دولة الوحدة اليمنية التي تحققت عام ١٩٩٠.

٨ – خاتمة:

كانت حركة الطلاب اليمنيين في مصر أحد الروافد الرئيسية للحركة الوطنية اليمنية ذات التوجه السياسي والفكري الحديث التي برزت في ذلك الحين في كل من عدن وصنعاء وتعز. ويمكن القول بأن إنجازات الحركة الطلابية اليمنية، على كل من المستوى الفكري والمستوى السياسي، قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمسار الذي شقته الحركة السياسية والعمالية والثقافية في عدن وبثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣. كما شكلت من جانب آخر أحد روافد الحركة الوطنية في الشمال التي توجت بثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢.

وغني عن القول بأن هذه الحركة الطلابية كانت أكثر الفصائل القائمة في ذلك الحين تشديدا على قضية الوحدة اليمنية. فهي حركة طليعية أسهمت في طرح ونشر مفاهيم وحدة الشعب، ووحدة التراب اليمني، والوحدة اليمنية. كما قدمت أيضا الكثير من العناصر التي شاركت بأدوار أساسية في بعض الأحداث السياسية المصيرية وفي التنظيمات السياسية الفاعلة وفي بناء اليمن الحديث. وفضلا عن كل ذلك فإن القيادات الجديدة التي قدمتها الحركة الطلابية ممثلة في مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم في مصر ولجنته التنفيذية قد أسهمت في تطور اليمن الحديث وفي صياغة ثقافته العصرية.

المراجـــع

١ – أحمـــد القصـــير، شهادة تاريخية، حوار أجرته حنان رمضان ومصطفى مجدي في ٢ و ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠، مركز البحوث العربية للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق، القاهرة.

٢ – أحمـــد القصـــير، القاضـــي محمد محمود الزبيري، الموسوعة السياسية للعالم العربي، دار النشر للجامعات الفرنسية puf (تحت الطبع).

٣ – أحمـــد محمـــد نعمـــان ومحمـــد محمود الزبيري، مطالب الشعب، مجلة الكلمة، العـــدد ٤٨، أكتوبر ١٩٧٨.

٤ – البيـــان الصـــادر عـــن مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٦ والمنشور في كتاب الوحدة اليمنية الصادر عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، ١٩٨٨.

٥ – البيـــان رقم واحـــد الصادر عن اللجنة التنفيذية لمؤتمر الطلاب اليمنيين الدائـم بمصر الصادر في ٥ أغسطس ١٩٥٦ المنشور في كتاب الوحدة اليمنية.

٦ – حديث مع حسين على الحبيشي يوم ٢٤ يناير ٢٠٠١.

٧ – حديث مع محمد أنعم غالب يوم ٢٥ يناير ٢٠٠١.

٨ – ســعيد الشــيباني، البــنك اليمني للإنشاء والتعمير أربعة وثلاثون عاما من العطاء التنموي ١٩٦٢ – ١٩٩٦.

٩ – عبد الله باذيب، كتابات مختارة، الجزء الأول، عدن وبيروت، ١٩٧٢.

١٠ – علي محمد عبده، الاتحاد اليمني من المهد إلى اللحد، مجلة الكلمة، العدد ٤٧، أبريل ١٩٧٨.

١١ – علي محمد عبده، الاتحاد اليمني من المهد إلى اللحد (٢)، مجلة الكلمة، العدد ٤٨، أكتوبر ١٩٧٨.

١٢ – محمد محمود الزبيرى، آمالنا وأمانينا، مجلة الكلمة، العدد ٤٧.

١٣ – مقابلة مع عبده عثمان محمـــد أجراها عبد الله الرديني، مجلة الكلمة، العدد ٤٨، أكتوبر ١٩٧٨.

١٤ – مقابلـــة أجـــراها صاحب هذه الدراسة في أبريل ١٩٩٦ مع خالد فضل منصور أحد مؤسسي الحركة الطلابـــية ومؤتمـــر الطـــلاب اليمنيين الدائم بمصر ولجنته التنفيذية. كما جرت مراجعة بعض الوقائع وأسماء بعثات الطلاب اليمنيين في حلوان خلال حديث في يومي ٢٣ و ٢٥ يناير ٢٠٠١.

١٥ – مقابلة أجراها صاحب هذه الدراسة في ١٤ يناير ٢٠٠١ مع أبو بكر السقاف سكرتير اللجنة التنفيذية لمؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم بمصر.

١٦ – مقابلـــة أجـــراها صـــاحب الدراسة يوم ٢٥ يناير ٢٠٠١ مع طاهر أحمد رجب أحد مؤسسي الحركة الطلابية اليمنية في مصر.

الوحدة اليمنية في البنية السكانية لأبناء محافظة تعز

د/ قائد محمد طربوش[X]
استاذ القانون العام كلية الحقوق جامعة تعز .

ملخص

تقـدم هذه الورقة نماذج من البنية السكانية لأبناء محافظة تعز القاطنين فيها منذ أمد بعيد والوافدين إليها من مناطق الجوف ومأرب ويافع وحاشد وبكيل وحضرموت وشبوة والمناطق الوسطى وتهامة .
تـتطرق هـذه الورقة لأهم الأسباب العامة التي أدت الى الانتقال من منطقة الى أخرى في اليمن وما عكسته البنـية السكانية لأبناء محافظة تعز في الوحدة اليمنية التى يعيشها أبناء المنطقة وقيام الرابطة السياسية فيما بيـنهم بدلاً من الاتحادات القبلية ولعبت المصاهرة فيما بين زعماء العشائر المختلفة دوراً في قيام هذا التجمع أو ذاك .
وسـاعد التنوع العشائري في المحافظة على انخراط أبنائها في الجمعيات في عدن ثم الانخراط في الأحزاب السياسية اليمنية ، ولعب هذا دوراً في الولوج في مقدمة المجتمع المدني المنشود مستقبلاً .

تمهيد

مـن يـتفحص تاريخ اليمانيين بدقة و عمق يجد أن تفرقهم لا يكون إلا من أجل التقائهم من جديد إلى درجة يمكن القول بأن افتراق اليمنيين من أجل التقائهم قديم قدم اليمن نفسه .
ومن يطلع على أصول عشائر سكان أي منطقة من اليمن يجد أن هذه الأصول ترجع إلى عشائر أتت إليها من جميع مناطق اليمن أو من أغلبها . وعلية فإن السمة العامة لليمانيين هي التنقل من منطقة الى منطقة أخرى و الألـتقاء في المكان والزمان على مدى التاريخ .ويؤكد هذا استقراء التاريخ وترحال اليمانيين و استقرارهم فـي المناطق . وهو مؤشر مهم للغاية على أن الوحدة السياسية اليمنية ليست سوى انعكاس للوحدة السكانية و الاجتماعـية والاقتصـادية .وإذا رجعنا إلى التاريخ ونظرنا الى قيام الدويلات اليمنية المتنافسة على أرضه علـى مر الدهور ، لوجدنا انه لم يحدث أن ادعت أية دويلة من تلك الدويلات أنها ليست جزء من اليمن ، أو خارجـة عـنه و معادية له . اذ كان الخلاف فيما بينها أن كل واحدة منها تريد توحيد اليمن بطريقتها ووفقاً لوجهة نظرها و فلسفتها في الحكم . وبعد ، ما هي البنية السكانية لأبناء محافظة تعز ؟ وهل تشكل هذه البنية نوعاً من الوحدة اليمنية في المحافظة ؟
ولكـي يكـون الجواب بالإيجاب ، على أن الوحدة اليمنية متأصلة في بنية سكان مناطق اليمن بما فيها أبناء محافظـة تعز ، سنتحدث بإيجاز عن البنية السكانية في إبراز نماذج للعشائر القاطنة في أرياف المحافظة دون الـتطرق لأبـناء عاصـمة المحافظة لأن سكان المدن وافدون إليها من جميع المناطق . وقبل أن نتحدث عن نمـاذج العشـائر القاطـنة في تعز نود أن نشير إلى أننا لا نقصد بذلك التعصب لا لعشيرةٍ ولا لمنطقةٍ ، وإن قصـدنا توضيح الوحدة اليمنية على مستوى المحافظة التى انتقلنا إليها من الجوف منذ زمن ، ومناطق اليمن المخـتلفة شـماله وجـنوبه وشـرقه و غربه ، فكونا نسيجاً من السكان الذين لن يتحقق تقدمهم إلا في ظل وحدتهم .
سنورد في هذه الورقة نماذج من العشائر التي انتقلت الى محافظة تعز من ١- الجوف ومأرب.
٢- من يافع ٣- من حاشد وبكيل ٤- من حضرموت وشبوة ٥- من تهامة
٦- من المنطقة الوسطى وأبين . وذلك حسب الثقل العشائري للواصلين إلى هذه المحافظة من تلك المناطق للعيش مـع العشائر القاطنة فيها من قبل ، مثل بني الشعبي و السكاسك وبني صهيب وبني مجيد وبني عبد المسـيح وغيرهم .وسنشير الى تاريخ الانتقال بصورة تقريبية لتلك العشائر التى نعرف أشياء ما عن انتقالها ،علمـاً بـأن تـنقلات جديـدة تحدث باستمرار في إطار محافظة تعز نفسها من جهة ، ومنها إلى المحافظات الأخرى من جهة ثانية .

[X] دكتوراه علوم في فقه القانون من جامعة موسكو
المنسق العلمي للمركز اليمني للبحوث والاستشارات تحت التأسيس تعز

(١) العشائر المنتقلة إلى محافظة تعز من الجوف ومأرب .

تكاد تكون العشائر المنتقلة إلى محافظة تعز ، من الجوف ومأرب ، أكثر العشائر المنتقلة إلى المحافظة وذلك بحكم الظروف الطاردة التي جعلتها تهجر أماكنها هناك ، بحثا عن العيش في مناطق أخرى من اليمن وخارجه ، منذ خراب سد مارب فما بعد ، وهربا من التصحر الزاحف علي تلك المناطق .

وقـد وصـلت هذه العشائر إلى مناطق تعز ، في أوقات مختلفة لأسباب متباينة ودوافع متعددة ، تعايشت مع العشائر الأخرى وشكلت نوعا من القرابة بالمصاهرة والجوار والعيش المشترك في عزل معينة .

١- بني علي الحاج

يعـيش بـنو علـي الحـاج في مناطق متفرقة من جبل صبر ويرجعون نسبهم إلى الأبيض بن حمال جد بني الكـرندي المذكور في كتب التاريخ ، ويعيشون الآن في جباء وأمبيان وجاره ومشرعه ومسفر . وقد انتقلوا من مراد إلى جبا قبل ما يقارب ألف سنة [١]

٢- بني الصالحي في المقاطرة (الصوالحة) .

ويـتفرعون إلـى بنـي الفراصي وبني العزاني وبني النسيري وبني المونس وغيرهم وقد انتقلوا من خربة الصوالح في مراد قبل مايقارب ثلاث مائة وخمسين سنة [٢]

٣- بني يوسف بن علي بن عبد الصمد التيمي

وصـل يوسف بن علي إلى المنطقة المعروفة حاليا (بن يوسف) قبل مالا يقل عن أربع مائة وعشرين سنة ويقال إن جماعة يوسف هذا قدموا من الجوف وقطنوا في القبيطة منطقة الكعبين وهم في الأصل من ذو علي (المسـمى بنـي علـي) ويعيشـون الآن فـي منطقة بني يوسف مواسط حجرية ومنطقة القبيطة الكعبين وصبرالمخفع وبلعان وعليسة حدير السلمى والأشروح قدس والمحرس صبر ويرداد جبل حبشي وعميد وقابع والوحـص فى ناحية السياني وعديشة في العدين والدليل في المخادر وغيرها من المناطق والذين يعيشون فى بني يوسف يشكلون نحو ثلث سكان العزلة التى سميت بهذا الاسم .[٣]

٤- بني عيسى التاج

وهم جماعة انتقلت من مارب ويعيشون في جبل حبشي ومنطقة سامع مواسط حجرية [١]

٥- بني الشهابي

ويعيشون في قرية الشرف بمديرية الصلو وقرية الشرف المعينة بني حماد مواسط حجرية وقد انتقلوا من الجوف إلى الصلو قبل مالا يقل عن ثلاث مائة سنة [٢]

٦- المذاحج

وهم مجموعة انتقلت من مراد إلى المنطقة المعروفة حالياً بالمذاحج مديرية الشماتين [٣]

٧- بني رشيد النهمي

هم جماعة انتقلت من نهمة مراد الى قرية القحاف بني يوسف مواسط حجرية قبل حوالي ثلاثمائة سنة [٤]

---

[١] يعيش ابناء علي الحاج فى المناطق المذكورة من صبر كما يلي حسب الاعيان تعيش جماعة الشيخ الدكتور عبد الوهاب محمود عبد الحمـيد فى جبا ونسبهم كما يلي : عبد الوهاب محمود عبد الحميد محمد عمر حسن عبد القادر علي عبد الله حسن عبد الملك سيف بن سـيف ويعيش في مشرعة جماعة الشيخ عبد الرحمن احمد عبد الله عبد الغني غالب عبد القادر علي عبد الله حسن عبد الملك سيف بن سـيف وجماعـة الشيخ علي منصور عبد الحميد محمد سعد ابراهيم علي احمد عبد القادر علي عبد الملك سيف بن سيف . ويعيش في إمبيان جماعة الشيخ احمد عبد الله عبد الغني غالب الخ .ويعيش في جارة جماعة الشيخ حسن عبد القادر عبد الله عبد الغني غالب احمد عـبد القادر الخ ويعيش في مسفر جماعة الشيخ احمد بن احمد سعيد عبد الله قحطان عبد الله احمد حسن عبد الله حسن الحاج عبد الملك احمد سيف .

[٢] مـن بني العزاني طاهر سعيد علي الزغير احمد مختار سالم احمد صالح العزاني الصالحي .ومن بني الفراص حسن قائد ديهان احمـد علي عباد سالم الفراصي الصالحي . ومن بني المونسي د. طاهر مجاهد سالم سليم زيد عبيد المؤنس الصالحي . وتعيش جماعة منهم في قرية الطير قدس منهم عبد الرب سفيان الصالحي .

[٣] امـا نسـب يوسف بني علي هذا فهو يوسف بن علي عبد الصمد عبد الله علي قاسم علي محمد صالح عبد الله علي محسن الحسن يحـي علي محمد محسن عبد القادر علي قاسم محمد بن ابي بكر الصديق وتنقسم العشائر التي تنتمي الي يوسف بن علي الي بني عبيد وبني طاهر وبني عبد الصمد الثاني وهم علي عبد الصمد وحيدر عبد الصمد ومجلي عبد الصمد ووهان عبد الصمد من بني علي عبد الصمد قصي قائد محمد طربوش ردمان محسن محمد علي اسماعيل علي عبد الصمد احمد عبد الله طاهر عبد الله يوسف بن علي

[١] من بني عيسى الذين يعيشون في سامع الشيخ عبد الرحمن عبد الجليل قائد محمد بن قاسم .

[٢] مـن بني الشهابي في الصلوا الشيخ منصور عبد الله عبد الجبار الشهابي ومن بني الشهابي في بني حماد د. مصطفى بجاش حميد عابد سعيد بن سعيد حيدر الشهابي.

[٣] منهم الفقية عبد الحميد جميل فارع عبده صالح احمد عوض عبد الله مراد العسكري المذحجي

[٤] منهم عبد الله سعيد عثمان غانم عبد الله محمد ناجي احمد رشيد النهمي.

(٢) العشائر المنتقلة من يافع

يقـال إن اسـم المقاطرة مشتق من اسم المقطر اليافعي . وهو الأب الجامع لعدد من العشائر التي تعيش في المقاطـرة وغـيرها مـنها بني الزعيمي (الزعيمة) وبني المكابري (المكابره) وبني مغارم (المغارمه) وبني هوامـش (الهويشـة) وبني جليل (الجليلة) وغيرهم وقد انتقلت من هذه المنطقة عشائر الى الأحكوم وقدس وغيرها من مناطق الحجرية.

ومـن العشائر اليافعية المنتقلة الى مناطق تعز بني المفلحي الذين تعيش منهم جماعة في صبن قدس واخرى فـي حلقـان قدس . وسميت المنطقة المعروفة بالأيفوع في موسط الحجرية بهذا الاسم نسبة إلى يافع ومنهم بني الوهباني [٥]

وهناك جماعة أخرى منهم في شرعب يسمون أيفوع أعلاه وأيفوع أسفل ومنهم جماعة في الربيصة [٦] وبني النقيب في صبر.

[٣] العشائر المنتقلة من حاشد وبكيل

توطنت مجموعة من العشائر التي كانت تعيش في حاشد وبكيل ، قبل ذلك في بعض مناطق محافظة تعز منها

١- بني مغلس

في قدس والأغابرة والأحكوم وغيرها من المناطق [١] لهم في المنطقة أكثر من الف سنة .

٢- آل الكولي

فـي الأغابرة وهم فرع من فروع قبائل ذي محمد برط حيث نزلوا الى المنطقة في نهاية القرن العاشر وبداية القـرن الحادي عشر الهجريين في حملة عسكرية لمطاردة البرتغاليين ويعيش هؤلاء الان في قرى ذي عميم والحميدي والقبلة [٢]

٣- بني يحي علي سعد

انتقلوا من جماعة صعدة الى نجد الجماعي ثم إلى مذيخرة العدين وبني حماد مواسط حجرية [٣]

٤- بني الشوخي.

جماعة انتقل جدهم من العصيمات بلاد حاشد ويعيشون الآن في بني عمر الشمايتين والشعوبة المواسط حجرية والضباب صبر والدريهمي .وكان وصول جدهم إلى خراز قبل أكثر من ثلاث مائة سنة [٤]

٥ - بني الصليحي

لا نعرف بالضبط مدى توطنهم في المناطق التي يعيشون فيها حالياً مثل اليبون في بني يوسف وقرية بهمة في بني حماد. والعوابل في سامع . وحصبرة في ذبحان وخدير السلمي وغيرها [٥]

٤- بني حسن

في بني حماد – انتقلو إليها من ذي محمد برطا قبل ما يقارب ست مائة سنة [٦]

٦ بني عيون

. انتقلو إلى موزع قبل ما يقارب ثلاث مائة سنة من دهم . [١].

(٤) العشائر المنتقلة من حضرموت وشبوة

١- آل السقاف

---

[٥] منهم الشيخ جابر عبد الله غالب صالح منصور عقلان عبد الله عثمان عبد الله الوهباني اليافعي .

[٦] منهم الدكتور محمد عبده ثابت .

[١] مـنهم الشيخ عبد الوهاب محمد سيف منصر محمد مغلس هزير سعيد صالح عبد القاهر في قدس والأستاذ عبد العزيز عبد الغني في الأغابره . والأستاذ سلام فارع صالح بن صالح سعيد عبد العزيز مغلس في الأحكوم.

[٢] وفقاً للرسالة التي وصلتنا من الأستاذ على أحمد شملان فان ابناء هذه القرى الثلاث ينتمون الى جد واحد هو مهدي بن عبد الله ومن احفـاده إبراهيم – طارق – على بن على عبد الحق محمد عبده عبد الرحمن عبد الوهاب محمد صالح حيدرة زيد مهدي بن عبد الله . ويرجع نسب ال الحميدي في معبق وحبل حبشي وشرعب الى الحميدات بالجوف .

[٣] مـنهم الشـيخ قائد احمد قاسم حسن يحي علي سعد محمد معوضة حمود عبد الله عبد الرحمن طاهر عامر عبد الوهاب داود طاهر معوضة تاج الدين معوضة محمد سعيد عامر مسعود بن فهر بن وهب بن حرب بن امية بن خلف .

[٤] منهم الدكتور سلطان عبد العزيز محمد احمد عبد الله عقلان عبد الله عمرو سعيد عيسي علي مقبل الشوخي

[٥] مـن الصليحين الذين يعيشون في بني حماد الاستاذ محمد العم غالب ومن الصليحين الذين يعيشون في حصيرة الاستاذ سيف احمد حيدر .

[٦] منهم مكرد فارع راجح وعبد الكريم قاسم طارش ودرهم سعيد مهيوب عباس وغيرهم .

[١] منهم د/ عبد الاحد زيد يحي محمد سالم قاسم حيدر حسن عيون .

مـــن العشـــائر التـــي انتقلـــت إلى محافظة تعز من حضرموت إلى السقاف ويعيشون في مناطق متفرقة من محافظـــة تعز ،التي وصلوا إليها قبل ما لا يقل عن ثلاث مائة سنة من آل السقاف جماعة في قرية الحضارم (المناخ) [٢]بني يوسف وأخرى الحضارم أديم الشمايتين وثالثة في قرية الحضارم الأعروق .وقد انتقل من آل الســقاف الذين في بني يوسف عدد منهم إلى مزابر الصلو والعاضة بني حماد وراس، الوادي سامع . وهناك جماعة أخرى من آل السقاف انتقلوا إلى محافظة تعز .يعيشون في الدوم بن يوسف والمسراخ بصبر .

٢ -بني تميم

يعيشون في شريع العال
سامع والسواء مديرية المواسط .انتقلوا إليها من حضرموت[٣]

٢- بني المشرقي

يعشيون في قرية المشارقة ذبحان انتقلوا من شبوة قبل مالا يقل عن ثلاث مائة سنة [٤]

٥- العشائر المنتقلة من المناطق الوسطي وابين .

١- بيت البناء

تعتبر بيت البناء من الأسر التي انتقلت من الشعر بالمنطقة الوسطي إلى ذبحان الحجرية ومن بيت البناء هذا بيت النعمان[٥]الذين يعشون في ذي لقيان والجبانة ويعيش آخرون ومن بيت البناء في النجد وجماعة ثالثه في جبل صبران ورابعه في بني غازي . وقد وصلوا إلى المنطقة قبل مالا يقل عن ثلاث مائة وخمسين سنة .

٢ - بني نعمان الشرجبي

وهم جماعة انتقلت من قيفة و عنس قبل حوالي ثلاث مائة وخمسين سنة وينقسم أبناء نعمان هذا إلى بني سعيد وبني حيدر وبني أحمد وبني محمد وبني علي وبني سلام [١]

٣ - بني عوض

- وقد انتقلت محموعة منهم من البيضاء إلى العدين (اصلهم من بني ضبيان) ثم انتقلت جماعات منهم إلى شرار بني يوسف واخرى الى الاغابره [٢]

٤ - بني الحربي

مجموعة تنتمي إلى الشيخ صالح الحربي وزير الأمام المهدي صاحب الموهب ويعيشون في الصلو أطراف بني يوسف[٣] انتقلوا إلى هذه المنطقة من رداع قبل ما يقارب ثلاث مائة سنة .

٥ - بني الرصاص

انتقلت مجموعة منهم من البيضاء إلى بني يوسف قبل ما لايقل عن ثلاث مائة سنة [٤]

٦ - بني الهيثمي

هم جماعة انتقلت من دثينة إلى بني يوسف.

٧ - بني الجعربري

هم جماعة انتقلت من أبين إلى بني يوسف قبل ما لا يقل عن مائتين سنة.

[٦]- العشائر المنتقلة من تهامة .

مـــن العشائر التى انتقلت من سهول تهامة إلى جبال محافظة تعز كل من بني عجيل والاشاعر وآل الأهدل ويعيشون في كل من بني عجيل في قرية العجيلة بني حماد وينسبون إلى الفقية أحمد بن عجيل مؤسس بيت الفقية [٥]

---

[٢] مـــن ال الســقاف القاطنين في قرية الحضارم المناخ بني يوسف : عبد الله عبد الرحمن ثابت احمد مهدى هادي اسماعيل احمد بن هادي اسماعيل احمد بن هادي عبد الرحمن الملقب عزوب بن عبد الله احمد محمد عبد الهادي عبد العزيز الملقب شرود بن عبد الهادي عمر شهاب الدين بن عبد الرحمن بن بكر بن عبد الرحمن السقاف .

[٣] منهم الشيخ محمد عبد الرحمن وسلطان السامعي في سامع والشيخ قائد محمد ناصر في السواء .

[٤] مـــنهم المهـــندس محمـــد علي قاسم محمد حسن محمد صالح سعد صالح الزيدي . ومن الزيدي هذا ابناء سعد صالح وابناء سعدان صالح .

[٥] مـــنهم الاســـتاذ احمـــد محمد نعمان مقبل علي شمسان زعيم حركة الاحرار اليمنين والشاعر الاستاذ عبد الله سلام ناجي والدكتور عباس محمد علي والدكتور عبد الله عثمان والشيخ عبد الله حزام وغيرهم الكثير الذين لا يتسع لذكرهم هذه العجالة .

[١] مـــن بنـــي ســـعيد الشيخ عبد الولي احمد سيف والدكتور قاسم سلام ومن بني حيدر د. قائد احمد نعمان د/عادل مجاهد على سلام محمد حيدر نعمان .ومن بني على احمد طربوش حزام الصحفي ، ومن بني سلام عبده قاسم هزاع .

[٢] مـــن بني العواضي في شرار بني يوسف ثابت حسن وفؤاد سيف عبده هاشم وغيرهم وبني العواضي في الاغابرة الدكاترة محمود داود وعلي مكرد وبدر سعيد ويوسف السالمي وغيرهم .

[٣] منهم عبد القادر محمد سيف سالم صالح علي مثنى بن علي صالح الحربي .

[٤] منهم محمد سنان الرصاص والقاضي احمد ناصر الرصاص ، ودرهم سيف ثابت ومحمد سيف فارع وغيرهم .

والأشـــاعرة القاطنيـــن في الأحكوم منهم الشيخ عبد الله على الحكيمي شيخ الطريقة الصوفية [١] وآل الاهدل ويعيشون في كل من بني حماد وسامع وبني يوسف وقدس وبني شيبة [٢] وبني الغرافي في كدرة قدس وذي الجمال [٣] قدس .

أوردنـــا هذة النماذج من العشائر التي انتقلت إلى مناطق محافظة تعز من تلك المناطق المذكورة آنفاً ليعيشوا الـــى جانـــب إخوانهـــم الذين كانوا في محافظة تعز قبل وصول تلك العشائر اليها .ومن العشائر القاطنة في محافظـــة تعز . قبل وصول تلك كل من بني الشعبي المتواجدون في الصلو (الاشعوب) وقدس وبني يوسف وسامع وذبحان وصبر والأعروق وغيرها [٤]

والسكاسك

فـــي الجند منهم بني البريهي في جبل حبشي وبني حماد وغيرهم [٥] وبني الحميري في شرعب وبني مجيد وبني عبد المسيح في الوازعية والأصابح وغيرهم .

أسباب الانتقال من تلك المناطق الى محافظة تعز .

من الصعب تحديد أسباب انتقال العشائر الوافدة إلى محافظة تعز . وذلك لان تنتقل اليمانين من منطقة إلى اخري يرتبط بحدث معين يجعل العشيرة المعنية تهجر منطقتها إلى منطقة اخري .

علي أنه يمكن اجمال أسباب هذا التنقل بكل من الكوارث الطبيعية والمشاكل الاجتماعية والحروب والفتن الخ .

تعتبر الزلازل من اسباب الكوارث الطبيعية في تنقل اليمانين من منطقة إلى أخرى . وإذا عدنا إلى التاريخ لوجدنا أن المدونات تزخر بأحداث الزلازل التي تجعل السكان يهجرون أماكنهم إلى مناطق جديدة .علي أنه الحديث بدون عد ذلك في ورقة صغيرة كهذه فسانأتي بامثلة في هذا المضمار

١-يقول الخزرجي في العقود اللؤلؤية إنه في سنة ٦٥٩هـ وقعت زلزلة بالغرب من اخربت جبالا وهدمت مواضع كثيرة [١]

٢- أشار القاضي عبد الصمد الموزعي إلى انه في سنة ١٠٢٨ ه حصل في الحجرية رجة عظيمة عميقة فهرب اهلها من بلد إلى بلد حتىخلت القري والمساكن [٢]

٣- قال أبو طالب إنه في سنة ٦٠٧ه تهدمت جبال باليمن كثيرة ساخت علي طبقات كثيرة واستوت قمتها بالأهجر حتى كبس الطريق ومنها بلاد عفار وكحلان وهلك كثير من الديار [٣]

القحط

يعتبر القحط من الكوارث التى تحيق بالناس وتجعل من تبقى منهم يهجر محل إقامته إلى محل آخر .

---

[٥] منهم احمد عبد الجليل عبده محي الدين على طه علي عبد الرؤف احمد عبد الصمد عثمان عبد الله عبد الخالق عبد الودود الطيب عـــبد الحـــق عبد الله ابا القاسم موسى علي احمد الفاضل ابو بكر علي محي الدين عبد الوهاب ابوبكر زكي الدين يحي ابوبكر احمد الفقـــية موســـى علي عمر العجيل علي الأهدل احمد علي يوسف علي ابوبكر إسماعيل عمر عثمان الحسن احمد موسى عيسى يحي محمد التقي حسين العسكري علي الرضا موسى الكاظم جعفر الصادق محمد الباقر علي زين العابدين الحسين بن علي بن ابي طالب

[١] منهم الأستاذ عبد علي عثمان حسن محمد الأشعري والشيخ عبد الله علي سعد الأشعري والحاج سلام غالب الاشعري واحمد محمد ملهي سعد الاشعري .

[٢] منهم انور علي حسين محمد عبد الله الأهدل في الأصبلع بني حماد والسيد احمد محمد علي عبد الله الأهدل بحورة سامع والسيد مطهر علي مكرد الأهدل بقرية عقه بني يوسف وعبد الغني عبد القادر في بني شيبة .

[٣] منهم الشيخ قاسم بجاش في كدرة قدس .

[٤] ينسب الاشعوب الي الهميسع بن حمير وهم جماعات لها انساب فرعية سنورد من نعرف أنسابهم منهم في بني يوسف – بني عز الدين – منهم محمد محمد عقلان عبد الله محمد علي محمد سالم احمد حسين علي اسماعيل عبد الله محمد عبد الله بن الشيخ العلامة محمد بن يحي بن عمران ابن ثواب الشعبي وبن قاضي – منهم عبده سيف تميم مرشد احمد ابراهيم احمد حسين علي اسماعيل عبد الله محمد عبد الله علي عبد الله بن الشيخ محمد بن يحي بن عمران بن ثواب الشعبي ومنهم بني الجحدري – ومنهم عبد القادر محمد عبده علي سالم حسن علي احمد حيدر احمد سعيد الشعبي . ومنهم بن حلس في مشجب بن يوسف – ومنهم عبد القادر عبد عثمان سالم احمد حمود ثم يدرج نسبهم الي محمد بن يحي بن علي ابراهيم الشعبي . ومن بن الشعبي في قدس بني المنيفي – منهم محمد عبد الباري عبد الحليم عبد الله يوسف محمد احمد الافندي محمد عبد الهادي ابراهيم المنفي معوض عمر عبد الله خراش الشعبي المكي الشافعي

[٥] وفقا للرواية التي كتبها د/ يوسف العسلي كان عبد الوهاب البريهي اول من انتقل الي جبل حبشي من الجند قبل حوالي اربع مائة سنة . وشجرة نسبهم د/ سيف مهيوب ناجي علي بن علي سعيد احمد عبد الله حاشد عاصم غشام محمد اسكندر عبد الوهاب البريهي .

[١] علي بن الحسن الخزرجي . العقود اللؤلؤية في التاريخ الرسولية مركز الدراسات والبحوث اليمن صنعاء ١٩٨٥ – ص ١١٩ .

[٢]) القاضي عبد الصمد بن اسماعيل عبد الصمد الموزعي . الاحسان في دخول اليمن في مملكة ال عثمان . تحقيق عبد الله محمد الحبشي منشورات دار المدينة بيروت ط١- ١٩٨٦ ص ١٧٨ .

[٣] محسن بن الحسن القاسم ابو طالب . تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن العهد العثماني تحقيق محمد عبد الله الحبشي مطابع المفضل ط١ ١٩٩٠م ص٩٧ .

[٤] الخزرجي العقود الؤلوية ج ١ مرجع سابق صـــــ١١٨

[٥] نفس المرجع ٢ص٨٠

وإذا أوردنـــا أمـــثلة على ذلك فإنها كما يلي : قال الخزرجي إنه سنة ٦٥٥هـــ اشتد القحط والغلاء بعد مقتل الإمام بن الحسين ومات كثير من الناس [٤] وحصل في سنة ٧٥٠ موت عظيم فتوفى يوم الخميس غرة جماد الأولـــى ســـبعون إنســـاناً في مدينة تعز فقط[٥] .ويذكر يحيى بن الحسين أن في سنة ١٠٩٧هـــ في وسطها وأوخارهـــا حدث موت هائل وفناء واقع من الناس نازل عم جميع أرض اليمن وهلك فيه منهم الغرباء بسبب الجوع والقحط[١] ولا تقل الآثار المترتبة على أكل الجراد للزراعة واتلاف البراد للمحاصيل الزراعية في هجرة الناس من منطقة إلى منطقة أخرى وهو شائع في التاريخ اليمني منذ القدم حتى فترة قريبة [٧]

الفتن والحروب وإثرها على التنقل من منطقة الى اخرى .

تكاد تكون الحروب والفتن والتمردات من أسباب تنقل الناس من منطقة إلى اخرى على طول تاريخ اليمن عموماً وفي فترات ضعف الدويلات المتحاربة على وجة الخصوص وبما أنه لا يمكن التوسع في هذا الشان في إيراد أمثله من تاريخ اليمن في مراحله المختلفة فنكتفي بأمثله للتدليل على وجهة نظرنا بالشكل التالي :-

المثال الاول

١-ذكـــر الخزرجي أنه في عام ٧٨٧هـــ ثارت فتنه بين أهالي جبلة وأهل التفكر وغيرهم فاقتتلوا قتالاً شديداً أول يـــوم ، ثـــم في اليوم الثاني انهزم أهل جبلة هزيمة شنيعة ونهبت المدينة وانتقل أهلها إلى إب[١]ويعتبر الصـــراع بيـــن الحكـــام المتنافسين من أهم أسباب هجرة الناس من مواطنهم لنأتي بأمثلة للتدليل على صحة وجهة نظرنا كما يلي :-

٢-يقـــول الخزرجي في سياق حديثة عن الصراعات بين الائمة والرسولين : "ولما استولى الشريف على بن محمد على المهجم أرسل السلطان جماعة من الغز إلى المحاليب فوقفوا في البستان فقصدهم العرب فهربوا فتهـــبها العرب وأحرقوها ثم خرجت قواتة من كل ناحية إلى كل قبيلة من قبائل العرب يستجيرون بهم فخرج المعازبـــة والرماء والقحراء وعرب سردد وقصدوا الشريف في المهجم فخرج اليهم وهزمهم إلى الحرمة ، ثم عـــاد فـــي الـــنهار الثانـــي فخرج اليهم فانهزموا إلى أطراف المدينة ثم تفرقوا عنه وعاودوا في اليوم الثالث فأحـــاطوا بالمدينة فوقف الشريف يمانعهم إلى آخر النهار . ثم استقدم المعازبة وخرج في ثقله في الليل فلما أصـــبحوا دخلوا المدينة ونهبوها وأحرقوها وأخذوا منها أموالاً لا تحصى ولا تحصر وذلك في يوم الاثنين من السنة المذكورة واستولى الخراب على التهايم كلها " [٢]

المثال الثاني

يقـــول الموزعي في أثناء حديثة عن الحرب الدائرة بين الأمير على الشرجبي والقائد التركي في بداية القرن الحـــادي عشـــر الهجـــري حين تغلب الأمير التركي سفر في الحرب التى قادها ضد الأمير على الشرجبي عام ١٠٢٨هـــ أقبل بقية مشائخ الحجرية من القرشين وغيرها طائعين ممتثلين سامعين .وما كان من الأمير على الشـــرجبي ترفع جماعتة ومن يلوذ به إلى الحصن المسمى بالجاهلي فلما وصل ركاب الامير سفر الى ذبحان توجـــة الامير علي المبادرة إلى المقاطرة ولم يزل الأمير سفر كلما وجه همته على محل وصلة أو على جبل أو حصـــن دككـــة وزلزلة حتى بلغ بهمته العالية إلى حدود الحجرية [٣] ويذكر يحيى بن الحسين انه في سنة ١٠٩٤ هـــ تمردت يافع فخرج الحسين بن المهدي لمحاربتهم واستمرت الحرب فيما بينهم سجالاً حتى خروج أهل يافع عن دولة الأئمة [٤]

لقـــد أتيـــنا بقليل جداً من كثير جداً من أمثله التاريخ عن تنقل اليمنيين وهجرتهم من منطق إلى أخرى يهدف دعم وجهة نظرنا حول افتراق اليمنيين ليلتقوا من جديد . وإذا كان التنوع السكاني لأبناء محافظة تعز بالشكل المشار إليه ، فقد أدى ذلك إلى قيام الرابطة السياسية فيما بينهم بدلاً من الاتحادات القبلية التى تشهدها بعض المناطق الأخرى من اليمن .

---

[١] يحيى بن الحسين يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر تحقيق عبد الله محمد الحبيشي منشورات المجمع الثقافي -ط ١-١٩٩٦ص ١٦٧

[٧] من الامثلة على ذلك يقول الخزرجي في العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٥٦ ان ظهر جراد في عام ٧٨٦هـــ كثير في اليمن فأتلف معظم زرع البلاد وطائفة من نخل زبيد . تحدث ابو طالب في كتابة السابق ان الجراد قضى على الثمار فأرتفعت الاسعار بسبب ذلك ص٣٨

[١] الخزرجي . العقود اللؤلؤية ٢ مرجع سابق ص١٥٩

[٢] الخزرجي العقود مرجع سابق ج ٢ص٩٧

[٣] عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي .الاحسان مرجع سابق ص٨٧

قيام الرابطة السياسية بين أبناء محافظة تعز .

كمـا سـبق القـول بأن التنوع السكاني لأبناء مناطق تعز قد جعلهم يتجهون إلى الرابطة السياسية بدلا من الـرابطة القبلية ، وذلك نظراً لتنوع عشائرهم الوافدة إليها من مناطق مختلفة من اليمن و إلى جانب العشائر القاطـنة فيها قبل وصول تلك العشائر إلى تلك المنطقة . ومرد ذلك أن الاتحادات القبلية في حاجة إلى ترابط سـلالي لأغلـب مجمـوع القـبائل القاطنة في الاتحاد ، مثلما هى الحال في اتحادي قبائل حاشد وبكيل الذين يـرجعون نسبهم إلى همدان الكبرى ؛ وقد أدى عدم وجود وحدة العشيرة في مناطق محافظة تعز إلى لجوء أعيان هذة المناطق إلى قرابة المصاهرة فيما بينهم . وإذ عدنا إلى بداية القرن العشرين لوجدنا أنه قد تشكل تجمعان كبيران في منطقة الحجرية .

تألف التجمع الأول من بن يحي علي سعد (الأمويين) في بنى حماد الذين حكموا المنطقة لأكثر من مائة سنة ، وبني تميم في بني يوسف والأسلوم في خدير السلمي (١)

وتألف التجمع الثاني من بني نعمان حين ظهر المنافس القوي للأمويين الشيخ أحمد نعمان مقبل البناء ،الذي أصـبح قائماً مقام الحجرية بدلا من الشيخ قائد بن أحمد بن قاسم (الأموي) .وقد تشكل التجمع الثاني من كل من بيت النعمان وبني المغلس في قدس وبني وهبان في الأيفوع . وبعض أعيان المذاحج (٢)

وكان يتم اجتذاب أعيان العزل الأخرى حسب قوة التجمع هذا أو ذاك ، والمصلحة من هذا التجمع أوذاك وتغير الحال بعد قيام المملكة المتوكلية اليمنية في الشطر الشمالي من اليمن حيث ادت الأجراءات القمعية والظلم في جباية الضرائب والأتاوات وأساليب الخطط والتنافيذ على الأهالي . لقد ادت هذه الأعمال الى هجرة الكثير من أبـناء المناطق هذه إلى عدن ، ومنها إلى شرق إفريقيا وغيرها من البلدان هربا من الظلم والتعسف ، وقد نتج عن هذه الهجرة أن بدأ المهاجرون في انشاء نوادلإ وجمعيات قروية في عدن كانت مهمتها القيام ببعض الأعمـال الخيرية لأبناء العزل والمناطق ، ثم بناء المدارس في العزل وشق الطرق الترابية إليها .ومع تزايد التعلـيم بيـن أبناء المهاجرين إلى عدن ، بدأ الانخراط في الأحزاب السياسية حزب الأحرار اليمنيين ورابطة أبناء الجنوب ، ثم الدخول في الأحزاب القومية واليسارية التي انتشرت بقوة في البلدان العربية وتزايد تأثيرها على الطلبة اليمنيين في مصر وسوريا ولبنان فكون هؤلاء فروعاً لها في اليمن .

وحيـن قامت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م انتشرت هذه الأفكاو السياسية في الجمهورية العربية اليمنية ووجد أبناء هذه المناطق ملاذاً لهم بالأنخراط في الأحزاب السياسية .

الفكر الوحدوي كشكل للرابطة السياسية .

كمـا هـو معروف أن الأحزاب السياسية قد تدرجت من اليمنية (الأحرار ورابطة أبناء الجنوب العربي) الى الفكـر القومـي (البعث، حركة القومين العرب ، الناصرين) والأممي (الاتحاد الشعبي الديمقراطي) وتخطي البعث والقوميون العرب الفكر القومي إلى مبادئ اليسارية الأمية . وهو ما طبع الحركة السياسية اليمنية في أغلـبها بالفكـر الوحـدوي مشـكلاً اللبنة القوية للاتحاد الوحدوي للأحزاب والتنظيمات السياسية ، حتى بعد انحسار المد اليساري في اليمن منذ الثمانيات وقيام تنظيمات سياسية على أساس الوطنية اليمنية قبل كل شئ لقد انخرط أبناء محافظة تعز في جل الأحزاب السياسية اليمنية بجميع أشكالها ، وكونوا تجمعات ضخمة فيها، وكـان ذلك نظراً لعدم وجود الاتحاد القبلي في مناطقهم وقد ادى هذا بدوره الى محاولة الولوج في المقدمات المطلوبـة للمجتمع المدني المنشود في اليمن .وكانت الوحدة اليمنية التي تحققت في ١٩٩٠/٥/٢٢ ، والتي قامت على أسس الديمقراطية والتعددية الحزبية والسياسية ، نقطة الانطلاق نحو المجتمع المدني المنشود ، حيث سارت على ما تقتضية متطلبات العصر ومنطق الحياة المعاصرة . وذلك لأن الوحدة اليمنية ليست وليدة الـتاريخ المشـترك لليمنييـن وطيبوغرافية البلاد وديموغرافيتها فقط ، بل وما تتطلبه المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الراهنة في هذا العصر الذي لا تستطيع العيش فيه سوى التجمعات القارية الكبيرة .

إن قـيام الوحـدة اليمنـية في ظل الديمقراطية يقود إلى إندماج السوق اليمنية وتحقيق الإنجازات المختلفة وانهـيار العزلة الداخلية بين مناطق اليمن وازدياد نسبة الوعي الوطني . وكل ذلك يؤدي بدوره إلى تماسك

---

(١) امـا قـرابة المصاهرة بين هذة العشائر المتنفذة من اعيان المنطقة انذاك فقد كانت قائمة علي النحو التالي – تزوج الامير احمد بن قاسـم يحي علي الشيخة هند بنت محسن التميمي (من بني يوسف وهي عمة كاتب هذة السطور) وتزوج الشيخ سعيد بن علي السلمي علـي الشيخة زهرة بنت ردمان محسن . وقد كان التيميون قواد جيوش الاموين في المنطقة في اثناء الصراع بين بنى يحي علي سعد (الامويين) وبين بني نعمان . هذا الصراع الذي استمر حتي قيام دولة الامام يحي حميد الدين .

(٢) كانـت المصـاهرة بيـن بني المغلس وبني نعمان ولاتزال وكذلك بني نعمان وبني الوهباني في الايفوع . وبين بني مغلس وبني الوهباني حتّي الان .

الوحـدة الداخلـية والشـعور بالوطنـية والمواطنة اليمنية الواحدة . وهو ما يجعل الانغلاق الذي ساد بعض المناطق غير قادر على الصمود الآن في ظل الأوضاع المحلية والعالمية المعاشة .
لقـد بـدأت العلاقات الجديدة بالتغلغل في المجتمع ، وهو ما يفسح مجالاً رحباً أمام النهضة الوطنية القادمة . ويكون للمناطق التي يجتمع أبناؤها على أساس الرابطة السياسية قصب السبق في الولوج في التقدم .

المراجع

الاول الروات

١-روى نسب بني علي الحاج ناجي محمد
٢-روى نسـب بني يوسف بني علي القاضي سلطان عبد الرب حمادى وعبده وعبد الرب والكثير غيرهما مثبتون في كتابنا من تاريخ عشائر محافظة تعز .-عشائر بني يوسف . مكتبة العروة الوثقى ٢٠٠٠.
٣-روى نسب بني الصالحي في المقاطرة كل من طاهر سعيد علي الزغير وحسن قائد ديهان وغيرهما .
٤- روى نسب بني الشهابي الدكتور مصطفي الشهابي
٥-روى نسب المذاحج الفقية عبد الحميد جميل فارع المذحجي .
٦- روى نسب بني رشيد النهمي عبد الله سعيد عثمان النهمي .
٧-روى نسب بني مغلس محمد عبد هائل مغلس وعبد الوهاب محمد سيف مغلس .
٨-روى نسب ال الكولى علي احمد شعلان .
٩-روى نسب المقاطرة امين احمد عبد المكايري .
١٠-روى نسب ال الوهباني جابر عبد الله غالب الحاج .
١١-روى نسب بني يحي علي سعد عبد الحكيم عبد التواب اسماعيل بن قاسم يحي علي سعد
١٢-روى نسب بنى الشوخي د/ سلطان عبد العزيز المعمري .
١٣-روى نسب ال عيون د/عبد الاحد زيد عيون .
١٤-روى نسب ال السقاف . عبد الله عبد الرحمن ثابت السقاف .
١٥-روى نسب بني المشرقي المهندس محمد علي قاسم المشرقي .
١٦-روى نسب بني نعمان- فضل محمد عبد الوهاب نعمان .
١٧-روى نسب بني نعمان الشرجي د/عادل مجاهد الشرجي .
١٨- روى نسب بني العجيل جمال احمد عبد الجليل العجيل .
١٩- روى نسب بني الحريبي عبد القادر محمد سيف الحريبي .
٢٠-روى نسب الاشاعر بالاحكوم الاستاذ عبد علي عثمان .
٢١- روى نسب بني الشعبي كل من محمد محمد عقلان علي ومحمد عبد الباري عبد الحليم المنيفي .
٢٢- روى نسب بني البريهي د/ سيف العسلى .

ثانيا المراجع :

١- علي بن الحسن الحزرجي .العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج١-٢ إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٩٨٥ م
٢- القاضي عبد الصمد اسماعيل عبد الصمد الموزعي _ الاحسان في دخول اليمن في مملكة ال عثمان تحقيق عبد الله الحبشي منشورات دار المدينة
٣- يحي بن الحسين بن القاسم يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر تحقيق عبد الله محمد الحبشي . اصدار الملتقي الثقافي دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٩٦م .
٤- د/ قائد محمد طربوش . في تاريخ عشائر محافظة تعز - عشائر بني يوسف . منطقة العروة الوثقى تعز ٢٠٠٠ .

عدن رمز الوحدة اليمنية

١٨٣٩ — ١٩٦٧

(المواقف والتحديات للسياسة البريطانية)

أ.م . شفيقة عبد الله العراسي
قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة عدن

المقدمة :

تميزت عدن بأهمية استراتيجية لوقوعها في جنوب البحر الأحمر بحيث عكست دوراً اقتصادياً بارزاً بين المدن اليمنية الساحلية وأصبحت بهذا الدور مركزاً لنشاط تجاري تطور فيها بتطور النشاط التجاري العالمي . وأدى ذلك إلى هجرة سكانية إليها ، داخلية وخارجية نمت باطراد مع النمو الاقتصادي فيها ، ويهدف البحث إلى الوحدة الاجتماعية اليمنية في المستعمرة . فعلى الرغم من الهجرة الأجنبية الواسعة التي شهدتها عدن ، ومحاولة الاستعمار البريطاني طمس ملامحها اليمنية ، فقد أبت إلا أن تبقى يمنية بتراثها وتقاليدها وعلاقاتها الأسرية ، وجسدت بذلك وحدتها الاجتماعية وارتباطها باليمن " الأم " . وأبى شعبها اليمني إلا أن يبقى يمنياً متحدياً السياسة البريطانية ساعياً من خلال نشاطه السياسي والاجتماعي والثقافي عبر الأندية والجمعيات الأدبية والثقافية المحافظة على كيان الأسرة اليمنية ورفع شأنها الاجتماعي بما يحفظ وحدة المجتمع اليمني فيها بمختلف فئاته .

يشير البحث إلى أن عدن شهدت الوحدة اليمنية على الصعيد الاجتماعي ، فضمت أبناء اليمن الواحد ومن المناطق المختلفة . وشمل مجتمعها عائلات تعود أصولها إلى حضرموت ، يافع ، لحج ،الضالع ، تعز ، أبين صنعاء ، إب ، البيضاء .. وغيرها . وحافظت هذه العائلات على لقبها الذي يرمز إلى منطقة منشأها اليمني .

ولقد ظلت الوحدة اليمنية – ككيان يمني موحد بوحدة الأرض والمصير – حلماً يراود كل يمني ، وهدفاً سعى إليه جميع اليمنيين . إلا أن الوحدة اليمنية تحققت قبل ميلادها في يوليو ١٩٩٠م ، بتحديات مجتمع عدن اليمني للمخططات السياسية الاستعمارية البريطانية التي كانت ترمي إلى سلخ عدن عن جسم اليمن وطمس ملامحها اليمنية . وسجل مجتمع عدن اليمني بمختلف فئاته الاجتماعية – لا سيما القوى العاملة – مواقف وطنية وحدوية أكتنفتها مشاعر الانتماء لوطن واحد هو اليمن ، والغيرة للارتقاء به إلى أرقى مستوى . وهذا ما كان يؤكد تلاحم الشعب اليمني وصلابته ، متحدياً جميع التيارات السياسية التي عصفت به قصد ليبقى لحمة واحدة وكياناً اجتماعياً وسياسياً واحداً .

١- عدن قبل الاحتلال البريطاني

١-١ الموقع والمناخ :

عدن شبه جزيرة تقع على الساحل الجنوبي لإقليم اليمن الواقع جنوب الجزيرة العربية ، وعلى خط العرض ١٢,٤٧ً شمالاً ، وخط الطول ٤٥,١٠ً شرقاً . وتبعد عن خط الاستواء بحوالي ٨٠٠ ميل شمالاً . وتبلغ مساحتها نحو ٨٠ ميلاً مربعاً .

ضمت شبه جزيرة عدن المدينة القديمة (عدن*) إلى الشرق منها ، وهي على فوهة بركان خامد ، محاطة بسلسلة جبال – شكلت حصناً طبيعياً لها – باستثناء صيره إلى ناحية الشرق منها ، وهو الميناء القديم لمدينة عدن . وإلى الغرب منها حي المعلا المرفأ التجاري للسفن الصغيرة عُرف بـ (معلا دكة) ، يليه حي التواهي وهو الميناء الرئيسي لعدن ، أنشأته بريطانيا بعد عشرين عاماً من احتلالها لعدن . ويقع شمالها برزخ خورمكسر ، الشيخ عثمان ، وقرى بئر جابر والعماد والحسوة . ويقع حي البريقة (المصفاة) أو

* عُرفت بمدينة عدن بعد الاحتلال بمدينة كريتر ، وتعني فوهة بركان نسبة إلى سلسلة الجبال التي تحيطها من جميع الاتجاهات ما عدا الجهة الشرقية عند موقع صيرة وحقات .

(عـدن الصغرى) غرب ميناء التواهي[1] . وعدن بصفة عامة ميناء بحري يقع عند مدخل البحر الحمر على بعد ميل شرق باب المندب .[2]

أصـبحت عـدن بهذا الموقع مركزاً استراتيجيا هاماً ، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً . فهي ميناء طبيعي متمـيّز ، شهد نشاطاً تجارياً منذ أقدم العصور ، واكتسب أهميته الاقتصادية العظيمة بنمو الاقتصاد العالمي ، فكانـت مخـزناً للسـلع التجارية لإعادة تصديرها إلى المناطق الداخلية والقريبة إلى اليمن . وجذبت – بهذا الموقـع – تجـار العالم إليها . وارتبط ازدهارها التجاري وكثافتها السكانية بحالة الأمن والاستقرار السياسي فيها .

كانـت عـدن مطمعاً للغزاة الأجانب . وكان موقعها الآمن – طبيعياً – مشجعاً لآية دولة معتدية لتتخذه مركزاً عسكرياً حصيناً . وإذا ما اعترفت هذه الدولة الغازية أو تلك بقيمة عدن – كما هو الحال في عهد دولة بنـي زريـع ، الأيوبييـن ، الرسـوليين والإنجلـيز – فإن أوضاعها تستقر وتجارتها تزدهر . وتؤدي حالة الاستقرار السياسي والاقتصادي إلى كثافة سكانية من عناصر يمنية وعربية وأجنبية .

وتمـيزت عدن بمناخ شديد الحرارة صيفاً (حزيران ، تموز ، آب) تصل معدل درجات الحرارة العظمى لأكـثر من ٣٦ درجة مئوية في شهر حزيران ،يصاحب درجات الحرارة رطوبة عالية . ويعتدل جوّها شتاءً (تشـرين الأول حـتى أيـار) ، ويكـون جوها بارداً في شهر كانون الثاني ، حيث ينخفض معدل النهايات الصغرى إلى نحو ٢٢,٥ درجة مئوية .

ولم يساعد مناخها على الزراعة لشدة حرارتها وشحة أمطارها ، بهذا تميزت بحياة جافة جدبة خلت من الـزراعة . واعتمدت عدن على مياه الآبار ، سوا أكانت في كريتر والشيخ عثمان ، أو في الأراضي المحيطة بهـا . كمـا اعـتمدت – في توفير احتياجاتها الغذائية – على المنطقة الداخلية خاصة القريبة منها مثل لحج وأبين .

إن قسـوة مـناخ عدن لم يمنع استيطان السكان فيها ، ولم ينفـّر القادمين إليها ، إلى الرحيل عنها ، فموقعها على طريق التجارة العالمي جعلها قبلة للتجارات ، فأثر ذلك في كثافة السكان على مر السنين .[3]

١–٢ ميناء اليمن الرسمي منذ أقدم العصور :

كانـت عـدن ميناء اليمن الرسمي ، منذ ما قبل الإسلام ، ومحوراً أساسيا لنشاطها الاقتصادي على مر العصور . وموقعها على طريق التجارة بين مصر والهند ، اكسبها شهرة عالمية قصدتها السفن التجارية من الصـين والهـند وشرق أفريقيا ومصر والشام . وكانت تقوم بدور الوسيط التجاري ، وارتبطت عبر تاريخها الطويـل بمعظـم أراضـي الإقليم اليمني ، إذ توقف ازدهار وساطتها التجارية على حركة قوافل التجارة بينها وبيـن الأسـواق الداخلية[4]. فهي أقدم أسواق العرب ومركز بلادهم التجاري[5]. وعُرفت قديماً – مع غيرها من الموانئ اليمنية – (بالعربية السعيدة) . وفي هذا السياق ، أشار إليها " الأكوع " { ... بأنها الميناء الطبيعي لليمن وأهم مدنها التهامية والنافذة التي يطل منها على العالم الخارجي والسوق الكبير للجزيرة العربية ، وهي همزة الوصل بين الشرق والغرب وملتقى قارتي أسيا وأفريقيا }[6].

ازدهر نشاط عدن التجاري في عهد بني زريع [٥٣٢ – ٥٦٩ هـ / ١١٣٨ – ١١٧٤م] وتعاظم دورها فـي عهد الأيوبيين [٥٦٩ – ٦٢٦ هـ / ١١٧٤ – ١٢٢٩م] . وأدرك في العهدين أهميتها العظيمة ، كمركز تجـاري عالمـي يسـتقبل المراكب التجارية من مختلف بلدان العالم ، ومدى استفادتهم من مواردها المالية الوفـيرة التـي تجنـيها من عشور البضائع التجارية . وكان لذلك الاهتمام أثر كبير في ازدهارها . واتخذتها الدولـة الرسولية ميناءً رئيساً ليدر عليهـا المال . وأشار إليها " المقدسي " بأنها { فرضة اليمن وخزانة العرب ومعدن التجارات } وقال عنها " القلقشندي " {عدن خزانة مال ملوك عدن}[7].

---

[1]- Hunter ,F.M, An Acount of British Settlement of Aden in Arabia , London , Fankcass and Company Limited , 1968 p.1

ولجنة الجغرافيا : العدنية : عدن وبلاد العرب ، مصر ، مطبعة النيل ، ١٩٣٢ ، ص ٣٢– ٦٧ .

[2]– لجنة الجغرافيا العدنية : نفسه ص ٦٧ .

[3] – إيمان شمسان : ازدهار تجارة مدينة عدن في العصر الأيوبي والرسولي ، بحث مقدم لندوة "عدن الماضي والحاضر والمستقبل" ، الندوة العلمية الأولى من ١٥–١٧ مايو ١٩٩٩م ص . ٣ .

[4] – حسن صالح شهاب : عدن فرضة اليمن ، صنعاء مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، ص .١٦٥ .

[5] – معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ط ٣، دار الحكمة، صنعاء ، ١٩٨٨ ، ص.٤٣٢ .

[6] – محمد بن علي الأكوع الحوالي : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ط ٢، مكتبة الجيل الجديد ، ١٩٨٢ ، ص.٨٥ .

[7] – أبـن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، أعتنى بتصحيحها اوسكر لوففرين ، ط ٢ ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٩٨٦ ، ص.١٤٤ .وإيمان المرجع السابق ص ٤– ١٤ .

أثر النشاط التجاري وازدهاره على مجتمع عدن ، فكان مجتمعاً يمنياً مفتوحاً لكثير من التجار من أصول عربية وأفريقية وآسيوية ،وقد استوطنت هذه الجاليات عدن بحثاً عن الكسب والثراء بعد أن وجدت فيها الأمن والـرخاء وتسامح اليمنيين معها .وتألف مجتمع عدن بذلك ، من جنسيات مختلفة شكلت أقلية أجنبية ارتبطت مع اليمنيين بعلاقات تجارية اكتنفتها المودة وحسن المعاملة والتسامح . واعتمد بناء هذه الأقلية الأجنبية في عدن على ازدهار نشاطها التجاري ، وكان عددها يتناقص إذا ما اضمحل هذا النشاط أو اضطرب الأمن فيها .

وقال ابن بطوطة ، تأكيداً على ما سبق تبيانه ،{ بأنهـا مرسى بلاد اليمن ، ومرسى الهند ، سكنها تجار مـن الهـند ومـن مصر .... وأهلها ما بين تجار وحمّـالين وصيادين للسمك[1]} . وكانت توجد في عدن شـوارع خاصة بكل جالية من هذه الجاليات . مثل شـارع (حافة) البانيان (الهنود) ، شارع الأحباش ، شارع اليهود .[2]

تعرضت عدن – في مطلع القرن السادس عشر – لهجمات برتغالية ومملوكية ولأعمال قرصنة ونهب ، فقـدت بذلك الأمن والاستقرار الذي كانت تتمتع بهما ، مما أدى بالتجار المتجولين والمقيمين إلى البحث عن موانـئ أخرى آمنة على الطريق التجاري بين الهند ومصر. ونقص عدد التجار ، كما ضعفت التجارة ، وكان ذلـك سـبباً في أفول نجمها كميناء مزدهر قبل خضوعها للدولة العثمانية . وسمح الغزو العثماني لعدن عام ١٥٣٨م بوصول عدد من الأكراد والأتراك والشراكسة والمصريين، واتخذ بعضهم عدن وطناً ثانياً لهم .[3]

اهمـل العثمانـيون عـدن بعد سيطرتهم على اليمن عام ١٥٧٠م ، واتخذوا من ميناء (المخا) مركزاً تجاريـاً قصـدته السفن من الهند وأفريقيا ومصر . ويرجع ذلك إلى بُعد المخا عن أعمال القرصنة البحرية ، ولقربه من صنعاء مركز سلطتهم في اليمن.[4]

وظلـت عـدن ميناءً تجارياً على الرغم من أفول نجمها كميناء مزدهر . وقصدتها بعض السفن ، وكان إيـراداتها يذهـب مناصفة بين السلطان العبدلي والفضلي*، بعد تصدع الدولة المركزية القاسمية واستقلالهما بـالحكم في أراضيهما منذ منتصف القرن السابع عشر .[5] واستردت عدن بعضاً من نشاطها التجاري في عهد السلطان " أحمد عبد الكريم العبدلي" [١٧٩٢ – ١٨٢٨م] ، الذي دعا التجار من مصر والهند للبقاء في عدن ، وأظهـر تسـامحاً مع المسيحيين في سلطنته[6]. وأكدت اتفاقية عام ١٨٠٢م الإنجلو – عبدلية على استعادة عدن لبعض من نشاطها التجاري السابق . كما عبرت عن بداية لنفوذ أجنبي من خلال ما حصل عليه الإنجليز والهنود – كرعايا لهم – من امتيازات سياسية واقتصادية ، مهدت لأرضية عسكرية وفرض السيطرة الكاملة على عدن عام ١٨٣٩م .[7]

وما نود الإشارة إليه ، أن ازدهار عدن التجاري على مر العصور ، أدى إلى استقرار بعض اليمنيين بها من مختلف مناطق اليمن ممن لهم علاقات تجارية بين المنطقة الداخلية وعـدن . كما أدى إلى ظهور أقليات أجنبية تعايشت مع اليمنيين وارتبطت معهم بعلاقات المودة وحسن المعاملة والتسامح قبل الاحتلال البريطاني لعـدن . ووضـح "أميـن الريحاني" صورة عدن في هذه الفترة بقوله { أن عدن تلك الأيام كانت عدن العرب والتوحيد . ولا أريد بالتوحيد فقط بل القومية واللغة أيضاً . أما الوحدة القومية فكان قد تخللها شئ من خليط الهنود الذين هاجروا إلى هذه الزاوية من البلاد العربية التي احتلها الإنجليز . وكان البُنيان (البينيان)** في عـدن يـوم جاءتهـا البعـثة الفرنسـية والمسيو "لاروك" يذكرهم في كتابه { أنهم يهود المدينة أي التجار والصيارفة فيها . وكان العربي اليماني الزيدي يكرمهم ويتخذ له منهم الأخدان ، ويحسن إليهم كل الإحسان ، وهو لا يدري أن أبناءهم في المستقبل سيكونون من خدامهـم وخدام من جاءوا كذلك من المغرب }[8]. وعلى الرغم من أن تركيبة مجتمع عدن تغلب عليه الصفة اليمنية ، إلا أن هذه الجنسيات القادمة من الخارج الإقليم اليمنـي– على مر العصور – كان لها تأثير واضح في نسيج هذه التركيبة لمجتمع عدن . ويرجع ذلك إلى أن

---

[1] – شهاب : المرجع السابق ص.١٦٥ .

[2] – شهاب : نفسه ص. ١٩٤–١٩٥ .

[3] – حمزة لقمان : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٠، ص ١١٩ .

[4] – شهاب : المرجع السابق ص . ٢٣٠.

* اشار أمين الريحاني أن اول سلطان من سلاطين لحج استولى على عدن ١٧٣٥م مستقلاً بالحكم عن إمام صنعاء .
أمين الريحاني : ملوك العرب ، ط٤،بيروت ، دارالريحاني للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ ص ٤١٩.

[5] – أحمد فضل بن علي العبدلي :هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ،ط٢ ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٩ ،ص ١٢٤،١٢٦

[6] – العبدلي : نفسه ص ١٣٥ – ١٣٦ .

[7] – أمين الريحاني: المرجع السابق ص ٤٢٠ .

** تعني فينيقي الهند كثيرو الأسفار والاتجار عن ، عن أمين الريحاني : نفسه .

[8] – أمين الريحاني : نفسه ص ٤٠١

بعـض هـذه الأقليات العربية والأجنبية (آسيوية وأفريقية) ذابت في اليمنيين بواسطة المصاهرة أو تفضيل البقاء فيها والتكيّف مع عادات وتقاليد المنطقة .

وحـاول البريطانـيون استقطاب بعض من هذه الأقليات الأجنبية مع يهود اليمن ، وتحويلها إلى طابور خـامس وركـيزة لهـا . وكـان ذلك أحد العوامل الأساسية لفرض الاحتلال . وقبض هؤلاء الثمن بامتيازات سياسـية واقتصادية واسعة منحتها لهم بريطانيا في عدن بعد الاحتلال . وتمكنت هذه الأقلية بهذه الامتيازات مـن الارتقاء والرخاء في المجتمع على حساب أبناء اليمن . مما أدى إلى استبدال علاقات الود والتسامح إلى العـداء والتنافر بينها وبين اليمنيـين .

٢- الاحتلال الأجنبي لليمن ١٨٣٩ - ١٨٧٢م بداية التشطير السياسي والعسكري

٢-١ تقرير " هينز " حول سكان عدن عند الاحتلال ومدى مصداقيته :

تمكنـت بريطانيا - بفضل قواتها العسكرية - فرض السيطرة العسكرية على عدن في التاسع عشر من يـناير ١٨٣٩م . ولـم يكن تعداد سكان عدن معروفاً من قبل الشروع في احتلالها . وذكر تقرير "هينز" { أن سـكان عـدن عند الاحتلال كان حوالي ستمائة نسمة ، بينهم ١٨٠يهودياً و ٤٠ من الهنود غير المسلميـن (بينـيان وهندوس) والبقية عرب وصومال. وازداد عدد السكان في أعقاب الاحتلال ، إذ بلغ في سبتمبر من العام نفسه حوالي ٢٨٨٥ نسمة ، وبلغ العدد عام ١٨٤٠م حوالي ٤٦٠٠ نسمة }[1].

يوصـي "هيـنز"- في تقريره - بأن عدن قرية مهجورة لا يسكنها إلا عدد محدود من اليمنيين . إلا أن الواقع غير ذلك . إذ كانت عدن تشهد نشاطاً تجارياً لا بأس به قبيل الاحتلال من شأنه أن يؤدي إلى زيادة عدد السكان اليمنيين ، لارتباط هذا النشاط التجاري بالمنطقة الداخلية بشكل عام .

كانت عدن ميناء السلطنة العبدلية ، ورافد خزينتها المالية ، مما كانت تحصل عليه من إيرادات مالية ، حققت للسلطان العبدلي " أحمد عبد الكريم " ازدهاراً اقتصادياً في مجال الزراعة وتكوين قوة عسكرية لحماية عـدن ، لم يتمكن " الجوشمي " - قائد الأسطول الوهـابي - من قهرها ضد جيش العوالق البالغ عدده ثمانية آلاف مقاتل بمنحة مالية قـُدرت بحوالي سبعة آلاف ريال ن قدمها العبدلي لسلطان العوالق " عبد الله بن فريد "[2].

عكسـت هـذه المعطـيات صورة لنشاط ميناء عدن ، الذي لا يخلو من وجود قوى بشرية محرّكة لهذا النشـاط ، ولمختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وربما يرجع نقص عدد اليمنيين في عدن ، عند الاحتلال إلى ما كان يعتقده "حمزة لقمان" وهو { أن العرب كان عددهم أكبر مما قدره "هينز" لسببين ، الأول : أن العـرب لـم يقدموا العدد الصحيح من الذكور والإناث ، خوفاً من أن يؤخذوا رهائن . وثانياً: مغادرة عدد كبـير مـن السـكان إلـى لحج وإلى القرى المجاورة }[3] . وهذا الأقرب إلى الواقع ، فإن دافع الخوف - في الحالتين - كان سبباً لفرار اليمنيين من عدن إلى المنطقة الداخلية .

واتفـق " أباظة " مع ما ذكره حمزة لقمان آنفاً ، بقوله { إن النقص المفاجئ في عدد السكان من العرب اليمنيين يعود لسببين . الأول : خوف الأهالي من الاحتلال البريطاني بعد أن شاهدوا سفن البريطانيين الهائلة وهي تحاصر عدن إلى لحج والقرى القريبة لها . ثانياً : إحصاء "هينز" للذكور دون الإناث ، كما أن الأهالي لم يقدمـوا العـدد الحقيقـي لأبنائهم خوفاً من أن يُجنـّدوا أو يؤخذوا كرهائن أو يكلفوا بخدمة قوات الاحتلال . والدليل على ذلك زيادة عدد اليمنيين في عدن بعد اتفاقية يونيو ١٨٣٩م بين السلطان العبدلي والبريطانيين ، التي أدت إلى شعور الأهالي بالطمأنينة فعادوا إلى عدن }[4].

وممـا لاشـك فيه أن الذين بقوا في عدن - عند الاحتلال - من اليهود والأقليـات الأجنبية ، هم ركيزة بريطانيا ، التي استندت عليها في تحقيق السيطرة ، والذين ابدوا ارتياحاً لقدومها .

لـم يستسـلم اليمنـيون للاحـتلال ، بل هبوا بتحالفات قبلية للوقوف صفاً واحداً لدعم السلطان العبدلي لـتحرير عـدن في محاولات يائسة انتهت بالهزيمة . ونستشف من ذلك ، أن اليمن ، على الرغم من تصدع دولـتها المركـزية إلى وحدات سياسية صغيرة خلت من فواصل حدودية ، وخضعت لنفوذ قبلي، إلا أنها ظلت كياناً اجتماعياً واحداً جسّد وحدة الشعب اليمني وموقفه الواحد تجاه أية اعتداءات خارجية عليه . وكان موقف

---

[1] - حمزة لقمان : المرجع السابق ص ٣٢٠

[2] - حسـن صـالح شـهاب : العبادل سلاطين لحج وعدن (١١٤٥-١٣٨٠هـ / ١٧٣٢-١٩٥٩م) صنعاء ، مركز الشرعبي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م ص ١٧-١٩ .

[3] - حمزة لقمان : المرجع السابق ص ٣٢٠ .

[4] - فـاروق عـثمان أباظـة (د) : سياسية بريطانيا في البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨م ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ص ٢٠١-٢٠٢

الشعب اليمني– ككيان اجتماعي واحد – إلى جانب السلطان العبدلي لتحرير عدن من قبضة البريطانيين ، دليلاً على ذلك ، حتى وأن لم يتمكنوا من إحراز النصر .

إن عـدم تكـافؤ القوتيـن (اليمنية – البريطانية) أدى إلى استسلام العبدلي وغيره من القبائل اليمنية الجنوبيـة لسياسة الأمر الواقع ، والرضوخ لمغريات السياسة البريطانية بالحصول على المال والسلطة مقابل عقد اتفاقيات تلزمهم بالولاء التام لها .

٢–٢ المساعي البريطانية لتأمين مركز نفوذها في عدن :

كـان الاحـتلال البريطانـي لعدن دافعاً للعثمانيين لإعادة فرض سيطرتهم الكاملة عل شمال اليمن عام ١٨٧٢م ، مما أدى ببريطانيا إلى السعي في اتجاهين ، الأول : تعزيز نفوذها في مساحات واسعة من الجنوب اليمني ، بواسطة شراء الأراضي المتاخمة لعدن وعقد اتفاقيات الحماية مع حكام المنطقة . كانت في الواقع ، اتفاقـيات تلـزم بهـا الطـرف اليمني بحماية نفوذها في المنطقة من أية تدخلات محلية أو قوى أجنبية تهدد مصـالحها فـيها . وحققـت بريطانـيا بهذه الاتفاقيات ليس السياج الأمني لعدن فحسب ، بل وفرض نفوذها وهيمنتها على الجنوب اليمني .

أمـا الاتجـاه الثانـي : كان سعي بريطانيا في إجراء مفاوضات مع تركيا ، من أجل ترسيم الحدود بين الشـطرين ، لتأميـن مـناطق نفوذها سياسياً وعسكرياً ، والخروج باتفاقية حدود تواجه بريطانيا بها الإمامة الزيدية – التي كانت توجّـه ضربات للعثمانيين – إذا ما استقلت الإمامة بالحكم.

وتـمّ الإعلان عن قيام المملكة المتوكلية اليمنية عام ١٩٢٣م ، بعد انسحاب القوات العثمانية من اليمن فـي أعقاب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م . ولم يتعرف الإمام باتفاقية الحدود المبرمة بين الدولتيـن (بريطانـيا وتركيا) عام ١٩١٤م . وطلب من البريطانيين الانسحاب من الشطر الجنوبي . وزحف الإمام بقواته إلى الأراضي الجنوبية ليرغم بريطانيا على الانسحاب مما اضطر الأخيرة إلى استخدام سلاح الجو الملكي ، وخضوع الإمام لعقد اتفاقية عام ١٩٣٤م ، كانت أهم بنودها الاعتراف بالوجود البريطاني في جنوب اليمن .

ونـرى ممـا سـبق تبيانه أن بريطانيا حرصت لتبقى عدن خارج إطار ارتباطها بالإقليم اليمني كله . إذ سـعت – ومـنذ بدايـة الاختلال – لتفصل عدن عن الأراضي الجنوبية المحيطة بـها . كما اعتبرت الشطر الشـمالي إقلـيماً منفصلاً عن الجنوب . واعتبرت بريطانيا سكان المنطقة الداخلية – في الحالتين – أجانب لا يدخلون عدن إلا بتصريح من حاكمها البريطاني . ونجحت بذلك في تأمين عدن ، وتحريم عيش أبناء المنطقة الداخلـية فـي كل من الإمارات الجنوبية وشمال اليمن فيها ، بهدف تحديد عدد سكانها من اليمنيين . وعلى الـرغم من تلك القيود التي فرضتها بريطانيا على أبناء اليمن ، إلا أن العلاقات الاجتماعية ظلت سائدة بينهم بشكل عام ، اكتنفتها مشاعر الانتماء والإخاء والمودة . كما ظل ارتباط مجتمع عدن اليمني بالمنطقة الداخلية ارتباطاً روحياً لا سيما سلطان لحج الذي دائماً ما يلجأ إليه أهالي عدن متى ما شعروا بحاجة لفض نزاع ، أو مشورة في قضاياهم الخاصة .

٣– أهمية عدن والمحاولات البريطانية لطمس ملامحها اليمنية

٣–١ تنامي أهمية عدن لدى البريطانيين :

احتلت بريطانيا عدن لأهميتها كموقع عسكري إستراتيجي ومحطة تموين بالفحم ومركز اقتصادي متميز لـتجارة الترانزيـت . إلا أن أهميـتها تنامت باطراد بعد الاحتلال البريطاني عام ١٨٣٩م ، فازدادت أهميتها الاقتصادية والعسكرية بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م لاستخدام خط البحر الأحمر كأقصر الطرق الملاحية وأكثرها حيوية ونشاطاً . وبرزت هذه الأهمية في شبه الجزيرة العربية بشكل عام لمدى تأثيرها على مستقبل السياسة البريطانية في المنطقة .

ونمـت أهميـتها أكثر فيما بين الحربين العالميتين ، بتحولها إلى مخزن للنفط ومحطة تموين السفن الـتجارية بـالوقود على الطريق التجاري بين الهند والمملكة المتحدة . وأسهم مركزها المتوسط بفعالية في تسـويق نفط العراق وإيران إلى المناطق المجاورة ، وكانت عائداتهما من النفط تخضع للسيطرة البريطانية[١] . كمـا تحولت عدن – خلال الفترة نفسها – إلى محطة تلغراف ربطت خطوطها لشرق الساحل الأفريقي بمدينة الـرأس (Cape Town) ، تطورت هذه المحطة عام ١٩٢٩م بضم مختلف الخدمات البريطانية والإرسال

---

[١] - محمد جعفر زين : مسار التطور الاقتصادي لشطري اليمن ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ،يونيو ١٩٧٤م عدن ص ٣٥ .

والاستقبال في شركة عُرفت عام ١٩٣٤م بشركة البرق واللاسلكي[1]. ونظراً لهذه الأهمية الاستراتيجية ، حولت بريطانيا عدن إلى مركز إداري عسكري يخدم مصالحها السياسية والعسكرية والاقتصادية البريطانية في المنطقة .

وأصبحت عدن – في ظل الصراع الدولي – إحدى أهم نقاط الارتكاز العسكرية ، تحولت بعد الحرب العالمية الثانية ،وفي أعقاب تصاعد الحركات التحررية في كلٍّ من الهند ومصر ، إلى قاعدة عسكرية ومركز استراتيجي لقيادتها في الشرق الأوسط[2] . وتنامت – في الوقت نفسه – أهمية الميناء الاقتصادية بوتائر سريعة ، وأصبح أهم مركز دولي بين الشرق والغرب ، ترتب عليه نمو العلاقات الرأسمالية ومضاعفة نشاط الشركات الاحتكارية ، الأمر الذي عكس نفسه على مختلف ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وأدركت بريطانيا بذلك ، أن عدن لا تقدر بثمن ، فازدادت تمسكاً بالاحتفاظ بها ، وكانت تختط سياسة موازية لتنامي أهميتها لبقائها خاضعة تحت نفوذها . فعلى الصعيد الخارجي لحدود عدن – وكما سبق الإشارة إليه – رسمت بريطانيا الحزام الأمني لعدن بتحويل السلطنات والإمارات والمشيخات المحيطة بها إلى مراكز حماية لها من خلال معاهدات ملزمة للسلطات المحلية بالدفاع عن المصالح البريطانية في المنطقة ، تطورت هذه المعاهدات – بتطور أهمية عدن كمركز عسكري في ظل احتدام الصراع الدولي – إلى معاهدات الاستشارة عام ١٩٣٧م ،أعطت بريطانيا صلاحيات مطلقة في إدارة شؤون المحيطات وفرض الحكم غير المباشر فيها .كما دفعت حركات التحرر العربية ببريطانيا إلى سياسة وحّد واحكم بتشكيل اتحاد الجنوب العربي ، وللمحافظة على عدن كقاعدة عسكرية استراتيجية ومركز هام لقيادتها العسكرية في الشرق الأوسط .

بناءً على ذلك ولأهميتها كمركز إداري – عسكري ، كان على بريطانيا تأمين عدن من أية قوى محلية معارضة لها ، تهدد بقاءها . فاتبعت إجراءات سياسية تهدف إلى تجريد عدن من عروبتها ومن هويتها اليمنية .

٣-٢ تحديد ملامح الهوية العدنية :

كانت بريطانيا تدرك أن عدن جزء لا تجزأ من اليمن ، وأن التقسيمات السياسية في المنطقة لا تشكل عائقاً أمام توحيدها إذا ما استقرت الأوضاع وحظيت اليمن بقيادة يمنية قوية تحقق وحدتها السياسية لتستكمل ما هو عليه الشعب اليمني من وحدة اجتماعية ،لمستها بريطانيا من المقومات الوحدوية الماثلة أمامها في اللغة والدين والتاريخ والأعراف السائدة والثقافة والحدود المفتوحة التي سمحت بالارتباطات القبلية وبعلاقات الود والإخاء على الرغم من الخصومة التي دائماً ما تنتهي بالخضوع إلى الأعراف القبلية السائدة لحلها . وهذا ما كان يدركه رجال السياسة البريطانية من حكام وضباط ، هنتر(Huntur) ويعقوب(Jacope) وإنجرامز (Ingrams) . فقد شهدت كتاباتهم على وحدة الأرض اليمنية ووحدة الشعب اليمني ، وأن سياسة تمزيق اليمن التي يقومون بها ، هي طارئة ومؤقتة لوحدة اليمن .[3]

وأشار " قحطان الشعبي" إلى وحدة اليمن بقوله: { الجزء المحتل من الوطن العربي كان دائماً وأبداً جزءاً من إقليم اليمن كله مشترك معه في وحدة سياسية ويربطه في الحقيقة والواقع مع بقية أجزاء الإقليم عوامل التاريخ والجنس واللغة والدين والمصلحة المشتركة .كما كان يحكم الإقليم كله أحياناً من عاصمته صنعاء وأحياناً من عاصمته زبيد وأحياناً من عاصمته عدن وأحياناً من عاصمته تعز وأحياناً من عاصمته في ظفار حسب الدولة المسيطرة واختيارها للعاصمة }[4].

والوحدة اليمنية بمفهوم الاستعمار البريطاني نهاية لنفوذه في عدن . لذلك ، عمدت بريطانيا إلى سياسة فرق تسد لتمزيق الكيان السياسي للمجتمع اليمني . بتحريض حكام الجنوب للوقوف ضد نظام الإمامة ، بحجة أنها تسلبهم حقوقهم السياسية ، وعملت على تأجيج الصراع المذهبي ، لزرع المخاوف في المنطقة الجنوبية

---

[1] - Guides and Handbook of Afriea , Welcome to Aden ,Publishing Company , Published may 1963 ,p.180 .

[2] – نخبة من المفكرين من قيادة التنظيم السياسي والمسؤولين في دولة جنوب اليمن ، مجلة دراسات في تاريخ الثورة اليمني ، عدن ، مؤسسة ١٤ أكتوبر للطباعة والنشر ، ص ٥٢ .
كانت عدن إحدى نقاط الارتكاز الأربع التي كانت تحمي الطريق البحري المهم لبريطانيا ابتداءً من عمود هرقل عند مدخل المحيط الأطلسي ومروراً بالبحر الأبيض المتوسط ووصولاً إلى باب المندب . ونقاط الارتكاز هذه هي : جبل طارق ، مالطة ، قبرص ، عدن . وبعد الحرب العالمية الثانية أنشأت بريطانيا ثلاث قيادات هي : قيادة الشرق الأدنى في قبرص ، قيادة الشرق الوسط في عدن وقيادة الشرق الأقصى في سنغافورة . المرجع نفسه .

[3] – مجلة الدراسات في تاريخ الثورة اليمنية : مرجع سبق ذكره ، ص ٨٦ – ٨٧ .

[4] – قحطان محمد الشعبي : الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن ، القاهرة ، دار النصر للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ ، ص ١٨ – ١٩ .

(الشافعية) من فرض (المذهب الزيدي) عليهم . وحرصت على خلق العداء المستمر بين الإمامة ، وحكام الجنوب من ناحية والنزاع والتناحر الدائمين بين حكام الجنوب أنفسهم من ناحية أخرى ، لتؤمن بدوام التناحر والفرقة بين أبناء الشعب اليمني ، بقاء نفوذها في عدن والمنطقة بشكل عام .

أما على الصعيد (المستعمرة عدن) فقد حاولت بريطانيا – في الوقت الذي كانت تصعد فيه سياسة فرق تسد في المنطقة الداخلية – القيام بإجراءات سياسية واقتصادية ، بهدف تحديد معالم الهوية العدنية ورسم إطارها الاقتصادي الذي لا يستطيع المواطن العربي*(اليمني) اختراقه . وكانت تسعى إلى قطع الصلة بين عدن والمنطقة اليمنية الداخلية ، بفرض الإجراءات الاقتصادية والسياسية التالية :

٣-٢-١ اقتصادياً :

- فرض اقتصاد خدمات في عدن ، وتشجيع الشركات الأجنبية لاستثمار أموالها في تجارة الاستيراد والتصدير بما تقدمه من خدمات للميناء والحامية البريطانية ومدها بالتموين الغذائي ، وغيرها من الخدمات التي تسهم في تذليل الصعاب أمامها ، من أجل بقائها وإنجاز مهامها للحفاظ على مصالحها في المنطقة .
- توجيه ضربة للاقتصاد اليمني في عدن والحد من تطوره ونمائه من خلال ربطه بالرأسمال الأجنبي ، وتحويل التجار اليمنيين إلى تابعين وبمركز ثانوي ، بحيث يعجزون عن خلق رأسمال وفير يسمح بنهوض اقتصادي وطني منافس للأجنبي .

كانت نتائج هذه السياسة الاقتصادية ، ضعف النشاط التجاري اليمني ، فكانت حركة تطور رأسماله مشلولة لا ترتقي إلى مصاف رأسمال الشركات الأجنبية . كما قضت هذه السياسة على الصناعة المحلية التي لم تجد طريقها إلى النمو والتطور ، بسبب ترويج المنتجات الصناعية الأجنبية في الأسواق المحلية وبسعر زهيد .

أدت هذه السياسة إلى تدفق الرأسمال الأجنبي لاستثماره في عدن ، ولم يترك هذا النشاط أثراً فاعلاً في النهوض بالبنية الاقتصادية لعدن ، فظل اقتصادها اقتصاد خدمات ، وعمد الأجنبي إلى ترحيل أمواله إلى بلاده دون أن يسخرها لمشاريع تنموية محلية .

كانت أبعاد هذه السياسة البريطانية ربط اقتصاد عدن بعجلة الرأسمال الأجنبي من أجل ضعف مواردها الاقتصادية ، وعدم خلق مقومات اقتصادية تعمل على الرخاء والاستقرار إذا ما أُجبرت بريطانيا على الرحيل ومنحت عدن استقلالها الوطني .

٣-٢-٢ سياسياً :

سعت بريطانيا إلى خلق مجتمع عدني غير متجانس ، بتشجيع هجرة الأجانب إلى عدن ، وسهلت للأجانب سبل العيش فيها ومنحتهم امتيازات واسعة في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية

ونفذت بريطانيا هذا المخطط الاستعماري ، بفتح باب الهجرة الأجنبية عل مصراعيه في عدن لتحقيق غرضين ؛ الأول : فرض هيمنة أجنبية على أهم الشؤون الاقتصادية وعملت – من خلال ذلك – على أن يتغلب العنصر الأجنبي على العربي (اليمني) ، صاحب الحق الشرعي في البلاد ، إلى حد يجعل الأجنبي طرفاً في قضية عدن السياسية وتقرير مصيرها ، ويُتخذ من ذلك مخلب قط لبريطانيا لمقاومة الحركات الوطنية وصرفها عن محاربتها بالصراع مع هذه القوى الوطنية . الثاني : خلق مشكلة الجاليات العدنية والأقليات الأجنبية ، لتتخذها بريطانيا ذريعة لبقاء وجودها بحجة حماية مصالح هذه الأقليات ، وأن بقاءها استجابة لمطلبها ، وذلك عندما تقوى الحركة الوطنية وتطالب بجلائها .[1]

وحددت بريطانيا ملامح الهوية العدنية بقانون اقتصر على منح الجنسية على النحو الآتي :

- للعرب الذين ارتبطت أصولهم اليمنية بعدن لأجيال سبقت .
- لكل أجنبي عاش في عدن عشر سنوات .
- لكل من ينتمي إلى دول الكومنولث البريطاني ويعيش في عدن لمدة قصيرة أو طويلة .
- للرعايا البريطانيين الذين ولد آباؤهم في عدن حتى وإن لم يولدوا هم فيها أو يعيشون بصفة دائمة فيها .

---

* أطلقت السلطات البريطانية على المواطن العدني من أصل يمني بالعربي (Arab) للتعريف به في أوراقه الرسمية عن العدني من جنسيات أخرى ، كالهندي والصومالي واليهودي والأوربي . ولم تعرفه باليمني حتى لا تؤكد في سجلاتها الرسمية ارتباط عدن باليمن.

[1] – قحطان محمد الشعبي : مرجع سبق ذكره ص ١٠٤ .

حـــرم القـــانون حـــق المواطنة العدنية لكل يمني يعيش في عدن من أبناء شمال اليمن وأبناء الإمارات الجنوبية أو أجزاء الوطن العربي ، حتى إذا عاش في عدن لأكثر من عشر سنوات .[1]

كانــت حجة بريطانيا في التعامل معُ الأجنبي أنه كادر مؤهل ، لأنه أكثر علماً وأوسع ثقافة ، ولا يشكل مصدر قلق لها بالنسبة لأية معارضة أو انقلاب سياسي عليها ، ويمكن طرده من عدن إذا أخل بقانون الهجرة وشــروط الإقامـــة[2]. أما المواطن العربي عكس ذلك ، فهو يُعرف بغيرته الوطنية وحماسته المفرطة لخلاص أرضه من المعتدي . وهو مصدر قلق دائم لها ، وأية معارضة سياسية من شأنها أن تتطور وتعجل برحيلها . من أجل ذلك ، عمدت إلى حرمانه الجنسية ، حتى لا يتضاعف عدد عرب عدن ويصبحوا مصدر ضغط عليها . كمـــا حرمته من امتلاك الأراضي للسكن ، ومن امتيازات العيش بأمان ، فكان عرضة للترحيل عن عدن متى أرادت ذلــك . وأصـــدرت القوانيـــن المتعلقة بالجانب الأمني للحد من النشاط السياسي ولخنق حرية التعبير . وأشـــار "أميـــن الريحانـــي" فـــي هذا السياق بقوله :{ عدن اليوم مدينة الشرك هي لا مدينة التوحيد . مدينة عمومية لا عربية ولا أوروبية ، مدينة التجارة والفحم والمضارب العسكرية }[3].

وتمكنـــت بريطانـــيا – بهذه السياسية – من حكم عدن مع الوافدين إليها من الهنود والأوربيين وغيرهم مـــن أبـــناء الكومنولـــث والجاليات الأخرى ، الذين استغلوا جميع خيرات عدن لأنفسهم ونقلوا ما حققوه من مكاسب إلى بلادهم .[4]

٣-٢-٣ سياسة التعليـــم :

اتبعـــت بريطانـــيا سياسة تعليمية محدودة اقتصرت على المستوى المتوسط ، الغرض منها تخريج كتبة لشـــغل الوظـــائف الإدارية في مؤسساتها الحكومية والاقتصادية ولم تعمل على الارتقاء بالتعليم إلى المستوى الجامعي بتطوير المناهج لتشمل تخصصات علمية وأدبية أو تشجيع البعثات التعليمية إلى الخارج . كانت أبعاد هذه السياسة التعليمية البريطانية تحديد مستوى أبناء عدن اليمنيين ، وعدم خلق كوادر يمنية مؤهلة في عدن لإحلالهـــا محـــل الكـــوادر الأجنبية ، من ناحية ، وحتى لا ترتقي عدن بأبنائها اليمنيين إلى المستوى الأفضل ويكون ذلك ذريعة بريطانيا في استقدام المؤهلين من الأجانب إلى عدن ، من ناحية أخرى.

لـــم تكتف بريطانيا بفرض سياسة تعليمية هزيلة على أبناء عدن اليمنيين ، إنما أصدرت قانون التعليم ، وحـــددت فـــيه حـــق القبول لأبناء عدن بما فيهم أبناء الجالية الهندية والصومالية واليهودية . ولم تكفل بهذا الحـــق أبـــناء الإمارات الجنوبية وشمال اليمن الذين خضعوا لقرار الحرمان[5]. وسعت بذلك إلى تجهيل غالبية أبـــناء اليمن وتعزيز الأمية في مجتمع اليمن بشكل عام ليبقى اليمني دون المستوى وينتمي إلى الطبقة الدنيا المرتبطة بقطاع الخدمات . وهذا ما يحقق بقاء نفوذها في المنطقة .

وبالنظر لما سبق تبيانه نرى أن النظام الاقتصادي – السياسي ، الذي فرضته بريطانيا – منذ الاحتلال – أثـــر علـــى البنية الاجتماعية لمستعمرة عدن ، إذ خلق وضعاً اقتصادياً واجتماعياً غير متكافئ فيها . فظهرت طـــبقة أجنبية كانت تقف في أعلى السلم الاجتماعي ، لها تمتعت بكافة الامتيازات . تليها طبقة أخرى محلية ، ارتبطـــت مصالحها التجارية والاجتماعية بعجلة الاستعمار البريطاني وشركاته الأجنبية الاحتكارية ، تألفت من كـــبار تجار الجملة .. ومن الفئة المثقفة التي كانت تشغل مراكز إدارية متقدمة ، تأثرت بالثقافة الإنجليزية . وتألفـــت الطـــبقة الوسطى من تجار التجزئة ، وملاك المحلات الصغيرة ومن صغار الموظفين ، وغيرهم من ذوي الدخـــل المحدود . وشكلت الطبقة الدنيا قاعدة واسعة في المجتمع ، كانت فقيرة ومعدمة ، شملت عمال قطـــاع الأعمال الخدمية الذين ارتبطت أعماله بالشركات والمؤسسات الاقتصادية ثم من عمال مصافي عدن – القطـــاع الصـــناعي الوحـــيد في عدن – ومن الحرفيين والخدم والعمال بالأجر اليومي . وتألف معظم هاتين الطبقتين من أبناء الإمارات الجنوبية وشمال اليمن الوافدين باستمرار إلى عدن بحثاً عن سبل العيش .

وسبق الإشارة إلى أن الأجنبي تمتع بامتيازات واسعة ، إذ كفل له القانون حق المواطنة في الوقت الذي حـــرم مـــنها أبناء اليمن القادمين من الداخل ، وحظي كمواطن في المستعمرة بالرعاية والاهتمام ، فكانت له الأولية في ارتقاء الوظائف الإدارية الحكومية ، وفي مجال الصحة والرعاية الاجتماعية الأخرى . فكانت هذه الامتـــيازات عـــامل جذب أدت إلى زيادة العنصر الأجنبي ، لا سيما الهندي . ومنحت هذه الوضعية مستعمرة عدن طابعاً اجتماعياً متميـــزاً ، إذ أصبح خليط جنسيات منها الأوروبية والأسيوية والأفريقية والعربية . وكان

---

[1] – قحطان الشعبي : نفسه ص ١٧٢ .
[2] – الحاج عبده حسين الأدهل : الاستقلال الضائع ، ط ٢، مصر ،دار العهد للطباعة والنشر ، ١٩٩٣م ، ص ١٢٢ .
[3] –أمين الريحاني : المرجع السابق ص ٤٠٢.
[4] – الحاج عبده حسين الأدهل : المرجع السابق ص ٨١ .
[5] – الحاج عبده حسين الأدهل : المرجع السابق ص ١٢٣ .

القادم من الداخل للعيش في المستعمرة (عدن) ملاحقاً ولا يحق له البقاء فيها لأنه ليس من رعايا بريطانيا ، ولا يحق له دخول المستعمرة إلا بتصريح حكومة عدن ، في الوقت الذي كان الأجنبي يلقي فيها تسهيلات دخولها للبقاء والعيش فيها بفرص عمل مربحة .

٤- مواقف يمنية إزاء السياسة البريطانية

٤-١ الهجرة الأجنبية ومحاولة طمس الهوية اليمنية في عدن :

حققت بريطانيا بعض النجاح في خلق مجتمع غير متجانس في عدن من خلال تشجيع الهجرة الأجنبية إليها ، ومنح الأجانب امتيازات واسعة في السلطة الإدارية وقيادة الأمن الداخلي وامتلاك العقارات وحصولهم على أفضل المستويات في الحياة المعيشية والاجتماعية .

وسعت بريطانيا إلى طمس ملامح عدن اليمنية ، من خلال الحد من زيادة عدد اليمنيين في عدن من أجل ضعف دور أبنائها ، لتتخلو من القوى المحلية المعارضة لها . وأسهم التدفق الهندي للعناصر الإدارية والمدرسيين والمهندسين والأطباء وقوات أمن مدنية وعسكرية – التي تدفقت إلى عدن مع البريطانيين – في زيادة عدد أبناء الجالية الهندية ، إذ كانت أعلى كثافة سكانية بعد العرب في عدن . وكان للنفوذ البريطاني الهندي ، تأثير في إعطاء نوع من القوة لهذه الجالية ، ومنحهم الشعور بأنهم في وطنهم . فطغت ثقافتهم الهندية ، وكادت تطمس هوية عدن اليمنية ، لا سيما في الأحياء التجارية منها (كريتر والتواهي) . برز ذلك في المنشورات والإنذارات الحكومية ، التي كانت تكتب بالإنجليزية وتترجم إلى العربية بالصيغة الهندية ، وكذا في الأغاني العربية بألحان هندية ، وفي الملابس الهندية المتنوعة ، وفي الشعائر والمناسبات الدينية المتعددة ، التي كانت عبارة عن مهرجانات (كرنفالات) دينية موسمية تأثرت بها عدن . فكان انطباع أي زائر إلى عدن – خلال فترة ما بعد الاحتلال وحتى مطلع الستينات – أنها مدينة أجنبية يغلب عليها الطابع الهندي في بلد عربي .[1]

وذكر "أمين الريحاني" في هذا السّياق ، فقال :{ إني آسف أن الروح العربية تقلصت في عدن واضمحلت ، وأنه ليحزنني ويحزنك أيها القارئ العربي ، وقد أشرفنا على شئ من مجد غابرها * أن نراها في يد الأجانب }[2].

لم تتمكن بريطانيا من طمس هوية عدن ، على الرغم من مخططاتها السياسية في فتح باب الهجرة الأجنبية وتغليب العنصر الأجنبي – الهندي على العربي . ويرجع ذلك ، إلى أن عدد اليمنيين كان يزداد باضطراد ، فكلما تطورت عدن اقتصادياً ، وتضاعف الاستثمار الأجنبي فيها ، ازدادت حاجة المؤسسات الاقتصادية والعسكرية إلى العمالة اليمنية الرخيصة . فاصبحت عدن مركز جذب لهذه القوى العاملة بينما شكلت المنطقة اليمنية الداخلية مراكز طرد لمعظم اليمنيين الذين عانوا ضيق الحياة في ظل مساوئ نظام الإمامة في الشمال ، ومساوئ النظام الاقتصادي في الجنوب . فأدى هذا التوجه نحو عدن ، إلى كثافة سكانية يمنية في المستعمرة ، شكلت مساهمة فعلية في التصدي لمخططات بريطانيا وتحدياً لأبعادها السياسية المستقبلية . وذلك بتغليب العنصر العربي على الأجنبي .

إلا أن السلطات البريطانية كانت تضع المعوقات أمام مواطني عدن اليمنيين ، وسد الطرقات أمام حقوق المواطنين من أبناء الإمارات الجنوبية وشمال اليمن . ولعب جهاز مخابراتها وعملاؤه دوراً في زعزعة الثقة بين اليمنيين ، واستغلت التمييز بين تمدّن مدينة عدن ، وتأخير بقية مناطق اليمن عن ركب الحضارة ، لبث العداء والكراهية بينهم .[3]

٤-٢ تطور النمو السكاني وبقاء عدن يمنية :

تطور نمو السكان بتطور اقتصادها وازدهاره ، لا سيما منذ فترة ما بين الحربيين العالمتين وحتى ما قبل الاستقلال . وتضاعف النمو السكاني خلال الفترة ١٩٤٦ – ١٩٥٥م ، ويرجع ذلك إلى تعاظم دور عدن كمحطة تموين بالنفط ، ومركز هام لتسويقه ، ثم لبناء مصفاة عدن ، وحاجة بريطانيا إلى عمال صناعة .

---

[1] – Muheirez , Abdulla Ahmed , Culture Development in the Peoples' Democratic Republic of Yemen , Economy , Society & Culture in Contemporary Yemen , Edited by B.R. Pridham , Center for Arab Gulf Studies , University of Exeter , Great Britain : Biddles Ltd . Guildford and King's Lynn , 1985 ,p. 203 .

* هكذا في النص والأفضل غابر مجدها .

[2] – أمين الريحاني : المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .

[3] – الأدهل : مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

وأدت حاجـة بريطانـيا المـتزايدة إلى العمالة اليمنية خلال الفترة ١٩٥٥- ١٩٦٤م ، إلى تدفق المزيد من اليمنيين من المناطق الداخلية بحثاً عن فرص عمل مناسبة لهم . وترجع حاجة بريطانيا لهؤلاء العمال ، إلى تحـول عدن إلى مركز قيادة الشرق الأوسط ، وقاعدة عسكرية استراتيجية لها في المنطقة ، بدلاً من مصر ، بعـد تأمـيم قـناة السـويس عـام ١٩٥٦م . ثم إلى مضاعفة أعمال الشركات الأجنبية وزيادة استثماراتها الرأسمالية . فأسهمت هذه التطورات في نمو سكان عدن بشكل عام ، ليس في العنصر العربي فحسب بل وفي العنصـر الأجنبـي ، باستثناء اليهود الذين وجدوا في فلسطين مركزاً جديداً لاستيطانهم . إلا أن الغالبية ظلت لليمنيين في الكثافة السكانية كما هو مبين في الجدول التالي :

تطور نمو سكان عدن حسب أصولهم

الأصول البشرية	إحصاء ١٨٥٦	إحصاء ١٨٧٢[1]	إحصاء ١٩٤٦	إحصاء ١٩٥٥	إحصاء ١٩٦٤
العرب	٨٢٤١	٢٩٨٢٠	٥٨٥٠٠	١٠٦٤٠٠	٢٠٠٠٠٠
الهنود	٣٥٨٦	٧٢٨٧	٩٥٠٠	١٥٨٠٠	٢٠٠٠٠
اليهود	٤٣٥	٤١٢٠	٧٣٠٠	٨٠٠	١٠٠٠
الصوماليون	٤٣٤٦	٣٩٣٥	٤٣٠٠	١٠٦٠٠	٢٤٠٠٠
آخرون	٣٦١٥	١١٤٥	٤٠٠	٤٤٠٠	٢٠٠٠٠
	ــــ	٣٣١	٧٠٠	ــــ	ــــ
الإجمـــالي	٢٠٧٢٢[3][5]	٤٦٦٣٨[4]	٨٠٧٠٠[3]	١٣٨٠٠٠[2]	٢٦٥٠٠٠[1]

ويتضح من الجدول السابق ، أن العرب هم الغالبية العظمى بين سكان عدن ، وهم اليمنيون الذين قدموا مـن مخـتلف مـناطق اليمـن واتخذوا منها سكناً لهم ، باستثناء أقلية عربية قدموا إليها من مصر والحجاز والعـراق والشـام . وانقسم عرب عدن إلى ثلاثة أقسام . شمل الأول ، التجار والموظفين من سكان عدن ، تـرجع أصـولهم اليمنـية والعربـية والهندية أو جنسيات أخرى ، إلى ما قبل الاحتلال ، حتى ما قبل الحرب العالمـية الثانـية . وانقطعـت صـلات هؤلاء بالمنطقة اليمنية الداخلية ، كما انقطعت صلات الجالية العربية وغـيرها من الجاليات الصومالية والآسيوية (الهنود المسلمون) بأصولها ، وذابت في أوساط اليمنيين عبر المصـاهرة . وتشـكل بذلك نسيج مجتمع عدن العربي . وشمل القسم الثاني ، تجار الجملة أو صغار التجار وأصـحاب مـتاجر صغيرة (دكاكين ومقاهي) وعمال خدمات . واندمج هؤلاء مع عرب عدن ، ولم يقطعوا صـلتهم بالمـنطقة اليمنية (الإمارات الجنوبية وشمال اليمن) . وتألف القسم الثالث ، من قطاع العمال ، سواء قطاع الخدمات أو المصفاة أو القاعدة العسكرية أو عمال البناء . واندمج البعض منهم مع عرب عدن ، وظـل اسـتقرار البعض مؤقتاً . فكان معظم هؤلاء يأتون عدن من ريف الإمارات الجنوبية وشمال اليمن بحثاً عن سبل للعيش ، ويتركون عائلاتهم في مسقط رأسهم لا سيما أبناء شمال اليمن ، الذين كانوا يعيشون حياة بسـيطة بالنسبة لغيرهم من اليمنيين ، حيث يتخذون الأرصفة والميادين العامة وسفوح الجبال مكاناً لنومهم ، أو يسـتأجر الـبعض منهم – بعد تجولهم حسب مناطقهم أو قبائلهم – في مراكز خاصة سكناً لهم*[6]. ويتخذ أغلب هؤلاء محلات تجارية (دكاكين ومقاهي) تابعة لأبناء قبائلهم وعشيرتهم ، مقراً لنومهم . وأستقر معظم هـؤلاء مـع عـائلاتهم في عدن بنهاية الخمسينات ومطلع الستينات ، بعد أن استقرت أوضاعهم المعيشية ، بسبب الازدهار الاقتصادي الذي شهدته عدن .

[1] – الحبشي : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .
[2] – Reilly , B, Aden and Yemen , London , Her majeslys' Stationary O ffice , 1960 , p 64
[3] – محمد عمر الحبشي : اليمن الجنوبي (سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ ١٩٣٧م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية) بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٨م ، ترجمة إلياس فرح وخليل أحمد خليل ، ص ١٦٩.
[4] – Ingrams , Dorcen & Lailia , Records of Yemen , 8.04 , Aden becames a Coleny 1933.1937 U.K , Archive Editions , The Arabia Historical Library 1996, p 450 .
[5] – حمزة لقمان : طريق عدن وجنوب الجزيرة العربية ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٢١ .
* كانـت هـذه المراكز أو المحلات التجارية كالدكاكين أو المقاهي تعبّر عن جمعيات وأندية عمالية تحمل اسم منطقة أو قبيلة الانتماء مثل نادي أبناء يافع أو دثينة أو المقاطرة .. إلخ .
[6] – حمزة لقمان : طريق عدن ، مرجع سبق ذكره ص ٣٢٤ .

٤-٣ العلاقات الاجتماعية – الإنسانية وأهميتها في الاحتفاظ بوحدة عدن اليمنية :

سبق الإشارة إلى أن نسيج مجتمع عدن ما قبل الاحتلال تألف من أبناء اليمن بمختلف مناطقها ، لا سيما الساحلية والوسطى منها ، اللتان ارتبطتا بعلاقات تجارية معها . كما تألف من أقليات عربية وأجنبية (أفريقيا وآسيوية) استوطنت عدن وذابت بين أبنائها اليمنيين . وتكون هذا النسيج الاجتماعي من عائلات لها مكانتها وعراقتها .

واحتضنت عدن هذه العائلات لعقود من الزمن . وعلى الرغم من ذلك ظلت هذه العائلات محتفظة بلقبها العائلي الذي يرجع إلى أصول مناطقها وسلالاتها القبلية يعكس في الوقت نفسه مسقط رأس أصل هذه العائلة أو تلك ، أو منشأ السلالة والذي ارتبطت بها .[**]

خضعت هذه العائلات العدنية – شاءت أم أبت – للنظام الاستعماري البريطاني في عدن ، وما فرضته من قوانين وتشريعات ملزمة ، أرادت بريطانيا بها تحقيق الأمن والنظام والاستمرار في المستعمرة لترسيخ نفوذها في المنطقة . وعلى الرغم من التزام أبناء عدن اليمنيين بمعظم القوانين البريطانية ، إلا أنهم تهاونوا مع بعضها ، عندما لمسوا غبن وإجحاف بحق أخوتهم اليمنيين الذين استثنوا من قانوني المواطنة والتعليم . فلجأوا إلى التحايل على السلطات البريطانية كما مصلحة أبناء اليمن بشكل عام ، وحقهم في العيش أكثر من الأجنبي الذي لا يمت لعدن بصلة .

٤-٣-١ دور أبناء عدن إزاء قانوني المواطنة العدنية والتعليم :

كان أبناء عدن يدركون أن صدور قانوني المواطنة والتعليم ، الغرض منه سلب حقوق اليمنيين القادمين إلى عدن من الإمارات الجنوبية وشمال اليمن ، إذ فصلّت بريطانيا هذين القانونين على هوى الأجنبي الذي منحته فيهما كافة الحقوق والواجبات ، في الوقت الذي لم تكفل لليمني فيهما ما كفلته للأجنبي ، بل على العكس ، فقد اعتبرت اليمني فيه أجنبياً ، لا يحق له التمتع بحقوق المواطنة ، حتى إذا عاش في عدن لفترة عشر سنوات .

أرادت بريطانيا بقانون المواطنة ، تغليب العنصر الأجنبي على اليمني ، من ناحية ، وطرد اليمني متى ما شعرت بحقوق وجوده في المستعمرة ، من ناحية أخرى . أما قانون التعليم فقد حددت بريطانيا فيه سن سبع سنوات للالتحاق بالمدرسة الحكومية ، وإثبات ذلك بشهادة الميلاد ، التي 'تمنح من مكتب البلدية وسلطة ضواحي عدن في الشيخ عثمان ، أنه من مواليد مستعمرة عدن . وكان الغرض من إثبات شهادة الميلاد ، حرمان أبناء اليمن الذين لم يتمتعوا بحقوق المواطنة ، من الالتحاق بالمدارس الحكومية ، بهدف منع نشر التعليم ، وبقاء معظم أبناء اليمن في المستعمرة في جهل وتخلف .[1]

لم يكن لمواطني عدن اليمنيين القدرة على تعديل هذين القانونين أو غيرهما من القوانين . إلا أنهم لم يعجزوا عن تقديم الدعم لإخوانهم الذين لا تشملهم قوانين بريطانيا ، متى استطاعوا ذلك . فقد كانت العلاقات الاجتماعية – الإنسانية السائدة في أوساط المجتمع اليمني الواحد – التي اكتنفتها الروابط الأسرية وشعور الانتماء للوطن اليمني الواحد – تحتم عليهم عدم الاعتراف بقوانين السلطات البريطانية ، التي تمارس من خلالها أصناف الظلم والتعسف بحق إخوانهم وأبناء وطنهم ، لا سيما وهم يلمسون المفاضلة بينهم وبين الأجنبي ، الذي يمتع بالامتيازات الواسعة في أراضيهم وعلى حسابهم . لذلك ، كان دعمهم غير معلن ، لعدم تمتعهم بحقوق سياسية تسمح لهم الحد من هذه الإجراءات والتصدي لها .

ويجدر الإشارة إلى بعض المواقف الذي دعم أبناء عدن – من خلالها – أشقائهم اليمنيين الذين حُرموا من الهوية العدنية ، ومن حق التعليم . وتعبّر في الوقت نفسه عن غيرة وغضب أبناء عدن لما تمارسه السلطات البريطانية وحرصهم على رفع المعاناة عنهم ، قدر المستطاع ، للنهوض بمستوى اليمني بشكل عام ، لا سيما في مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية .

وأعطى الحاج "عبده حسين الأدهل"[*] صورة واضحة عمّا نود توضيحه بقوله : { ... على الرغم من جور القانون البريطاني الذي يحرم العرب غير مواليد عدن من دخول المدارس الحكومية في عدن فأن هذا

[**] لا يسع مجال هذه الدراسة المتواضعة أن تحصي جميع العائلات العدنية . كما لا توجد الوثائق أو الدلائل المؤكدة ، التي تشير إلى تاريخ نزوح هذه العائلات واستقرارها في عدن . واكتفينا بذكر بعض العائلات في الملحق ، التي لا زالت موجودة حتى اليوم ، والتي كانت لها نشاطات اقتصادية واجتماعية وإسهامات ثقافية أو خدمات معينة في المجتمع .

[1] – الأدهل : مرجع سبق ذكره ص ٩٠ – ٩١ .

[*] يعتبر الحاج عبده حسين الأدهل من الشخصيات العدنية البارزة العدنية البارزة في المجتمع ، الذي لا يمكن أحد أن ينكر الدور السياسي والاجتماعي الذي لعبه . وأهم مساهماته إنشاء المدارس وترميمها ، تقديم المال للجمعيات الخيرية . ولأهميته كمواطن عاصر الفترة وشارك أحداثها ، ويعتبر شاهد عل العصر الذي نحن بصدد تبيان أحداثه . لذلك كان من الأهمية نقل نص ما ذكره في مؤلفه

القـالون لـم يُعجز الأسر العدنية من التعاون مع الأخوة الأشقاء العرب غير مواليد مدينة عدن ومعظمهم من الشـمـال ومـناطق الجـنوب الأخـرى التـي عُرفت بالمحميات. وذلك بإضافة أسمائهم إلى البطاقة العائلية (السـكونية) . كما كانت تلك البطاقات العائلية (السكونية) سهلة الحصول عليها – مقابل رسم رمزي – من بلدية عدن أو من الريف (محمية عدن) وتعطيهم حقوق المواطنة وتسهل لأولادهم دخول المدارس الحكومية في عدن وكانت تقبلها إدارة المعارف في بداية الأمر وحتى أواخر الأربعينات وتعتمد عليها في قبول الطلبة في المـدارس الحكومية في عدن . غير أن الأمر تغير بعد ذلك فقد أصرت إدارة المعارف عل تقديم شهادة ميلاد الطالـب الذي يرغب في دخول مدارسها تثبيت ولادته في مستعمرة عدن وكان الحصول عليها من بلدية عدن وسلطة ضواحي الشيخ عثمان .

لـم تكن شهادة الميلاد للعربي غير المولود في عدن مستحيل الحصول عليها فقد تعاون المواطنون في عدن بالإدلاء بشهاداتهم أمام المحاكم لتثبيت ولادة الشخص (المطلوب لإثبات ولادته في عدن) غير أنه أهمل تسـجيله يـوم الـولادة فـي سجلات بلدية عدن وسلطة ضواحي الشيخ عثمان ، كانت محاكم عدن تقر هذه الشهادات وتثبت حصول الولادة في مستعمرة عدن وتصادق على إقرار الشهود. واستناداً على قرار المحكمة كانت بلدية عدن أو سلطة ضواحي الشيخ عثمان تمنح شهادة ميلاد رسمية .

غـير أن الأمر لم يستمر فقد شددت المحاكم في تحقيقاتها مع الشهود فلم يعد الأمر مجرد إثبات شهادة حصـول الـولادة ولكنه كان يشمل أيضاً التحقيق مع الشهود عن ذكر معرفة الشهود بأسماء الأقارب وأفراد الأسـر مما كان يصعّب على الشاهد معرفته بهم ، وقد رأى أعضاء المجلس التشريعي في عدن بعد أن تكوّن المجلـس من أغلبية من العدنيين سحب صلاحية المحاكم المتعلقة بإثبات شهادات المواليد وجعلها بأيدي لجان من المواطنين أبناء العرب لتسهيل مهمة منح شهادات الميلاد فقد عينت ثلاث لجان سميت بـ (لجان سواقط القيد) برئاسة الأخوة التالية أسمائهم وهم :-

القاضي / محمود علي إبراهيم لقمان رئيساً للجنة سواقط القيد في عدن .
المحامي / فؤاد عبد الله بارحيم رئيساً للجنة سواقط القيد في التواهي .
المحامي / حسين علي حبيشي رئيساً للجنة سواقط القيد في الشيخ عثمان .

كنت أنا (الأدهل) أحد الأعضاء في لجنة سواقط القيد الخاصة بمدينة عدن ولم يبلغ علمي أن أحداً ممن تقدمـوا بإثـبات ولادتهم في مستعمرة عدن من الأشقاء أبناء الشمال أو أبناء الريف (محمية عدن) رفض طلبه وكان المرحوم أحمد سعيد الأصنج أحد أعضاء لجنة مدينة الشيخ عثمان .

كمـا كنت أنا (الأدهل) والمرحوم علي محمد لقمان أعضاء في محكمة الاستئناف التي تنظر في التظلم ضـد مكتب الهجرة والجوازات وتسمى **Immigration A. Bill Board** برئاسة قاضي بريطاني يدعى (المستر جيليت) وكانت قراراتنا نافذة ونهائية ولا تقبل الطعن وقد شكانا مرة القاضي البريطاني المستر جيليت إلـى المـندوب السامي بأن قراراتنا غير عادلة وفيها نوع من التحيّـز ضد الأجانب الذين يرى هو أن البلد بحاجـة إلـى خدماتهم وكنا نصوت ونكوّن الأغلبية ضد رغباته في ترحيلهم ورفض بقائهم لأننا كنا ننظر من مصلحة وطنية .

لا يـنكر أحـد من الأشقاء الذين استوطنوا عدن من أبناء الشمال الذين يقدمون اليوم خدمات جليلة في أجهـزة الدولـة في الجمهورية العربية اليمنية* بما فيها الوظائف العليا في الدولة وفي المؤسسات التجارية والاقتصـادية أن المواطنيـن في عدن ساعدوهم في الحصول على شهادات الميلاد التي مكنتهم من مواصلة دراسـتهم فـي المدارس الحكومية وفي تأسيس المدارس الأهلية لاستيعابهم }[1].ويتضح من النص آنف الذكر مواقـف أبـناء عـدن المؤيـدة لأشقائهم اليمنيين في انتزاع حقهم بالهوية العدنية وإثباتها بشهادة الميلاد ، والاعـتراف بأنهم الأحق بهذه المواطنة من الأجنبي الدخيل . وبيـّن النص ثلاثة مواقف ، حرص فيها أبناء عدن على الوقوف إلى جانب إخوانهم اليمنيين الذين تعرضوا لتعسف السياسة البريطانية .

الأول : العمـل على تسجيل اليمنيين الوافدين إلى عدن من المناطق الداخلية بالبطاقة العائلية أو بمنحهم شـهادة ميلاد مقابل شهادة الشهود – التي يحدث فيها تضليل – والرسوم المقررة ، ويتمّ التغاضي عن حقيقة الميلاد ، ما إذا كان في المستعمرة أو مناطق أخرى من اليمن .

والثانـي : أن تعاطف أبناء عدن مع أشقائهم اليمنيين وسعيهم لحصولهم على الهوية العدنية ، لم يكمن قاصرً على صغار الموظفين والإداريين في بلدية عدن وسلطة ضواحي الشيخ عثمان ، بل شمل أيضاً موظفي

الاسـتقلال الضائع ، لتوضيح فكرة دور العلاقات الاجتماعية في الاحتفاظ بوحدة الأمة اليمنية ، دون النظر إلى التيارات السياسية التي اكتنفت هذه العلاقات وما رافقها من غيوم .

* حالياً الجمهورية اليمنية

[1] - الأدهل : المرجع السابق ص ٩٣ ـــ ٩٥ .

المجلس التشريعي الذين عملوا على انتزاع قرار تشكيل لجان سواقط القيد بدلاً من المحكم . إذ أن مجال اللجان واسعاً في منح الهوية دون رقابة أجنبية .

أما الثالث : فهو موقف كل من "الأدهل وعلي محمد لقمان" في محكمة (الاستئناف) والعمل من هذا الموقع على ترحيل الأجانب . وهذا ما يؤكد غيرتهما وحرصهما – كوطنيين – على التخلص من الأجانب .

بالنسبة للمدارس الأهلية فقد حرص رجال المال في عدن على تأسيس مدارس أهلية توفر التعليم الأساسي لأبناء اليمن من الوافدين إلى عدن وحرموا من القبول بالمدارس الحكزمية وكانت على النحو التالي:

عدن (كريتر) : – مدرسة بازرعة الخيرية للشيخ عمر بازرعة .
– مدرسة الإنقاذ الإسلامية.
– المعهد الإسلامي للشيخ محمد سالم بيحاني.
– المعهد التجاري (الخليج الأمامي) (المراسي).
التواهي : – المدرسة الأهلية .
الشيخ عثمان : – مدرسة النهضة العربية للحاج عبده حسين الأدهل .
– معهد الحصيني (للحصيني) .
– ثانوية بلقيس لمجموعة من التجار والمقولين .**

ونتبيّن مما سبق ذكره إن السلطات البريطانية فشلت في تغيير صورة عدن العربية ، كما لم يحقق قانوني المواطنة والتعليم ما كانت ترمي إليه ، في تغليب العنصر الأجنبي على العربي وتجهيل اليمنيين . وعبرّت مواقف أبناء عدن المتعاطفة والداعمة لأشقائهم من أبناء الإمارات الجنوبية وشمال اليمن عن عُرى العلاقات الأخوية والمصالح الوطنية الواحدة ، وأسهمت هذه المواقف في زيادة العلاقات الأخوية والمصالح الوطنية الواحدة ، وأسهمت هذه المواقف في زيادة كثافة سكان مستعمرة عدن بأغلبية يمنية ساحقة وحقيقية أن عدن عربية يمنية لم تستطع بريطانيا إنكارها .

وتمكن اليمنيون بالمدارس الأهلية في عدن من تحقيق ذاتهم ومواكبة أقرانهم بالمدارس الحكومية ، مما أدى بهم إلى الوظيفة أو التأهيل في الخارج ، فلم تستطع بريطانيا حيال ذلك إلا الإذعان لرغبة أبناء عدن الذين أفصحوا بمواقفهم هذه حرصهم على مصالح أشقائهم اليمنيين من أبناء الإمارات الجنوبية وشمال الوطن .

فلم يكن ذلك الحرص بزيادة عدد أبناء اليمن في المستعمرة فحسب ، بل وفي نشر التعليم في أوساطهم والقضاء على الجهل والتخلف قدر المستطاع . ولم يقتصر ذلك على تقديم المساهمات المالية لبناء المدارس وإشراف الفنيين والتربويين عليها وإنما برز ذلك التعاون بالاهتمام لرفع مستوى التعليم من خلال تبني الجمعيات الإصلاحية والأدبية وجمعية أبناء الفقراء لإرسال البعثات إلى الخارج وتأهيل كوادر يمنية ، بتخصصات علمية وأدبية ، سواء كانت كوادر من أبناء عدن أو من أبناء الإمارات الجنوبية وشمال اليمن ، فكان الهدف واحد وهو رفع مستوى الأمة اليمنية إلى مستوى أرقى ، تأبى بريطانيا أن تحققه لهم.

٤–٣–٢ دور الجمعيات الإصلاحية والأدبية – الثقافية في الوحدة اليمنية :

حصلت مستعمرة عدن على مستوى محدود من التعليم ، أسهم – على الرغم من ذلك – في ظهور مستوى من الوعي والثقافة أديا إلى تأسيس جمعيات إصلاحية ومنتديات أدبية ، منذ ثلاثينيات القرن العشرين . لعبت دوراً هاماً وبارزاً في المحافظة على الوحدة الوطنية اليمنية . فقد كرست نشاطها – في الظاهر – على نشر الأدب والثقافة العربية ، والسعي لحل قضايا اجتماعية ، إلا أنها في الواقع ، كانت تعالج قضايا سياسية لها أهميتها في يقظة الفكر السياسي العربي في مجتمع عدن ، أدى إلى بلورة الوعي الوطني والقومي .[1]

وأخذت هذه الجمعيات والمنتديات من رفع مستوى التعليم لأبناء عدن اليمنيين بشكل عام ، والاهتمام باللغة العربية محوراً أساسياً لنشاطها . وكانت توجه – من خلال ذلك – نقداً للسياسة الاستعمارية ، وماكانت ترمي إلية للقضاء على عروبة عدن . ولم تكتف بذلك ، وإنما تبنت رفع مستوى التعليم بشكل إيجابي بفتح مدارس أهلية وإرسال البعثات إلى الخارج لمختلف التخصصات . وبذلت جمعية أبناء الفقراء جهداً عظيماً في تقديم الدعم المادي للفقراء لمواصلة دراستهم ورفع مستواهم في الداخل والخارج . ولم تحدد بذلك النشاط –

** وهم شمسان عون ، سلام علي ثابت ، محمد عثمان ثابت ، هائل سعيد أنعم .

[1] – سلطان ناجي : الحالتان التعليمية والثقافية في عدن خلال فترة تبعيتها للهند ، عن مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الثانية ، ١٩٨٢ ، ص ١١٠– ١١١ .

كما سبق الإشارة إليه – أبناء عدن فحسب بل وأبناء اليمن عامة ممن استقروا في المستعمرة ولم يحصلوا على المواطنة ، والملتحقين منهم بالمدارس الأهلية .

وذكر "الأدهل" في هذا السّياق :{ إن ما كان يلمس في عدن من وعي سياسي وتقدم ثقافي وفني ومهني في شعب الجنوب بصورة خاصة ، لا يعود فضله إلى حكومة بريطانيا الاستعمارية وإنما يعود فضله الله سبحانه وتعالى ولمساعدة الأشقاء حكام الدول العربية في قبول العدد الكبير من شباب الجنوب العربي في جامعات بلادهم وفي معاهدها ، وتخرجوا منها يحملون الشهادات العالية }[1].

وبرزت الوحدة اليمنية في المعطيات الأدبية والثقافية . فقد عبّرت المقالة الأدبية والقصيدة الشعرية والأغنية وغيرها من الأعمال الأدبية والفنيّة عن وحدة أبناء اليمن . فعكست المقالة الأدبية والقصيدة الشعرية صورة الأدب اليمني وارتباطه بالبيئة الاجتماعية ، للتعبير أما عن معاناة الشعب اليمني ، أو عن تراثه وحضارته . وتكمن أهمية ذلك ، في أن هذه الصورة الأدبية لا يمكن فصلها أو تفسيرها ، وإلا تشوهت معالمها ، فهي تجسد وحدة شعب بمعطياته على مر العصور .

وذكر "محمد سعيد عبد الله" عن دور الأدب في الوعي السياسي بقوله :{ تميزت فترة الأربعينات والخمسينات بوعي سياسي ودور مناهض للاستعمار . لعب الأدب – لا سيما الشعر فيه – دور الريادة ، باستنهاض الروح الوطنية ، واتقاد حماس المواطنين إلى خوض المعارك ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب والنظام الأمامي في الشمال }[2].

وبرزت مناجاة الوحدة اليمنية – على سبيل المثال – في أبيات الشاعر "علي محمد لقمان" على النحو التالي :

ينادي بوحدة الجنوب في قصيدته ((الوحدة الواحدة))

بلادي أجيري كل حر مناضل	فما أنت إلا دار أسمى الفضائل
إذا (عولقي) أنّ أنت وإن شكا	فتى (عوذلي) رحبت بالعواذل
وإن ناح فيها يافعي مسهّد	يسهّد جفنيها نواح القبائل
بكى (عبدلي) من عذاب فمزقت	جوانحهاالحرى دموع العبادل
وضج (دثيني) فضجت توجعاً	وفي أهل (فضل) حبها (للأفاضل)
وصاح (ابن بيحان) فصاحت كأنما	أصيبت بسهم في الملمات قاتل
وكم طلبت في (حضرموت) مكانة	لأبنائها في وجه شر الغوائل
يوحدنا أنا بلاد وأمة	وأن أغضب التوحيد كل البواطل
وفي عدن مأوى عزيز وملتقى	كريم لأحرار البلاد القلائل

وقال في الوحدة اليمنية هذا البيت :

متى تحلّق في آفاقها عدن	متى تطير بنا نحو العُلى اليمن[3]

وكانت للأغنية اليمنية – بمختلف لهجاتها وبما رافقها من رقصات شعبية – أهمية بالغة في المحافظة على وحدة أبناء اليمن في مستعمرة عدن . فقد تغنى كل اليمنيين دون استثناء ، بالأغنية العدنية ، واللحجية والحضرمية والصنعانية واليافعية وغيرها من الأغنيات بلهجاتها المختلفة . وحافظت بذلك الأغنية والرقصة الشعبية على التراث اليمني وجسدتا الوحدة الثقافية لليمن الواحد .

ونورد أسماء بعض مطربي الخمسينيات والستينيات الذين تغنى لهم ليس يمنيو عدن فحسب وإنما اليمنيون في ربوع اليمن كلها . وهم في الواقع من سكان عدن وترجع أصولهم إلى مناطق يمنية أخرى . مثلاً :

- أحمد فضل القمندان ، وهادي سبيت وفضل ماطر وتكرير (الأب) وهم فنانو لحج .
- أحمد عبيد القعطبي ، من مواليد عدن ومن أسرة فنية ، تلقى أصول الغناء على يد والده الحاج عبيد علي بلال . وتوفى أحمد عبيد عام ١٩٦٩م .

---

[1] – الأدهل : المرجع اليابق ص ١١٧ .

[2] – محمد سعيد عبد الله : عدن كفاح شعب وهزيمة إمبراطورية، ط١ ، بيروت ، ابن خلدون ، اليمن ،دار الأمل ،سبتمبر ١٩٨٨ ص ٤١

[3] – الأدهل : المرجع السابق ص ١٤١ ــ ١٤٢

- إبراهيم محمد الماس ، من مواليد عدن (كريتر) ، تلقى دراسته في مدارسها الحكومية وانخرط في وظائفهـا الحكومية . وتلقى أصول الغناء من والده الشيخ محمد الماس ، وكان مطرباً ذائع الصيت . وانحدر بأصوله من شبام كوكبان .
- عمر محفوظ غابة من أبناء حضرموت وعاش في عدن ، وتوفى عام ١٩٦٥م .
- الشـيخ عـوض عبد الله المسلمي ن من أبناء الشحر وانتقل إلى عدن عام ١٩٢٨م وتوفى فيها عام ١٩٧٥م .
- عـبد القـادر بامخـرمة ، من مواليد جيبوتي ، وانحدر من غيل باوزير بحضرموت . قدم عدن في منتصف الخمسينات ، وغنى الصنعاني واليافعي والهندي .[1]

وغـيرهم كثـيرون – لا يسـع المجال لذكرهم – ممن يرجع الفضل لهم ، ليس للمحافظة على التراث الشعبي للأغنية اليمنية فحسب ، بل وعلى تغليب اللون العربي – اليمني على الهندي – الأوربي ، وفي الوقت نفسـه أعطت مجموعة المطربين ، الذين قدموا للاستقرار في عدن ، صورة عن وحدة الشعب اليمني وتراثه الفني .

٤-٣-٣ التفاف أبناء عدن حول رجال المعرضة اليمنية (الأحرار) :

احتضـنت عـدن رجـال المعارضة اليمنية عام ١٩٤٤م . وهم الطلائع المستنيرة من الأدباء والعلماء والـتجار وغيرهم ممن يزاولون مهناً مختلفة[2]. والتف المواطنون اليمنيون في عدن حول حركتهم المعارضة لـنظام الإمامـة ، بمخـتلف فئاتهم من تجار ومثقفين وعمال . وحظيت حركتهم باستجابة واسعة داخل اليمن وخارجـه . وأدى نجاح هذه الحركة في عدن إلى تطورها لمستوى تنظيم سياسي له برنامج ، حدد فيه شكل الحكومـة الـذي طمح الشعب اليمني إلى قيادتها . وعُرف هذا التنظيم بحزب الأحرار بقيادة "أحمد النعمان و محمـد محمـود الزبـيري" وكانت (صوت اليمن) الصحيفة الناطقة باسمه ، وطبعت سرّاً في عدن . وتمكن الحزب من إنشاء فروع سرية له في داخل اليمن ، وتمّ العمل تحت اسم (الجمعية اليمانية الكبرى) .[3]

أدى نشاط حزب الأحرار السياسي ومواد برنامجه في الإصلاح إلى يقظة فكرية وسياسية دفعت المثقفين إلـى الـنظر إلـى واقع حالهم والعمل على تغييره ، على الرغم من ذلك ، فأن وطنية الأحرار لم ترتقي إلى مسـتوى الدعوة إلى تحرير الأراضي اليمنية ، وإلى تحقيق الوحدة اليمنية ، فقد بقيَت هاتان المسألتان خارج نطاق تفكيرهم .[4]

كـان غـرض السـلطات البريطانية من قبولها رجال الأحرار في عدن والتستر على نشاطهم ، تشكيل ضـغوط سياسـية على حكومة الإمام ، لا سيما وأن برنامجهم السياسي يدعو إلى الإصلاح ويخلو من نزعة تحريـر الأرض اليمنـية ووحدتها . وعلى الرغم من تحقيق بريطانيا لتلك الضغوط ، إلا أن قبولها بالأحرار ، عكس جوانب إيجابية بنمو وتطور الوعي السياسي في المستعمرة ، دون قصد منها . فقد تفاعل مجتمع عدن اليمنـي مـع حركة الأحرار ، والتفت العناصر الوطنية والمثقفة حولها ، وعملت على دعمها مادياً ومعنوياً ، وعملت على دعمها مادياً ومعنوياً ، وذلك لان برنامجها السياسي كان يعبّر عن طموحهم وآمالهم، انطلاقاً من نظرتهم لتطور وازدهار اليمن الواحد ، الأرض والحضارة .

وناصـرت الجمعيات الإصلاحية والمنتديات الأدبية قضية الأحرار ، وفسحت لهم مجالاً واسعاً للمساهمة فـي نشـاطاتها الاجتماعي والثقافية . وتأثر رجال حركة الأحرار بنشاط (مخيـّم أبي الطيب) الأدبي ، الذي سـمح لهـم بتقديم مساهماتهم الأدبية بالمحاضرات وحلقات النقاش . وأدى ذلك إلى إثراء الحركة الأدبية – الثقافية في اليمن من ناحية ، وإلى بروز هوية رجال حركة الأحرار السياسية ، من ناحية أخرى . وذلك ، من خـلال شرح قضيتهم ومبادئهم . وأسهم هذا النشاط في مزيد من الالتفاف الجماهيري حول الحركة ، والعمل على مناصرتها ودعمها مادياً ومعنوياً .

وأشار "الأدهل" إلى مشاعر الود والإخاء التي اكتنفت العلاقات المتبادلة بين رجال الحركة وأشقائهم من العدنيـين ، بقوله :{ قامت علاقات ووشائج بين آل لقمان وآل خليفة وآل الأدهل وآل الأصنج وآل نعمان وآل

---

[1] - حسين سالم باصديق :الأغاني الشعبية في التراث الشعبي اليمني ، مجلة التراث ، العدد الخامس ، أبريل – يونيو ١٩٩٢م ، ص ٦٠ – ٦١ .

[2] – أحمـد قـائد الصـائدي : حركة المعارضة اليمنية ، ط ١ ، بيروت ، دار الأدب ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٨٣م ص ٣٥ .

[3] – أحمد قائد الصائدي : نفسه ص ٣٥ .

[4] – الصائدي : المرجع السابق ص ١٥٨ .

الأسـودي وآل شـعلان وآل حسـان واقطـاب من الشمال أمثال الزبيري والوريث والوزير والوجيه والعيني والحكيمي وبو لحوم وغيرهم كثيرون } .[1]

وترى مما سبق تبيانه ، إن هذه الاستجابة الواسعة باحتضان المعارضة اليمنية لم تكن في عدن وحدها ، بـل وفـي مجتمع المناطق الجنوبية . وعبرت عن الشعور بوحدة المعاناة والمشاركة لإنهائها . وجسد هذا الالتفاف التلاحم الفكري والشعور الوطني لأبناء اليمن الواحد وان اختلفت الظروف والمعايير بين الشطرين ، وعدم نضوج الفكرة لتحرير الأرض من الاستعمار وقيام الوحدة اليمنية .

٥- الطبقة العاملة تجسيد للوحدة اليمنية

٥- ١ الأساس القبلي – الإقليمي للتجمعات العمالية :

أدى الازدهـار الاقتصـادي في عدن وتحولها إلى محطة تموين السفن التجارية بالوقود – على الطريق التجاري بين الهند والمملكة المتحدة – إلى زيادة الطلب للقوى العاملة الرخيصة لتغذية مؤسساتها الاقتصادية المخـتلفة فـي المسـتعمرة كالميناء وقسم شحن وتفريغ البواخر ، والمملاح ، والبناء ، والتجارة وشركات التصـدير والاسـتيراد . وتمّ تأسيس مكتب العمال عام ١٩٣٨م ، بسبب زيادة التجمع العمالي ، وزيادة حاجة المؤسسات الاقتصادية للأيدي العاملة المحلية . وكانت مهمة المكتب القيام بدور الوسيط لتسهيل مهمة طلبات أصحاب الأعمال من الشركات والدوائر الحكومية والمقاولين .[2]

عمدت سياسة بعض المؤسسات الاقتصادية في عدن ، إلى جعل الوظائف قصراً على قبائل معينة ، مما دفـع إلـى تكويـن مجموعات عمالية ، ذات أصول قبلية أو إقليمية [3] . وأخذت هذه التجمعات العمالية شكل نوادي وجمعيات ، على أساس قبلي أو إقليمي ، بلغ تعددها – خلال فترة الأربعينات حوالي اثنين وخمسين ناد وجمعـية كانـت محصورة على أبناء كل فئة وكل قبيلة وكل قرية ، لها أندية وجمعيات خاصة بأبنائها ، مثال ذلـك ، أبـناء يـافع ، أبناء الضالع ، أبناء شباب دثينة ، أبناء حبيش ، أبناء قدس ، شباب المياسرة ، أبناء ميون ، أبناء بيحان ، أبناء القبيطة ، اليوسفيين ، التعاون العريقي ، الأغبري ، الذبحاني ، المقطري ، جمعية اتحاد الجنـوب ، ابناء الصلو . وغيرها من الأندية والجمعيات التي عبّرت عن أبناء مختلف القبائل والعشائر في عدن[4] وعبرّت – في الوقت نفسه – عن حضور يمني لمختلف المناطق والنواحي في مستعمرة عدن .

٥-٢ ميلاد الطبقة العاملة :

لـم يسـتمر وضـع القـوى العاملة اليمنية في عدن على أساس قبلي – إقليمي ، وإنما تطور وضعها بتأسيس مصفاة عدن عام ١٩٥٤م ، التي اعتبرت حدثاً مهماً أدى إلى تغذية الحركة العمالية بمزيد من العمال مـن الإمـارات الجنوبية وشمال اليمن بنوعية جديدة اختلفت عن عمال الخدمات ، وهم عمال صناعة . وأثر استمرار تدفق العمال تأثيراً واضحاً على تغيير التركيب الاجتماعي لمستعمرة عدن . بظهور طبقة عاملة – لها ثقلها الاقتصادي والسياسي – في صالح الوحدة اليمنية .[5]

بدأت القوى العاملة اليمنية في عدن – منذ عام ١٩٥٠م – بتنظيم نفسها في نقابات مهنية ، وباتجاهات سياسية مختلفة[6] . وتتجلى أهمية هذا الدور ، الذي تلعبه الحركة النقابية ، في تنظيم العمال على أساس وطني وليس قبلي أو إقليمي ، بوصفهم يمنيين هويتهم الطبقية عمالا[7].

وبـرزت هـذه النقابات في المؤتمر العالمي الذي تمّ تأسيسه في العشرين من مارس عام ١٩٥٦م[*] ((بـرعاية الجـبهة القومـية الوطنية المتحدة التي رفعت شعارات وطنية لأول مرة في تاريخ المنطقة . نادت بالاسـتقلال السياسي الناجز من الاستعمار وبوحدة اليمن . وشجبت النظرة الانفصالية))[8]. وتكون من خمس

---

[1] – الأدهل : المرجع السابق ص ١٣٨ .

[2] – عبد الله علي مرشد: نشوء وتطور الحركة العمالية في اليمن ، بيروت ، دار أبن خلدون ، ١٩٨١ ، ص ١١٢ .

[3] – فرد هوليداي : الصراع السياسي في شبة جزيرة العرب ، ط ٢ ، بيروت ، دار أبن خلدون ، ١٩٧٨م ترجمة حازم صاغية وسعد محيو ص ١٣١ .

[4] – الأدهل : المرجع السابق ص ١٣٨م

[5] – أحمـد عطية المصري : النجم الحمر فوق اليمن (تجربة الثورة في اليمن الديمقراطي) ،ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨٦ ، ص ٨٨ .

[6] – مرشد : المرجع السابق ص ١٢٨ .

[7] – فرد هوليداي : المرجع السابق ص ١٣٢ .

[*] بقيادة عبد الله باذيب ، محمد عبده نعمان ، الحكيمي ، عبد الله الأصنج .

[8] – سلطان أحمد عمر : نظرة في تطور المجتمع اليمني / ط ١ ، بيروت ، دار الطليعة ، فبراير ١٩٧٠م ، ص ٢٣٢ .

وعشرين نقابة لمختلف المهن . وأعلن بذلك عن ميلاد الطبقة العاملة اليمنية في عدن ، شكلت قوة لها ثقلها السياسي – الاقتصادي في مقارعة الاستعمار البريطاني في الجنوب اليمني .[1]

بلـغ تعـداد الطـبقة العاملـة عام ١٩٥٩م في مستعمرة عدن ، حوالي ٦٢٠٠٠ عامل لمختلف المهن بأكـثرية عمال قطاع الخدمات ، ولا يعبرون عن عمال الصناعة . ويوجد – من هذا العدد – حوالي ٢٤٠٠٠ عامل من مواليد عدن ، والباقي من أبناء الإمارات الجنوبية وشمال اليمن[2]. وأدى تدفق المزيد من العمال إلى كـثافة سـكانية ، حيـث بلغ عدد سكان مستعمرة عدن عام ١٩٦٤م حوالي ٢٦٥٠٠٠نسمة[**] . منهم حوالي ٢٠٠٠٠٠ نسـمة مـن العرب اليمنيين ، ومنهم حوالي ٦٠٠٠٠ نسمة من مواليد عدن ، وحوالي ٦٠٠٠٠ نسمة من أبناء الإمارات الجنوبية ، وحوالي ٨٠٠٠٠ نسمة من أبناء شمال اليمن .[3]

والجديـر بالإشارة ، أن (المملاح) قطاع إنتاجي حيوي ، أعتبر عماله اقدم وحدة إنتاجية ، ضمت كل القـوى اليمنـية من أبناء اليمن بصورة عامة ، وكانت لها ثقلها السياسي – الاقتصادي . وتعتبر(المصفاة) أحدث وحدة إنتاج صناعية متطورة ، حولت عدن الصغرى (البريقة) إلى مركز ضخم للتجمع العمالي[4]. لعب عمالهـا دوراً هامـاً في النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني ، ومصالحه الاقتصادية في المنطقة لارتباط عمل المصفاة بحركة تمويل البواخر وتجارة النفط .

٥- ٣ دور الطبقة العاملة في مواجهة السياسة البريطانية :

كانـت معانـاة العمـال وسوء أحوالهم المعيشية ، وتعرضهم لاستغلال السلطات البريطانية ومؤسساتها الاقتصـادية ، دافعـاً لاتخـاذ الإضراب عن العمل سلاحاً قوياً لها ، يشكلون به ضغطاً اقتصادياً عليها . وكان العمال – من مواليد عدن – يتعرضون لأعمال القمع والتعسف ، ويزج بهم في السجن ، في الوقت الذي كان يتم فيه ترحيل أبناء الإمارات الجنوبية وشمال اليمن ، وإجبارهم على السفر قهراً .

ولم تستطع السلطات البريطانية وقف الإضرابات أو الاستمرار بأعمال القمع بالسجن والترحيل ، خاصة بعد تكوين الطبقة العاملة كقوة منظمة قادرة على شل حركة البلاد (المستعمرة) الاقتصادية . وأصدرت عام ١٩٦٠م قـانون العلاقات الصناعية ، بتحريم الإضراب . وفشلت بريطانيا في إذعان الطبقة العاملة لقوانينها . واستمرت الإضرابات في مواجهة أساليب الاستغلال والتعسف . وكانت أكثر حدة ، إذ اتسعت أهدافها وأبعادها السياسية لتحقيق مطالب وطنية .

وأثـارت القـيود – التي فرضتها السلطات البريطانية على أبناء الشعب اليمني في عدن بقانون الانتخابات – احتجاجات واسعة في أوساط الطبقة العاملة ، وأوساط معظم جماهير عدن الشعبية . إذ استند هذا القانون إلى صـفة المواطنة العدنية ، وحجب حق التصويت عن اليمنيين غير مواليد عدن ، ولو كانوا مقيمين فيها ، في الوقت الذي مُنح حق التصويت لأبناء الكومنولث حتى من غير المقيمين فيها .[5]

وتصـدت الطـبقة العاملة ، وغيرها من الفئات الوطنية ، للانتخابات العامة ،التي جرت في الرابع من يناير عام ١٩٥٩م ، أدت إلى مقاطعة جماعية ، تهدف إلى تفشيل الانتخابات ، فمن أصل ٢١٥٥٩ ناخب ، لم ينتخـب سـوى ٥٦٠٠ ناخب ، أي نسبة ٢٦ ٪ من المجموع فقط ، كانت أضعفها في عـــدن الصغرى (المصـفاة) ، حيث لم تتجاوز نسبة الانتخابات فيها ١٥٪ فقـط[6] . وحقق ذلك الفشل نجاحاً للمقاطعة وضربة للمصالح البريطانية في عدن .

وأشـار "أحمد عطية المصري" إلى دور الطبقة العاملة في هذه المرحلة بقوله :{ جاءت موقف الحركة العمالـية لتؤكد باستمرار إيمانها بوحدة اليمن ووحدة شعبها وانه جزء من الأمة العربية..... وأفشلت الحركة العمالية مخططات الاستعمار الدستورية المزيفة وعبأت الرأي اليمني والعربي ضد وجوده وقواعده ، وأوجدت تنظيماً عمالياً سياسياً ممثلاً في المؤتمر يقود العمل الوطني في أبرز مراحله السياسية}[7].

كما أشار"عبد الله علي مرشد" إلى الطبقة العاملة موضحاً هذا الدور ومدى أهميته في مقارعة الاستعمار البريطانـي بقوله :{ أن ميلاد الطبقة العاملة كقوة منظمة في نقابات ... قد غيّر وجه البلاد السياسي وأعطى

---

[1] – مرشد : المرجع السابق ص ١٢٩ – ١٣٠ .
[2] – أحمد عطية المصري : المرجع السابق ص ٩٣ .
[**] أنظر جدول الإحصاء السكاني في المتن .
[3] – أحمد عطية : نفسه ص ٣١ ، عن الحبشي ص ١٦٩ .
[4] – مرشد : مرجع سابق ص ١٣٠ .
[5] – الحبشي : المرجع السابق ص٣٢.
[6] – الحبشي : نفسه ص ٣٢ .
[7] – أحمد عطية المصري : المرجع السابق ص ٩٣.

الحـركة الوطنــية رخمـاً وحـيوية لا تنضـب . فبعد أن كانت أساليب الحركة الوطنية تقتصر على المطالبة والكتابات في الصحف والعرائض الذليلة التي تقدم إلى الحاكم البريطاني العام ، وبعد أن كان أقصى مطلب لها هو جعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر الحكومية إلى جانب اللغة الإنجليزية أصبحت أساليبها الإضرابات والمظاهرات والانتفاضات ، وارتفع عالياً وصريحاً شعار الاستقلال والجلاء وشعار الوحدة اليمنية كتعبير عن وحــدة كفــاح الشعب اليمني ضد الحكم الاستعماري في الجنوب وضد الحكم الأمامي في الشمال . تلك الوحدة التــي تجسدت وتجلت بأروع صورها في كفاح الطبقة العاملة في عدن والتي كوّن العمال القادمون من أرياف الشمال أغلبيتها العددية وعمودها الفقري .}[1]

ويتبيّــن ممــا سبق ذكره ، أهمية الطبقة العاملة كقوة منظمة وأساسية في المعترك السياسي ، وتحول دورها إلى أداة هامة للعمل الوطني ومعول هدم لكل المخططات السياسية – العسكرية والاقتصادية البريطانية . واصـبح هـذا الدور المنوط بها هاماً مفاعلاً في التصدي لأعداء ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م في شمال الوطــن لمحاولاتهم وأدها في مهدها . وكانت القوة المحركة لجماهير شعب الجنوب اليمني في مرحلة الكفاح المسلح والنجاح في تحقيق النصر وانتزاع الاستقلال الوطني في الرابع عشر من أكتوبر ١٩٦٧م .

وبــات عــدن – في ظل الدولة المستقلة – عهداً جديداً ، ودوراً مهماً ، سعت من خلاله ، إرساء أسس الكيان السياسي الواحد بميلاد الجمهورية اليمنية ، انتصاراً للوحدة اليمنية .

الخاتمة :

تأثــرت عــدن بموقعها الجغرافي في جنوب غرب الجزيرة العربية وبالأهمية الاستراتيجية في جنوب البحر الأحمــر ، عند ملتقى الثلاث قارات ، مما أدى إلى نشاطها التجاري وازدهارها الاقتصادي . كان لهذا النشاط الـتجاري – عــبر العصــور– أهمية في جعلها مركز جذب سكاني – خارجي وداخلي – إليها . فكانت ملتقى التبادل التجاري ، لتجار عرب وأجانب (أسيويين وأفريقيين) ، ولتجار من مختلف المناطق اليمنية ، لارتباط عــدن بالــتجارة الداخلية. نتج عن هذا التبادل التجاري ، استقرار التجار اليمنيين وبعض العرب والأجانب ، واســتوطنوا عدن ، ورغبوا العيش بها ، حتى في ظل ضعف اقتصادها وأفول نجم ازدهارها . وأسهم ذلك في نمو سكان عدن بأغلبية يمنية وأقلية عربية وأجنبية ، انقطعت عن أصولها وذابت بين اليمنيين ، مؤلفة بذلك نسيج مجتمع ما قبل الاحتلال .

حاولت بريطانيا – باحتلالها عدن عام ١٨٣٩م سلخها عن جسم الأمة اليمنية لأهميتها الاستراتيجية في السياسة البريطانية . وسعت إلى تغيير ملامحها اليمنية ومسخ عروبتها ، من خلال فتح باب الهجرة الأجنبية ، تهدف بذلك رفع نسبة عدد الأجانب فيها ومنحهم امتيازات وحقوق مواطنة كفلتها لهم ، لتشجع بذلك غيرهم مــن الأجانــب للقدوم إليها . ولكن ما حدث كان العكس ، فقد اضطرت إلى قبول هجرة اليمنيين من الإمارات الجنوبيــة وشــمال اليمــن – للبحــث عــن وسائل العيش – كعمال خدمات رخيصة ، تغذي بهم مؤسساتها الاقتصــادية والخدماتيه . أدى ذلك إلى كثافة سكانية يمنية، تضاعفت بازدهار اقتصاد عدن ، والحاجة الدائمة إلى مزيد من العمال . واستمرت الكثافة السكانية لليمنيين نحو ارتفاع ملحوظ في الخمسينيات والستينات ، لا سيما بإنشاء مصفاة عدن وظهور عمال الصناعة كقوة لها ثقلها الاقتصادي والسياسي ، تحولت – مع غيرها من القوى العاملة – إلى أداة وطنية ومعول هدم للسياسة البريطانية .

أرادت بريطانــيا – بقانون المواطنة العدنية – وضع حداً للزيادة السكانية اليمنية المضطردة ، بحرمان اليمنيــن من الهوية العدنية ، وما ترتب عليها من حقوق سياسية واجتماعية ، مثل المشاركة في الانتخابات العامة والالتحاق بالمدارس الحكومية ، وحق العلاج بالمستشفيات الحكومية . واعتبرتهم أجانب ، لا يحق لهم التمــتع بمثلها من حقوق ، في الوقت الذي تمتع بها الأجنبي الأوروبي أو من أبناء الكومنولث . وكانت تقف بهذه السياسة ، ضد زيادة عدد اليمنيين ، لتحول دون تحوّلها إلى ثقل سياسي وقوة وطنية مناهضة لوجودها في المنطقة .

ومــا حدث في مستعمرة عدن ، كان على غير توقعات لبريطانيا ، وضد ما خططت له . فقد أغفلت عن بريطانــيا العلاقــات الاجتماعــية – الإنسانية ، علاقات الدم ، وذوي القربى ، والارتباطات الأخوية والدينية والتاريخــية بشكل عام . فقد تحوّل مجتمع عدن اليمني – أمام قهر هذه السياسة – إلى لحمة واحدة ، وجسم واحــد ، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الجسد بالألم والحمى . فتألم أبناء عدن للممارسات البريطانية ضد أخوتهم اليمنيين ، وتفضيل الأجنبي عليهم بمنحه حق المواطنة العدنية وهم الأحق بها لارتباطهم جميعاً (العدني وأشقائه اليمنيين) بالهوية اليمنية .

---

[1] – مرشد : المرجع السابق ص ١٣٠.

وسجل أبناء عدن أكثر من موقف دعموا به أخوتهم اليمنيين ضد السياسية البريطانية أبرزها سعيهم لاتخاذ كافة التدابير المتاحة أمامهم للتصديق على شهادة الميلاد سواءاً كان ذلك عبر المحاكم أو لجان سواقط القيد . ولم ترفض هذه اللجان أية طلب يتقدم به أبناء الإمارات الجنوبية أو شمال اليمن للحصول على المواطنة العدنية . كما حاول ذوي المال منهم تقديم خدماتهم الجليلة في شئون الصحة والتعليم ، حيث قدم مستشفى (عفارة) في الشيخ عثمان خدمات طبية واسعة لمن يحتاجها من أبناء اليمن تحت إشراف الطبيب "أحمد سعيد عفارة" ، كما توسطت بعض العائلات لعلاج هؤلاء في المستشفيات الحكومية إما لعلاقاتهم بالأطباء الأجانب أو بحجة أنهم من الأقارب .

وأهتم أبناء عدن بتعليم أخوتهم اليمنيين ورفع مستواهم العلمي بإنشاء مدارس أهلية للتعليم الأساسي لاستيعاب أبناء اليمن الذين حرموا من شهادة الميلاد العدنية . كما قدموا المال للجمعيات الإصلاحية والخيرية مثل جمعية أبناء الفقراء التي كانت تجمع المال من أغنياء اليمن في الداخل والمهجر لصرفها على رفع مستوى الطلبة المتفوقين وإيفادهم إلى الخارج لتلقي العلوم الجامعية وبتخصصات مختلفة . وأبت عدن بذلك إلا أن تبقى يمنية بثقافتها وبتراثها .

وفشلت بريطانيا في قطع روابط الصلة بين عدن واليمن (الأم) . بل ازدادت هذه الصلة ترابطاً وقوة بميلاد الطبقة العاملة بقدوم الرأسمال اليمني ونمو نشاطه في مجال البناء والتعمير ، بعد تحويل عدن إلى قاعدة عسكرية . وتفاعلت عدن بنشاط بأبنائها اليمنيين ، تجسّد ذلك في الوحدة الوطنية لتحرير اليمن من نظام الإمامة في شمال والاستعمار البريطاني في الجنوب .

وأشار الرئيس على عبد الله صالح الى { أن عدن هي الوعاء الذي جمع كل أبناء اليمن }. ونرى أنها الابنة البارة لليمن التي ضمت بين حناياها كل اخوتها اليمنيين ، ومسحت عنهم معاناة الزمن . وظلت بذلك دائماً وأبداً رمزاً للوحدة اليمنية .

التوصيات :

حققت عدن وحدة أبنائها الاجتماعية وتلاحم مواقفهم الوطنية أمام العدو الأجنبي . وعلى الرغم من أن هذه الوحدة – وما اكتنفها من علاقات التآخي ومشاعر الانتماء- إلا أنها واجهت بعض الهنات ، لما كانت تبثه سياسية فرق تسد البريطانية ، من روح العداء والفرقة بينهم ، تركت أثاراً نفسية عند بعض اليمنيين ، وإن لم تكن عميقة ، إلا أنها ولدت حقد وكراهية لدى البعض .

وانطلاقاً من المسئولية العظيمة التي تقع على عاتق كل أبناء اليمن للمحافظة على الوحدة اليمنية ، علينا نبذ الآتي :-

- أولاً : أساليب التجريح التي يتعرض لها بعض العناصر لأصولهم غير العربية ، والإيمان بأن عدن يمنية بما فيها من أقلية أجنبية ذابت في مجتمعها وجرت في عروقها الدماء اليمنية بالمصاهرة .
- ثانياً : استخدام الألفاظ التي ترمز إلى التحقير والسخرية والاستخفاف ، بغرض الإساءة إلى بعضنا البعض .
- الأحقاد الشخصية والقبلية التي ولدتـها الحروب والمحن السابقة ، والارتقاء إلى مستوى المصلحة العامة ، ومستوى المسئولية ، للمحافظة على الوحدة اليمنية كمكسب سياسي واجتماعي وحلم ظل يراود جميع أبناء اليمن من أجل تحقيقه .

المراجع العربية :

- أحمد عطية المصري : النجم الأحمر فوق اليمن (تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية) ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٦م .
- أحمد فضل العبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ط ٢ ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٩م .
- أحمد قائد الصائدي : حركة المعارضة اليمنية ، ط ١ ، بيروت ، دار الأدب ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٨٣م .
- أمين الريحاني : ملوك العرب ، ط ٤ ، بيروت ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م .
- ابن المجاور : المستبصر ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، ط ٢ ، بيروت ، دار التنوير الطباعة والنشر ، ١٩٨٦م .

- حسن صالح شهاب : عدن فرضة اليمن ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، ط ١ ، ١٩٩٠م .
- حسن صالح شهاب : العبادل سُلاطين لحج وعدن ، ١١٤٥ – ١٣٨٠ هـ / ١٧٣٢ – ١٩٥٩م ، صنعاء ، مركز الشرعبي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م .
- حمزة إبراهيم لقمان : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٠ م .
- سلطان أحمد عمر : نظرة في تطور المجتمع اليمني ، ط ١ ، بيروت ، دار الطليعة ، فبراير ١٩٧٠ م .
- عبد الله علي مرشد : نشوء وتطور الحركة النقابية العمالية في اليمن ، بيروت ، دار أبن خلدون ، ١٩٨١م .

المراجع الإنجليزية :

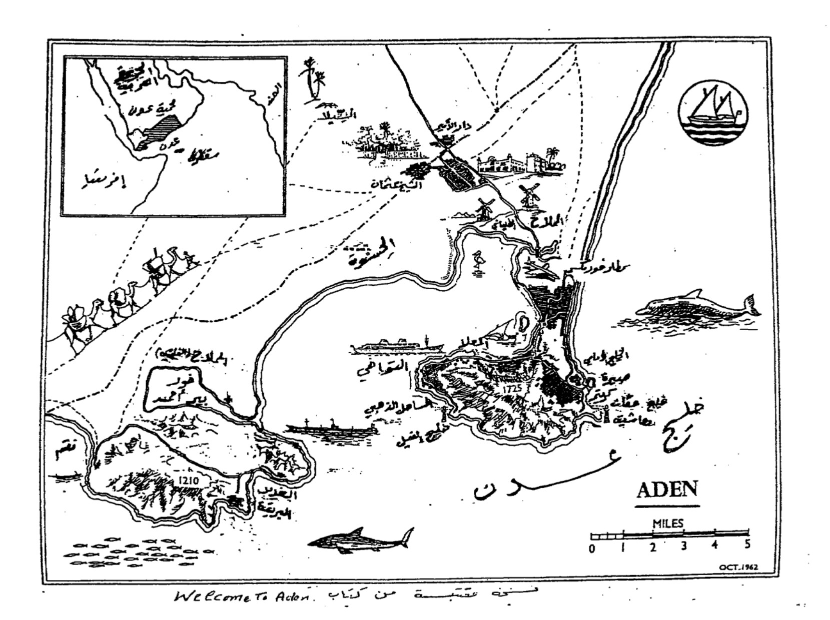
- **Guides and Handbooks of Africa, Welcome to Aden, Publishing Company, Published 1963.**
- **Hunter, F.M, An Account of British Settlement of Aden in Arabia, London, Frankcass and Company Limited, 1968.**
- **Ingrams, Dereen & laila, Records of Yemen,8.04, Aden becames a colony, 1933 – 1937, U.K. , Archive Editions, The Arabia Historical, 1996.**
- **Pridham, B.R., Economy, Society & Culture in Contemporary Yemen, Center for Arab Gulf Studies University of Exeter, Great Britain, Biddles L TD, Guildford and King's Lynn, 1985.**
- **Reilly, B., Aden and Yemen, London, Her Majests Stationary office 1960.**

أبحاث :

– إيمان شمسان : ازدهار تجارة مدينة عدن في العصر الأيوبي والرسولي ، بحث مقدم لندوة (عدن الماضي والحاضر والمستقبل) ، الندوة العلمية الأولى : ١٥ – ١٧ مايو ١٩٩٩م .

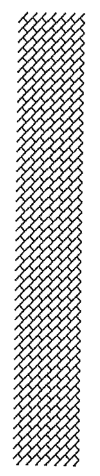
الدوريات العربية :

- مجلة التراث : العدد الخامس ، أبريل – يونيو ١٩٩٢م .
- مجلة الثقافة الجديدة : العدد الرابع ، السنة الثالثة ، يونيو ١٩٧٤م .
- مجلة دراسات في تاريخ الثورة اليمنية : نخبة من المفكرين من قادة التنظيم السياسي والمسئولين في دولة جنوب اليمن .
- مجلة الأكليل : العدد الأول ، السنة الثانية ، ١٩٨٢م .



نسخة مقتبسة من كتاب Welcome To Aden.

المحور الثالث



محور التاريخ السياسي

اليمن بين الوحدة والتجزئة
منذ القرن الثالث حتى منتصف القرن الخامس الهجري ((٢٠٣، ٤٥٩هـ))

أ . م / إيمان أحمد شمسان
كلية الاداب – جامعة عدن

مدخل تاريخي :

كـان اليمـن ، منذ صدر الإسلام وحتى قيام الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجـري، ضـمن ولايات الحكم المركزي للدولة العربية الإسلامية في عهد الرسول(ص) والخلفاء الراشدين، وعهد بني أمية ومن بعدهم بنو العباس. وقد قسمت اليمن في عهد الرسول (ص) إلى ثلاثة مخاليف رئيسية: مخـلاف صـنعاء وأعمالها واسندها إلى شهر بن باذان، ومخلاف الجند وأعمالها وولى عليها معاذ بن جبل، ومخلاف حضرموت وأعمالها وولى عليها زياد بن لبيد الأنصاري[١].

وكان يحدث أن تجمع هذه المخاليف الثلاثة تحت إمرة والي واحد وذلك عندما عين الخليفة علي بن أبي طالـب عبـيد الله بن العباس على جميع اليمن[٢] وتبعه على ذلك معاوية بن أبي سيفان الذي جمع حكم اليمن لأخـيه عتبة[٣] وفي حالات نادرة كان الحجاز واليمن تجمعان تحت إمرة وآل واحد كما حدث في ولاية الحجاج بـن يوسف الثقفي[٤] وفي ولاية داود بن علي العباسي[٥] وفي هذه الحالة كان الوالي يستقر في الحجاز ويبعث عنه نائباً لحكم اليمن. ويجمع والي اليمن كافة السلطات[٦] وكان مقره صنعاء[٧].

وبـذل الـولاة الذين تعاقبوا على حكم اليمن في العهد الراشدي والأموي والعباسي جهوداً كبيرة لإقرار الأمن والنظام في اليمن، ففي صدر الإسلام ، وتحديداً بعد قمع حركة الردة ، سادت أنحاء اليمن وحدة الوطن والاستقرار.[٨]

وفـي العهـد الأموي(٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١ـ٧٥٠م) بقي اليمن موحداً وتابعاً إدارياً للدولة الأموية في دمشق، ومع ذلك شهد فترات مضطربة وعدم استقرار بسبب ظلم الولاة الأمويين[٩] إذ كان الغالب على سيرتهم إرهـاق الرعية بالخراج، وقد عملوا على تحويل أرض اليمن عامة إلى أرض خراجية بما تذكره الأخبار عن محمد بن يوسف الثقفي والي اليمن الذي قرر الخراج على أرض اليمن.[١٠]

واسـتمرت جـباية هذا الخراج حتى خلافة عمر بن عبدالعزيز الذي أمر بإلغائه والاقتصار على العشر ونصـف العشـر وقـال: ((والله لئـن يأتينـي مـن اليمـن حفنة كتم ـ ذرة ـ أحب إليّ من إقرار هذه الوظـيفة)).[١١] على أن الوضع عاد كما كان سابقاً بعد وفاته، الأمر الذي أدى إلى قيام ثورة عارمة عام ١٢٩

---

١ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، صنعاء ١٩٨٨م، ط أولى، ص ٢٠.
٢ نفسه، ص ٢٣.
٣ نفسه ص ٢٤، الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك، صنعاء ١٩٨٣، ط أولى ج١/ص١٩٩.
٤ بهجة الزمن، ص٢٥.
٥ بهجة الزمن، ص٢٨، السلوك ج١/ ص٢٠٧.
٦ صـنف الفقهـاء الولايـة على البلدان كإحدى النظم الإسلامية، ويذكرها الماوردي بالولاية العامة التي يختص فيها الوالي بإمامة الصـلاة فـي المسـجد والنظر في تدبير الجيوش وتقدير أرزاقهم والنظر في الخراج والصدقات والصرف منها في أوجه الإنفاق المختلفة، أما الولاية الخاصة فتتميز عنها في أنها تستثني سلطة القضاء والخراج.
والولايـة العامة نوعان: ١) إمارة استكفاء،يقلد الخليفة الوالي حكم الولاية بالسلطات السابقة الذكر. ويكون خاضعاً لأمر عزله أو نقلـه إلى ولاية أخرى. ٢) إمارة استيلاء وهي التي يستولي فيها أمير بالقوة على إقليم ما، ثم يقره الخليفة عليه، يكون الأمير في هـذه الإمـارة لـه التصرف الكامل في جميع الشئون السياسية والمالية. الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الكويت ١٩٨٩م، ط أولي، ص١٣٠ وما بعدها.
٧ محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، القاهرة ١٩٧٥م، ط أولي، ص١٠٤.
٨ يحي حسين العرشي، الوحدة اليمنية، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية،بيروت١٩٩٢م، ط أولي، ج٢/ ص٩٩٤.
٩ خلـيل إبراهيم السامرائي،حركة طالب الحق بحضرموت وأثرها في تاريخ اليمن، مجلة المؤرخ العربي، العدد٤٥،عام١٩٩٣م، ص ٧١ـ٧٢.
١٠ محمد أمين صالح، مرجع سابق، ص٢,١ـ٢,٢،خليل السامرائي،حركة طالب الحق،ص٧١ـ٧٢.
١١ ابى الأثير، ابوالحسن عزالدين علي، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٥م، ج٥/ص٦٧-٦٨.

هـ انطلقت من مدينة شبام في حضرموت لتعم كل اليمن ، وكانت بقيادة عبدالله بن يحي الكندي الذي استنكر الظلم الواقع على أهل اليمن قائلاً: ((رأيت باليمن جوراً ظاهراً، وعسفاً شديداً، وسيرة في الناس قبيحة)).[1]

وعندما آلت الخلافة لبني العباس عام ١٣٢هـ، دانت لهم غالبية الولايات الإسلامية بالولاء والطاعة بما فيها ولاية اليمن، وتعاقب على ولايتها عدد من الولاة العباسيين الذين تميزت عهود غالبيتهم بالظلم . نذكر منهم الوالي معن بن زائدة الشيباني[2] الذي اعترف بحروبه ضد أهل اليمن بقوله: ((قد أفنيت عمري ورجالي في حرب اليمن)).[3]

والوالي حماد البربري الذي تولى اليمن عام ١٨٤هـ، أرسله الخليفة هارون الرشيد إلى اليمن لقمع حركة الهيصم بن عبدالمجيد.[4] وقال عنه اليعقوبي (٢): ((وأقام حماد البربري على اليمن ثلاث عشرة سنة وسام أهلها سوء العذاب)). وفي عهد المأمون (١٩٨ـ٢١٨هـ) امتدت حركة إبراهيم طباطبا[5] من الكوفة إلى المدينة وإلى اليمن، وكان زعيمها في اليمن العلوي إبراهيم بن موسى الكاظم الذي أطلق عليه أهل اليمن تسمية (الجزار).[6]

وفي عام ٢٠٣هـ أرسل الخليفة المأمون، حمد بن عبيدالله بن زياد والياً على تهامة، واستغرق ثلاث سنوات لإقرار الأمن والنظام في المنطقة والقضاء على تمردها.[7] وكذا تطالعنا المصادر[8] عن أحداث الشغب في مخلاف جعفر الذي استولى عليه إبراهيم بن أبي جعفر ذي المثلة من الجعافر، فأضطر والي صنعاء محمد بن عبدالحميد المعروف بأبي الرازي الخروج لتأديبه لكنه هزم وقتل في شعبان ٢١٤هـ، وفي الشهر التالي دخل إبراهيم مخلاف الجند وأعمل فيها النهب.

عبّرت حركة المعارضة اليمنية عن رفضها لواقع الظلم والإذلال الذي عاناه أهل اليمن من الولاة العباسيين، ورغبتهم في إقامة سلطة عادلة تغمر مجتمعهم وفق مانصت عليه الشريعة الإسلامية السمحة، وربما تطلع أهل اليمن للاستقلال عن السلطة المركزية، واستعادة سيادتهم على بلادهم اليمن وحكمها حكماً وطنياً، لكن الخلافة العباسية كانت تجد في استخدام القوة سبيلاً للقضاء على حركة المعارضة. وربما نجح الخليفة المأمون في إسكات روح المعارضة اليمنية لبعض الوقت، لكن هذه الروح سرعان ماظهرت أشد ضراوة، وقد ساعدها على ذلك ضعف الخلافة العباسية بسبب تسلط الأتراك عليها وإمساكهم بمقاليد السلطة.[9]

الاتجاهات الاستقلالية في اليمن عن الخلافة العباسية[10]

لقد شهد القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بروز ظاهرة التجزئة في العالم الإسلامي التي أدت إلى ظهور عدد من الإمارات الإسلامية التي أعلنت استقلالها عن الخلافة العباسية وكانت اليمن إحداها حيث شهدت ظهور عدد من الإمارات في آن واحد، شغل كل منها حيزاً في الساحة اليمنية.

وقبل استعراض هذه الإمارات اليمنية تاريخياً، لابد من تفسير ظاهرة استقلال اليمن عن الدولة العباسية، بالاستعانة لما أشارت إليه عدد من الدراسات الحديثة[11] التي تفسر هذه الظاهرة بجملة من الأسباب المتعلقة بوضع الخلافة العباسية آنذاك،فالباحث عارف تامر[12] يرى أن السبب الأساسي لتفكك الخلافة العباسية يكمن في طبيعة سلطة الخلافة نفسها التي خيبت آمال الرعية لأنها لم تطبق تلك المبادئ التي كانت تنادي بها كالعدل

---

[1] الأصبهاني، أبوالفرج علي بن الحسين، الأغاني،بيروت ١٩٧٠م، ج٢٠/ص٩٧.

[2] راجع بدري محمد فهد، معن بن زائدة، بغداد ١٩٨٩م، ط أولى،ص٤٧ وما بعدها.

[3] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، التاريخ، بيروت ١٩٦٠م، ج٢/ص٩٩.

[4] عن دوافع حركة الهيصم، راجع الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الاكليل، بيروت ١٩٨٦م، ط ثالثة، ج٢/ص٢٨٨.

[5] أبو الفرج الاصبهاني، مقاتل الطالبيين، القاهرة ١٩٤٩م، ص٥٣٣ـ٥٣٤.

[6] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، ج٩/ ص ٢٣٢، بهجة الزمن، ص ٢٤.

[7] بهجة الزمن، ص ٣٨، الديبع، عبدالرحمن بن عاي، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، اليمن ١٩٨٨م، ط ثانية، ص ١١٠.

[8] تاريخ اليعقوبي، ج ٢/ص ٤٦١، الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، صادر دار بيروت ١٩٥٥م، ج ٥/ ٩٠ – ٩١ السلوك، ج١/ص ٢١٧.

[9] عن تسلط الأتراك على الخلافة العباسية، راجع ما كتبه محمد شفيق غربال في د.م. أ. مادة ترك، ج٥/ص ٢١٢.

[10] بالرغم من الاتجاه الاستقلالي عن الخلافة العباسية بقي خيط يربط هذه الإمارات بالخلافة، هذا الخيط تجسد في الولاء الاسمي، والخطبة باسمها، والمراسلة معها، إدراكاً لأهمية وجود الخلافة التي تمنح حكم الأمراء الشرعية، فهم لايملكون حق إدعاء الخلافة الذي يراه الناس جزءاً من إسلامهم."عبدالرحمن الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دمشق ١٩٩٦ م، ط أولى، ص١٨٧".

[11] من هذه الدراسات، دراسة لمحمد علي حيدر استعرض فيها الأسباب السياسية والاقتصادية التي أدت إلى ضعف الخلافة العباسية واستقلال الولايات الإسلامية في المشرق عنها في العصر العباسي الثاني." الدويلات الإسلامية في المشرق،القاهرة ١٩٧٣م، ص ١١ وما بعدها".

[12] عارف تامر، القرامطة، بيروت ١٩٧٩م،ص٢٧ وما بعدها.

والمســاواة وظلت مجرد شعارات وهمية.الأمر الذي يفسر لنا قيام حركة المعارضة ضد الخلافة العباسية في مختلف أقاليمها.

وبالنسـبة لولايــة اليمــن فقد سبق الإشارة إلى واقع الظلم الذي عاشه أهلها في العهد الأموي والعهد العباســي، مما تسبب في قيام حركة المعارضة التي عبرت عن تذمر وسخط أهل اليمن ضد السلطة العباسية، وتطلعهم للتخلص منها[1].

كان لازدياد ضعف الخلافة العباسية، وعجزها عن تجهيز جيوشها لقمع الحركات الاستقلالية عنها بسبب أزمــتها المالــية وإفلاس خزانتها[2] ما شجع على انتشار ظاهرة التجزئة في كل البلاد الإسلامية وكانت حملة هــرثمة بــن بشــير وجعفر بن دينار عام ٢٣٠ هـ آخر الحملات العسكرية التي تمكنت الخلافة العباسية من تجهيزها إلى اليمن[3] لإجبار آل يعفر على الخضوع والاعتراف بالولاء للعباسيين.

بــرزت الدويــلات المســتقلة كظاهرة تاريخية شهدها العالم الإسلامي ،هذه الظاهرة ألقت بظلالها على الساحة اليمنية التي كانت مهيأة لظهور أكثر من دويلة في آن واحد ، نذكرها حسب تسلسلها التاريخي:

الدويلة الزيادية .. (٢٠٣ ــ ٤٠٢هـ/٨١٨ ــ ١٠١١م)

نســبت لمؤسســـها محمــد بن عبيد الله بن زياد الذي عظم قدره المؤرخ اليمني عمارة الحكمي[4] قائلاً: ((وملك إقليم اليمن بأسره الجبال والتهائم)) وإن كان هذا يتعارض مع رأي عصام الدين الفقي[5] إذ يعتقد ((أن دولــة بن زياد قد حكمت إقليماً يمنياً وليس اليمن كله)) ويشاطره هذا الرأي عبد الرحمن الشجاع[6] الذي يذكر أن سلطة بني زياد عندما توسعت في عهد الأمير الزيادي إبراهيم إنما امتد نفوذها إلى مدن تهامية مثل (زبيد، الكــدراء، المعقر) وبنى قوله هذا على ما ذكره ابن حوقل[7] حول حدود الدويلة الزيادية التي تمتد من الشرجة شمالاً إلى عدن جنوباً.

الدويلة اليعفرية .. (٢٥٦ ــ ٣٩٣هـ/٨٧٠ ــ ١٠٠٣)

مؤسســـها محمد بن يعفر بن عبد الرحيم[8] وهو من أصل يمني، منحه الخليفة العباسي المعتمد علـــى الله (٢٥٦ ــ ٢٧٩هــــ) مرسوماً بالنيابة يقره أميراً على صنعاء[9] وكان عهدهم من أصعب عهود الحكم في اليمــن لأنها أول أسرة يمنية فرضت وجودها في نجد اليمن وأجبرت الخلافة العباسية على الاعتراف بنفوذها وقد تطلب هذا منهم جهداً كبيراً وتضحياتٍ جساماً[10] بدليل قتالهم للأمير جفتم.[11]

اتســمت الحــدود السياسية للدويلة اليعفرية بعدم ثباتها فهي تتسع وتنكمش تبعاً لقوة وضعف أمرائها، ومــع ذلــك يمكــن القول إن مخلافي شبام كوكبان وكحلان بريم بقيا تحت سيطرتها حتى انتهاء حكمهم وبلغ أقصى اتساع لهذه الدويلة في عهد أميرها أسعد اليعفري(٢٨٩ ــ ٣٣٢هــ) الذي يعد أقوى أمرائها، وبموجب

---

[1] لمــزيد مــن التفاصــيل عن حركة المعارضة اليمنية في العصر العباسي الأول، انظر ، إيمان شمسان، اليمن في العصر العباسي الأول، دراسة سياسية إدارية، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة عدن ١٩٩٥م.

[2] يشــير حمزة بن الحسن الأصفهاني إلى العجز المالي الذي عانت منه الخلافة العباسية في عهد الخليفة المقتدر قائلاً: ((... فانساق ملكهــم إلــى هذا المنهاج إلى أن مضى من ملك المقتدر ثلاث عشرة سنة إلا أياماً وذلك في آخر سنة ثمان وثلاثمائة فعندها بدأت الأحــداث والفتــن فــي دار مملكــتهم فأزالت عن الجند والرعية هيبتهم، وأخلت من الأموال خزانتهم، ومن ذخائر أوائلهم بيوت أموالهم)) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، بيروت ١٩٦١م، ط الثالثة ص ١٥٢.

[3] بهجــة الزمــن، ص٤٤،قرة العيون، ص١١٥، الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢م، ط أولى، ص٨٣.

[4] نجم الدين عمارة بن علي، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، القاهرة ١٩٧٦م، ط الثانية، ص ٤٧.

[5] تاريخ اليمن في ظل الإسلام، ص ٩٦.

[6] تاريخ اليمن في الإسلام، ص ١٧١.

[7] صورة الأرض، بيروت ١٩٧٩م، ص٣١ ــ ٣٢.

[8] علي محمد زيد، معتزلة اليمن، دولة الهادي وفكره، بيروت ١٩٨٠م، ص٤٣.

[9] بهجة الزمن، ص٤٥، السلوك، ج ١/ص٢٢٩، قرة العيون، ص١٢٠، معتزلة اليمن، ص٤٣.

[10] محمد يحي حداد، تاريخ اليمن العام، بيروت ١٩٨٦م،ط أولى، ج ٢/ص١٢٠.

[11] جفــتم: يدعــى علــى بــن الحسين، وهو آخر الولاة العباسيين المكلفين من الخلافة العباسية في عهد المعتضد والمكتفي من بعده، بالولايــة علــى مدينة صنعاء، عندما اضطربت أمورها في عهد أميرها اليعفري إبراهيم، وقد نجح جفتم في السيطرة على صنعاء بعد فرار إبراهيم إلى شبام كوكبان ومقتله فيها. وظل جفتم يدير شئونها حتى عام ٢٨٢هـ ثم عاد إلى بغداد. وفي عام ٢٨٩هـ عــاد إلــى صــنعاء مرة أخرى لإقرار الأمن والنظام فيها بعد أن كانت ساحة حرب لمدة عام دارت بين اليعافرة والإمام الزيدي الهــادي إلى الحق، وقبض عليه الأمير اليعفري أسعد وسجنه في بيت بوس ثم أفرج عنه، ولما وجده الأمير أسعد عازماً على حكم صنعاء باسم الخلافة العباسية، قاتله حتى قتل عام ٢٩٠هـ . بهجة الزمن، ص٤٦ ــ ٤٧.

مرسوم النيابة الذي بعثه الخليفة المقتدر أصبح لأسعد السيادة على اليمن فيما عدا تهامة التي كانت لبني زياد، كذلك صعدة التي لم تذكر ضمن مناطق نفوذه [1].

الإمامة الزيدية الأولى .. (٢٨٤ ـ ٤٠٤هـ/ ٨٩٨ ـ ١٠١٣م)

مؤسسها الإمام الزيدي الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم وهو من البيت العلوي، استطاع بمساعدة بعض العشائر والخولانية إقامة إمامته في صعدة ثم امتد نفوذه ليشمل نجران وخيوان من بلاد همدان، وفي عام ٢٨٨هـ دخل صنعاء [2].

ومنذ العام التالي لقدومه اليمن واجهته حركة معارضة استعرت نيرانها في كل الأقاليم التي استولى عليها، وعبرت عن عدم ترحيبها للمشروع السياسي الذي تبناه الإمام بهدف تأسيس إمامة زيدية في اليمن. وقد اتبع الإمام الهادي أسلوباً قمعياً تعسفياً زاد من ضراوتها، واستمرارها طيلة عهده وكانت من الأسباب التي أدت إلى ضعف إمامته [3] بل وتنحى ابنه المرتضى محمد عن الإمامة التي تولاها بعد وفاة أبيه [4] وحال نفوذ بني يعفر في صنعاء دون وصول الحكم الزيدي إليها، مما بدد كل الأماني لإقامة دولة زيدية تحكم كل البلاد اليمنية. ويمكن القول إن الإمامة التي ورثها الناصر أحمد الابن الثاني للإمام الهادي إلى الحق كانت إمامة ضعيفة، حيث انشغل طيلة سنوات عهده في توطيد نفوذه في صعدة وغيرها من أقاليم شمال اليمن حتى وفاته عام ٣٢٢هـ [5].

ولم تلبث الإمامة الهادوية الزيدية أن تهاوت على أثر صراع تفجر بين أبناء الناصر أحمد، وانقسام القبائل اليمنية بين الأطراف المتنازعة على الإمامة، ذلك الصراع الذي انتهى بدمار صعدة، واختفت الإمامة الزيدية الأولى من اليمن آنذاك [6] .

الإمارة الإسماعيلية [7] الأولى .. (٢٩١ ـ ٣٠٤هـ/٩٠٤ ـ ٩١٦م)

تنسب هذه الإمارة إلى مذهبها الإسماعيلي الذي دعا إليه في اليمن الداعي علي بن الفضل وهو يمني الأصل [8]، والداعي الحسن بن حوشب المعروف بمنصور اليمن، وقد نجحا في تأسيس إمارة إسماعيلية في اليمن شمل نفوذها منطقة واسعة امتدت من عدن جنوباً إلى صنعاء وبلاد حجة شمالاً، وتهامة غرباً، في فترة زمنية قياسية لا تتجاوز الثلاث سنوات، وكانت مدينة صنعاء تحتل مكانة خاصة في مخططه العسكري، لكن جهوده في هذا المجال كان يتناوبها النجاح والإخفاق لهذا اتسم حكمه على صنعاء بعدم الاستقرار. وبعد انشقاقه عن زميله الداعي الحسن بن حوشب، تحالف مع خصمه بالأمس الأمير اليعفري أسعد عام ٢٩٩هـ الذي اعترف بالولاء له، وأقره والياً على صنعاء [9] لكن أسعد اليعفري ظل يضمر العداء للداعي الإسماعيلي

---

[1] قرة العيون، ص١٥٧، اليمن في الإسلام، ص١٧٧ .

[2] العلوي، علي بن محمد بن عبيد الله، سيرة الهادي إلى الحق، بيروت ١٩٨١م، ط ثانية، ص٢٠٧، المحلي، أبو عبد الله حميد بن أحمد، الحدائق الوردية في مناقب الزيدية، مخطوط في معهد المخطوطات القاهرة ميكروفيلم رقم ٢١٢ تاريخ، ج٢/ ق١٨، يحي بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، القاهرة ١٩٨٠م، ص ١٦٦، محمد بن إسماعيل الكبسي، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، القاهرة ١٩٨٤م، ص١١.

[3] معتزلة اليمن، ص٩١.

[4] الهاروني، يحي بن الحسين بن هارون، الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية، صنعاء ١٩٩٦م، ط أولى، ص١٧٠.

[5] لمزيد من التفاصيل عن صراعه ضد الإسماعيلية، راجع معتزلة اليمن، ص١٢٦ وما بعدها.

[6] علي محمد زيد، تيارات معتزلة اليمن، صنعاء ١٩٩٧م، ط أولى، ص١٧. ويرى أيمن فؤاد سيد أن الإمامة الزيدية الأولى تنتهي عام ٤٠٤هـ . المذاهب الإسلامية في اليمن، القاهرة ١٩٨٨م، ط أولى، ص٢٦١.

[7] الإسماعيلية: حركة اجتماعية فلسفية سياسية، يقولون بنسبهم إلى السيدة فاطمة والإمام علي بن أبي طالب، وقد زعم الإسماعيلية أن الإمام بعد جعفر السابق هو ابنه إسماعيل، واختلفوا في وفاته في حياة أبيه فمنهم من قال إنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، ومنهم من قال بصحة وفاته، وهم يعتقدون بتوارث الإمامة في الأعقاب ولهذا فالإمام بنظرهم بعد إسماعيل هو محمد بن إسماعيل. انظر الشهرستاني، أبو الفتح، الملل والنحل، بيروت ١٩٨١م، ط أولى، ص٧٢، غالب مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس ١٩٧٩م، ط ثالثة، ص٧ ـ١٢٣، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب القاهرة، ط ثانية، ج٣/ ص٣٧٦ ـ٣٧٧ أيمن فؤاد سيد، المذاهب الإسلامية، ص٩١.

[8] علي بن الفضل: هو جدني النسب من ذرية القيل ذي جدن، لأنه سكن قبيلة ذي جدن، كانت في مدينة جيشان وليس بخنفري كما ذكر في التواريخ الأخرى، وأطلق عليه ذلك نتيجة انتصاراته في مدينة خنفر حاضرة أبين وكنيته، بو الحسن. الحمادي، محمد بن مالك، كشف أسرار الباطنية، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ص١٩٤، قرة العيون، ص١٣٧، غاية الأماني، ص١٩٢ ـ ١٩٥.

[9] بهجة الزمن، ص٥٧، السلوك، ج١/ص٢٤٢، قرة العيون، ص١٤٩.

علـــي بـــن الفضـــل ويؤلب ضده الزعامات القبلية اليمنية، ودبر مؤامرة لاغتياله عام ٣٠٣هـ. ثم قاد حلفاً واسعاً نحو مدينة المذيخرة في مخلاف جعفر وهدمها عام ٣٠٤هـ [١].

توازن القوى السياسية في اليمن في عهد الأمير أسعد اليعفري((٢٨٩ـ٣٣٢هـ))

يَعـد الباحث محمد يحي حداد [٢] عهد الأمير أسعد بن إبراهيم اليعفري من أزهى عهود الإمارة اليعفرية لاسـيما بعد سقوط إمارة علي بن الفضل عام ٣٠٤هـ لانه استطاع أن يحكم إمارته حكماً مستقراً حتى مماته عام ٣٣٢هـ.ومع ذلك لم تذكر المصادر شيئاً عن أعماله العسكرية لإخضاع بقية الإمارات اليمنية التي كانت معاصرة لعهده، بهدف توحيد كل البلاد اليمنية، فيكون السيد فيها بلا منازع، لكن شيئاً من هذا لم يحدث، فهل كـان الأمير أسعد اليعفري يقيم وزناً للإمارة الزيادية التي كانت تدين بالولاء للخلافة العباسية؟ [٣] وإذا اقتنعنا بهـذا التبرير، فماذا بشأن الإمامة الزيدية الشيعية التي تختلف عن مذهبه السني ؟ أضف إلى ذلك أنها كانت إمامـــة ضـــعيفة فـــي عهد الإمام الناصر أحمد، وازدادت ضعفاً بعد وفاته بسبب اقتتال أبنائه فيما بينهم طلباً للإمامـــة [٤] ألـــم تكـــن هذه الحالة التي آلت إليها الإمامة الزيدية أدعى لانقضاض الأمير اليعفري أسعد عليها وضـــمها إلى إمارته كما فعل من قبل مـع الإماره الإسماعيلية؟ إلا أنه لم يفعل ووقف موقف المتفرج على تلك الصـــراعات التـــي كانـــت تـــدور بين الأئمة في صعدة، بينما كانت القوى القبلية اليمنية تزيد من إذكاء هذه الصراعات.

الحقـــيقة أن كتـــب الـــتاريخ التي في متناول أيدينا لاتساعد على تفسير هذا الموقف، وربما كان سبب انصـــراف الأمير اليعفري أسعد عن السيطرة على صعدة وضمها إلى نفوذه يكمن في السبب نفسه الذي جعل علـــي بن الفضل الإسماعيلي لايقدم على مد نفوذه إلى هذه المنطقة من بلاد اليمن، حيث فضل عدم الاصطدام بتلك الأوضاع القبلية المعقدة الراسخة في صعدة والتي لاتميل للخضوع لأية سلطة مركزية [٥].

اتصـــفت عهود الأمراء اليعافرة الذين تعاقبوا على حكم الإمارة اليعفرية بعد الأمير أسعد بالضعف لأنهم عجـــزوا عن الاحتفاظ بمدينة صنعاء ضمن نفوذهم إذ أصبحت موضع نزاع بين القوى السياسية المتصارعة آنـــذاك في الساحة اليمنية حتى هيمن عليها آل الضحاك الحاشديون منذ مطلع القرن الخامس الهجري. وفي هـــذا الصدد يحدثنا ابن عبدالمجيد [٦] قائلاً:((ولم تزل صنعاء بيد بني يعفر ومواليهم مع كثرة اختلافهم وقيام مـــن قام عليهم بسبب ذلك إلى سنة اربع واربعين وثلاثمائة)). ويضيف في موقع آخر((ولم يزل أمر صنعاء فـــي غايـــة الاضـــطراب إلـــى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، تارة يغلب عليها الإمام وابن أبي الفتوح وتارة الضـــحاك، وتارة حاشد، والعرب من همدان وحمير وخولان وبني شهاب مفترقة على هؤلاء، فمن كثر جمعة غلـــب عليها)). ووصلت الحال بصنعاء أن أصبح((في كل شهر لها رئيس وعليها زعيم، وفي أغلب أوقاتها تخلو من حكم إمام، وكان الغالب عليها من آل الضحاك حتى عام ٤٠٠هـ)) [٧].

وما إن طلّ القرن الخامس الهجري إلا وقد تهاوت الإمارات اليمنية الواحدة بعد الأخرى من تلقاء نفسها وبدون اعتداء خارجي، وإنما لأسباب تتعلق بأوضاعها الداخلية والتي كان لها تأثيرها في انكماشها حتى زالت نهائياً [٨].

---

[١] بهجة الزمن ص٥٨، السلوك ج١/ص٢٤٤، قرة العيون، ص١٥٠ـ١٥١.

[٢] تاريخ اليمن العام، ص١٢٣.

[٣] وإذا افترضـــنا أن الأمـــر كذلـــك، وأن كلا الإمارتين تدينان بالولاء للخلافة العباسية ـ وهو ولاء اسمي ـ فما الذي يمنع تحالف هاتيـــن الإمارتيـــن لمواجهة الخطر الشيعي الزيدي الذي ظهر في صعدة ؟.خصوصاً وأنه قد سبق لهما أن تحالفتا في حربهما ضد الإسماعيلي علي بن الفضل ونجحتا في القضاء عليه نهائياً، وهدم عاصمته مذيخرة عام ٣٠٤هـ.

[٤] تيارات معتزلة اليمن، ص١٧، تاريخ اليمن في الإسلام، ص١٥٣.

[٥] معتزلة اليمن، ص١١٢ـ١١٣.

[٦] بهجة الزمن، ص ٥٨.

[٧] ن.م ، ص ٥٩.

[٨] فيما عدا الإمامة الزيدية التي ظلت باقية عشرة قرون من الزمان حتى تم القضاء عليها إثر اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ولعل أسباب ذلك تكمن في : ١) إن الشروط التي تبناها المذهب الزيدي يترتب عليها في أغلب الأحيان مبايعة الإمام الأفضل، وبالتالي هـــذا يتـــيح ظهور دماء علوية جديدة، مؤهلة للقيام بأعباء الإمامة عن جدارة. ٢) إن ظهور المذهب الزيدي في شمال الوطن أدى إلى ازدياد هجرة الأشراف العلويين إلى هذه المنطقة واتخاذها موطناً لها، وظلت هذه الفئة ترفد الإمامة الزيدية بالأئمة ممن تنطبق علـــيهم شروط الإمامة.أضف إلى ذلك أن المذهب الزيدي يعتبر أكثر المذاهب الشيعية اعتدالاً وأقربها إلى مذهب أهل السنة فقد نبذ كثيراً من آراء الفرق الشيعية الأخرى المتطرفة." عصام الدين الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص٢٧٧، سلوى سعد سليمان، الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد ودوره في توحيد اليمن، ١٩٩١م. ط أولى.ص٢٣".

لم يسبق أن تمت دراسة أسباب ظاهرة التفكك والتجزئة التي اتسم بها الوضع السياسي لليمن من القرن الثالث الهجري، وتتبع هذه الظاهرة في منشئها وتطورها وتحليلها لتوضيح الأسباب الكامنة وراء هذا التمزق السياســي للأرض اليمنية في الفترة التي تمتد من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري، إلا أن هــذا لا يعنــي أن أحداً من الباحثين لم يبادر بتفسير هذه الظاهرة عند تناولهم موضوع الدويلات اليمنية في العصــر الإسلامي مجالاً للدراسة، لكنه يظل تفسيراً هامشياً لا يفيد في تفهم واقع التجزئة الذي عاشته اليمن آنذاك.

مــن هــذه الآراء نذكر ما قاله محمد علي الأكوع [1] عن تفاوت الطبيعة الجغرافية لليمن وما تسببه من اخــتلاف في اللهجات وتعدد الفوارق الاجتماعية الخ ... التي ميزت بين أهل الجبل وسكان التهائم، ويقرر أن عدم التجانس الاجتماعي لأهل اليمن الذي أحدثه تنوع التضاريس في المنطقة اليمنية ساعد على انقسام اليمن إلى دويلات وإمارات وإقطاعات مستغلة ضعف الدولة المركزية [2].

ويــتفق الشجاع [3] مع الأكوع في الأثر الذي يفعله العامل الجغرافي في تجزئة اليمن لكنه يضيف عاملاً آخــر إلى ذلك وهو العامل البشري مكتفياً بالإشارة إلى البيئة الاجتماعية القبلية في اليمن والتي تتميز بتقلب ولاءاتهــا المرتبطة بمصالحها ويضيف في هذا الصدد الباحث قائد نعمان [4] أنه في ظل هذه الظروف الطبيعية والخصــائص البشرية أصبحت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية، الأمر الذي فرض على اليمنيين نوعاً معيناً من الســلوك جعلهــم يتصــفون بالحذر من كل ما هو أجنبي عنهم والخضوع لرئيس قبيلتهم والتعصب لجماعتهم وتقالــيدهم لحمايــة أنفســهم أمام قسوة الطبيعة أو أمام الطامعين وخاصة في أوقات الحرب. هذه الحروب الدائمــة بين القبائل التي لا تحسم بصورة نهائية يترتب عليها حالة من الاضطراب عرقلت قيام دولة مركزية، وبالتالي عاشت اليمن ممزقة إلى أجزاء صغيرة [5].

وهكذا تنتصب القبيلة كعقبة في سبيل الوحدة القومية إذ أنها تقسم البلاد إلى ما يشبه الدويلات كل منها مســتقلة في إدارة شئونها، وولاء الفرد وطاعته تكون للقبيلة أكثر منه للدولة، ويؤكد على ذلك الباحث عصام الدين الفقي [6] بقوله: ((ومن هنا كانت القبيلة عقبة كؤودة في وحدة الدولة)).

ما سبق طرحه من آراء لهؤلاء الباحثين التي كانت بصدد تفسير ظاهرة التجزئة في اليمن، تظل بحاجة إلــى دراســة جــادة رصينة تستوعب كل ملابسات هذه الظاهرة للوصول إلى نتائج علمية مقنعة، إذ لا يمكن التسليم بالتأثير المطلق لهذين العاملين على ظاهرة تجزئة اليمن، لآن هذا يقود للحكم نهائياً بعدم إمكانية قيام وحــدة وطنــية سياســية للأرض اليمنية، الأمر الذي يتعارض مع الوقائع التاريخية التي تشير لوجود وحدة وطنية يمنية ظهرت في اليمن في مراحل تاريخية سابقة ولاحقة.

ولابــد أن هذيــن العاملين أثرا في تمزيق اليمن وتفككه إلى دويلات صغيرة ولكن إلى حد ما ربما كان هــناك عــامل آخــر يفعل فعله في تجزئة اليمن وهو انتشار المذاهب الإسلامية فيها [7] بدءً من القرن الثالث الهجري، فقد تسابق دعاة هذه المذاهب لتأسيس دولهم في هذه البلاد النامية عن الخلافة العباسية، ثم انشغلوا فــي صراعاتهم فيما بينهم، الأمر الذي كرس تجزئة اليمن إلى كيانات سياسية متناحرة وضعيفة ظلت تتعاقب على الساحة اليمنية حتى مجيء الأتراك العثمانيين واحتلالهم اليمن عام ٩٤٣هــ/ ١٥٣٨م.

الوحدة اليمنية في عهد الداعي الإسماعيلي علي بن محمد الصليحي (٤٣٩ ــ ٤٥٩هــ)

كانــت الظروف الجغرافية والقبلية والصراعات المذهبية قد أدت إلى التفكك السياسي الذي شهدته اليمن حتى منتصف القرن الخامس الهجري، وظلت الزعامات القبلية تتصارع مع كل قائم وكل مدع للسلطة، فإذا ما تغلــب تحالفت معه، لكنها تحافظ في كل الأحوال على مصالحها وعلى نفوذها التقليدي في مناطقها [8]. وكان مــن القائمين الداعين للسلطة خلال هذه الفترة الداعي الإسماعيلي علي بن محمد الصليحي الذي أعلن ثورته مــن جبل مسار في حراز عام ٤٣٩هــ ، ونجح في السيطرة على صنعاء عام ٤٤٤هــ بعد أن ألحق الهزيمة

---

[1] اليمن الخضراء مهد الحضارة، القاهرة ١٩٧١م، ط أولى، ص٣٦.
[2] ربما قصد هنا بالدولة المركزية الدولة العباسية التي ضعفت بسبب تسلط الأتراك بدءاً من العصر العباسي الثاني.
[3] تاريخ اليمن في الإسلام، ص١٧١.
[4] الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، بيروت ١٩٨٦م، ط أولى، ص٦٠ ــ ٦١.
[5] محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، بيروت ١٩٦٨م ط أولى، ص٥١٥.
[6] اليمن في ظل الإسلام، ص٢٧٥ ــ ٢٧٦.
[7] أنظر تاريخ المذاهب الإسلامية في اليمن،ص٤٢، ص٢٣١ وما بعدها.
[8] تيارات معتزلة اليمن، ص٢٦.

بابن أبي حاشد الهمداني حاكم صنعاء [1] ثم توالت الانتصارات تباعاً في العديد من المعارك التي خاضها علي الصليحي ضد خصومه سواء من الأئمة الزيدية ، مثل الإمام عبد الله بن الجعفر بن القاسم العياني الذي صفح عنه وأطلق سراحه، وابنه الشريف الفاضل الذي حاصره علي الصليحي في حصن هرابة عام ٤٤٨هـ [2] ، أو النجاحيين الذين فقدوا سيطرتهم على تهامة منذ عام ٤٤٤هـ وهو العام الذي استولى فيه علي الصليحي على زبيد [3] ثم الزعامات الإقليمية مثل بنوالكرندي وبنو معن [4].

لقد وصفت المصادر التاريخية [5] نشاطه العسكري الذي شمل معظم البلاد اليمنية بالآتي: ((وطوى البلاد طياً، وفتح الحصون والتهائم، ولم تخرج سنة خمس وخمسين ولم يبق عليه من اليمن سهلاً ولا وعراً ولا براً ولا بحراً إلا فتحه وذلك أمر لم يعهد مثله في الجاهلية والإسلام)).

يعدّ عهد الداعي علي الصليحي في تاريخ اليمن الإسلامي عهداً قلّ أن يجود الزمان بمثله وذلك لأن هذه البلاد لم تجتمع لحاكم واحد، فقد تمكن من جمع اليمن كله تحت لواء واحد، فالعرشي [6] يقول: ((ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي فإنه استولى على اليمن سهله وجبله وشماله وجنوبه وشرقه في مدة يسيرة بعد أن قهر ملوكه)).

<u>أسباب نجاح قيام دولة الوحدة الصليحية:</u>

يمكن إيجاز الأسباب التي أدت إلى نجاح الداعي علي الصليحي في تأسيس الدولة الصليحية التي بقيت محافظة على وحدة البلاد اليمنية طيلة عهده بالآتي:

<u>١) التمزق السياسي للبلاد اليمنية حتى بداية القرن الخامس الهجري</u>

الذي عرضه المؤرخ اليمني نجم الدين عمارة [7] بذكره أن المتغلب على عدن وأبين ولحج والشحر وحضرموت هم بنو معن أما في الصلو وحصن صبر وحصن ذخر وحصن التعكر ومخلاف الجند ومخلاف المعافر ففي أيدي بني الكرندي، وحصن حب(في بعدان) وحصن عزان وحصن الشعر والسحول فيحكمها بنوأصبح، وحصن الشوافي يحكمها بنوالتبعي، وتغلب بنو وائل على مخلاف أحاظة (حبيش)، وتغلب على حصن أشيح (آنس) ومقرا (مغرب عنس) ووصاب الخولانيين، وتغلب على صنعاء واعمالها بنوالضحاك الحاشديين، وتغلب بنو عبدالواحد على أعمال برع ولعسان، وتغلب على حصن مسار قوم من حراز، وتغلب بنو المنتاب الحميريون على مسور حجة، وتغلب على شبام وكحلان خبان الحواليون (بقايا بنو يعفر)، وتغلب بنو ابي الفتوح على خولان العالية.

كذلك وصف الكبسي [8] صنعاء قائلاً: ((كانت صنعاء في هذه الأيام كالخرقة الحمراء بين اللاعبين ... حتى لم يبق منها سوى الف دار واربعين داراً ومن المساجد العامرة مائة مسجد وستة مساجد واثناعشر حماماً، بعد أن بلغت أيام هارون الرشيد وابنة المأمون إلى مائة الف دار وعشرين ألف دار، ولم يزل النقصان إلى أيام علي بن محمد الصليحي ثم عمرت بعض العمارة ثم رجعت إلى النقصان)).

وقد أدرك الداعي الإسماعيلي علي الصليحي أن هذا التفكك يفتح مجالاً لمحاولة خلق دولة موحدة لكل أقاليم البلاد تحت لوائه، وأعدّ نفسه لتحقيق هذه المهمة الجسورة، وكان أهلاً لها حتى أنه لم تمض سنة ٤٥٥هـ إلا وقد ملك اليمن وامتد نفوذه من مكة إلى حضرموت وبذلك استقرت أمور الدولة وأصبحت صنعاء عاصمة دولته.

---

[1] راجع المفيد، ص١١١ (الهامش)، بهجة الزمن، ص٧٥.
[2] المفيد، ص١١٥ (الهامش)، اللطائف السنية، ص٣٢.
[3] المفيد، ص١١٣ (الهامش)، القرشي، عماد الدين ادريس ابن الحسن، عيون الإخبار، وفنون الآثار، مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية، ج٧/ق١٤.
[4] بهجة الزمن، ص٧٥، حسين بن فيض الله الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة ١٩٥٥م، ص٨٦.
[5] بهجة الزمن، ص٧٥، ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، بيروت ١٩٨٦م ط ثانية، ج٢/ص٢٣٧، بامخرمة، عبدالله الطيب، تاريخ ثغر عدن، بيروت ١٩٨٦م، ط ثانية ج٢/١٦٠.
[6] العرشي حسين بن أحمد الزيدي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى من ملوك اليمن، القاهرة ١٩٣٩م، ص٢٥.
[7] المفيد، ص٨٦ وما بعدها.
[8] اللطائف السنية، ص٢٥ـ٢٦.

٢) سياسة التسامح التي أبداها علي الصليحي تجاه خصومه:

اتبع الداعي علي الصليحي سياسة عادلة متسامحة تجاه الرعية ((ورأى الناس من عدله وفضلة وحسن سيرته ما ألفَّ له القلوب وأرغم له أهل النخوة والمكابرة)) [١] ويحدثنا ابن الأثير [٢] في حوادث عام ٤٥٩هـ عن الصليحي الذي كان قد ملك مكة سنة خمس وخمسين، وآمن الحجاج في أيامه، فأثنوا عليه خيراً، وكسا البيت الحرير الأبيض الصيني، ورد حلى البيت وكان بنو حسن أخذوه وحملوه إلى اليمن فابتاعه الصليحي منهم.

وقد أفصح علي الصليحي عن سياسته تلك في خطبة ألقاها أمام أهل حراز، ووعدهم فيها بأن يسير فيهم سيرة الحق والعدل، فكان يجمع عماله من آن لآخر يتفقد أمور رعيته، وتوجيه النصح والإرشاد لهم [٣].

كذلك اتبع علي الصليحي سياسة التسامح المذهبي، وعدم إكراههم على اعتناق مذهبه، فكان يقرب علماء السنة كما يقرب علماء مذهبه، ويحث ولاته ودعاته على الاجتهاد بنشر الدعوة الإسماعيلية في مناطق ولاياتهم، ومن علامات تسامحه انه أبقى في زبيد على القضاء السني ولم يفرض مذهبه على الآخرين [٤].

أما عن تسامح الصليحي مع خصومه السياسيين فيذكر عمارة اليمني [٥] أنه لم يقم بقتل الزعماء اليمنيين الذين يزيحهم عن مناطق نفوذهم، إنما كان يبقيهم في ((ضيافته)). ويؤكد على هذا التسامح مؤلف سيرة الأميرين [٦] الذي يتحدث من وجهة نظر معادية حاربت الصليحيين، فمع أن آل القاسم العياني كانوا يتولون زعامة المعارضة القبلية للصليحيين في المناطق الشمالية فإن الصليحي كلما أسر رجل من رجالهم أبقاه معه ثم أطلقه دون أذى، وبعد توالي أسرهم وإطلاقهم مرات، اضطروا للخروج من ساحة المعركة خلال العهد الصليحي.

فكان علي الصليحي إذا رحل عن اليمن أخذهم معه لأنه لا يستأمن بقاءهم فيها، وبتعبير الديبع [٧] ((ولما قهر الملوك باليمن ألزمهم أن لا يفارقوا ركابه حيث كان، بعد أن توثق منهم بالرهائن [٨] والإيمان المغلظة)) وبلغ عدد هؤلاء السلاطين المغلوبين الذين كانوا في ركاب علي الصليحي في رحلته الأخيرة إلى الحجاز عام ٤٥٩هـ حوالي خمسين سلطاناً [٩].

مقومات دولة الوحدة الصليحية

لابد وأن دولة الوحدة التي أقامها الداعي علي الصليحي قد اعتمدت على جملة من المقومات التي ارتكزت عليها هذه الوحدة نذكرها كالآتي ..

١) تبني علي بن محمد الصليحي الدعوة الإسماعيلية، وانتقال رئاسة الدعوة إليه والتزامه لسنوات طوال بث أفكارها بأسلوب التقية [١٠] ونجح في اجتذاب الكثير من الناس لهذا المذهب، وربما كان هذا يعود إلى براعته وفصاحته وقدرته على إقناع الآخرين للإقبال على مذهبه أو ربما أنه استفاد من الظروف التاريخية التي أحاطت بالمذهب الإسماعيلي الذي ظهر في اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري، والدور الذي قام به الدعاة الإسماعيلية وعلى الأخص علي بن الفضل والحسن بن حوشب في نشر تعاليمه في

---

١ عيون الاخبار، ج٧/ق١٥.

٢ الكامل في التاريخ، ج١٠/ص٥٥ـ٥٦.

٣ الصليحيون، ص١٠٥ وما بعدها.

٤ ذكر ابن عبدالمجيد قائلاً: ((ودخل أسعد بن شهاب زبيد سنة ست وخمسين وأربع مائة، واحسن السيرة مع الرعية، وفسح لأهل السنة في إظهار أديانهم)) بهجة الزمن، ص٧٦، تيارات معتزلة اليمن، ص٢٨. وتعتقد الباحثة أن تسامحه مع السنيين ربما كان تابعاً عن سعة افقه وبعد نظره وليس هذا فحسب وانما بسبب تحدره من أسرة سنية حيث كان والده فقهياً وقاضياً باليمن سني المذهب.

٥ قال نجم الدين عمارة: ((وفي سنة خمس وخمسين استقر قرار الصليحي بعدها، وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم فاسكنهم معه)) المفيد ص١١٩.

٦ مفرج بن أحمد الربعي، سيرة الأميرين الفاضل وذو الشرفين، مخطوط في الجامع الكبير، صنعاء، رقم١٠٢٤، ق٢٤٠، نقلاً عن تيارات معتزلة اليمن، ص ٢٨.

٧ قرة العيون، ص١٨٠.

٨ يعتبر نظام الرهائن من الأنظمة القبلية القديمة في اليمن التي ماتزال قائمة حتى اليوم وهذا النظام يتمثل في قيام الوحدات القبلية أثناء النزاعات والحروب فيما بينها تقوم الهيئات التي تتوسط بينها ولعقد اتفاقيات الصلح بأخذ عدد من الأشخاص من الأطراف المتنازعة كضمان للتقيد بالصلح المبرم بينهما والالتزام بتنفيذه." أبو غانم، فضل علي أحمد، البنية القبلية في اليمن، صنعاء ١٩٩١م ط ثانية، ص١٣٩".

٩ قرة العيون، ص١٧٩، الصليحيون، ص٩٩.

١٠ وبتعبير عمارة الحكمي:((وبقي الصليحي في مسار وأمره يستفحل شيئاً فشيئاً من سنة ٤٣٩هـ في توق من أمره كاتم لما يضمره من الدعوة)) المفيد، ص١١٧.

منطقة واسعة من اليمن امتدت من عدن جنوباً إلى صنعاء وحجة شمالاً، وتكللت جهودهم بتأسيس الإمارة الإسماعيلية الأولى التي عمرت حوالي خمسة عشر عاماً، وعلى الرغم من زوالها، إلا أن الفكر الشيعي الإسماعيلي كمعتقد مذهبي ظل راسخاً يضرب بجذوره في أعماق المجتمع اليمني الذي بذر بذوره الدعاة الإسماعيلية الذين أخلصوا له وظلوا يحملون لواءه حتى آلت رئاسته إلى علي الصليحي الذي جهر بالدعوة عام ٤٣٩هـ..

ويشير الأكوع [١] إلى فطنة علي الصليحي لكونه عزا الدعوة إلى الخليفة الفاطمي المستنصر وهيأ لها النفوس واستغل تلك الأجواء السياسية التي توحي بتحكم المذاهب آنذاك، كما حكى ذلك عنه صاحب سيرة الأميرين في أول كتابه، وليتمشى مع روح عصره، فهو كان مدركاً تمام الإدراك أنه لو دعا لنفسه لحصل رد فعل من مريديه ومؤيديه وخالفوه لمخالفته المبادئ التي اعتنقوها على يديه، فتعم الفوضى بين أصحابه وتضيع جهوده ويكون هو أول ضحية لهذه الدعوة.

ويرى حسين فيض الله [٢] أن سبب انتشار نفوذ الصليحي في اليمن يرجع إلى انتمائه لمذاهب الخلافة الفاطمية في مصر، حيث كانت هذه الدعوة بمثابة الوسيلة التي ساعدت على التغلغل بين صفوف العامة الذين تاقوا لإقامة دولة أهل بيت النبي [٣].

٢) تكوين الداعي علي الصليحي جيش قوامه أنصاره وأتباعه الذين بايعوه على الموت أو النصر وهم من قبائل جنب وسنحان المذحجيتين، وقبيلة نهد الحمرية، وقبيلة يام الهمدانية التي تقطن نجران [٤] وكانت جميعها عماد دولة الصليحي. وبلغ عدد من كان معه يوم اندلاع ثورته في جبل مسار ستين رجلاً [٥]. ((وما منهم إلا من هو من قومه وعشائره في منعة وعدد كثير)) [٦] أضف إلى ذلك انضمام الكثير من أهل حراز إليه [٧]. ولم يتوان هؤلاء الأنصار عن تقديم كل الدعم لتمويل دعوتهم بالمال والرجال والسلاح [٨]. لقد اعتمد الداعي علي الصليحي على جيشه وأنصاره الذين التفوا من حوله بهدف إقامة دولته دون أن يتلقى أي دعم عسكري من الخلافة الفاطمية في مصر، من شأنه أن يشد أزره في تلك الأوقات الحرجة التي كان يمر بها في سبيل تحقيق دولة الوحدة الصليحية.

٣) شخصية الداعي علي بن محمد الصليحي التي توافرت فيها عدد من المواصفات التي ميزتها لتقوم بذلك الدور القيادي لتأسيس دولة الوحدة وهي مواصفات كان أول من تنبه لها الداعي الإسماعيلي سليمان الزواحي الذي اختاره لرئاسة الدعوة الإسماعيلية من بعده [٩] أضف إلى ذلك أن رئاسة علي الصليحي لحاج اليمن لسنوات طوال في شبابه، كان قد أكسبه خبره ومعرفة بأحوال الناس ومكنه من فهم النفس اليمانية، بل وصقل شخصيته لتكون مؤهلة للاضطلاع بمسئولياتها وكذا سمعته الطيبة وقدرته على التعامل مع الأوضاع الداخلية بتفهم ودهاء [١٠] وأخيراً حنكته العسكرية في قيادة أنصاره وحسن تدبير شئونهم، الأمر الذي برهنت عليه تلك الانتصارات التي أحرزها في ساحات الحرب ضد خصومه والتي لاشك أنها لم تكن من قبيل الصدفة.

٤) هيمنة الداعي علي الصليحي على خيرات البلاد اليمنية ومقدرتها الاقتصادية، مما أوجد دعامة اقتصادية قوية استندت عليها دولة الوحدة الصليحية في تصريف أمورها. ولابد أن توفر الموارد المالية للصليحي

---

[١] المفيد، ص١٠٦، انظر تعليق الأكوع في الهامش.
[٢] الصليحيون، ص٢٢١.
[٣] دعا علي الصليحي لإمام من آل البيت، لكن هذا الإمام لم يظهر لحكم اليمن عند قيام الدولة الصليحية، وإنما حكمها نيابة عنه علي الصليحي، وربما كانت ولايته على اليمن مكافأة من الخليفة الفاطمي المستنصر له على ما بذله من جهود في سبيل إقامتها، فقد كان له الفضل في مد النفوذ الفاطمي إلى بلاد اليمن والحجاز آنذاك. ولم يكن الخليفة المستنصر يملك حق تعيين وعزل ولاة الدولة الصليحية لأنه لم يتمتع بنفوذ فعلي فيها، على عكس الداعي علي الصليحي الذي امتلك سلطة قوية مكنته من فرض نظام حكم وراثي في اليمن على غرار الخلافة الفاطمية في مصر. وبقيت العلاقة بين الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية علاقة ضعيفة لم تتجاوز أكثر من تلك المجاملات التي كانت تتم في المناسبات مثل التهنئة بالأعياد أو الأفراح في الزواج أو الارتزاق بالمواليد، أو في حالة التعزية، وربما تبودلت الهدايا بينهما، وكذا ذكر اسم الخليفة الفاطمي في خطبة الجمعة، أما الخراج فلم يكن الصليحي ملزماً بدفعه للخلافة الفاطمية.
[٤] المفيد، ١٠٣، انظر تعليق الأكوع في الهامش. عيون الأخبار، ٧/ ق٥ـ٦.
[٥] المفيد، ص١٠١، وفي ((كشف أسرار الباطنية)) ذكر تسع مئة رجل وخمسين رجلا وهو الأصح.
[٦] المفيد، ص١٠١.
[٧] عيون الأخبار، ج٧/ق ٥ـ٦.
[٨] ن ٠ م، ج٧/ق٨.
[٩] المفيد، ص٩٦.
[١٠] وصفة المؤرخ أبو مخرمة قائلا: ((وكان الصليحي حازما عازما جوادا شجاعا ...فصيحا بليغا شاعرا)) ثغر عدن، ج٢/ ص١٦٣، تيارات معتزلة اليمن، ص٢٦.

قد مكنه من الإنفاق على مختلف أجهزة الحكم الإدارية والعسكرية [1] . وتذكر لنا بعض الروايات أن والي زبيد حمل إلى الصليحي في بعض السنوات، بعد أن دفع أرزاق الجند، ألف ألف دينار [2] . كذلك أشار الذيبع إلى تلك الأموال الوفيرة التي أخذها الصليحي معه عندما خرج لأداء فريضة الحج، التي استولى عليها سعيد الأحول بن نجاح بعد قتله لعلي الصليحي. وبتعبير الديبع [3] : ((استولى سعيد الأحول على خزائن الصليحي وأمواله)).

لم تصمد دولة الوحدة الصليحية كثيراً وتهاوت إثر مقتل مؤسسها علي الصليحي ولعل سبب ذلك يعود إلى اعتمادها على شخص علي الصليحي الذي كان محوراً لهذه الدولة، وسخّر كل القوى التي آمنت بفكره وعقيدته لتحقيق طموحاته التي تجسدت في توحيد البلاد اليمنية بمعنى أنها لم تنبثق من أوساط كل الفئات الاجتماعية في البلاد اليمنية مما أفقدها مضمونها الجماهيري وبالتالي لم تضمن البقاء والاستمرارية التي يكفلها لها التأييد الشعبي الكامل. فكان اغتيال علي الصليحي اغتيالاً لها.

كما أن سياسة التسامح التي اتبعها علي الصليحي تجاه خصومه لم تكن ضماناً أكيداً لاكتساب ولائهم لدولته، فقد ظلت النزعة الاستقلالية كامنة في نفوسهم، وتطلعوا لاستعادة ما كان لهم من نفوذ في أقاليمهم ((لأن اليمانية بفعل العامل القبلي لم يألفوا الخضوع لحكومة واحدة تسوسهم أو الانتظام في سلك دولة موحدة)) [4]. ولابد أن هؤلاء الخصوم بذلوا قصارى جهودهم في إطلاق الشائعات المغرضة ضد الدولة الصليحية لاسيما في فترات ضعفها للتأثير على رعاياها وكسبهم في صفوف المعارضة. ومن هنا كان شعور كثير من اليمانية بالرفض الشديد للمذهب الإسماعيلي لأنهم كانوا إما سنيين وإما زيديين يعارضون المذهب الإسماعيلي [5] .

كان فناء الدولة الصليحية بسبب الاتجاهات الاستقلالية التي برزت في أحشائها أو بتعبير أدق بسبب نظام الإقطاع الذي أوجده الصليحيون، إذ وزع الصليحي السلطة في البلاد بين من يثق فيهم من الصليحين والزواحيين واليامييين، فأصبح كل حصن يحكمه أحد أعوانه الذين كانوا خاضعين وموالين للداعي علي الصليحي لكن الامور مالبثت أن تغيرت بعد مقتله في المهجم عام ٤٥٩هـ، ثم انشغال عهد المكرم أحمد بالحروب التي استنفذت كثيراً من الجهد والمال، فأخذ نفوذ حكام الحصون يزداد ، خصوصاً عندما انفردت سيدة بنت أحمد [6] بالحكم، فتاقت نفوسهم إلى الاستقلال بما تحت أيديهم كلما تقدمت في السن، وبدت مظاهر الضعف في عهدها أكثر وضوحاً [7].

وفي عام ٤٩٢هـ استولى حاتم ابن الغشيم المغلسي الهمداني على صنعاء بعد وفاة أميرها الصليحي (سبأ بن أحمد الصليحي) وناصرته قبائل همدان التي كانت تولي على صنعاء حكاماً همدانيين تتابعوا على إمارتها مدة تقدر بحوالي ٩٣ عاماً منذ عام(٤٩٢ــ٥٨٥هـ/١٠٩٩ــ١١٩١م) وملك بنو زريع ابن العباس بن الكرم الجشمي الهمداني عدن ونواحيها إلى تعز والجند وجبلة ومايليها [8] واستمر ملكهم ٣٧ عاماً بدءاً من عام (٥٣٢ــ٥٦٩هـ/١١٣٨ــ١١٧٤م) [9] أما تهامة فقد فاز بها النجاحيون بعد أن رجحت كفتهم في تلك الحروب التي خاضوها ضد الصليحيين، وصمدت الإمارة النجاحية بعد عهد جياش ابن نجاح حوالي ٥٦عاماً، ثم أسقطها المهديون [10] وفي صعدة قام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بأمر الإمامة عام ٥٣٢هـ مؤسساً بذلك الإمامة الزيدية الثانية(٥٣٢ــ٩٨٠هـ/١١٣٨ــ١٥٨٥م) [11].

---

[1] اهتم علي الصليحي أيضاً بإنشاء عدد من القصور في مدينة صنعاء، وكانت بمثابة دور ضيافة للملوك الذين اغتصب منهم أقاليمهم وأبقاهم إلى جانبه، ويذكر نجم الدين عمارة عن محمد بن بشارة وهو من أهل صنعاء أنه حدّثه في سنة ٥٣٥هـ وكان عمره قد ناهز الثمانين وقال له: ((لم أعقل بقصر الصليحي إلا مستهدما، وجميع من بنى داراً بصنعاء يبني بأنقاض قصور الصليحي من تلك المدة إلى الأن، ومافنى طوبة وأحجاره وأخشابه)). المفيد ص١١٩ــ١٢٠.

[2] قرة العيون، ١٨٧.

[3] ن . م ، ص١٨٢.

[4] محمد عيسى الحريري، معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح في اليمن، الكويت ١٩٨٤م، ص٣٧.

[5] ن.م، ص٣٧.

[6] عن الملكة سيدة بنت أحمد، راجع بهجة الزمن، ص٧٩، ثغر عدن،ج٢/ص٨، الموسوعة اليمنية،ج٢/٥٣٩.

[7] الصليحيون، ص٢٣٤.

[8] عن الإمارة الحاتمية راجع ابن حاتم اليامي،السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، لندن ١٩٧٤م، ص ١٨.

[9] بهجة الزمن، ص٨٢ ومابعدها، محمد كريم إبراهيم،عدن، دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية البصرة ١٩٨٥م، الفصل الثالث ص١٥٥ــ١٩٣.

[10] عن الدولة النجاحية راجع فهد الزويد، دولة بني نجاح في اليمن، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود بالرياض.

[11] تاريخ المذاهب الإسلامية في اليمن، ص٢٦٥، الموسوعة اليمنية، ج١/ص٤٥١ ومابعدها.

مـــرة أخرى عادت اليمن تعاني من التجزئة والتمزق السياسي في ربوعها حيث قامت فيها أربع إمارات تزامنـــت فـــي ظهورهـــا، كل منها اقتطعت لنفسها حيزاً من الساحة اليمنية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، أو بمعـــنى آخـــر إن هـــذه الإمـــارات لم تتعايش سلمياً مع بعضها البعض، وإنما ساد الصراع بينها حتى مجيء الأيوبيين إلى اليمن عام ٥٦٩هـــ [1] .

إن هـــذا الوضـــع المتدهور الذي آلت إليه اليمن في منتصف القرن السادس الهجري لابد وأنه كان من الأســـباب التـــي سهّلت للأيوبيين احتلال اليمن [2] حيث تهاوت هذه الإمارات الواحدة تلو الأخرى تحت سنابك خـــيولهم، وذلك بسبب تفريطهم بوحدتهم الوطنية التي كانت تجمع شملهم وتجعلهم درعاً واقياً أمام الطامعين الغزاة في أرضهم.

الخلاصة:

شـــهدت اليمـــن منذ القرن الثالث الهجري حركات استقلالية عن الخلافة العباسية، ولم تشذ اليمن بهذه الظاهرة عن بقية الولايات الإسلامية، بل كانت واحدة من الولايات التي انسلخت عن سلطان الخلافة.

والجديـــر ذكره أن اليمن لم تظهر فيها إمارة واحدة، وإنما أربع إمارات تزامنت في ظهورها، وتعاصرت فـــترة من الزمن، لكنها لم تتعايش سلمياً إذ كان يغلب على علاقاتها العداء، بسبب اختلاف الانتمائية المذهبية لكل منها، وتضارب المصالح السياسية وأطماعها من أجل السيادة على كل بلاد اليمن.

وفـــي مطلـــع القرن الرابع الهجري اندثرت الإمارة الإسماعيلية الأولى التي أسسها علي بن الفضل بعد اجتياح جيوش الزعامات القبلية في المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن بهدف استعادة ما كان لها من نفوذ علـــى هذه المناطق قبل ظهور الداعي علي بن الفضل، وبتحالفها مع الأمير اليعفري أسعد نجحت في القضاء علـــى إمارته عام ٣٠٤هـــ. وبعد القضاء عليها انهمكت الإمامة الزيدية في صراعاتها الداخلية وكذا الإمارة الزيادية، أما الإمارة اليعفرية فتعاقب عليها ـــ بعد الأمير أسعد ـــ عدد من الأمراء الضعاف الذين عجزوا عن الاحـــتفاظ بمدينة صنعاء ضمن نفوذهم. وفاز بحكمها آل الضحاك الحاشديين، بينما تقوقع آل يعفر في حصن كحلان حتى آل حكمهم إلى الزوال.

اســـتغل الداعـــي علـــي بن محمد الصليحي التمزق السياسي الذي ساد اليمن حتى مطلع القرن الخامس الهجـــري، وخاض مع أنصاره معارك ضارية ضد خصومه الذين سارعوا الى التصدي له لإجهاض ثورته في مهدهـــا، لكـــن الصليحي دافع ببسالة عنها، ونجح في السيطرة على أقاليمهم الواحد بعد الآخر، وشيئاً فشيئاً اتســـعت رقعـــة دولـــته بضـــمه لمـــناطق نفوذ بنو نجاح وبنو الكرندي وبنو معن مؤسساً بذلك دولة الوحدة الصليحية.

لم يحقق الداعي علي الصليحي الوحدة السياسية في ربوع اليمن في ليلة وضحاها بل إن الأمر استغرق ستة عشر عاماً من الجهود العسكرية المضنية التي بذلت لاكتمال ولادة الوحدة، وفقط في عام ٤٥٥هـــ استقر حكـــم علـــي الصـــليحي فـــي اليمن لكنه لم يهنأ بهذا الاستقرار طويلاً، لأن أعداؤه عاجلوه بضربتهم القاضية واغـــتالوه عام ٤٥٩هـــ وبالرغم من جهود ابنه المكرم أحمد في سبيل الإبقاء على الوحدة اليمنية إلا أنها لم تصـــمد كثـــيراً، بســـبب إصرار الزعامات القبلية اليمنية على استعادة سيادتها على أقاليمها كالنجاحيين مثلاً وبـــروز قـــوى سياسية جديدة انبثقت من داخل الدولة الصليحية نفسها كانت قد تطلعت لإقامة ملك مستقل لها كالحاتميين والزريعيين.

إن المصـــير المأساوي الذي انتهت إليه تجربة الوحدة السياسية اليمنية في عهد الدولة الصليحية، كان أمـــراً حتمـــياً بسبب قربان الدم الذي سفكه الداعي الصليحي في محرابها في سبيل ميلادها، فانبرت له قوى المعارضة في أعنف صورها معبرة عن رفضها للأسلوب القسري الذي به تحققت الوحدة، تلك الوحدة التي لم يشـــارك فـــي صـــنعها أهـــل اليمـــن كافة ، وإنما اعتمد صانعها القهر والقوة العسكرية التي شكلت أحد أهم مقوماتها، ربما لأنها كانت لغة العصر آنذاك، ولهذا كان موتها أمراً طبيعياًعلنا نتعلم من الدرس.

---

[1] محمد مسفر عسيري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة لدولة بني ايوب في اليمن، جدة ١٩٨٥م، ط أولى، ص٤٣ ومابعدها.

[2] عن الأسباب والدوافع للحملة الأيوبية على اليمن راجع الحياة السياسية ومظاهر الحضارة لدولة بني ايوب ص٦٥ وما بعدها.

المصادر:

١- ابن الأثير عزالدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)
الكامل في التاريخ بيروت ١٩٦٥م.
٢- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)
الاغاني، بيروت ١٩٧٠م.
٣- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)
مقاتل الطالبيين – القاهرة ١٩٤٩م.
٤- الأصبهاني، حمزة بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء بيروت ١٩٦١م.
٥- الحكمي، نجم الدين عمارة بن علي (ت ٥٦٩هـ)
المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد القاهرة ١٩٧٩م.
٦- الحمادي، محمد بن مالك (ت ٤٧٠هـ)
كشف اسرار الباطنية.
٧- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)
معجم البلدان، دار صادر بيروت.
٨- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل (ت ٣٦٧هـ)
صورة الأرض، بيروت ١٩٧٩م.
٩- الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ)
السلوك في طبقات العلماء والملوك، صنعاء ١٩٨٣م.
١٠- الديبع، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ)
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، اليمن ١٩٨٨م.
١١- الربعي، مفرج بن أحمد.
سيرة الأميرين الفاضل وذو الشرفين، مخطوط في الجامع الكبير صنعاء رقم ١٠٢٤.
١٢- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبوبكر (ت ٥٤٨هـ)
الملل والنحل، بيروت ١٩٨١م.
١٣- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر.
١٤- العلوي، علي بن محمد بن عبيد الله (توفي في القرن الرابع الهجري)
سيرة الهادي إلى الحق، بيروت ١٩٨١م.
١٥- ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي (ت ٧٤٣هـ)
بهجة الزمن بأخبار اليمن، صنعاء ١٩٨٨م.
١٦- القرشي، عماد الدين ادريس بن الحسن الأنف (ت ٨٧٢هـ)
عيون الأخبار وفنون الاثار، مخطوط بالمكتبة المحمدية.
١٧- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)
الاحكام السلطانية والولايات الدينية، الكويت ١٩٨٩م.
١٨- ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب بن أحمد (ت ٦٩٠هـ)
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى المستبصر، بيروت ١٩٨٦م.
١٩- المحلي، حميد بن أحمد (ت ٦٥٢هـ)
الحدائق الوردية في مناقب الزيدية، مخطوط في معهد المخطوطات بالقاهرة ميكروفيلم رقم (٢١٢) تاريخ
٢٠- ابن مخرمة، عبدالله الطيب (ت ٩٤٧هـ)
تاريخ ثغر عدن، بيروت ١٩٨٦م.
٢١- الهاروني، يحي بن الحسين هاروني (ت ٣٤٠هـ)
الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، صنعاء ١٩٩٦م.
٢٢- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد ٣٦٠هـ)
الإكليل، الجزء الثاني، بيروت ١٩٨٦م.

٢٣- اليامي، محمد بن حاتم (ت ٧٠٢هـ)
السمط الغالي الثمن في اخبار الملوك الغز باليمن، لندن ١٩٧٤م.
٢٤- يحي بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ)
غاية الأماني بأخبار القطر اليماني، القاهرة ١٩٦٨م.
٢٥- اليعقوبي، أحمد بن واضح بن يعقوب (ت٢٨٤هـ)
تاريخ ، بيروت ١٩٦٠م.

المراجع:

٢٦- إبراهيم، محمد كريم
عدن، دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، البصرة ١٩٨٥م.
٢٧- الاكوع، محمد بن علي
اليمن الخضراء مهد الحضارة، القاهرة ١٩٧١م.
٢٨- تامر عارف
القرامطة، بيروت ١٩٧٩م.
٢٩- الحبشي، محمد عمر
اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، بيروت ١٩٦٨م.
٣٠- الحداد محمد يحي
تاريخ اليمن العام، بيروت ١٩٨٦م.
٣١- الحريري محمد عيسى
معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح في اليمن، الكويت ١٩٨٤م.
٣٢- حيدر، محمد علي
الدويلات الإسلامية في المشرق، القاهرة ١٩٧٣م.
٣٣- دائرة المعارف الإسلامية، مادة ترك طبعة طهران الجزء الخامس.
٣٤- الزويد، هدى فهد
دولة بني نجاح في اليمن،الرياض لا ت.
٣٥- زيد، علي محمد
معتزلة اليمن، بيروت ١٩٨٠م.
٣٦- زيد، علي محمد
تيارات معتزلة اليمن، صنعاء ١٩٩٧م.
٣٧- سليمان، سلوى سعد
الامام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد ودوره في توحيد اليمن ١٩٩١م.
٣٨- سيد، أيمن فؤاد
تاريخ المذاهب الإسلامية في اليمن القاهرة ١٩٨٨م.
٣٩- السامرائي، خليل بن إبراهيم
حركة طالب الحق في حضرموت، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٥، ١٩٩٣م.
٤٠- الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد.
تاريخ اليمن في الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، دمشق ١٩٩٦م.
٤١- الشرجبي، قائد نعمان
الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، بيروت ١٩٨٦م.
٤٢- شمسان، إيمان أحمد
تاريخ اليمن في العصر العباسي الأول، دراسة سياسية إدارية، عدن ١٩٩٥م.
٤٣- صالح، محمد أمين
تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، القاهرة ١٩٧٥م.
٤٤- عسيري، محمد مسفر
الحياة السياسية ومظاهر الحضارة لدولة بني أيوب في اليمن، جدة، ١٩٨٥م.

٤٥- العرشي، حسين بن أحمد
بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى من ملوك اليمن، القاهرة ١٩٣٩م.
٤٦- أبو غانم، فضل بن أحمد
البنية القبلية في اليمن، صنعاء ١٩٩١م.
٤٧- الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف
اليمن في ظل الإسلام، القاهرة ١٩٨٢م.
٤٨- فهد، بدري محمد
معن بن زائدة، بغداد ١٩٨٩م.
٤٩- الكبسي، محمد بن إسماعيل
اللطائف السنية في اخبار الملوك اليمنية، القاهرة ١٩٨٤م.
٥٠- الموسوعة اليمنية
مادة الوحدة اليمنية، بيروت ١٩٩٢م.
٥١- الهمداني، حسين فيض الله
الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة ١٩٥٥م.

موقف الأئمة الزيدين الهادويين من قضايا الوحدة والسيادة الوطنية اليمنية

د. عبد الغني محمد غانم
قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة عدن

مقدمة البحث:

لقد حكم اليمن منذ ٨٩٧م وحتى ١٩٦٢م حوالي ٧٢ إماماً زيدياً هادوياً، وقد امتد حكم أولئك الأئمة من العصور الوسطى ومروراً بالعصر الحديث وحتى تاريخنا المعاصر، وانتهى حكمهم بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر. وكان حكم الأئمة الزيديين خلال تلك القرون بين مد وجزر من حيث التوسع والانكماش دون أن تنتهي الدولة الزيدية الهادوية كلية، لذلك فقد واكبت الدولة الزيدية " التي أسسها أولئك الأئمة المتعاقبون "كل الدول اليمنية المستقلة، وأنظمة الحكم الإسلامي المركزية والنفوذ الأجنبي غير الإسلامي.

ونظراً لأن الأئمة الزيديين قد جاءوا إلى اليمن بهدف تأسيس حكم ودولة للعلويين الذين احرموا من السلطة خلال فترة حكم الخلفاء الراشدين والحكمين الأموي والعباسي، باستثناء فترة الحكم القصيرة والمأساوية التي حكمها الإمام علي، فإن الأئمة الزيديين الهادويين من آل البيت قد أرادوا أن يعوضوا ذلك الحرمان من السلطة بتكوين دولة علوية تحت مظلة " الزيدية" التي أسسها الإمام زيد بن علي زين العابدين، غير أن أولئك الأئمة لم يلتزموا بالقواعد الصحيحة والأخلاق السياسية الرفيعة للإمام زيد وتابعيه، كما لم يحترموا قيام الدول المركزية التي حكمت اليمن خلال القرون الوسطى، بل دخلوا في صراعات عسكرية وسياسية معها، وتحالفوا مع قوى أجنبية للقضاء عليها، رغم ما قامت به تلك الدول اليمنية المستقلة من دور بارز في إعادة توحيد اليمن وبعث الحضارة اليمنية القديمة، كما ما رست الدولة الزيدية ممارسات طائفية أدت إلى تمزيق وحدة الشعب اليمني بتوزيعه بين طائفتين رئيسيتين " الزيدية والشافعية" ، هذا ناهيك أنها مارست نظام حكم رجعي استبدادي وقمعي ضد اليمنيين عندما كانت تمد نفوذها إلى مساحات شاسعة من الأرض اليمنية، حيث قدمت نموذجاً سيئاً لنظام الحكم الزيدي الهادوي المنفر للوحدة اليمنية.

ولذلك فإن من الأهمية أن تثار مثل تلك الأخطاء في هذا البحث المتواضع وذلك لعل دروس تلك الأخطاء تلهم الأجيال اليمنية الحالية والقادمة بتجنب مثل تلك الأخطاء، سيما وأننا في العهد الوحدوي الجديد نحتاج إلى التسلح بالكثير من دروس وعبر الماضي، لترسيخ دعائم تجربتنا الوحدوية التي تحققت في ٢٢ مايو ١٩٩٠م وتجنيبها من كل مؤثرات الضعف والإحباط.

أولاً: توطئة جغرافية تاريخية:

إن المسرح السياسي الجغرافي الذي تتناوله وقائع هذا البحث يتحدد في الحدود التالية:–

١–الحدود اليمنية قبل الاستقطاع والتشطير.

وصف الهمداني حدود اليمن قبل التشطير بقوله : يفصل بين اليمن وبين باقي شبة الجزيرة خط واحد يمتد من حدود عمان، ويجري إلى حد ما بين اليمامة واليمن، فإلى حدود الهجيرة وتثليث، وانهار جرس، وكتنه، منحدراً في جبال السراة على شعث عنزه إلى تهامة، إلى أم جحدم إلى البحر [1].

٢–حدود اليمن بعد الاستقطاع والتشطير.

كما تمتد وقائع البحث التاريخية خلال العصور الحديثة والمعاصرة ليصبح المسرح السياسي الجغرافي للأئمة الزيديين الهادويين المعنيين في هذا البحث، أي حدود ما كانت تسمى بالمملكة المتوكلية اليمنية على النحو التالي :

يحدها من الغرب البحر الأحمر ومن الشرق القسم الشرقي للربع الخالي، ومن الجنوب الشطر الجنوبي سابقاً، ومن الشمال أقاليم عسير ونجران وجيزان[٢] وليس هناك مجال لهذا البحث بأن يتعرض لأسباب التحول والتغير في الحدود الجغرافية لليمن ذلك أن المهم في عرض الحدود المتغيرة هو فقط الإشارة إلى تعدل المسرح الجغرافي السياسي للأئمة الزيديين الهادويين، وأن الإشارة إلى حدود اليمن القديمة يعني تذكير اليمنيين بحدود وطنهم الكبير، مسرح حضاراتهم العظيمة وتاريخهم المجيد.

ذلك الوطن الذي يتغناه المؤرخون في مؤلفاتهم ومنهم الدكتور عبد العزيز سالم في مؤلفه " تاريخ الدولة العربية " والذي وضع اليمن في المرتبة الأولى وذلك في سياق سرده لتطور الدول في الوطن العربي منذ العصور القديمة، وذلك لاعترافه بأصالة الحضارة اليمنية القديمة باعتبار أن نظام الحكم في اليمن كان متقدماً ومتميزاً،، كما أنه لم يستعرض نشوء الدولة أو الدول اليمنية القديمة المتطورة كجانب سياسي فحسب، بل ولأن ذلك النظام السياسي قد كان إطاراً لحضارة شملت التطور في مجال الزراعة ولأهم السلع الزراعية التي تتطلبها تلك العصور، كما أشار أيضاً إلى الإبداعات الهندسية لليمنيين القدماء وخاصة هندسة السدود التي حل بها اليمنيون مشكلة الري، وأشار أيضاً إلى رأي المؤرخين من غير العرب الذين يشيدون بالحضارة اليمنية التي كانت تقام في أرض يمنت، أو يمنات الاسم القديم لليمن الذي فسره المؤرخون الأجانب بأنه يعني الخير والسعادة.[٣]

كما أن المهم أيضاً في هذا المؤلف للدكتور عبد العزيز سالم أنه أيضاً أشار إلى الجذر العرقي لليمنيين القدماء وذلك عندما أشار أنه مهما تعددت الدول اليمنية في وقت واحد ولكنها كانت تسمى " بالدول القحطانية " كدليل على إرتبطاها برابطة دم واحد وبوطن واحد هو العربية السعيدة[٤]، وليس بالعربيات السعيدات كما نستنتج من كتابات بعض الكتاب الذين بلغ بهم الأمر إلى وضع خرائط جغرافية للتمييز بين حدود دول يمنية وأخرى من الدول اليمنية القديمة، وذلك للتقليل من أهمية الوحدة التاريخية لليمن، وبالتالي النظر إلى وحدة اليمن الحالية كوحدة ضعيفة بدون أساس تاريخي متين[٥] ومثل هؤلاء الكتاب لم يدركوا بأنه مهما تنوعت أسماء ومواقع الدول اليمنية القديمة فإنه وكما أشرنا قد كان يطلق عليها بالدول القحطانية كدليل على انتمائها للجذر اليمني العرقي الواحد[٦] ، وهو الجنس الأكثر كثافة وقدما ولكن رغم تعدد تلك الدويلات الناتج عن ظروف التطور التاريخي فإن ذلك لا يعني عدم وجود عناصر هامة توحد وتربط بين تلك الدويلات مثل :-

١- اللغة اليمنية القديمة (لغة عرب الجنوب).
٢- الحروف اليمنية القديمة.
٣- الوحدة العرقية للقبائل القحطانية التي تنتمي إلى قحطان بين يعرب وكما سبق ذكره.
٤- وحدة الديانات اليمنية القديمة وخاصة الديانات الفلكية والطوطمية.
٥- وحدة أنظمة الحكم اليمني القديم نظام المكاربة (المقربين)[٧].

ومع ذلك لا يعني عدم قيام دولة يمنية مركزية واحدة في العصور القديمة توحد كامل الأرض اليمنية وخاصة عندما توفرت عوامل القوة لإحدى الدول اليمنية القديمة كدولة سبأ مما مكنها من استقطاب القوى السياسية في المناطق اليمنية الأخرى إلى دولة سبأ وحمير وتحت سلطة ملك واحد عام ٣٠٠م ذلك التوحد الذي تم بالتدريج وعلى النحو التالي :-

١- ملك سبأ وذو ريدان.
٢- ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت.
٣- ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت.
٤- ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانت واعرابهم في الجبال وتهامة[٨].

كما أن الدول القديمة مهما تنوعت مواقعها فإن وحدة الموقف الموحد ضد الغزو الأجنبي لليمن او لأي منطقة من أراضيه قد كان السمة المميزة لليمنيين بمختلف قبائلهم ودويلاتهم، حيث كانوا يقفون في خندق واحد لطرد الغزاة كما حدث أثناء الغزو الحبشي الاكسومي لليمن ، ونورد أسماء القبائل التي اشتركت في المقاومة المسلحة لذلك الغزو كما جاءت أسماؤها بالنقش، وباللغة اليمنية القديمة كما يلي[٩]

د وهخلف بحجر من يزد
ن كبشت حلفتهمو ذس
خلفو على كدت وذأكن
ير خلفتن وقسد وعسهو
نول سبأ أسحر ن مرت و
ممنت وحنشتم ومرثدم وح
تم نخلل وأزأنن أقول
ن معد كمرب بمن سميفع وحعف
وأخونهو بني أسلم وكأ
سبجره ذزنبر يأفقن بقه
ملكن بمشرعن وهو جهو وسمت
(أ) مصنعت كدر ويزد جمع دمطع
ربن كدت وحرب حضرموت و
أخذ مزنم هجن أزسرين وعـ

تشبرن وصحهمو صبخن وشت
أ) و وجمعو أجيشهمو حبشت
و) حمير م باالقّم بورخ ذقي
س) ن ذلسبعت وخمسي وست مأتم
وشتأو ووردو
مقلي سبأ وشأ
موبن صروح ع
لي نبطم عدي عب
رن وكو صحو نب
طم ذكيو سرو
تهمو كدر ألو
ولمد وحميرم
وخليفهمو وطه
وعودة ذي جدنم و
وصحهمو يزد بن
بطم وهعد همو يد

هو قدمي ذكين شـ
وتين وكو صحهم
وصرخم بن سبأك
ثبر عرمن وعودن
وخشم ومصرفت
ذأفن بورخ ذمذر
أ) ن ذلسبعت وبعدن
وصحهمو ذن عهدن
هقد صوبردنن بمرث
يذنن عربن ألهت
رأجبأ وعم يزد و
ككلهمو هعنو أيد
همو ورشفهمو بمر
ب) وسروتين ذهذ
كيو) كدر قرنو أقولـ
ن ألهت فندو ومل

يسمى هذا النقش ابرهه أو نقش مارب ويعبر عن أسماء القبائل اليمنية التي شاركت في الانتفاضة بقيادة زيد بن كبشه ضد الاحتلال الاكسومي لليمن.

وعندما ظهر الإسلام دخل اليمنيون الإسلام بقناعة ، وذلك بعد اللقاءات المتكررة التي كان يجريها الرسول(ص) مع اليمنيين الذين يذهبون إلى مكة في فترات الحج، وعندما أزداد عددهم اقنعوا باذان الوالي الفارسي على اليمن بقبول دعوة الرسول (ص) له بدخول الإسلام وذلك مقابل بقائه في الحكم هو واتباعه ، وقد دخل باذان الإسلام في السنة الهجرية السادسة الموافق ٦٢٨م في وقت كانت فيه إمبراطورية الفرس ضعيفة وضعفت معها العلاقة بوالي الفرس في اليمن وخاصة بعد مقتل إمبراطور الفرس كسرى الثاني بعام واحد[١٠]، وقد استمرت اليمن موحدة وتتبع الدولة الإسلامية المركزية في مكة خلال قرنين من الزمن وهي الفترة التي كان يطلق عليها بعهد الولاة، وكان والي صنعاء هو الوالي الرئيسي في اليمن[١١] وخلال تلك الفترة أنظم اليمنيون إلى حركة الفتوحات الإسلامية فأسهموا بدور كبير بفتح البلدان، واستقروا في البلدان الإسلامية الجديدة، كما انتشروا في بقاع الأرض ينشرون الإسلام ويذودون عنه[١٢] ولكن على الرغم من الدور البارز الذي أداه اليمنيون في الفتوحات والأحداث الإسلامية فقد كان لليمن دور ثانوي غير مؤثر في تقرير الأحداث الإسلامية الهامة، ومن جانب آخر فقد أسهم البعد الجغرافي لليمن في جعلها بعيدة عن اهتمام الخلفاء [١٣] لذلك نجد أن دولاً يمنية مستقلة نشأت في العصر الإسلامي، أو العصر الوسيط عملت على إعادة توحيد اليمن وكان لها دوراً عظيم في التاريخ [١٤] وسوف نستعرض تلك الدول في سياق عرضنا للدول الزيدية التي تزامنت معها.

ولكنه يجب الإشارة هنا بأن الفرق الإسلامية قد استفادت هي الأخرى من ذلك الضعف الذي نشأ في الدولة المركزية الإسلامية فأسهمت بدور كبير في تأسيس مثل تلك الدول المستقلة في اليمن ومنها الفرقة الزيدية[١٥]. فما هي الفرقة الزيدية ؟ وما هي ظروف انتشارها في اليمن ؟

ثانياً : الزيديةوانتشارهافي اليمن :

١- ما هي الزيدية ؟

الزيدية بالمفهوم الفكري والعقائدي هم اتباع الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ولد عام ٦٨٠م، ومن ينتسب إلى هذه الفرقة فهو زيدي وجمعه زيدية وليس زيود كما هو شائع لدى بعض العامة[١٦].

وقد أسس زيد حزبه الزيدي وذلك في غمرة الخلافات التي نشأت بين العلويين حول موقفهم من الخلافة الأموية، وخاصة بعد الكارثة الدموية التي حلت بالعلويين في كربلاء وقتل فيها الحسين بن علي وكل أبنائه باستثناء علي والد زيد[١٧].

وعلى الرغم من أن علي زين العابدين (والد زيد)، وكذلك أخاه محمد قد التزما التقية وذلك تحاشياً لأذى الأمويين لآل البيت[١٨] ـ لكن زيد أتبع أسلوب جده الحسين في مقاومة الأمويين وذلك لغيرته على الإسلام من تصرفات حكام أساءوا لقواعد الحكم الإسلامي فتجبروا في الأرض وحولوا الخلافة الإسلامية إلى حكم وراثي، وذلك لابتداعهم لمنصب ولاية العهد [١٩].

ومن أجل أن يحقق الإمام زيد أهدافه فإنه لم يكن ليهتم في الجوانب السياسية فحسب، بل وفي الجوانب الفكرية، ولذلك نجد إن زيد قد تمتع بثقافة واسعة، وتعمق في العلوم الدينية، وقد حصل على تلك العلوم والثقافات عن طريق والده في المدينة، ثم طورها بعد انتقاله إلى البصرة، حيث أطلع هناك على الآراء المتعددة ، والأفكار والديانات القديمة خاصة في البصرة حيث التقى هناك بواصل بن عطا مؤسس مدرسة المعتزلة وزميلة القديم في المدينة حيث استفاد من إلمامه بسائر الفرق الإسلامية واتجاهاتها الفكرية مما جعل زيد يصيغ نظريته ويرسم استراتيجيته السياسية[٢٠].

تلك الاستراتيجية التي لم يستند فيها زيد على فكر ومذهب المعتزلة فحسب، بل وعلى مذهب أهل السنة، وذلك من خلال زميل آخر له وهو أبو حنيفة الأمر الذي جعل زيد يتميز في فكره وتفكيره " حتى عند أفراد أسرته في " التشيع بما فيهم أخيه الباقر الذي استمر في تشيعه المفرط لعلي وللفرقة الإمامية التي تنتسب إليه، والتي تعتبر التشيع ضرباً من القداسة وجزءا من العقيدة الإسلامية وشرطاً لإسلام المسلم.[٢١] أما زيد فإن موقفه المبدئي المؤيد لخلافة الشيخين أبي بكر وعمر (الذين تعارضهما الشيعة) قد جعل زيد يخسر اتباعه من الشيعة والذين خرجوا عليه وهو في أمس الحاجة إليهم قبيل انفجار المعركة بينه وبين هشام بن عبد الملك، لذلك فقد أضطر زيد أن يواجه جيش الأمويين ومعه شرذمة قليلة العدد قاتلت معه ثلاثة أيام حتى قتل، كما قتل ابنه يحي الذي خرج على الأمويين عام ٧٤٤م أثناء حكم الخليفة

الأمــوي ولــيد ابن يزيد، وكان خروج يحي وأبيه زيد وذلك وفقاً لنظرية زيد القائلة " بامامة المفضول مع قيام الأفضل" والتي تطبق عبر الخروج على الحكام الظالمين والجهاد ضدهم[٢٢].

إن زيدية زيد لم تكن نظرية ثورية سياسية لمقاومة الحكام الظالمين فحسب، بل هي ايضاً نظرية عامة متفتحة وعقلانية، فهي ضد إثارة جراح الماضي من خلال تجنب الخوض في السلف الصالح الذي قد يؤدي إلى انقسام المسلمين، كما تنكر زيد لنظرية الحق الإلهي المقدس للحكام وعصمتهم من الأخطاء، وذلك وفقاً لقناعته وقناعة القاسم الرسي وهو من سلالة زيد الذين طوروا فكر الزيدية من بعد زيد[٢٣].

إن الــزيدية لــم تــتعرض فقط للأمور الدينية والسياسية فحسب بل للأمور الاقتصادية، حيث وضعت الزيدية في هذا الجانب بعض المؤشرات ومنها:

١- حث المسؤولين على التقشف بما في ذلك في الملابس والتي يجب أن لا تكون فخمة وذلك لأن الزيدية ترى بأن ذلك سوف يؤدي إلى التمادي في الأطماع.

٢- كما ترى الزيدية بأن يكون هناك توازن في الاستئثار بالثروة بين مختلف طبقات المجتمع، حيث أكدت الــزيدية على أن لا يكون هناك لهث وراء المكاسب التجارية الضخمة على حساب ما أحله الله للأيتام والضعفاء والأرامل وغيرهم وذلك على حساب تعطيل العدل والإحسان وانتهاك حدود الله.[٢٤]

أمــا القضــية الرئيســية والهامة والتي تميز الزيدية عن سائر الفرق الإسلامية فهي التفتح الفكري، فالــزيدية تــرى بــأن الفكر لا يحلق في الفضاء، بل شديد الارتباط بالواقع الموضوعي والظروف المادية للحياة، فكر يقتحم الواقع، ويرفض التقية والانتظار، لذلك فالزيدية تعتبر الإنسان يمتلك كامل إرادته وقدرته علــى خلــق أفعاله، ومن هذا المنطلق فإن الزيدية تحترم دور العقل، وتنتقص أي آراء لا تضيف للعلم أي جديــد.[٢٥] كــل ذلك قد جعل الزيدية تقف ضد الفرق الإسلامية التي تبني مقولاتها على التكفير والتفسيق واتهام المخالفين لها بالكفر والزندقة[٢٦].

وأخيراً نستشهد بشهادة الدكتور أحمد محمود صبحي، الذي يشيد بالزيدية بقوله : لا أستطيع – وكاتب هذه السطور من أهل السنة – أن أخفي إعجابي بالمذهب الزيدي للأسباب الآتية:-

١- أنــه فــي عصــر تدهــور الفكــر أنجبــت الزيدية مجتهدين كبار مثل : علي المقبلي، وابن الأمير ، والشوكاني، بينما عقمت سائر المذاهب التي تنتج مثلهم.

٢- لا أجد مذهباً أكثر سماحة وأعدل قصداً تجاه الخصوم من الزيدية.

٣- إن الزيدية أكثر فرق الشيعة اعتدالاً وميلاً إلى التفتح على المذاهب الأخرى.

٤- الدور الجليل الذي أداه الزيدية حين حملوا تراث المعتزلة، ولولا هم لقضت عليه أحقاد الخصوم"[٢٧].

٢-نشوء الدولة الزيدية الهادوية في اليمن :

تأسســت أول دولة زيدية في اليمن من قبل الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم بن إسماعيل بــن إبراهيم أبن الحسن ابن الحسن أبن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة عام ٨٥٩م قبل وفاة جده القاسم ابن إبراهيم الرسي بسنة واحدة[٢٨] وقد عزم الهادي على ضرورة تأسيس دولة زيدية، وهي القضية التي لم يتمكن جده القاسم من حلها، وكان عزم الهادي على تأسيس تلك الدولة في طبرستان وذلك بسبب وجود هناك نواة لدولة زيدية كثمرة من ثمار الدعاة الذين كان يرسلهم جده القاسم الرسي إلى هذه المنطقة وذلك بسبب بعدها عن أعين العباسيين وبسبب طبيعتها الجبلية الصعبة التي تحول دون وصول الجيوش العباسية إليها وإن وصلتها فإنها ستمنى بخسائر فادحه* [٢٩].

غــير أن رحلــته إلى طبرستان عام ٨٩٣م قد باءت بالفشل، ويعود السبب في ذلك على أن محمد بن زيــد الــذي يحكــم الدويلة الزيدية هناك قد أرسل إلى الهادي وزيره "الحكم بن هاشم" يمنعه من البقاء في طبرســتان، ومــن جانــب آخر فإن الهادي لم يصل إلى طبرستان وصول الضيف بل كان وصوله بطريقة اســتفزازية وانــتقاص بمحمد بن زيد، إذ اعتبر الهادي بان تسليم الإمامة إليه من قبل محمد بن زيد أمر محســوم غــير قابل للنقاش، كما أحاط الهادي موكبه عند الوصول بنوع من الكبرياء والعظمة. حيث شمل موكــبه أبوه وأعمامه، وبعض من أبناء عمومته، ومواليه، الذين كانوا أثناء الموكب يبالغون في تقديره، ولا ينادونه إلا بكلمة أمام توحي بأنه الإمام الفعلي القادم لطبرستان.[٣٠]

---

* تقع طبرستان على السواحل الجنوبية لبحر قزوين وجبال البورز، أي شمال إيران حالياً – أطلس الوطن العربي والعالم –الطبعة الأولى مؤسسة جيوبرو جكتكس – بيروت ١٩٨٧م – ص١٦٧.

لذلــك فقــد غــير الهادي رحلته من طبرستان إلى اليمن وذلك لبعد اليمن الجغرافي عن دولة الخلافة العباســية، ولمــا تتميز به من تضاريس جبلية تشبه تضاريس طبرستان، وكذلك بسبب رغبة اليمنيين في الاســتقلال عن دولة الخلافة الإسلامية وذلك بسبب إهمالها لهم رغم ما قدموه من تضحيات ودور فعال في الفتوحات الإسلامية.(٣١)

وكان الهادي قد استغل فرصة دعوة قبائل خولان له لحل الخلافات فيما بينها فأراد أن يستفيد من تلك الأجواء لتنفيذ مشروع دولته الزيدية الهادوية في صعدة.(٣٢)

غــير أن الهــادي وجد إن اليمنيين لم يذعنوا لتوجيهاته وأوامره(٣٣)، وهناك عامل آخر خارجي وهو حصول الهادي على معلومات تفيد بقدوم جيوش عباسية جهزت لطرده، فغادر اليمن وفشلت رحلته الأولى عام ٨٩٣م(٣٤).

غــير أن الهادي لم ييأس من تنفيذ مشروعه السياسي في اليمن، ولذلك فقد عاد ثانية إلى اليمن عام ٨٩٧م، وفــي هــذه الرحلة كانت الظروف مهيأة له أكثر من ذي قبل، حيث جاء بناءاً على دعوة من قبيلة فطــيمة فــي صــعدة والتــي كانت على خلاف مع أبناء عمومتها الأكليين والذين ينزعون بالولاء للخلافة العباســية، فــأراد بنو فطيمة توجيه ضربة للإكليين عبر الهادي.(٣٥) كما أن العلويين كانوا هذه المرة أكثر الحاحاً على الهادي للعودة إلى اليمن ثانية ومنهم، أقرباؤه من آل القاسم، الذين كان بعضهم ينظر إلى نجاح الهــادي في تأسيس دولته مجرد مصدر للرزق وللغنائم التي سوف يحصلون عليها ومن هؤلاء عمه محمد بــن القاســم الرسي الذي قال للهادي وهو يودعه " يا أبا الحسين أتراني أعيش إلى وقت، توجه إلي مما غنمــته ولو بمقدار عشرة دراهم اتبارك بها" ولذلك فقد توجه الهادي هذه المرة إلى اليمن ومعه مجموعة مــن العلوييــن، كما أنه لم يتوجه إلا بعد أن أرسل أحد رجالاته للاستطلاع وهو محمد بن سليمان الكوفي، أحد رواة سيرته.(٣٦)

ولذلك فقد تمكن هذه المرة من تأسيس نواه لدولة زيدية هادوية في صعدة، ثم أخذ في التوسع إلى أن شمل نفوذه معظم الأراضي اليمنية، غير أن ثورة يمنية شاملة قام بها اليمنيون عام ٩٠٢م ضد الهادي قد أدت تلــك الــثورة إلى خسارة الهادي لكل المناطق التي كان قد استولى عليها، ثم عاد إلى صعدة من جديد وهــو لا يســيطر إلا عليها وعلى بعض المناطق المجاورة لها، وقد توفى الهادي في أغسطس عام ٩١١م والقتال يدور بين قواته وقوات علي ابن الفضل على مشارف صعدة (٣٧).

وقــد عرفــت اليمن منذ قدوم الهادي إلى الحق وحتى انتهاء الإمامة الزيدية الهادوية ٧٢ اماماً، ولم يحكــم هــؤلاء مــنطقة محددة وثابتة من البلاد، إذ تتوقف رقعة حكم هذا الإمام أو ذاك على قوته وضعف خصــومة، إذ نرى أن تلك الرقعة تتسع لتشمل اليمن كله، ثم سرعان ما تنكمش تلك الرقعة بحيث لا يبقى بأيدي الإمام سوى صعدة، مركز الأئمة، وملاذهم منذ حكم الهادي إلى الحق.(٣٨)

ثالثاً: السياسة الطائفية لأئمة الزيدية الهادوية وأثرها على الوحدة السياسية والاجتماعية والسيادة الوطنية لليمن.

١- سياسة الهادي إلى الحق يحي بن الحسين وخلفائه وتأثيرها على وحدة وسيادة اليمن.

لقــد أشــرنا كيف أن الإمام الهادي إلى الحق قبل أن يؤسس دولته في اليمن قد تعرض إلى صدمتين نفســيتين الأولــى في طبرستان والثانية في اليمن" في رحلته الأولى عام ٧٩٣م" تلك الصدمتان وما ترتب عليهما من سلوك وممارسات خلال رحلة الهادي الثانية إلى اليمن عام ٨٩٧م عندما تحقق له بعض النجاح فــي نشــر دعوته، وتأسيس نواة لدولته الزيدية في اليمن، ونظراً لأن ممارسات الهادي تلك تتعارض مع ممارسات زيد وأفكاره وسلوكه العظيمة فقد اعتبر بعض المؤرخين والمفكرين بأن الهادي لا يهتدي بأفكار زيد ومبادئه ومذهبه بل يسير وفقاً لمذهب خاص به يسمى بالمذهب الهادوي.(٣٩)

وكــان أول خــرق يرتكــبه الهادي لتعاليم المذهب الزيدي هو حصره لحكم الإمامة على أبناء فاطمة الزهراء.(٤٠)

لذلــك فإن حصر الهادي حق الإمامة على أبناء فاطمة قد ترتب عليه وضع أول بذرة من بذور الفتنة فــي المجتمع اليمني أدت إلى انقسامه مؤخراً إلى طائفتين كبيرتين هما : الزيدية والشافعية كما سنوضح. كما أن حصر هذا الحق الإمامي على أبناء فاطمة يحرم اليمنيين الذين لا ينتمون إلى هذه السلالة من قيادة وطنهم، حيث إذا تعذر الحصول على إمام من اليمن وفقاً لاشتراط الهادي فإنه يتحتم البحث عنه من خارج اليمن.

وقد أثارت هذه النظرية العرقية الانقسامية للهادي ، مشاعر العالم اليمني الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني الذي تزامنت فترة تواجده في صعدة مع فترة حكم الإمام الناصر من سلالة الهادي، الأمر الذي جعل الهمداني ينقض النظرية العرقية الهادوية في الحكم بنظرية وطنية تعطي الحق لليمنيين في حكم وطنهم بأنفسهم، وقد علل الهمداني نظريته تلك بالقول :

١- أن اليمنيين يشكلون كياناً سياسياً متميزاً في الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام.
٢- أن اليمنيين يستطيعون الاستلهام من حضارتهم عناصر تكوين دولتهم الجديدة.
٣- أن اليمنيين يعتزون بأنفسهم وذلك لأنهم اسهموا في تطور البشرية وفي نشر الدين الإسلامي، ولذلك فإنهم ليسوا بحاجة لمن يحكم بلدهم من خارجها.(٤١)

ولذلك وأمام الحصانة الحضارية لليمنيين التي أشار إليها الهمداني فإن دعوة الهادي لتوسيع دولته الزيدية لم تجد الاستجابة من قبل اليمنيين، الأمر الذي جعله يفرق بين اليمنيين من خلال ضرب جماعة بأخرى وقبيلة بأخرى وقد بدأ باستخدام هذا الأسلوب أثناء محاولته لمد نفوذ دولته إلى صنعاء حيث واجه هناك دولة يمنية مركزية هي الدولة اليعفرية كما سنوضح.

فالدولة اليعفرية والتي تأسست عام ٨٧٥م واستمرت حتى ٩٠١م قد اتخذت من شبام كوكبان عاصمة لها، وتوسعت في الأراضي اليمنية ، بحيث أمتد نفوذها حتى حضرموت.(٤٢)

ومن أجل القضاء على دولة بني يعفر فإن الهادي قد خطط أولاً لاحتلال صنعاء (معقل بني يعفر وحلفائهم من بني طريف) غير أن الهادي لم يستخدم في بادئ الأمر أسلوب المواجهة العسكرية ، وذلك لشعوره بالعجز في مواجهة دولة قوية ذات نفوذ، لذلك رأى بأن أفضل أسلوب هو إحداث شرخ داخل التحالف اليعفري – الطريفي) فعمل على كسب واستمالة والي اليعفريين على صنعاء وهو عبد الله بن بشر بن طريف، المكنى "بأبي العتاهية"، فقام أبو العتاهية بانقلاب داخلي على اليعفريين، سلم بموجب ذلك الانقلاب صنعاء ومخاليفها، وجميع ما كان بيده للهادي ثم أقسم له بيمين الولاء والطاعة(٤٣).

كما لم يتوانى الأئمة الزيديون الهادويون أيضاً في القضاء على دولة علي ابن الفضل الفلاحية، تلك الدولة التي تأسست في ثمانينات القرن التاسع الميلادي ، وفي منطقة جيشان والتي كانت تمثل المركز التجاري لمنطقة سرو حمير، أو سرو يافع وقد تمكن ابن الفضل من إسقاط المناطق اليمنية الواحدة تلوى الأخرى حتى تمكن من إخضاع صنعاء عام ٩٠٥م ،غير أن القوى الإقطاعية والرجعية ومنهم الزيديون الهادويون قد حشدوا قواتهم في تحالف عسكري كبير تمكنوا من خلاله من إسقاط عاصمة ابن الفضل في المذيخرة في لواء اب ، وذلك عم ٩١٦م، وبعد حصار المدينة لمدة عام، وكذا بعد اغتيال علي ابن الفضل ، بالسم(٤٤) غير أن ما يميز الزيديين الهادويين عن قوى التحالف الذي قضى على دولة علي ابن الفضل هو ان دورهم أي الزيديين قد استبق تلك التحالفات، حيث مهد الزيديون لذلك الهجوم بشن هجمات متوالية على مواقع نفوذ دولة علي ابن الفضل بهدف مشاغلتها وإضعافها حيث وصلت تلك الهجمات والغزوات حتى مدينة عدن، وهي من مناطق نفوذ علي ابن الفضل(٤٥).

ومما جعل الزيديين الهادويين والفرق الإسلامية الأخرى يحاربون ابن الفضل بنوع من الحساسية والشراسة هو أن علي ابن الفضل قد تخلى عن انتمائه المذهبي للإسماعيلية وذلك من أجل إنجاح مشروعة الوحدوي على أسس وطنية يمنية.(٤٦)

وكان الزيديون والتحالف المعادي لعلي ابن الفضل قد مهدوا لهجومهم ضد ابن الفضل بهجوم أيديولوجي وخاصة بعد خروجه عن المذهب الإسماعيلي، حيث فسروا ذلك بأنه انحراف عن الإسلام، غير أن الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف دافع عن ابن الفضل واعتبر أن التهم التي وجهت ضده كانت باطلة، وأنه انشق عن الإسماعيلية لأنه كان وطنياً غيوراً على وطنه اليمن.(٤٧)

لذلك فما من شك بأن الخيار الوطني الذي اختاره ابن الفضل كأساس لدولته " وهو الخيار الذي وضع وفق نظرية الهمداني، التي سبق وأن أشرنا إليها" قد كان العامل الأول في استماتة أعداء ابن الفضل وخاصة الزيديين، الذين يرون بأن أسلوب ابن الفضل في التخلي عن الإسماعيلية يعني حث اتباع الزيدية الهادوية في اليمن على السير على نفس الطريق والأسلوب، مما يحرم الزيدية من مقومات بقائها في اليمن، سيما وأن الأئمة الزيديين في تلك الفترة كانوا من خارج اليمن، ومن الصعب عليهم أن ينشطوا في اليمن على قاعدة وطنية.

أمـــا اليمنيـــيون فعلـــى العكس من ذلك فهم قادرون على تأسيس دولهم في أية وقت ومكان ، طالما اســـتندوا في الأساس على معايير الانتماء للوطن اليمني، ولذلك نجد أنه رغم تلك الكارثة التي تعرضت لها الدولة الفلاحية بقيادة ابن الفضل ، فقد ظهرت دولة مركزية أخرى أكثر اتساعاً من دولة ابن الفضل وأكثر قوة هي الدولة الصليحية كما سيأتي.

تأسســت الدولة الصليحية (١٠٦٤-١١٣٨م) [٤٨]، وقد أثار تأسيسها الزيديين الهادويين الذين أخذوا يعــرقلون من انتشارها واتساعها، وقد تحالف الزيديون بقيادة أمامهم أبي الفتح، مع زعامات من اليمن الأســفل بقــيادة جعفــر بــن العباس "ويبدو أن هذا التحالف هو شكل من أشكال إثارة الصراع بين منطقة وأخــرى"، غير أن الصليحيين بقيادة علي بن محمد الصليحي ، تمكنوا من القضاء على ذلك التحالف حيث انتهــت الحرب بمقتل جعفر بن العباس، وفرار الإمام أبي الفتح الذي أخذ ينتقل من منطقة إلى أخرى حتى وصل إلى عنس، وهناك اعترضته قوات الصليحي وقتلته ونكلت بأنصاره [٤٩].

وقد أعطت تلك الانتصارات للدولة الصليحية شهرة ومكانة وقوة، فاتخذت من صنعاء عاصمة لها، بعد أن ظمــت إليها كامل الأرض اليمنية، حيث ولأول مرة فإنه لم يبق من الأرض اليمنية لا سهل ولا جبل ولا بحر إلا وهو تحت سيطرتها بما في ذلك صعدة معقل الزيديين، وفي عهد المكرم نقل الصليحيون عاصمتهم إلـــى جــبلة فـــي منطقة إب[٥٠]. غير أن الزيدية وقد حولها الهادي وتابعوه إلى حزب سياسي له أعضاء وأنصار لم تمت كلية رغم السيطرة الصليحية على معقلها في صعدة، فقد نشطت من جديد في وسط قبائل همدان وحاشد وبكيل والتفت حول الإمام القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم العياني إماماً لها، ثم دخلت مع الصــليحيين فـــي معركة عسكرية في منطقة " حاز" في همدان غير أن الإمام الجديد لم يستلم، فتحصن في المهربة " وهي حصن في وادعة" غير أن الصليحيين تعقبوه وهزموه وأسروه.[٥١]

غــير أن تلــك الهــزيمة لــم تثن الزيديين من مواصلة نشاطهم في القضاء على هذه الدولة اليمنية المركــزية ن فقــد ظهرت مقاومة زيدية في دبيان يتزعمها الإمام الزيدي الشريف بن الفاضل بن جعفر بن الإمـــام القاســم ثم استمرت الحرب سجالاً بين الزيديين والصليحيين[٥٢]، إلى أن ترجحت كفة الزيديين من خــلال جــبهة أخرى فتحها النجاحيون ضد الصليحيين، وكان النجاحيون قد تم القضاء عليهم أيضاً من قبل الصليحيين، ولكن حرب الزيديين مع الصليحيين قد أعاد لهم الانتعاش، سيما بعد أن تمكنوا من اغتيال علي محمد الصليحي في قرية المعجم[٥٣].

ولكن على الرغم من الحرب المستمرة التي قام بها الزيديون الهادوين ضد الصليحيين فإنه مع انهيار الدولــة الصليحية ، التي سببتها تلك الحروب وموت الملكة أروى عام ١١٣٨م فإن البديل للصليحيين ليس الزيديــن الهادويين بل عدة دويلات صغيرة على طول اليمن وعرضها بما فيهم دولتان زيديتان متنافستان الأولـــى بصعدة بقيادة الاشراف من سلالة الهادي والثانية بشهارة ويقودها أبناء القاسم العياني، وقد ساعد ذلك التشرذم إلى احتلال الأيوبيين لليمن.[٥٤]

غــير أن الزيديين لم يكونوا بعيداً عن ذلك الاحتلال الأيوبي لليمن فقد أرسل الزيديون رسولاً مشتركاً عنهم وعن الأشراف السليمانيين إلى صلاح الدين الأيوبي، والرسول هو قاسم بن يحي بن حمزة، وتتضمن مهمة الرسول أخطار الأيوبيين باحتلال اليمن، ووعد الفاطميين بمساندتهم، وكانت اليمن في تلك الفترة في حالة حرب بين أبن المهدي وبني حاتم.[٥٥]

ويــبدو إن الزيديين الهادويين لم يكن بمقدورهم في تلك الفترة القيام بأي توسع لدولتهم فهم من جهة لــم يــزالوا يعانون من الضربات التي وجهها لهم الصليحيون كما سلف ذكره، ومن جهة أخرى فإن هناك دويــلات كثــيرة في الساحة اليمنية بعضها قوية، ولم يكن بمقدور الدولة الزيدية القضاء عليها ومن تلك الدويــلات : دولـــة بني زريع الهمدانيين في عدن، ودولة بني حاتم في صنعاء، وما جاورها ، وإمارة آل شــرحبيل الهمدانييــن فـــي الجريب من بلاد حجور، وإمارة سلاطين جنب في ذمار ورداع، ويريم وخولان وسنحان [٥٦]، وحكم آل راشد بن شحطمة في تريم في حضرموت.[٥٧]

ولذلــك فقــد عمل الزيديون بالمثل الأسطوري القائل (علي وعلى أعدائي) فضربوا تلك الدول اليمنية بالايوبييــن وليكسبوا لهم رصيداً عند الأيوبيين يجنبهم من أي ضربة محتملة ، كما يبدو، ويغطوا الطرف عن نشاطهم وتوسعهم العقائدي، أما تأسيس دولة زيدية فمن المستحيل.

ذلك إن الأيوبيين منذ وصولهم فإنهم لم يثقوا بالحكام المحليين بل ذهبوا يبطشون بالمسيء والمحسن على حد سواء، حيث امتلأت بهم المعسكرات على طول اليمن وعرضها وكانوا يتحدثون بلهجات ورطانات كانت غريبة على اليمن منذ ان حكمه الأحباش والفرس حسب تعبير الأستاذ عبد الله محيرز.[٥٨]

ومــع ذلــك فإن حكم الأيوبيين الذي استمر من (١٧٣-١٢٣٢م) قد تميز أيضاً بالسلب والنهب والتهريب للثروات اليمنية.(٥٩)

وبعد رحيل الأيوبيين من اليمن، وحلول بني رسول محلهم ، يكونون دولة مركزية وطنية، بدأ الزيديون بمشاكلة ومهاجمة هذه الدولة ، التي تحققت في ظل حكمها أعظم المنجزات للشعب اليمني كما سنوضح.

فالرســوليون كانوا قادة مع الأيوبيين أثناء احتلالهم لليمن، غير أنهم وكما يؤكد الأستاذ حمزة لقمان عن الخزرجي في مؤلفه العقود اللؤلؤية، بأنهم أي الرسوليين من أصول يمنية وأن كلمة رسول لقب وليس اسم علم.(٦٠)

ويــبدوا أن شــعور مؤسسي هذه الدولة (والتي تأسست عام ١٢٣٢ واتخذت مدينة تعز عاصمة لها) شــعور وطنــي واعــتزاز بالانتماء لليمن وذلك عندما قاموا بإنهاض اليمن وتعميرها وعملوا على ازدهار العلــوم المخــتلفة كالطب والرياضيات والتاريخ وغيرها، لدرجة أن بعض المؤرخين يعتبرونها أعظم دولة يمنية بعد سقوط الدولة الحميرية.(٦١)

ولكــن رغم عظمة هذه الدولة، وعظمة إنجازاتها، فإنها لم تسلم من أذى الزيديين الهادويين الذين لا تهمهم تلك المنجزات بل كل ما كان يهمهم هو تأسيس دولة للعلويين حتى ولو كانت على أرض صحراوية، لذلك نجد إن هذه الدولة (الرسولية) قد ظلت عرضة لمعارضة الزيديين الهادويين الذين تسنى لهم الانتعاش خلال فترة حكم الأيوبيين.(٦٢)

غــير أن أبــرز هجمات الزيديين الهادويين ضد معاقل بني الرسول هي الهجمات التي حدثت في فترة حكم الملك الرسولي الأشراف إسماعيل، حيث غزت قوات الامام الناصر مدينة عدن ولكنها واجهت مقاومة شــديدة من قبل سكان المدينة عام ١٣٧٨م وقد أدت المعارك إلى وقوع قتلى من الطرفين، ومن جانب آخر فــإن قــوات الإمــام الناصر قد أصيبت بمرض الجدري، والذي فتك بالكثير من أفرادها، كل ذلك قد جعلها تنسحب من ميدان المعركة.(٦٣)

إن معارضة الزيديين الهادويين للدول المركزية اليمنية لم يتوقف فبعد انهيار الدولة الرسولية والتي وصلت حالــة مــن الضــعف والانحلال، فإن هذه الدولة قد تعرضت لعدوان الزيديين منذ قيامها كما سنوضح قام الإخــوان عامر بن طاهر وعلي بن طاهر بانقلاب ضدها وأسسوا دولتهم الطاهريه عام ١٤٥٤م (٦٤). فإن هذه الدولة قد تعرضت لعدوان الزيديين من قيامها كما سنوضح.

وقــد اتخــذت هذه الدولة من المقرانة عاصمة لها، وبسطت نفوذها على معظم الأرض اليمنية بما في ذلك مناطق نفوذ الدولة الزيدية الهادوية باستثناء الجزء اليسير(٦٥).

وقد بلغت الدولة الطاهرية شأناً عظيماً في العلوم الفلكية والرياضية والبحرية والتاريخية وغيرها.(٦٦)

ونظــراً لقــوة هــذه الدولة فقد تمكنت من التصدي للغزو الأجنبي البرتغالي والمملوكي الطامحين لاحتلال موانيها البحرية(٦٧).

غــير أن الدولــة الزيدية أخذت تعارض الدولة الطاهرية منذ قيامها، وقد فقدت الدولة الطاهرية وهي تحــارب الدولة الزيدية " بقيادة الإمام الناصر" الكثير من قادتها ومنهم الشيخ محمد بن طاهر شفيق عامر بــن عبد الوهاب وذلك أثناء هجوم الإمام الناصر على مواقع الطاهريين في صنعاء عام ١٤٦١م، غير أن الطاهريــن هــاجموا في العام التالي الإمام الناصر الذي كان قد احتل ذمار فاستعادها الطاهريون، ثم هرب الإمام الناصر إلى هران ومنها إلى صنعاء فأسره أهل عرقب.(٦٨)

وفــي عام ١٤٦٦م أتفق الملك الطاهري الظافر مع المؤيد إبن الإمام الناصر ؛ أي الإمام الأسير، بأن يتوقف القتال، وأن يبقى المؤيد في صنعاء، غير أن الزيديين نكثوا بالاتفاق،وقتلوا الإمام الظافر عند أبواب صــنعاء، فحــل الملــك الطاهري المجاهد محله، وقد رأي هذا بأن يتفرغ للبناء وقام ببعض الإنجازات مثل تحقــيق الأمــن وبــناء المــدارس والمساجد وتنظيم أمور البلاد، وعلى أن يترك الدولة الزيدية في مواقع نفوذها.(٦٩)

غير أن الزيديين الهادويين لم يكن ليهمهم أي إصلاح أو بناء بقدر ما كان يهمهم إزاحة الدول اليمنية القويــة مــن أمــامهم سـيما وأن نفوذ الدولة الطاهرية قد امتد إلى قبائل حاشد وبكيل، ولذلك فقد أخطر الزيديون الهادويين إلى الاستنجاد بقوى أجنبية للقضاء على الدولة الطاهرية، فاستغلوا تواجد المماليك في جزيــرة كمــران اليمنية وذلك لتعقب تحرك البرتغاليين، فاتصل بهم الإمام المطهر بن شرف الدين للتعاون معهــم ضد الطاهرين، كما تعاونت ضد الطاهريين قوى ثالثة هم أشراف جازان، وقد استخدمت هذه القوى

الأسـلحة النارية وتمكنت من إسقاط كل المناطق التابعة للطاهرين عام ١٥١٧م باستثناء مدينة عدن التي بقيت تحت سيطرة الأمير الطاهري عامر بن داؤود.(٧٠)

لذلـك نجد أنه خلال فترة الحكم المملوكي لليمن لم تحدث أي معارك تذكر بينهم وبين الأئمة الزيديين، حيث استقر المماليك في زبيد، بينما تقدم الأئمة الزيديون وسيطروا على صنعاء وخاصة الإمام شرف الدين وابنه المطهر(٧١).

غـير أن عاصـفة هبت من القسطنطنية فعصفت بسلطة المماليك في مصر عام ١٥١٧م، ثم استمرت تلـك العاصفة العثمانية فعصفت بسلطة المماليك في اليمن وقضت على حكم الدولة الزيدية في صنعاء، وما بقـي مـن سلطة الطاهريين في عدن وذلك عام ١٥٣٨م.(٧٢) وبهذا الاحتلال العثماني الغاشم تتخذ سياسة الأئمة الزيديين أسلوباً أكثر تعقيداً تجاه الوحدة كما سنوضح.

٢- الأئمة الزيديين القاسمين ورؤيتهم وسياستهم الوحدوية في اليمن:

نظـراً لتعرض الأرض اليمنية للاحتلال العثماني بما في ذلك مواقع الدولة الزيدية " الهادوية" فقد هب الشـعب اليمنـي بكاملة لمقاومة الاحتلال العثماني بما في ذلك الزيديون الهادويون الذين تعرضت مواقعهم ايضاً لخطر الاحتلال العثماني.(٧٣)

غـير أن ما يميز الأئمة الزيديون " الهادويين" أنهم قد استفادوا من علاقتهم مع المماليك فكانوا أفضل قوة من غيرهم من القوى السياسية كما أسلفنا وبهذا نجدهم يتزعمون المقاومة الشعبية ضد الأتراك ولكن وفقاً لما تمليه مصالحهم كما سنوضح.

فالأئمـة كـانوا بيـن الحيـن والأخـر، وخلافـاً عن بقية الزعماء المحليين كانوا يعقدون صلحاً مع العثمانيين، بينما بقية المناطق كانت تواصل المقاومة، وكان أهم صلح هو ذلك الذي عقد بين الإمام المطهر والقائد التركي سنان، وذلك أثر هزيمة المطهر في منطقة ثلا، وكذلك الصلح الذي عقد بين الإمام القاسم بن محمـد "مـن سلالة الهادي" " ومؤسس الدولة القاسمية والملقب بالمنصور" وبين العثمانيين عام ١٦٤٧م ونص الاتفاق على اعتراف العثمانيين بما في يد القاسم من مناطق.(٧٤)

غير أن الأتراك العثمانيين هم الذين نقضوا الاتفاق مما أجبر المؤيد بالله محمد بن القاسم " الذي خلف والـده المنصـور بعـد موتـه" أجـبره على العودة إلى المقاومة، وكان ذلك أثر اكتشاف الأتراك بأن أحد المـواطنيـن مـن وادي ظهـر وفـي مـنطقة نفوذ العثمانيين كان يجمع الزكاة ويرسلها للمؤيد وليس للعثمانيين.(٧٥)

ولـم تكن الجماهير اليمنية " خارج نفوذ الدولة الزيدية الهادوية القاسمية" لتعترض على ذلك التذبذب والعـودة إلـى المقاومة من قبل الأئمة طالما والهدف النهائي هو الاستقلال، كما أن الجماهير في المناطق الأخـرى كـانوا أيضاً يفتقدون إلى عناصر قيادية وذلك لانهم خسروا مثل تلك القيادات خلال مراحل الكفاح السـابقة ضد الغزاة السابقين، بينما كانت الزعامات الزيدية الهادوية لم تشهد مثل تلك الخسارة ولذلك فقد كـانوا أكثر قوة وتنظيماً عن غيرهم من القوى السياسية الأخرى وأكثر استعداداً لقيادة دولة الاستقلال بعد جلاء العثمانيين من اليمن (٧٦) ولم تكن المناطق الأخرى لتعترض على حكمهم لأن المهم هو كيف يحكمون وبـأي طريقه، ثم كيف يتعاملون مع الزعامات المحلية التي نشأت بسبب الفراغ الذي نشأ منذ سقوط أخر دولـة وطنية وهي الدولة الطاهرية، تلك القيادات التي ظهرت تحت اسم، سلطان،شيخ، أمير، وخاصة في المناطق الجنوبية والشرقية.(٧٧)

وكـان علـى أئمة الدولة القاسمية، وهم يسعون لإنشاء دولة مركزية توحد كل المناطق اليمنية تحت قـيادتها أن يقـنعوا أولئك الحكام المحلين الانضواء تحت مظلة هذه الدولة الجديدة بطواعية. غير أن أئمة هـذه الدولة قد تعاملوا مع سكان تلك المناطق وكأنهم كفار، وأن التوسع الذي يقومون به في هذه المناطق مـا هـو إلا نوع من الفتوحات الإسلامية، وهو المصطلح الذي كان يستخدمه العرب والمسلمون منذ فجر الإسـلام، وكـرره مؤرخـو الدولـة الزيدية، وخاصة، بعد ضمهم المناطق الجنوبية والشرقية إلى الدولة القاسمية.(٧٨)

لذلـك وتحـت هذا المصطلح، شن الزيديون القاسميون هجومهم بقيادة أحمد بن حسن خلال الأعوام، ١٦٤٤، ١٦٥٤، ١٦٥٦م، واحـتلوا كـلاً مـن لحج وعدن ثم بلاد البيضاء ويافع، ثم حضرموت وظفار، مستخدمين أثناء هجومهم ابشع أساليب العنف والإبادة.(٧٩)

ولـم يكـن الحافز الأول لأحمد بن حسن هو إعلان رأيه المذهب الزيدي على حساب المذاهب الأخرى فحسب، بل كانت الغنائم هي الحافز الأول، وخاصة الغنائم التي نهبها من لحج، وبالذات أموال الأمير حسين عـبد القادر اليافعي أمير عدن ولحج وأبين، تلك الأموال والتي من كثرتها فقد كادت أن تعرقل عليه الحق في الإمامة الزيدية، وذلك بعد وفاة الإمام المتوكل، حيث أنكر عليه بعض العلماء بأن ما تحت يده من أموال كثيرة قد اكتسبها حلالاً، فأبرز أحمد بن حسن لهم مرقوم بختم الإمام المتوكل يبرهن فيها بأنه منحه جميع الأمـوال والغنائم التي غنمها من تلك المناطق، بل وأردف أحمد بن حسن بقوله : بأن هذه الأموال والغنائم قد غنمناها من أولئك الذين تعتقدونهم عاطلي المذهب فقط، أما أنا فأعتقدهم كفار التأويل.[٨٠]

ونسـتنتج مـن كـلام أحمـد بن حسن كيف أن الأئمة الزيديين القاسميين من ذوي النزعة الهادوية يعتـبرون سـكان المـناطق الجنوبية والشرقية كفاراً وأن أموالهم حلالاً للزيديين الهادويين، ولذلك فان ما يمارسونه من ضم وإلحاق لهذه المناطق قد كان فتحاً إسلامياً وليس توحيداً للأرض اليمنية.

ولذلـك فإن هذه السياسة المذهبية الضيقة وما رافقها من بطش وإرهاب وكذا أساليب النهب والسلب والسـرقة التـي استخدمها جنود الدولة القاسمية في المناطق التي يحتلونها، إلى جانب الضرائب الباهظة، التي كانوا يفرضونها، وأدت إلى خراب الزراعة، وإفلاس الفلاحين وأصحاب الحرف.[٨١]

كـل تلـك السياسـة ولأن دولة زيدية تحكم اليمن بأسره، فإنها قد قدمت نموذجاً سيئاً ومنفراً للوحدة اليمنـية، وفوق هذا وذاك فإن خلافات وانقسامات قد سادت صفوف الأئمة الزيديين، وأدت إلى زعزعة ثقة الشعب بهم وبدولتهم المركزية.[٨٢]

وكـان الصراع بين أئمة الدولة القاسمية امتداد لصراع الأئمة الزيديين الهادويين منذ حكمهم لليمن، لدرجة أن مثل هذا الصراع كان يحدث بين أئمة أخوة كما حدث لأبناء الناصر أحمد ابن الإمام الهادي.[٨٣]

والصـراع بيـن الأئمة هو تطبيق خاطئ ومشوه لنظرية زيد حول خروج أكثر من إمام في آنٍ واحد، يشهر سيفه، ويطلب حق الإمامة كما سبق وأن أشرنا، غير أن هؤلاء لم يدركوا بأن خروج زيد وأبنه يحي قـد كـان بسـبب شعورهم بأن الحكم الأموي حكم ظالم وساد فيه الفسق والاستبداد، وليس خروجاً لمجرد خلاف، أو نزوة في سلطة كما حدث للأئمة الزيديين الهادويين، وخاصة أئمة الدولة القاسمية الذين عززوا القـناعة لـدى اليمنيين من أصحاب المذاهب الأخرى بأن لا جدوى بأن يكونوا تابعين للأئمة غير قادرين على توحيد أنفسهم.

إن ذلـك الصراع الذي استمر فترة من الزمن ودون توقف،[٨٤] إلى جانب صراع الأئمة مع الجماهير الرافضة لحكم الدولة القاسمية، واستخدام الأئمة القمع ضد المعارضين، فإن ذلك قد أدى إلى انسلاخ الكثير من المناطق عن حكم الدولة القاسمية، وخاصة المناطق الجنوبية والشرقية من اليمن.[٨٥]

إن الخـلاف بيـن الأئمة لم يؤد إلى انسلاخ الكثير من المناطق عن الدولة المركزية القاسمية فحسب، بل وإلـى غـزو الأتراك لليمن ثانية أبان حكم عبد الحميد الثاني، حيث أدى الخلاف الذي كان دائر بين الإمام محمـد بيـن يحـي والإمام علي بن مهدي إلى تقرب الإمام محمد بن يحي للقائد التركي توفيق باشا نائب السـلطان عبد الحميد الثاني في جده، فأصطحب محمد بن يحي توفيق باشا وادخله هو وقواته إلى صنعاء عـام ١٨٤٩م، وإن كانت محاولة محمد بن يحي هذه قاد أدت إلى غضب الجماهير في صنعاء، ومقاومتهم للأتـراك، وعـزل محمد بن يحي، واختيار علي بن المهدي إماماً بديلاً عنه[٨٦]، غير إن الأتراك العثمانيين الذيـن انسـحبوا إلـى الحديده قد ظلوا يترقبون إلى مزيد من الخلافات بين الأئمة حتى تمكن قائد القوات العثمانـية في عسير مختار باشا من احتلال صنعاء عام ١٨٧٢م، وقد ساعد على دخوله سأم اليمنيين من حكم الحكام المتنازعين، إذ فضلوا أي حكم أخر بديلاً لحكم الأئمة يوفر لهم الأمن والاستقرار.[٨٧]

وهكـذا فإذا كانت تجربة الدولة الزيدية القاسمية قد انتهت بانفصال مناطق يمنية عن الدولة المركزية وتحولها إلى دويلات صغيرة، كما انتهت أيضاً بالاحتلال العثماني الثاني لليمن.

فما هو أذن موقف أئمة بيت حميد الدين من الوحدة اليمنية والسيادة الوطنية لليمن؟ سيما وأنهم ينتسبون أيضاً إلى بيت القاسميين الهادويين كما سنوضح.

٣-موقف أئمة بيت حميد الدين من الوحدة اليمنية والسيادة الوطنية لليمن.

تـبدأ فـترة حكم أئمة بيت حميد الدين في عام ١٨٩٠م وذلك بتولي الإمام محمد بن يحي حميد الدين حكم الإمامة الزيدية.[٨٨]

وكـان تولي محمد بن يحي حميد الدين السلطة الإمامية الزيدية وذلك إثر المناظره الدينية بين الأئمة الزيديين، والتي فاز بها الإمام محمد بن يحي حميد الدين.(٨٩)

ولا يسـعنا هـنا إلا أن نعلـق أولاً علـى تلك المناظره بين الأئمة الزيديين، فهي بحد ذاتها عملية ديمقراطية، ولكنها ضيقة، لأنها تحصر نظام الحكم على أبناء مذهب واحد هو المذهب الزيدي، وكأنه مذهب ملزم لكل اليمنيين رغم تعدد مذاهبهم، ولذلك فإن هذه العملية تعتبر عملية انفصالية لأنها تعطي الحق لبقية اليمنيـين مـن المذاهب الأخرى بأن يبحثوا لهم عن أئمة وقادة من الدين يدينون في مذاهبهم، إذ كان من الأجـدر أن تكـون هـناك مـناظرة بين مختلف علماء اليمن في قضايا دينية إسلامية تتفق حولها مختلف المذاهـب، سيما وأن الإمام الناجح في المناظرة يرشح لقيادة اليمن كلها، في وقت كانت فيه الحرب اليمنية التركية في قمة ضراوتها.(٩٠)

وكـان الظـرف يسـتدعي وحدة الصف الوطني من خلال وحدة اليمنيين بمختلف انتماءاتهم المذهبية والسياسية.

إن أئمـة بيـت حميد الدين وفي تلك المرحلة الحساسة من مراحل النضال فإنهم لم يعملوا على شق الصف الوطني اليمني فحسب ، ولكنهم أيضاً قد شقوا اتباع المذهب الزيدي وذلك بعد وفاة الإمام محمد بن يحـي حمـيد الدين عام ١٩٠٤م وخلفه ابنه الإمام يحي بن محمد بن يحي حميد الدين تلك العملية والتي أحلـت ولايـة العهـد بدلاً من المناظرة والانتخاب قد مثلث بداية المعارضة الوطنية لأئمة أسرة بيت حميد الدين كما يرى بعض المؤرخين.(٩١) ووجود مثل تلك المعارضة في ظروف الاحتلال العثماني يعني إضعاف الوحدة الوطنية وتغليب الجانب الأسري على المصلحة العامة.

غـير أن أبـرز موقـف انفصالي للإمام يحي وأدى إلى تشطير اليمن نفسياً ومذهبياً إلى شرطين هو موقفـة من اتفاقية وصلح (دعان) بين الإمام يحي والأتراك العثمانيين، والذي انعقد في (دعان) من منطقة عمـران وأسفر عن اعتراف الإمام يحي بالسيادة العثمانية على اليمن مقابل قبول العثمانيين بوجود محاكم شـرعية في المنطق التي تدين بالمذهب الزيدي وعلى أن يقوم الإمام يحي بتعيين القضاة في تلك المناطق، وأن يقـوم العثمانـيون بدفع رواتب للإمام وأعوانه والمشايخ الموالين له، وعلى أن يتفرغ الإمام للقضايا الشـرعية، أما القضايا المالية في المناطق الزيدية فتقع على عاتق العثمانيين، ولكن تجاوباً مع اعتراضات بعـض الزيديين من أن الضرائب تستلم من قبل الإمام، وفقاً لقواعد المذهب الزيدي، فإن الأتراك قد تركوا هذه المهمة للإمام، ولكنهم كانوا يخصمون منها ٢,٥ وما بقي فهو للإمام(٩٢). وقضت الاتفاقية أيضاً على أن تكون صنعاء والمناطق التي تدين بالمذهب غير الزيدي كالشافعية خاضعة حكم العثمانيين.(٩٣)

ونستنتج من هذه الاتفاقية بأن الإمام يحي قد فرط في قضيتين أساسيتين ؛ القضية الأولى وهي قضية السـيادة الوطنية لليمن وذلك عندما أقر الإمام يحي بالسيادة العثمانية على اليمن، أما القضية الثانية فهي الاعـتراف بالتقسـيم الطائفي لليمن وذلك عندما رضي بأن يحكم فقط المناطق الزيدية، ذلك الحكم المحلي والناقص، والذي لا يتعدى عن تعيين الإمام للقضاة الشرعيين.

والغريـب فـي الأمر أن هذه الاتفاقية قد جاءت والموقف اليمني الشعبي ليس في حالة ضعف بل في حالـة قـوة، خاصـة وأنها جرت بعد انتصار اليمنيين على العثمانيين في معركة شهارة، والتي تعد أعظم معـركة فـي الحـرب اليمنية التركية، هبطت بها المعنوية التركية إلى قرب الصفر وارتفعت بها الآمال اليمنية في النصر.(٩٤)

وكانت العلاقة في تلك الفترة بين الإمام يحي وزعماء المناطق السنيين كالأدارسة، والزرانيق، وسكان الهضبة، علاقة تعاون كان أساسه النضال المشترك ضد التواجد العثماني في اليمن، ذلك التواجد الذي ترتب علـيه الفقـر الاقتصادي والضرائب العالية التي كانت تفرض على المواطنين.(٩٥) أما بعد صلح دعان فقد تحولت القوى التي تتحالف مع الإمام ضد الأتراك إلى قوى تعارض الأتراك والإمام معاً، وفي المنشور الذي أصـدره الأدريسي ووزعه على المناطق التي تدين بالمذهب السني، فقد جاء في المنشور (بأن الإمام يحي قـد خان قضية اليمن، وسدد خنجراً من الخلق للثورة اليمنية)، ثم استمر الأدريسي في نضاله ضد الأتراك واحتلال مناطق جديده مثل منطقة ميدي (٩٦)، بينما تحول الإمام يحي إلى راعي للمصالح العثمانية ومدافعاً عـن أرواحهـم، لذلـك نجد أنه في الوقت الذي أصدر فيه الأدريسي منشوراً يحث الجماهير اليمنية على النضـال، فـإن الإمـام يصدر في نفس ذلك الوقت منشوراً أخر يحث فيه اليمنيين " في المناطق الخاضعة لحكمة" على ضرورة دفع الضرائب وعدم إيذاء الجنود العثمانيين.(٩٧)

ونظـراً لتصاعد النضال ضد العثمانيين في المناطق غير الزيدية فقد أدى ذلك إلى انشقاق اليمنيين في المـناطق الزيدية حيث دفعتهم الغيرة الوطنية وخاصة قبيلة حاشد والتي خرجت عن طاعة الإمام وانظمت إلـى قـوات محمـد الأدريسي ، لدرجة أن شيخ القبيلة أرسل للإدريسي مجموعة من أبناء زعماء حاشد كرهائن وذلك تأكيداً على مبايعة الأدريسي مبايعه حقه وفقاً للعرف القبلي، علماً أن قبيلة حاشد كانت مصدر أساسي لقوات الإمام يحي.(٩٨)

ومـن غرائب الزمن أن يشاهد الإمام يحي بعد أن تحققت مآربه الشخصية والمذهبية في صلح دعان، فقـد أصـبح يحارب حليفه بالأمس وعدوه بعد صلح دعان وهو محمد الأدريسي، وذلك جنب إلى جنب مع القوات العثمانية التي تهاجم الأدريسي في عسير، علماً أن قبائل من المناطق الزيدية كانت قبل صلح دعان تحارب مع الإمام، وإذا بها تحارب مع الأدريسي دفاعاً عن منطقة عسير.(٩٩)

وهكـذا فإن أئمة بيت حميد الدين وخاصة الإمام يحي لم تكن للتهمة خارطة اليمن السياسية ولا حدود اليمـن التاريخـية، بقـدر ما كان يهمه الحصول على مساحة معينة من الأرض اليمنية يكون فيها دولته الـزيدية الهادوية ويجني منها الضرائب حيث تكررت هذه الظاهرة عندما ترأس الإمام يحي دولة الاستقلال فـي الجـزء المستقل من اليمن بعد هزيمة الأتراك العثمانيين في الحرب العالمية الأولى وتسليمهم السلطة لصـديقهم الإمـام يحـي عـام ١٩١٨م (١٠٠)، حيـث قام الإمام يحي باحتلال بعض المناطق الجنوبية، لا باعتـبارها أراضـي يمنية ولابد من تحريرها من النفوذ الأجنبي البريطاني، ولكنه اتخذ من احتلالها كعامل ضـغط على السلطات الإنجليزية كي تعيد له منطقة الحديده التي احتلها الإنجليز خلال فترة الحرب العالمية الأولى.(١٠١)

علمـاً أن الإمـام يحي إذا كانت لدية مشاعر وطنية ؛ وغيره على المناطق الجنوبية والشرقية، فكان الأجـدر به أن يستلمها عندما كانت تحت سيطرة القائد العثماني على سعيد باشا الذي احتلها أثناء حروبه مع الإنجليز خلال الحرب العالمية الأولى وخاصة منطقة لحج والمناطق المجاورة لها، حيث تكررت نداءات ورسـائل سعيد باشا إلى الإمام يحي بدون جدوى، وكانت أخر رسالة بعثها علي سعيد باشا إلى الإمام يحي والوالـي العثمانـي قد كانت رسالة غضب يتهكم فيها على الإمام يحي والوالي العثماني ويقول فيها : "أن مسـببي مصائبنا هم في صنعاء" ثم أردف قائلاً: "أولئك الذين لا عمل لهما في صنعاء سوى شرب الخمر، واكتناز الذهب".(١٠٢)

أمـا المـناطق التـي احتلها الإمام يحي بعد الحرب فهي : الضالع والشعيب وقطيب، وبلاد الأجعود، والصـبيحة ويـافع والعـوادل"، وأن الدلـيل على أن احتلالها كان كعامل ضغط للإنجليز "ليسلمونه منطقة الحديدة لاستخدامها كميناء حيوي لدولته" فإن ذلك الاحتلال قد جاء في فترة الحوار الساخن بين الإمام يحي والإنجلـيز حول ضرورة تسليم الإنجليز الحديده للإمام يحي منطقة الحديدة (١٠٣)، كما أن الهجوم الذي قام به الإمام على تلك المناطق قد جاء بعد فشل البعثة الإنجليزية بقيادة جي كوب، والذي كان عبارة عن همزة وصل بين الإنجليز والإمام يحي لتقريب وجهة النظر بينهما(١٠٤).

وهـناك دليل أخر على عدم جديه الإمام يحي في احتلال المناطق الجنوبية والشرقية باعتبارها أرض يمنية هو أنه كان يرسل قادة عسكريين يحتلون تلك المناطق النائية دون أن يتابع نشاطهم بل يتركهم بدون تمويـن غذائـي، وبـدون أوامر عسكرية لمواصلة القتال مما يجعل تلك القوات سريعة الاستسلام للقوات الإنجلـيزية، وذلك كما حدث للقردعي وقواته التي احتلت شبوه، الأمر الذي جعل القردعي يستجيب لتكليف الأحرار له في عملية الاغتيال للإمام يحي أثناء ثورة ١٩٤٨م الدستورية.(١٠٥)

ومـع ذلـك فـإن المناورات السياسية والعسكرية التي مارسها الإمام يحي مع الإنجليز لم تؤثر على موقـف البريطانييـن مـن مدينة الحديدة والتي قاموا بتسليمها للأدارسة في عسير (١٠٦)، إذ يبدو أن عدم اكـتراث الإنجليز بالضغوط العسكرية الإمامية وذلك لإدراكهم بمدى هزالة القوات الإمامية وإمكانية دحرها في أي وقت.

أما من حيث علاقة الإنجليزي بالأدارسة فإن من الصعب أن نفسر بأن تسليم الإنجليز الحديده للأدارسة وذلـك لأن الأدارسـة عمـلاء، للإنجلـيز، وأن الإمام يحي وطني، إذ ما يبرر براءة الأدارسة من العمالة للإنجلـيز هـو أن الأدارسة وفي تلك الظروف قد قدموا مشروعهم الوحدوي للإمام يحي، وذلك بأن يسلم حسـن الأدريسـي ما تحت أيديه من أرض أي عسير والمناطق المجاورة لها للإمام يحي، وعلى أن يبقى حسـن الأدريسي حاكماً محلياً لتلك المناطق ويخضع لدولة الإمام يحي المركزية، غير أن الإمام يحي رفض ذلـك المشروع رغم النصائح التي قدمها الأستاذ أمين الريحاني للإمام يحي ونبهه بأنه في حالة عدم قبوله

لذلـك المشـروع وعـدم اتفاقه مع حسن الأدريسي فإنه سيدفع الثمن غالياً، أي سوف يخسر كل ما تحت سلطة الأدارسة من أرض.(١٠٧)

ولا يوجـد هـناك تفسير في عدم قبول الإمام يحي الاتفاق مع حسن الأدريسي إلا لأن الإمام يحي قد تعـامل مـع الأدراسه من رؤية طائفية وذلك لأن الأدراسة قد اتخذوا منذ ظهور زعيمهم محمد الأدريسي مذهـباً مغايـراً للمذهـب الـزيدي الهادوي أي استنادهم على أحد المذاهب السنية وهو الطريقة الأحمدية الصوفية.(١٠٨)

ومـن هذا المنطلق فإن الإمام يحي ربما كان يخشى أن يكون ذلك الوضع المتميز لحسن الأدريسي قد يحوله إلى زعيم للمذاهب السنية في اليمن مما يهدد هيبة ونفوذ الأئمة الزيديين الهادويين في تلك المناطق السنية.

أمـا مـن جانـب الأدريسي فإن لم يجد هناك بد أو مفر من الدخول مع المملكة العربية السعودية ي اتفاقـية حمايـة عام ١٩٢٦م.(١٠٩) وذلك لخوفه من هجوم محتمل للإمام يحي. وإن الدليل على أن حسن الأدريسـي قـد عقـد مـن السعودية اتفاقية حماية وبصورة اضطرارية هو إعلانه الثورة ضد السعوديين ومهاجمـته لقواتهـم فـي جـيزان عام ١٩٣٠م وذلك كردة فعل لما قام به السعوديون من تحويل اتفاقية الحمايـة إلـى حكم مباشر للأراضي التي تخضع لحكم الأدريسي، غير أن المضحك والمبكي هنا وفي تلك المواقف الصعبة هو موقف الإمام يحي من تلك الحرب الدائرة بين الأدريسي والسعوديين حيث أنه بدلاً من مـؤازرة الأدريسـي عسكرياً ضد السعوديين فقد تحول إلى مصلح بين الطرفين، وكأن الأرض التي تخضع لحكـم الأدريسي أرض غير يمنية، كما أن الصلح وللأسف الشديد لم يكن لصالح اليمن ووحدة اراضيه بل كـان لصـالح السعوديين حيث تكلل الصلح بعفو السعودية عن الأدريسي وجماعته، وعلى أن يغادروا إلى اليمن بدلاً من البقاء في عسير مقابل دفع السعودية مرتباً شهرياً للأدريسي.(١١٠)

وهكـذا أو مـنذ ذلك التاريخ فقد تغيرت الخارطة الجغرافية السياسية والطبيعية لليمن بسبب المواقف الغير مسئولة من قبل الإمام يحي تجاه وحدة اليمن وسيادة أراضيه، حيث خسرت اليمن تلك الأرض اليمنية لمجرد أن الإمام يحي كان يضع حسابات خاطئة لمشروع الحكم المحلي الذي كان قد وضعه الأدريسي، إذ لا يمكن أن تكون تلك الحسابات إلا حسابات طائفية وسياسية ضيقة كما أشرنا.

وبصرف النظر عن عودة المناطق التهامية ومنها الحديدة إلى اليمن بعد حرب عام ١٩٣٤م بين اليمن والسـعودية، ولكن كان ذلك بعد سقوط أراضي يمنية هامة(١١١)، كان الأدارسية قد قدموها طواعية للإمام يحي مقابل شروط بسيطة ربما كان الأدريسي قد وضعها كمرحلة انتقالية لتجنب الأدارسة وسكان المناطق الخاضـعة لهـم ذلـك البطش الإمامي الرهيب الذي سمعه الأدارسة عن الإمام يحي حيث كان يقتل أقرب المقربيـن إليه من الشخصيات اليمنية المرموقة لمجرد شعوره الداخلي بخطورتهم، حتى ولو لم يكونوا قد عارضـوه(١١٢). كما لا يستبعد أن يكون الأدارسة قد سمعوا ما حل بسكان المناطق الجنوبية والشرقية من ويـل وتعذيب خلال الفترة القصيرة التي احتلت فيها قوات الإمام لتلك المناطق، تلك الممارسات التي جاءت علـى لسان أحد قادة المناطق الجنوبية والشرقية في حديثه للرحالتين أمين الريحاني ونزيه مؤيد العظم ؛ حيـث عـبر ذلك القائد وهو سلطان الحواشب عن أفضلية العلاقة مع الإنجليز عن العلاقة مع الإمام يحي بـالقول بأن الإنجليز لا يعتدون على كرامتهم ولا على أموالهم، بل على العكس من ذلك فإنهم يقدمون لهم الرواتـب الشهرية ويتعاملون معهم بكل صبر وحكمة، كما أنهم عند وصولهم إلى عدن فإنهم يرحبون بهم ترحيـباً عالـياً حيـث يقومون بإطلاق أعيرة المدافع عند وصولهم، ترحيباً واحتراماً، أما الإمام يحي فإنه يعتدي على حريتهم وكرامتهم كما ينتزع منهم فلذات أكبادهم أي أولادهم كرهائن.(١١٣)

علمـاً إن انتزاع الرهائن من آبائهم في المناطق الجنوبية والشرقية لم يكن بطريقة ودية وبأسلوب تربوي، بل كانوا يسوقونهم بشكل جماعي، وهم مكبلون بالحديد، وترافق عمليه السوق تلك أهازيج حماسية ويبدو أنهـا كانـت توحـي بالنزعة الزيدية الطائفية، ولذلك فقد كان الشبان الرهائن يرددون أيضاً هتافات تحدي توحـي باعـتزاز أولـئك الشـبان بمذهبهم السني وذلك كما حدث لبعض الشبان الرهائن من منطقة يافع وغيرهم الذين كانوا يهتفون أمام عساكر الإمام بقولهم :-

ياذي الكتائب ذي بديتي	مالش من السني سلامة
الله عليش اليوم أكبر	قامت على بوش القيامة (١١٤)

أن الـــنزعة الطائفـــية للأئمـــة الزيديين الهادويين ومنهم الإمام يحي والذي مارس مثل تلك السياسة والـــنزعة خلال فترة حكمة القصير لبعض المناطق الجنوبية والشرقية فإنه قد قدم مثل تلك السياسة بمثابة هديـــة ثميـــنة للبريطانيين لتكريس الانفصال وذلك بعزل سكان المناطق الشافعية وخاصة المناطق الجنوبية الشرقية عن بقية مناطق اليمن وقد تجلت مثل تلك السياسة في المنشور الذي وزعه الإنجليز عبر طائراته لســكان المــناطق الشــمالية والجنوبـــية أظهـــر في المنشور حرصه على سلامتهم من قصف الطائرات الإنجلـــيزية ويناشدهم الابتعاد عن مواقع القوات الزيدية التي كانت تطارد من قبل القوات البريطانية بعد أن أزاحتها عن المناطق الجنوبية والشرقية، وقد كان ذلك المنشور تحت عنوان" إلى أهل المذهب الشافعي في اليمـــن وفـــي المحمـــية البريطانية"، كما أن سطور المنشور قد تكررت في معظمها كلمة " زيود"(١١٥) مما يوحـــي بـــأن البريطانيين قد استفادوا من أخطاء السياسة الطائفية للأئمة الزيديين الهادويين وذلك لتعميق التشـــطير بيـــن شـــمال اليمن وجنوبه خدمة لسياسته من جهة ومن جهة أخرى تشطير المناطق الشمالية نفسها أيضاً إلى شطرين طائفيين هما الزيدية والشافعية.

ســـيما وأن أئمة بيت حميد الدين وإن لم يكونوا قد أعلنوا عن مثل تلك السياسة الطائفية على الصعيد العلنـــي، ولكـــنهم مارسوها على الصعيد العملي، حيث خلقوا تمايزاً اجتماعياً بين سكان اليمن القحطانيين وســكان اليمـــن العدنانيـــين، واعتـــبروا ســكان اليمن العدنانين، وخاصة الذين ينتسبون إلى أبناء فاطمة الزهـــراء، أو إلى بني هاشم بأنهم أرقى البشر وأهمهم، وخاصة عند التعيين في الوظائف الحكومية، ومن جانـــب أخـــر فقد ميزوا أيضاً بين السادة العدنانيين أنفسهم فجعلوا السادة المنتمين إلى المذهب الزيدي في المقـــام الأول، بيـــنما السادة غير الزيديين في المرتبة الثانية وقد أنعكس هذا أيضاً في المكانة الاجتماعية والروحية وفي الوظائف الحكومية وعلاقات الزواج.(١١٦)

كمـــا كرس ائمة بيت حميد الدين أيضاً نزعة عرقية أخرى في صفوف النشء الجديد، وذلك من خلال المناهج الدراسية وتقوم تلك النزعة على التمييز بين الهاشمية والعدنانية والقحطانية وعلى حساب النزعة الوطنية والروح القومية العربية (١١٧) ومن الطبيعي ان يكون ذلك التمييز على أساس تغليـــــب الهاشمية (سلالة الرسول ص) على حسب القحطانية أي الجذر العرقي لليمنيين، ولن يدرك أولئك الأئمة انعكاسات تلك النزعة على الوحدة اليمنية وخاصة في نفوس القحطانيين في الجزئيين : المستقل، وكذا الجزء الواقع تحـــت السيطرة البريطانية، وهذا يعني تقديم ورقة سياسية أخرى للبريطانيين لتعميق الانفصال بين شطري اليمـــن; ان أي سياسة كانت سلبية، ام إيجابية تتخذه ائمة بيت حميد الدين فأنها تؤثر على الوحدة اليمنية، وخاصـــة فـــي المناطق التي لا تخضع لسيطرتهم السياسية ; وعلى سبيل المثال الحكم الإرهابي الذي كان يتبعه الأئمة في شمال اليمن، وهو إرهاب قلما تجد مثله وحشية في العالم كله، ومن ذلك الإرهاب فقد كان الامـــام أحمد يستخدم أساليب جديدة في إعدام البشر بحيث يكون لذلك له صدى إعلامي في نفوس الشعب حيـــث كـــان يرمـــي خصومة في غرف مظلمة تسكنه فهود متوحشة جلبها الامام من أفريقيا بهدف الفتك بالبشـــر، (١١٨) وطالمـــا ان الهدف من هذه العملية الإرهابية هو هدف ألملامي سريع وقوي الانتشار فانه سوف يصل إعدام البشر وبتلك الطريقة إلى كل أنحاء اليمن، ومنها المناطق الخارجة عن سيطرة الأئمة.

بـــل والأفضـــع مـــن ذلـــك هو ان الأئمة وخاصة الامام أحمد عندما كان لم يزل ولياً للعهد فقد مارس الإرهاب ضد الوطنيين من الأحرار اليمنيين في عدن عام ١٩٤٤م; حيث أمر جواسيسه باعتقال مجموعة من أولئك الأحرار ووضعهم في زنزانة ; وهي عبارة عن غرفة من غرف قصر سلطان لحج في عدن الذي اعـــد لاستضـــافته ولـــولا وقوف اليمنيين من شمال اليمن وجنوبه إلى جانب المعتقلين واخرجهم من تلك الزنـــزانة (١١٩)، فلـــربما كان مصير المعتقلين هو نقلهم إلى شمال اليمن وإعدامهم بتلك الطريقة الوحشية التي عرفناها سلفاً، ونظراً لان تلك الحادثة حدثت في معقل السلطات البريطانية، أي في عدن فان ذلك يعني ان تلـــك العملـــية قد تمت بناءاً على ضوء اخضر أعطته للامام السلطات البريطانية والتي قامت هي ايضاً بأســـاليب مماثلة مثل إغلاق مقار حزب الأحرار في عدن(١٢٠) كما أوقفت صحيفته صوت اليمن، وذلك بناءاً على شكوى من قبل السلطات الامامية (١٢١).

ان ائمة بيت حميد الدين كانوا يقيمون علاقات طيبة مع أعداء شعبيهم وشعوب أمتهم العربية من اجل حمايـــة مصـــالحهم، والـــبقاء على قمة الحكم، ولذلك فان العلاقة مع البريطانيين لم تقتصر على ما ذكرته سابقاً فسب بل كانت هناك ايظاً علاقات سرية مع البريطانيين تقضي بتنازل الأئمةعن الشطر الجنوبي من اليمـــن ســـابقاً مقـــابل اعـــتراف بريطاني بالمناطق التي تخضع لسيطرة ائمة بيت حميد الدين، وكانت تلك

الاتفاقـيات الســرية يجـري تغطيـتها بالمناوشات والخلافات المصطنعة التي لا تعدو عن كونها مسرحية سياسـية لإضــفاء الطابع الوطني لنظام ائمة بيت حميد الدين علماً ان مثل هذه المسرحيات سبق وان قام بتمثيلها الملك فاروق في مصر مع السلطات الإنجليزية، ولكنها كشفت [١٢٢] علماً ان ائمة بيت حميد الدين وخاصة الامام احمد قد كانوا اكثر وقاحة في التعامل مع أعداء شعبهم وشعوب الامة العربية كما هو الحال مع إسرائيل ففي وقت عدم تفاعلهم مع اليمنيين في جنوب اليمن في موقفهم ضد إسرائيل ومشاعرهم تجاه اخوتهـم فــي فلسطين، وذلك بهدف خلق رؤية مشتركة توحد مواقف اليمنيين في الشطرين وتقربها نحو الوحـدة اليمنــية ذهــبوا يقيمون علاقة طيبة مع إسرائيل، وهذا ما سنوضحه بعد عرضنا لانتفاضة سكان مدينة عدن الباسلة ضد اليهود في عدن.

لقـد حدثت انتفاضة عدن ضد اليهود كما يرويها كبار السن وذلك اثر انتكاسة العرب في فلسطين عام ١٩٤٨م ومجــزرة ديـر ياسـين ضد الفلسطينيين، وكانت الانتفاضة عبارة عن هجوم على منازل اليهود وخاصــة فــي مديـنة كريتر، ونظراً لان حمل الأسلحة النارية كان ممنوعاً، ويعاقب عليه قانوناً من قبل السـلطات البريطانــية، فقــد استخدم المواطنون الأسلحة الأخرى كالخناجر والعصي كما اشتهرت في تلك الانتفاضــة ما أطلق عليها بحرب القطط والتي تعني سكب غاز الكيروسين على أكياس كبيرة بداخلها رماد مبــتل بالغاز نفسه ثم ربط تلك الأكياس ربطاً محكماً في ظهور القطط واشعال الكيس، ثم أطلق القطط على منازل اليهود لحرقها وما عليها، وقد اشتهر في تلك الحرب بطل يدعى عتيق، ونتيجة للمآثر البطولية التي اشتهر بها هذا البطل فقد اخذ يتغناه الشعراء العاميون، كما أخذت النساء تردد أبيات ذلك الشعر غناءاً أثناء طحــن الحــبوب في الرحى او عند طحن الحبوب والبهارات في المطاحن الحجرية الأرضية وذلك إلى وقت قريب.

ومن الأبيات الشعرية التي تعبر عن تحدي البطل عتيق للأسلحة الخفيفة والثقيلة الإنجليزية التي تدافع عن اليهود ما يلي :-

عتيق شل الوجر وقال يا دينا   لا يفتجع من رصاص لا يفتجع من مكينة

كما توجد أبيات شعرية بنفس النسق الموسيقي الشعري والتي تعبر عن عرض اليهود لعتيق أموالهم مقابل النجاة بحياتهم فيما يلي :-

عتيق شل مالنا عتيق نجينا   ما اشتيش أنا مالكم يادين محمد يا دينا [١٢٣]

فــإذا كــان هــذا الغلــيان الشعبي اليمني في الجزء الخاضع للاستعمار، فما هو شأن الجزء المستقل والخاضــع لأســرة بيت حميد الدين ؟ لقد شذ النظام الامامي في صنعاء عن بقية الأنظمة العربية وذلك في علاقــته السرية والعلنية مع إسرائيل وذلك في غمرة الصراع الناجم عن انتكاسة العرب في حرب ١٩٤٨م ومــنها (١) الســماح لعشــرة الاف يهــودي للســفر من اليمن إلى إسرائيل (٢) أتصل الامام بالحكومة الإسرائيلية لشراء صفقة أسلحة فضحها وزير الخارجية الإسرائيلي موسى شاريت (٣) في الوقت الذي لم يســتورد الامــام احمــد أي ســلعة بضائعية من السلع التي تنتجها البلدان العربية، فان سلع مماثلة كان يستوردها من إسرائيل بحجة انها رخيصة (٤) كان الامام احمد يصرح بأنه لا يمكن الاستغناء عن إسرائيل لأن علاقــة اليمن باليهود علاقة قديمة (٥) كانت افضل الجواري المقربات للامام هن الجواري اليهوديات [١٢٤] لذلــك فقد أصدرت قيادة حركة الأحرار اليمنيين كتاباً بعنوان (الصهيونية تغزو اليمن) وفي الكتاب تحذيــر للامام احمد حول تماديه بالعلاقة مع الصهاينة، حيث تطورت علاقة الامام مع الصهاينة لدرجة عقد اتفاقيات للتنقيب عن النفط معها عقدها الأمير عبد الله بن يحي [١٢٥].

ان ائمــة بيــت حمــيد الديــن لم يقدموا نماذج سيئة للمناطق اليمنية الخارجة عن نطاق حكمهم في السياســة الخارجــية، وقضية السيادة الوطنية فحسب، ولكنهم قدموا ايضاً نماذج سيئة للسياسة الداخلية، فالى جانب سياسة الإرهاب التي ذكرناها فان اليمن المستقل والى ما قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م لم يكن ليشــهد في مجال الصناعة حتى صناعة إبرة الخياطة، وفي مجال الزراعة لم تكن اليمن الشمالية لتستخدم مضــخات المــياه في الري[١٢٦] أما في مجال التعليم فقد كانت المدارس الدينية هي النظام السائد في مجال التعلــيم، حيث وصل عددها إلى خمسة عشر ألف مدرسة دينية، بينما كانت توجد مدرسة ثانوية واحدة في صــنعاء، ومدرســتان ثانويــتان غــير مكملتين في كل من تعز والحديدة، أما الجانب الإعلامي فان اليمن الشمالية لم تشهد المذياع إلا في الخمسينات، أما عــدد الصحف فــلا تزيد عن صحيفتيــن رسميتين همــا (ســبأ) و (النصــر) أما في مجال الصحة فلا توجد سوى ثلاثة مستشفيات شكلية مما أدى إلى انتشار الأوبئة والوفيات [١٢٧].

وفـي جانـب الطرقات فلم توجد سوى طريق واحد مسفلت هي طريق صنعاء – الحديدة [128] إذ كان الأئمـة يرون ان الطرقات المسفلتة تؤدي إلى تغلغل القوى الأجنبية [129] ولذلك فقد وصف الدكتور الأستاذ عبد العزيز المقالح اليمن المستقل في عهد الإمامة بأنه كان في وضع شديد الغرابة ; فلا هو بالحي ولا هو بالميـت يـتحـرك نحـو القـرن العشرين بسرعة السلحفاة ونحو القرون الوسطى بسرعة الصواريخ الموجهة [130].

وهكـذا فـإن الئمـة بيت حميد الدين مثلهم مثل بقية الزيديين الهادويين، فان الوحدة اليمنية لم تكن قضيتهم حتى يأتون بنماذج راقية لنظام حكمهم تكون تلك النماذج عبارة عن نقطة جذب لكل اليمنيين داخل المملكة المتوكلية اليمنية وخارجها، ولذل فقد فضل اليمليون الخارجون عن نطاق حكم بيت حميد الدين ان يـبقوا مؤقـتاً تحت سيطرة القوى الأجنبية وذلك هروباً من الجوع والإرهاب والتخلف، ولذلك فان ظهور الوعـي الوطني منذ منتصف الخمسينات ومروراً بالستينات وخاصة الوعي الذي انتشر في أوساط الطبقة العاملة في عدن، وفي صفوف الطلاب الدارسين في خارج الوطن وانعكاس ذلك الوعي في صفوف الجيش فـان الحركة الوطنية الوحدوية التي شكلت تنظيماتها الوطنية اخذت تضع المهام الماثلة امامها هو إسقاط الحكـم الأسـرى لائمـة بيت حميد الدين ، وإقامة نظام وطني في شمال الوطن يكون بمثابة القاعدة وهي والمنطلق لتحرير الجنوب من الاستعمار البريطاني ومن ثم إعادة توحيد الوطن بأسره .[131]

خلاصة البحث

لقـد حكم اليمن منذ قدوم الهادي إلى الحق يحي بن الحسين وحتى الإمام محمد البدر أي منذ ١٨٩٧ وحتى ١٩٢٦م حوالي ٧٢ اماما، خلال ألف وخمسة وستين عاماً (١٠٦٥عاماً).

وبصـرف النظر عن المساحة التي كانت مسرحاً لنشاطهم السياسي والعسكري خلال هذه الفترة والتي خضـعت للمد والجزر السياسي والوطني في اليمن، غير أن طول هذه الفترة الممتدة من العصور الوسطى ومـروراً بالعصـور الحديـثة ثـم المعاصرة، فإنها مرحلة هامة من مراحل تطور المجتمع اليمني، جديرة بالدراسـة والتحلـيل والاسـتنتاج، ونظـراً لأن باحثين إجلاء قد تعمقوا في دراسة تلك المرحلة والنشاط السياسـي والعسـكري للأئمة الزيديين خلال تكل الفترة، لكنهم لم يتعرضوا إلى موقف الأئمة الزيديين من وحدة اليمن التاريخية التي كانت سر منعتهم ورفعتهم خلال مختلف العصور.

فالـزيديون الهادويون" نسبة إلى الهادي إلى الحق يحي بن الحسين" قد شجعهم خروجهم عن التعاليم الحقة لمذهب زيد بن علي (زين العابدين) وأخلاق زيد العظيمة وسياسته الواقعية، شجعتهم أيضاً على عدم التعامل مع الشعب اليمني وحضارته وتاريخه المتميز ودوره الكبير في نصرة الإسلام تعاملاً يتجسد ويعتز بهذا الدور التاريخي لليمن، ذلك أن الأئمة الزيديين الهادويين قد ركزوا اهتمامهم الأول والأخير في البحث عـن مسـاحة من الأرض يؤسسون فيها دولة للعلويين وبالذات ممن ينتسبون إلى سلالة فاطمة الزهراء ويحصـلون فـي تلـك المساحة على رزق يضمن لهم ولأسرهم في شمال الجزيرة العيش الكريم وذلك بعد التشـرد وحـرب الإبادة التي تعرضوا لها من قبل الحكمين : الأموي والعباسي، ولذلك نجد أن الهادي إلى الحق بعدما تعرض له أهل البيت من مآسي من قبل الأمويين والعباسيين، وما تعرض له الهادي نفسه من صـدمات نفسيه خلال عام ٨٩٣م في طبرستان ورحلته الأولى والفاشلة إلى اليمن، فإنه قد عاد إلى اليمن عام ٨٩٧م ليؤسس دولته في صعدة وهو في وضع نفسي انتقامي غير عابئ بمبادئ الزيدية التي وضعها زيد لمذهبه والمستمدة من الفكر المعتزلي ومن مذاهب أهل السنة وخاصة الحنفية، وكذا أجمل ما جاء في أفكـار الشـيعة، بـل اتخذ منحى فكري خاص به اسماه بعض المؤخرين بالمذهب الزيدي الهادوي، وتحت مظلـة هـذا المذهـب أخذ ينشر دعوته الزيدية الهادوية معترضاً ومقاوماً كل من وجده في اليمن يعترض طريقة، مغذياً هو وخلفاءه الصراعات القبلية في اليمن ليسهل لهم السيطرة من خلال تلك الصراعات وذلك بعد مناصرتهم للطرف الضعيف ضد الأقوى وذلك حتى لا يتحول الطرف القوي إلى منافس لهم.

كمـا عمـل الـزيديون الهادويون على محاربة كل الدول اليمنية المركزية وسعوا على إزالتها بشتى الأسـاليب كانت معظمها أساليب غير نزيهة، على الرغم من أن معظم تلك الدول قد وحدت معظم الأرض اليمنية أو كلها كما هو الحال للدولة الصليحية.

وقـد اسـتندت تلـك الـدول اليمنية في وحدتها على حضارة اليمن وتاريخه المجيد، والمقاييس التي وضـعها عالم اليمن الكبير" أبو الحسن بن يعقوب الهمداني" وهو ينتقد أبناء الهادي حول نظرتهم العرقية

للإمامة، أثناء تواجد الهمداني في صعدة واحتكاكه بالأوضاع هناك، وقد أكد الهمداني بأن اليمن لا يمكن أن يحكمها إلا أبناؤها، وليست بحاجة لمن يحكمها من خارجها.

ومـــع ذلك فإن الأئمة الزيديين الهادويين قد واصلوا سياستهم العرقية في الحكم متحدين مشاعر كافة القـــوى السياســـية الوطنية في الساحة اليمنية، ومزيحين من أمامهم كل الجهود الرامية إلى إعادة توحيد اليمـــن على أسس وطنية وقد انحصرت مواقف الأئمة الزيديين ضد الوحدة اليمنية ممثلة بدورها المركزية على النحو الآتي :

١- تآمركم على الدولة اليعفرية المركزية من خلال شق التلاحم الذي كان قائماً بين اليعفريين وبني طريف وذلـــك بجذب بني طريف إليهم والتحالف معهم للقضاء على دولة اليعفريين عام ٩٠١م، علماً إن هذه الدولة كانت قد بسطت نفوذها حتى حضرموت.

٢- القضـــاء على الدولة الفلاحية بقيادة علي ابن الفضل وذلك من خلال الغزوات المستمرة التي قامت بها قـــوات الهـــادي ضد المواقع العسكرية لدولة علي ابن الفضل وكذلك من خلال دخولهم في تحالف مع الزعامات المحلية والقوى الإقطاعية في الهجوم على دولة علي ابن الفضل في المذيخرة عام ٨١٥م.

٣- القضـــاء علـــى الدولـــة الصـــليحية من خلال الهجوم على مواقعها ومناطق نفوذها وعلى الرغم من الانتصـــار الكبيـــر الـــذي حققه الصليحيون في القضاء على مواقع الزيديين الهادويين في صعدة لكن الزيدييـــن انتعشـــوا في فترة ضعف الصليحيين وتحالفوا مع بني نجاح، فقضوا على الدولة الصليحية، رغم ما حققته هذه الدولة من إصلاحات.

٤- القضـــاء علـــى دولة بني رسول من خلال مشاغلتها منذ قيامها، ودخلت معها في حروب أضعفت من قوتهـــا، ثـــم قامت بغزو أهم مواقعها بما فيها عدن، رغم الإصلاحات التي تحققت في ظل هذه الدولة والإنجازات العلمية التي حدثت في عهدها.

٥- الدخـــول في حروب مستمرة مع دولة بني طاهر وقتل قادتها، بل والتحالف مع قوى أجنبية كالمماليك للقضـــاء على دولة بني طاهر علماً إن دولة بني طاهر قد تحققت خلال عهدها منجزات علمية عظيمة كالطب، علم الفلك، والرياضيات والتاريخ وغيره.

إن مســـاعي الأئمـــة الزيديين في القضاء على الدول المركزية اليمنية، لم يتحقق من خلال الحروب المباشـــرة التي دخلت فيها الدولة الزيدية ضد تلك الدول وكذا الدخول في تحالفات مع قوى انفصالية محلية فحســـب، ولكـــنها أيضـــاً قـــد دخلت في تحالفات مع قوى أجنبية للقضاء على الدول المركزية، وأبرز تلك التحالفات ما يلي :-

١- تحـــالفهم مـــع المماليك الذين قدموا إلى جزيرة كمران لمطاردة البرتغاليين، الأئمة بهم واغروهم على احتلال اليمن بالقضاء على الدولة الطاهرية، بل وتحالفوا معم عسكرياً مقابل غظ المماليك الطرف عن نشاط الأئمة الزيديين في مواقع نفوذهم.

٢- مراســـلة الأيوبيـــن في مصر وإغرائهم في احتلال اليمن للقضاء على الدول اليمنية التي كانت قائمة، ومنها: دولة بني حاتم، الدولة المهدية، والزريعيين، ولم يكن الأيوبيون بأحسن حال من ذلك التشتت لأنهم أي الأيوبيين قد مارسوا الظلم والاضطهاد ضد اليمنيين ونهبوا ثرواتهم.

٣- شـــارك الأئمـــة الـــزيديون في المقاومة الشعبية ضد الأتراك العثمانيين في احتلالهم الأول لليمن عام ١٥٣٨م، بـــل وكانوا بين الحين والأخر يتزعمون تلك المقاومة غير أنه اتضح بأن مشاركتهم في تلك المقاومة مرهون بتحقيق مصالح ضيقة وليست مصالح وطنية، ولذلك فقد كانوا خلافاً لبقية الزعامات فـــي المناطق اليمنية الأخرى يعقدون اتفاقيات جانبية مع الأتراك تضمن لهم حرية النشاط في المناطق التـــي يســـيطرون علـــيها، لكـــن خـــرق الأتراك لتلك الاتفاقيات كان يدفع بالأئمة إلى العودة لمقاومة العثمانيين مجدداً ولحسابات مذهبية.

٤- شـــارك الأئمة الزيديون الهادويون في مقاومة الأتراك العثمانيين مع سائر الفئات الشعبية الأخرى في عمـــوم المـــناطق اليمنية الأخرى غير الزيدية، وذلك خلال فترة سيطرة العثمانيين الثانية لليمن أثناء الأعـــوام مـــن ١٨٤٩ – ١٨١٨م غير أنه وبموجب صلح دعان ١٩١١م فقد توقف الإمام يحيى عن القتال واعترف بالسيادة العثمانية على اليمن، وذلك مقابل حصوله على حكم محلي ضيق في المناطق الـــزيدية يقتصر على تعيين الإمام للقضاة الشرعيين وحصول الإمام على راتب شهري، وبعدها تحول الإمام يحي إلى راع للمصالح العثمانية وقاتل مع العثمانيين ضد زعماء المناطق السنية كالأدارسة في

عسير، وكان عسير غير يمنية علماً إن قبائل زيديه بعد صلح دعان قد انضمت إلى الإدريسي بعد صلح دعان مثل قبيلة حاشد.

٥- رفض الإمام يحي مشروع الإدريسي في ضم عسير والمناطق الأخرى التي تخضع للإدريسي إلى دولة الإمام يحي بعد استقلال اليمن الشمالية (أثر انسحاب الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى) مقابل حصول الإدريسي على حكم محلي للمناطق التي يحكمها وكان ذلك الرفض لأسباب طائفية بالدرجة الأولى، الأمر الذي جعل الإدريسي مضطراً أن يدخل في اتفاقية حماية مع السعوديين، وعندما حول السعوديون تحويل اتفاقية الحماية إلى سيطرة فإن الإمام يحي لم يقف إلى جانب الأدارسة في ثورتهم ضد السعوديين من أجل استعادة أرضهم، بل تحول إلى مصلح بين الطرفين، وكأن عسير لم تكن أرض يمنية، ومن المؤسف أن تكون نتائج الصلح لصالح السعوديين وكلما عملة الإمام يحي في الصلح هو قبول حسن الإدريسي بأن يبق في اليمن كلاجئ مقابل التزام السعوديين بدفع راتب شهري له، وبذلك كانت تلك المصالحة أول خطوة لضياع تلك المناطق اليمنية من جسم اليمن الأم.

إن موقف الأئمة الزيديين المعرقل للوحدة اليمنية لم ينحصر في حروبهم ضد الدول اليمنية المركزية والقضاء عليها وكذا تحالفهم مع قوى أجنبية على حساب السيادة الوطنية فحسب، بل أن عرقلتهم للوحدة اليمنية قد تمثلت في تقديمهم نماذج سيئة في أنظمة الحكم تعتمد على تحقيق مصالح ذاتية للأئمة ومعاونيهم، كما أنهم أوجدوا تمايز طائفي في المناطق التي يحكمونها، ففي الوقت الذي اعتبروا معتنقي المذهب الزيدي مواطنين أساسيين في الجاه والوظائف الحكومية فقد اعتبروا المواطنين في المناطق السنية ثانويين في الوظائف الحكومية وفي الجيش والأمن والقضاء إن لم يكونوا معدومين في الغالب.

مصادر ومراجع البحث

١- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني – صفة جزيرة العرب – مكتبة الإرشاد – صنعاء ١٩٩٠م، ص ٩٠.

٢- القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – دار الكلمة – صنعاء الطبعة الثالثة ١٩٨٥ ص١٥.

٣- د. عبد العزيز سالم – تاريخ الدولة العربية – مؤسسة شباب الجامعة – مصر –١٩٨٨م ص٧،٨.

٤- نفس المصدر ص٧.

٥- أحمد عبد الله الصوفي – الاعتراف المنيع بالوحدة اليمنية – دار الأفاق للطباعة والنشر – لم يذكر بلاد النشر – الطبعة الأولى ١٩٩٩م من ص١٢٨ إلى ص ١٣٩.

٦- د. عبد العزيز سالم – تاريخ الدولة العربية – مصدر سابق ص٣.

٧- د. عبد الغني محمد غانم – قضايا الوحدة والنشاط الموحد للأحزاب الوطنية والقومية – أطروحة الدكتورة – مطبعة أكاديمية العلوم الاجتماعية – صوفيا ١٩٩١م ص٩.

٨- د. عبد الله حسن الشيبة – دراسات في التاريخ اليمني القديم – الطبعة الأولى – مكتبة الوعي الثوري للطباعة والنشر والتوزيع – تعز – اليمن ١٩٩٩م–٢٠٠٠م، ص ٦١.

٩- د. سيف علي مقبل – وحدة اليمن تاريخياً – دار الحقائق – بيروت ١٩٨٥م من ص٣٢ إلى ص٣٤.

١٠- د. عصام الدين عبد الرؤوف – اليمن في ظل الإسلام، من فجرة وحتى قيام دولة بني رسول – دار الفكر العربي، لم يذكر دار النشر وبلاد النشر من ص٢٣ إلى ص٢٦.

١١- م.ب. بيترد ومنبسكي – اليمن قبل الإسلام، والقرون الأول للهجرة – تعريف محمد الشعيبي دار العودة – بيروت ١٩٨٧م – الطبعة الأولى – ص٨٦.

١٢- د. عصام الدين عبد الرؤوف – اليمن في ظل الإسلام – مصدر سابق ص٤٦.

١٣- د. أحمد قائد الصائدي – حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحي بن حميد الدين – مركز الدراسات والبحوث اليمني – صنعاء – دار الآداب – بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٩٨٣م – ص٢٠.

١٤- نفس المصدر ص٢٠.

١٥- المصدر نفسه ص٢٠، ص٢١.

١٦- أحمد عبد الله عارف ص٢٣. دار أزال ببروت، المكتبية اليمنية – صنعاء الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٧- علي أحمد زيد – معتزلة اليمن – دار العودة بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨١م ص١٧،ص١٨.
١٨- د. أحمد محمود صبحي – الزيدية – الطبعة الثانية – دار الزهراء للإعلام العربي – لم يذكر بلاد النشر عام ١٩٨٤م ص٦٥.
١٩- نفس المصدر ص٦٦.
٢٠- أحمد عبد الله عارف ص٢٥.
٢١- د. عبد العزيز المقالح – قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة – دار العودة بيروت ١٩٨٢م – ص١٥، ص١٦.
٢٢- علي أحمد زيد – منزلة اليمن – مصدر سابق – ص١٩،١٨.
٢٣- د. عبد العزيز المقالح – قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة – مصدر سابق – ص٢٠.
٢٤- نفس المصدر ص١٩، ٢١، ٢٠.
٢٥- المصدر نفسه ص٢٢، ص٢٣.
٢٦- المصدر نفسه ص٢٣.
٢٧- د. أحمد محمود صبحي – الزيدية – مصدر سابق – ص٥٧٧، ٥٧٨.
٢٨- علي أحمد زيد – معتزلة اليمن – مصدر سابق – ص٥٧.
٢٩- د. حسن خفيري أحمد – قيام الدولة الزيدية في اليمن – أطروحة الدكتور – مكتبة مدبولي – القارة – الطبعة الأولى – ديسمبر ١٩٩٦م ص٥٥.
٣٠- نفس المصدر ص٥٥،٥٤.
٣١- د. أحمد قائد الصائدي – حركة المعارضة اليمنية – مصدر سابق – ص٢١،٢٠.
٣٢- نفس المصدر – ص٢٦.
٣٣- د. حسن خفيري أحمد قيام الدولة الزيدية في اليمن – مصدر سابق ص٥٥.
٣٤- د. أحمد قائد الصائدي – حركة المعارضة اليمنية – مصدر سابق – ص٢٦.
٣٥- د. حسن خضيري أحمد – قيام الدولة الزيدية في اليمن – مصدر سابق – ص٦١،٦٠.
٣٦- علي أحمد زيد معتزلة اليمن – مصدر سابق – ص٦٣،٦٢.
٣٧- نفس المصدر – ص٦٩، ٧٩، ١٠٥.
٣٨- د. أحمد قائد الصائدي – مصدر سابق – ص٣٠،٢٩.
٣٩- القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق – ص١١٦.
٤٠- القاضي الشماخي نفس المصدر – ص١١٧.
٤١- علي أحمد زيد معتزلة اليمن – مصدر سابق – ص١٣٢، ١٣٣.
٤٢- القاضي الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق – ص١١٠.
٤٣- د. حسن خضيري أحمد – قيام الدولة الزيدية في اليمن – مصدر سابق – ص٨٣،٨٢.
٤٤- د. سيف علي مقبل – وحدة اليمن تاريخياً – مصدر سابق – ص٤٨، ٤٩، ٥٠.
٤٥- الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق ص١٢٤.
٤٦- نفس المصدر – ص١٢٤.
٤٧- د. عصام الدين عبد الرؤوف – اليمن في ظل الإسلام – مصدر سابق ص١٣٧.
٤٨- م – ن – بيوتروفيسكي اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة. تعريف محمد الشعيبي – دار العودة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م – ص٩٢، ٩٣.
٤٩- د.عصام الدين عبد الرؤوف – اليمن في ظل الإسلام – مصدر سابق ص١٨١.
٥٠- نفس المصدر – ص١٥٠، ١٥١.
٥١- المصدر نفسه – ص١٨٢.
٥٢- نفسه – ص١٥٠.
٥٣- د. سيف علي مقبل وحدة اليمن تاريخياً – مصدر سابق – ص٥٣.
٥٤- نفس المصدر – ص ٥٤، ٥٥.

٥٥- الشماحي. اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق – ص١٤١.
٥٦- نفس المصدر من ص١٣١ إلى ص١٣٤.
٥٧- د. سيف علي مقبل – وحدة اليمن تاريخياً – مصدر سابق – ص٥٥.
٥٨- عبد الله أحمد محيرز – العقبة – مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر. لم يذكر تاريخ النشر. ص١٥١.
٥٩- حمزة علي لقمان – تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية – دار مصر للطباعة – مصر ١٩٦٠م – ص٦٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧.
٦٠- نفس المصدر – ص٧٧.
٦١- الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق – ص١٤٥.
٦٢- نفس المصدر – ص١٤٥.
٦٣- حمزة لقمان – تاريخ عدن وجنوب الجزيرة – مصدر سابق –ص١٠٢.
٦٤- نفس المصدر ص١١٠.
٦٥- سيف علي مقبل – وحدة اليمن تاريخياً – مصدر سابق –ص٦١.
٦٦- الشماحي- اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق – ص١٤٨.
٦٧- سيف علي مقبل – وحدة اليمن تاريخياً – مصدر سابق –ص٦٤،٦٥.
٦٨- حمزة لقمان – تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية – مصدر سابق –ص١١.
٦٩- نفس المصدر – ص١١١.
٧٠- الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق من ص١٤٩ إلى ص١٥١.
٧١- نفس المصدر – ص١٥٤.
٧٢- فاروق عثمان أباظه – الحكم العثماني في ايمن ١٨٧٢-١٩١٨م – الهيئة العامة المصرية للكتاب – مصر ١٩٨٦م من ص١٩ إلى ص٢٥.
٧٣- نفس المصدر – ص٢٥.
٧٤- القاضي عبد الكريم الجرافي – المقتطف من تاريخ اليمن – مؤسسة دار الكتاب الحديث – لبنان بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٤م –ص١٥٦،١٥٢.
٧٥- نفس المصدر – ص١٥٩،١٥٨.
٧٦- د. سيف علي مقبل – وحدة اليمن تاريخياً – مصدر سابق – ص٧٣.
٧٧- القاضي عبد الكريم الجرافي – المقتطف من تاريخ اليمن – مصدر سابق من ص١٦٨ إلى ص ١٧٤.
٧٨- نفس المصدر – ص١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤.
٧٩- المصدر نفسه من ص١٦٨ إلى ص ١٧٤.
٨٠- أحمد فضل بن علي العبدلي – هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن – دار العودة بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٨٠م – ص١٠٢.
٨١- د. سيف علي مقبل – وحدة اليمن تاريخياً – مصدر سابق – ص٧٧،٧٨.
٨٢- د. جاد طه – سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية – الطبعة الثانية – دار الفكر العربي – لم يذكر تاريخ النشر وبلاد النشر – ص٣٠.
٨٣- د. أحمد قائد الصائدي حركة المعارضة اليمنية – مصدر سابق – ص٢٨.
٨٤- جاد طه – السياسة البريطانية في جنوب الجزيرة العربية – مصدر سابق – ص٣٠.
٨٥- د. سيف علي مقبل – وحدة اليمن تاريخياً – مصدر سابق من ص٧٧ إلى ٨٠.
٨٦- جاد طه – السياسة البريطانية في جنوب الجزيرة العربية – مصدر سابق –٢٥٩.
٨٧- نفس المصدر – ص٢٥٩.
٨٨- د. عبد الغني محمد غانم – دور الأحزاب والتنظيمات الوطنية اليمنية في القضاء على النظام الإمامي وحماية النظام الجمهورية –مجلة سبأ العدد الثامن – ديسمبر ١٩٩٩م –ص٥٥.
٨٩- الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق – ص١٨٤،١٨٣.

٩٠- نفس المصدر – ص١٨٤.
٩١- د. أحمـد قائد الصائدي. حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحي بن محمد حميد الدين – مصدر سابق – ص٥٠.
٩٢- د. سيد مصطفى سالم – تكوين اليمن الحديث – اليمن والإمام يحي ١٩٠٤-١٩٤٨م – مكتبة مدبولي – القاهرة – الطبعة الثالثة ١٩٨٤م – ص١٤٤،١٤٣.
٩٣- نفس المصدر – ص١٣٨، ١٤٣، ١٤٥.
٩٤- الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق – ص١٨٥.
٩٥- سيد مصطفى سالم – تكوين اليمن الحديث – مصدر سابق من ص١٢١ إلى ص١٢٣.
٩٦- د. فاروق أباظة – الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م – مصدر سابق –ص٣٣١.
٩٧- د. سيد مصطفى سالم – تكوين اليمن الحديث – مصدر سابق – ص١٦٢.
٩٨- نفس المصدر – ص١٦٢.
٩٩- د. فاروق أباظه – الحكم العثماني في اليمن – مصدر سابق –ص٣١١.
١٠٠-د. عبد الغني محمد غانم – دور الأحزاب والتنظيمات السياسية – مصدر سابق –ص٥٥.
١٠١-د. سلطان ناجي – التاريخ العسكري لليمن لم يذكر بلاد وتاريخ النشر – ص٨٩.
١٠٢-د. فاروق أباظه – الحكم العثماني في اليمن – مصدر سابق من ص٤١٢ إلى ص٤١٥.
١٠٣-د. سلطان ناجي – التاريخ العسكري لليمن – مصدر سابق – ص٨٩.
١٠٤-د. سيد مصطفى سالم – تكوين اليمن الحديث – مصدر سابق من ص٢٧٠ إلى ص٢٧٢.
١٠٥-د. سلطان ناجي – التاريخ العسكري لليمن – مصدر سابق – ص ٩٤.
١٠٦-نفس المصدر – ص٨٩.
١٠٧-د. سيد مصطفى سالم – تكوين اليمن الحديث – مصدر سابق – ص٢٨٢.
١٠٨-د. فاروق أباظه – الحكم العثماني في اليمن – مصدر سابق – ص٢٠٣.
١٠٩-د. سيد مصطفى سالم – تكوين اليمن الحديث – مصدر سابق – ص٢٨٢.
١١٠-نفس المصدر – من ص ٣٦٤ إلى ص ٣٦٦.
١١١-د. سلطان ناجي – التاريخ العسكري لليمن – مصدر سابق – ص٨٦.
١١٢-د. الشماحي – اليمن الإنسان والحضارة – مصدر سابق – ص١٨٥.
١١٣-د. سيد مصطفى سالم – تكوين اليمن الحديث – مصدر سابق من ص٢٨٨ إلى ص٢٩٠.
١١٤-أحمد فضل العبدلي – هدية الزمن – مصدر سابق – ص٢٧٧، ٢٧٨.
١١٥-نفس المصدر – ص ٢٨٣، ٢٨٤.
١١٦-قائد نعمان الشرجبي – الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني – دار الحداثة للطباعة والنشر والـتوزيع، بالـتعاون مع مركز الدراسات والبحوث اليمني – صنعاء الطبعة الأولى ١٩٨٦م من ص ١٣٦ إلى ص ١٣٩.
١١٧-عـادل رضا، محاولة لفهم الثورة اليمنية، المكتب العربي الحديث للطباعة والنشر، مصر الإسكندرية، لم تكتب تاريخ النشر، ص ٤١.
١١٨-نفس المصدر، ص ٣٩.
١١٩-محمد علي الأسودي، حركة الأحرار اليمنيين والبحث عن الحقيقة، لم يذكر دار النشر ولا بلاد النشر، ١٩٨٧م ص ٢٩، ٣٠، ٣١.
١٢٠- عبد الله السلال وآخرون، وثورة اليمن الدستورية، الطبعة الثانية، دار الحكمة صنعاء، ١٩٨٥م، ص ٥٦.
١٢١-محمد علي الأسودي، حركة الأحرار اليمنيين، وصدر سابق، ص ٩٠.
١٢٢-عادل رضا، محاولة في فهم الثورة اليمنية مصدر سابق ص ٤٣.
١٢٣-استطلاعات ميدانية قام بها الباحث مع العديد من كبار السن ممن عايشوا تلك الأحداث.
١٢٤-عادل رضا، محاولة في فهم الثورة اليمنية مصدر سابق ص ٣٩.
١٢٥-محمد علي الأسودي، حركة الأحرار اليمنيين مصدر سابق ص ١٢٥.

١٢٦-نفس المصدر ص ٣٢، ٨٩.

١٢٧-اليــنا جلوبونسكايا، ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، دار إبن خلدون، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢، من ص ١٢٧ إلى ١٢٩.

١٢٨-نفس المصدر ص ١٤٦

١٢٩-قائد نعمان الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، مصدر سابق ص ٢٠٦.

١٣٠-د. عبد العزيز المقالح : عبد الناصر واليمن – فصول من تاريخ الثورة اليمنية، دار الحداثة، للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص ١٥.

١٣١-يحيى الشاحي، مقابلة أجراها الباحث معه في ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٩م.

المصادر والمراجع المستخدمة في البحث

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	صفة جزيرة العرب	الحسين بن أحمد بن يعقوب الهمداني
٢	اليمن الإنسان والحضارة	القاضـي عـبد الله بـن عـبد الوهاب المجاهد الشماحي
٣	تاريخ الدولة العربية	د.عبد العزيز سالم
٤	الاعتراف المنيع بالوحدة اليمنية	أحمد عبد الله الصوفي
٥	أطروحة الدكتورة.	د. عبد الغني محمد غانم
٦	دراسات في التاريخ اليمن القديم	د.عبد الله حسن الشيبه
٧	وحدة اليمن تاريخياً	د.سيف علي مقبل
٨	اليمن في ظل الإسلام	د. عصام الدين عبد الرؤوف
٩	اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة	م.ب. بيتروفيسكي
١٠	حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحي بن حميد الدين	د.أحمد قائد الصائدي
١١	الصلة بين الزيدية والمعتزلة	د. أحمد عبد الله عارف.
١٢	معتزلة اليمن	علي أحمد زيد
١٣	الزيدية	د. أحمد محمود صبحي
١٤	قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة	د.عبد العزيز المقالح
١٥	قيام الدولة الزيدية	د. حسن خضيري أحمد
١٦	العقبة	عبد الله أحمد محيرز
١٧	تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية	حمزة علي لقمان
١٨	الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م	د. فاروق عثمان أباظه
١٩	المقتطف من تاريخ اليمن	القاضي عبد الكريم الجرافي
٢٠	هدية الزمان في أخبار ملوك لحج وعدن	أحمد فضل بن علي العبدلي
٢١	سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية	د. جاد طه
٢٢	التاريخ العسكري لليمن	د.سلطان ناجي
٢٣	الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني	قائد نعمان الشرجبي
٢٤	أطلس الوطن العربي والعالم	مؤسسة جيوبروجكتس
٢٥	تكوين اليمن الحديث اليمن والإمام يحي ١٩٠٤-١٩٤٨م	د.سيد مصطفى سالم
٢٦	مجلة سبأ " العدد الثامن "	
٢٧	محاولة لفهم الثورة اليمنية	عادل رضا
٢٨	ثورة اليمن الدستورية	عبد الله السلال وآخرون
٢٩	حركة الأحرار اليمنيين والبحث عن الحقيقة	محمد علي الاسودي
٣٠	ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن	الين جلوبو فسكايا
٣١	عبد الناصر واليمن	الدكتور عبد العزيز المقالح
٣٢	مقابلة	يحيى الشامي من الرعيل الأول البعث في اليمن

دور السياسة البريطانية – العثمانية في تقسيم اليمن

(١٨٣٩ – ١٩١٨م)

إعداد

أ . م . د . حمود محمد أحمد   أ . م . محمد سعيد شكري

قسم التاريخ والآثار – كلية الآداب – جامعة عدن

(١) أهداف الدراسة :

أهداف وطنية– علمية موضوعية للوصول إلى الحقائق التاريخية التي تهدف إلى معرفة حقيقة الأحداث التاريخية التي توالت على المنطقة اليمنية والعربية في الفترة مدار البحث.

التصدي ، وبروح علميه ، موضوعية ، حيادية ، للمغالطات والأهداف الاستعمارية المتسترة ضد حقيقة وواقع شعبنا اليمني ونضاله ضد الاحتلال والتقسيم الاستعماري للمنطقة اليمنية، وهذه المغالطات التي وردت سواء في شقها الرسمي الإداري الإنجليزي أو في كتابات المؤرخين الغربيين.

الخروج بآراء واستنتاجات تاريخية عن الماضي والاستفادة منها على الصعيد الوطني والقومي في الحاضر والمستقبل ، من أجل التصدي للمخططات الإمبريالية والصهيونية ضد الوطن والأمة.

(٢) موضوع الدراسة:

السياسة الأنجلو– عثمانية ودورهما في تشطير اليمن (١٨٣٩– ١٩١٨)، من حيث تتبع الاحتلال البريطاني لعدن عام ١٨٣٩م وربط السلطنات والمشيخات والقبائل بالسياسة الاستعمارية البريطانية من خلال "الولاء والصداقة" وتطورها بعد ذلك إلى نظام معاهدات "الحماية" بعد الاحتلال العثماني لتهامـــة عام ١٨٤٩م، وعلى الأخص بعد احتلال العثمانين لصنعاء عام ١٨٧٢م.

ثم تتبع السياسات والإجراءات بتفاصيلها في الفترة الرئيسة التي اتبعها طرفا الصراع البريطاني – العثماني مستعرضين المناخات السياسية في الجزيرة العربية والأقليم المجاور وفي النطاق الدولي وعوامل الشد والجذب والسلب والإيجاب، الذي حكم صراع الطرفين على الأرض اليمنية والذي أدى في محصلته النهائية إلى توقيع معاهدة الحدود الأنجلو– عثمانية في ٩ مارس عام ١٩١٤م.

وكان لزاما على البحث التقصي في الفترة السابقة للاحتلال الإنجليزي لعدن ١٨٣٩م من أجل الربط الموضوعي والمنهجي للبحث ومعرفة الأهمية الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية والتاريخية لليمن والمنطقة العربية ولمجمل التحولات التاريخية في العالم في التاريخ البشري الحديث.

فبدء تلمس البدايات منذ عام ١٤٩٨م بحركة الكشوفات الجغرافية ، مروراً ببدء حركة الاستعمار الغربي الحديث.

وتطرق البحث إلى أوضاع اليمن منذ الاحتلال العثماني الأول ١٥٣٨ م وطرده من الأرض اليمنية عام ١٦٣٥ م بفعل المقاومة اليمنية، وما اعتور الدولة القاسمية من أحداث أدت إلى انفصال الأقاليم الجنوبية والشمالية في حضرموت، ويافع ولحج . . الخ

وأبي عريش عن جسم الدولة المركزية اليمنية وقد مهد هذا المجال لحركة الاستعمار البريطانية الاحتلالية للأرض اليمنية و عودة الاحتلال التركي.

وفي التاريخ اللاحق لأحداث الحرب العالمية الأولى تطرق البحث إلى العلاقة الإمامية الإنجليزية وإلى العوامل والأسباب التي أدت إلى تكريس الانفصال وعدم وحدة الأرض اليمنية، مما حفز الشعب اليمني لشن حركة المقاومة لإنهاء الإمامة والاستعمار واستعادة وحدة أرضه المقدسة تمهيداً لتوحيدها في الثاني والعشرين من مايو ١٩٩٠م.

(٣) المنهج :

تتبع الباحثان بمنهج علمي تاريخي المراحل الأساسية لفترة مدار البحث من وثائق ودراسات ومخطوطات حسب ما وردت في الكتب المرجعية الحديثة، وبموضوعية وحيادية بغية خدمة العلم، وإيضاح الحقائق التاريخية دون زيف أو بهتان أو سياسة آنية تعيق الاستفادة من الدراسات التاريخية.

في مصادر الفترة مدار البحث..

تتوزع مصادر الفترة مدار البحث على النحو التالي:-

أولاً: الوثائق الدبلوماسية البريطانية وغيرها من الوثائق غير المنشورة ، وتقارير المندوبين البريطانيين وتوجيهات لندن والمسودات" السرية للمعاهدات وغيرها، والمكاتبات الدبلوماسية الكثيرة المتعلقة بالسياسة الاستعمارية البريطانية في الشرقين الأدنى والأوسط ، وكذلك مواد من الصحافة البريطانية والعربية. (عزيـــز خودا بيرديف: الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن " دار التقدم موسكو ١٩٩٠ ص ٤) ، ووثائق البرلمان البريطاني ووزارة الدفاع البريطانية والبحرية البريطانية بالإضافة إلى مجموعة الوثائق الفرنسية، فضلا عن الوثائق الإيطالية والألمانية والأسبانية والتركية. ومجموعة من المخطوطات اليمنية.. ومجموعات من الوثائق القومية بالقاهرة. والمؤلفات المعاصرة التي كتبت بأقلام وشخصيات عربية وأجنبية اشتركت في صنع الأحداث.. فضلا عن مؤلفات أساتذة التاريخ العرب والأجانب... وكتب الرحالة على اختلاف جنسياتهم والدوريات العربية والأجنبية (أباظه: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٨٣٩-١٩١٨م) الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٦. ص١١-١٢).

ثانياً : تنقسم الكتابات الغربية التاريخية إلى قسمين:-

١. الكتب والمراجع الإدارية الإنجليزية التي كتبها وألفها إداريون إنجليز أمثال (برناردريلي وهـيكنبوتم وانجرامز) . أنظر ملحق بأسماء الكتب والإداريين ومؤرخين غربيين وحول كتابات الأوربيين عن اليمن بشكل عام انظر أريك ماكرو: اليمن والغرب ترجمة د. حسين العمري، دار الفكر دمشق ط٢ ١٩٨٧م ص ٨ – ١٠). لمزيد من التفاصيل انظر كتاب عدن تحت الحكم البريطاني "باللغة الإنجليزية للبروفيسور (د. جيه جافين) صدر عام ١٩٧٥م عن مؤسسه سي هارست لندن ثبت المصادر والمراجع (ص ٤٥١ – ٤٥٥) .
٢. الكتب الغربية التي كتبها مؤرخون غربيون أشهرهم الإنجليزيان اريك ماكرو ور. غافين والأمريكيان برايتون بوش، وما نفريد وينير. (خودا بيرديف المرجع السابق ص ٦-٧).

ثالثاً : الكتب الاستشراقية السوفيتية :

يأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب " الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن (لمؤلفه عزيز خودا بيرديف انظر هوامش مصادر ومراجع الكتاب المذكور آنفاً كذلك ما قدمه الدكتور قائد محمد طربوش في كتابه بيبلوغرافيا اليمن في الاستشراق السوفيتي الصادر عن دار السلام موسكو (١٩٨٤-١٩٨٥م) ولمزيد من التفاصيل حول المصادر والمراجع بصورة عامة انظر البحث القيم للدكتور صالح علي باصرة أستاذ تاريخ اليمن الحديث والمعاصر الموسوم بـ "عدن ببليوغرافيا مختارة" المقدم إلى ندوة (عدن- ثغر اليمن)مايو ١٩٩٩م- عدن الجزء الأول.ص٧٣-٨٠)

رابعاً : الكتب لمؤلفين عرب

١- انظر ثبت المصادر والمراجع في نهاية البحث .

٢- د. زكي حنا كور "تاريخ عدن" رسالة دكتوراه باللغة الإنجليزية،نوقشت في جامعة لندن، صدر عام ١٩٨١م.

أهمية وثائق الأرشيف الوطني في الهند:

قسمت الوثائق إلى مجموعتين لتسهيل دراستهـا في كتاب "الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن، حيث، تتعلق المجموعة الأولى بالتقسيم الانجلو- عثماني لليمن وترسيم الحدود بين ولاية اليمن ومحميات جنوب اليمن.

وبالإضافة إلى المكاتبات الدبلوماسية الوفيرة وتقارير المقيم البريطاني في عدن و توجيهات لندن، وتضم أيضاً معلومات ووثائق اللجنة الحدودية البريطانية التي تتضمن معلومات تفصيلية عن سير رسم الحدود وعن المقاومة اليمنية التي أبدتها القبائل وعن موقف السلطات العثمانية، وتوجد فيها الخرائط الحدودية ونصوص البرتوكولات التي صدقت على نتائج ترسيم الحدود. والوثائق التي تشير إلى المناورات الدبلوماسية الانجلو - عثمانية، وإلى خلافاتهما الإقليمية أثناء رسم الحدود . وتضم المجموعة الثانية سياسة البريطانيين لحرمان اليمن من أي منفذ بحري وتجاري لها و حصرها في المناطق الجبلية الداخلية. كما توجد وثائق حول التنافس الأنجلو إيطالي في اليمن.

(خودا بيرديف المرجع السابق ص ١٠- ١١).
وننوه هنا إلى الجهود العظيمة للمرحوم الأستاذ عبدالله أحمد محيرز في تصوير جزء كبير من هذه الوثائق البريطانية في الهند حتى عام ١٩٠٥م.

من الأهداف الإجرائية العملية للبحث:

ومن الجوانب الإجرائية والفعلية لأهداف البحث حاولنا استنطاق الوثائق الأرشيفية وما ورد في المصادر، والمراجع المكتوبة حول التكتيكات الخفية للسياسة البريطانية الاستعمارية في شبه جزيرة العرب بغية تحقيق استراتيجيتها الإمبريالية في، إخضاع الجزيرة العربية لنفوذها وسيطرتها والرد في الوقت نفسه على تخرصات المراجع الإدارية الإنجليزية التي تحاول أن تزيف الحقائق وتخفي الأهداف الاستعمارية ؛ فقد حاول (هارولد انغرامس) أن يلزم الصمت بشأن دوافع بريطانيا الفعلية وأن يتستر على حقيقة المخططات الاستعمارية البريطانية ، كما أن (برنارد ريلي) في كتابه " عدن واليمن " يصور السياسة الاستعمارية البريطانية بأنها سياسة " تمدينية سلمية " تتوخى خير سكان جنوب اليمن الذين تقبلوا الحماية البريطانية طوعاً.

ويصل توم هيكنبوتام الذي كان حاكما لعدن إلى غايته في التدليس، حيث يسعى لإقناع الرأي العام بأن اليمن لم يكن في الحقيقة مقسماً بين العثمانيين والبريطانيين، وما رسم الحدود بين شطري اليمن، ما تم إلا لمصلحة السكان اليمنيين، ومن أجل وضع حد للنزاعات القبلية، لعدم تحديد حدود واضحة بينها.

((كما يصور هيكنبوتام سعي المقاومة اليمنية في، اليمن المستقل واليمن المستعمر لاسترداد عدن ومحميات جنوب اليمن بقوله: " إن أئمة اليمن سعوا دوماً إلى بسط سلطتهم على أراضي محميات عدن . أما نحن فقد حاولنا من جهتنا دوماً أن نقيم علاقات ودية مع اليمن لكننا في الوقت ذاته لم ننس التزاماتنا تجاه حكام المحميات التي أخذنا على عاتقنا مهمة حماية أراضيها دون العدوان الخارجي)).

وبالنسبة لآراء المؤرخين الغربيين فإن (ما نفريد وينير)- مؤرخ أمريكي، يعتبر كفاح ومقاومة الشعب اليمنى في سبيل وحدة أراضيه " مطامع يمنية بمحمية عدن " ، ويحاول (ر. جيه. جافن)- مؤرخ إنجليزي نقدي موضوعي إلى حد ما- " أن يضفي على المستعمرين البريطانيين صفة دعاة السلام " ، وأن السياسة البريطانية الليبرالية كانت ترفض التدخل في الشؤون الداخلية وأنها في عموميتها كانت تستهدف تمتين الصداقة الانجلو عربية ... وحفز تطور دول الجزيرة. "

(لمزيد من التفاصيل عن آراء الإداريين البريطانيين والمؤرخين البريطانيين انظر خودا بيرديف : المرجع السابق ص ٤- ٨)

ويشير فرد هوليداي ، مؤرخ إنجليزي يساري ، في كتابه "الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية ، ((إلا أنه من الخطأ تاريخيا القول، كما يفعل بعض الوطنيين اليمنيين، إن الإمبريالية خلقت الانقسام. والأصح القول إن بريطانيا استخدمت انقساماً كان قد حدث بالفعل قبل احتلالها)) . (ص١٠٧)

ووجهة نظر المؤرخ فرد هوليداي صحيحة ولكنها مجردة، فلولا قوة الاحتلال وتكريس سياسة الانقسام من قبل المستعمرين البريطانيين، لما ظل اليمن مقسما طيلة فترة الاحتلال ١٨٣٩ – ١٩٦٧، لقد تحمل الإنجليز تاريخيا وزر الانفصال واستمراره عندما أصبحوا سادة جنوب اليمن و أدمنوا محاربة وحدة الأرض والإنسان والشعب اليمني. قد أكون متخلفاً ولكن لن أستمر متخلفاً إلى الأبد، ألا إذا أبقت وفرضت وحافظت قوى أجنبية وبسياسة الحديد والنار على هذا التخلف ، والمثال هنا هو التقسيم والانفصال الذي حافظت عليه السياسة الاستعمارية.

ثم ألم تكن السياسة الاستعمارية الأنجلو – فرنسية هي مهندسه تقسيم الوطن العربي في اتفاقية سايكس- بيكو عام ١٩١٦م ، ومازالت تغذيه وتسنده السياسات الاستعمارية الصهيونية الإمبريالية، في شكل إبقاء وحماية غالبيه الأنظمة القطرية التي تسود العالم العربي اليوم. والحقيقة التي نريد إيصالها أنه لو لم يكن الانقسام والانفصال موجوداً في اليمن إبان الاحتلال لكان خلقه المستعمر لا محالة ضمن سياسته الشهيرة " فرق تسد ". ومهما كانت أشكال التوحيد الوطني آنذاك- في النموذج اليمني – متخلفة ورجعية وإمامية وطائفية وعشائرية وسلالية... الخ، إلا أنها ستشكل في حين تحققها، تراكماً وخبرات نضالية وطنية واحدة ، ستجد ، لا محالة ، لنفسها مخرجاً في حركة صاعدة متقدمة، مثلما حصل في مثال ونموذج ثورة سبتمبر ١٩٦٢م، الوطنية التي كنست النظام الإمامي الطائفي الكهنوتي الذي كان سائداً في اليمن حتى سبتمبر ١٩٦٢م .

الأوضاع في اليمن قبل الاحتلال الإنجليزي ١٨٣٩م

سيطر العرب ، حتى بدء حركة الكشوفات الجغرافية الأوربية في العصر الحديث،على مياه الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر بلا منازع، واعتمدت العلاقات التجارية بين أوربا من جهة وآسيا وإفريقيا من جهة أخرى ، على نشاط العرب في جلب البضائع الشرقية عبر الخليج العربي والبحر الأحمر إلى أسواق أوربا.

على أن ما أحدثته حركه الكشوف الجغرافية البرتغالية في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد، من تحويل واحتكار التجارة الشرقية بعد وصولهم إلى الهند، قد أدى إلى حرمان العرب من أهم مصادر ثروتهم الأمر الذي عكس نفسه على الأوضاع السياسية والاقتصادية في العالم العربي. (١)

وتداعت القوى العربية الإسلامية إلى موقف يتصدى للتغيرات الجديدة الطارئة. بسبب بدء الوجود الغربي في مياه المصالح العربية (المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي والبحر الأحمر)، وكان النظام السياسي اليمني المتمثل في الدولة الطاهرية المسيطرة على تهامة وجنوب اليمن أضعف من أن يتصدى بنفسه للغزو الغربي . (٢)

وفي الوقت نفسه ونتيجة للتأثير الاقتصادي بتحول طريق التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، على دولة المماليك في مصر والشام والحجاز ، وضياع العوائد والرسوم الضخمة التي كانت تجنيها الخزانة المملوكية. حيث أصبح المماليك أضعف من أن يواجهوا قوة البرتغاليين البحرية الناشئة، وذلك ما أوضحته هزيمة الأسطول المملوكي في معركة ديو البحرية في الهند عام ١٥٠٩م. (٣)

أمام المخاطر الجدية للمصالح العربيــة الإسلامية العليا التي نشهدها مع نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن التالي، سارعت القوة الإسلامية العثمانية التي كانت قد مدت نفوذها في أوربا حتى أبواب فينا العاصمة النمساوية ، لإنقاذ الموقف الخطير، سارعوا مدفوعين بعوامل الهلع للتغيرات الاقتصادية والسياسية في المنطقة العربية وللاحتضار الاقتصادي لدولة المماليك، والسيطرة والاحتكار البرتغالي على مياه المحيط الهندي وحركة التجارة الشرقية. وبحركة التفاف سريعة دخل العثمانيون الشام ومصر ، متجهين صوب المغرب العربي ، ليكونوا قريبين من ممر التجارة في جبل طارق، والدفاع عن حصون الإسلام هناك، بعد سقوط غرناطه آخر حصن للعرب في الأندلس ، وصوب بغداد للوصول إلى مياه الخليج العربي ، لصد البرتغاليين وحلفائهم الصفويين في إيران . والاستيلاء على اليمن عام ١٥٣٨م ، بغيه الوصول إلى مياه البحر الأحمر ومضيق باب المندب، ومنازلة البرتغاليين ومراكز نفوذهم ومصالحهم في هذه المنطقة الاستراتيجية المهمة المطلة على بحر العرب ومياه المحيط الهندي ، موطن ومعبر تجارة الشرق إلى أوربا عبر العصور التاريخية القديمة والوسيطة. (٤)

إن الموازين الجديدة والمتبدلة في عالم العصر الحديث المبتدئ ، بحركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الغربي الحديث ، المدفوع بالرغبة في الاستيلاء على الأسواق والمواد الخام و معابر الطرق التجارية البرية والبحرية ، وترتكز على قوة الإنتاج الصناعي " الثورة الصناعية "، ونمو الطبقة البرجوازية، وعلى البنادق و البارود والسفن الحربية والملاحية الحديثة، وكل هذه التبدلات الحديثة والمتطورة في الاقتصاد والمجتمع والقوة العسكرية، قد تخلف العالم العربي الإسلامي من الأخذ بأسبابها ، ليبدأ الغرب بالإمساك بزمام قيادة العالم بعد ثمانية قرون من سيطرة الحضارة العربية الإسلامية على العالم القديم في (آسيا- إفريقيا- أوربا). من (٦٣٥ م إلى ١٤٩٢م) من معركة اليرموك حتى سقوط- غرناطه (٥) إن معركة شد الحبل وتبادل القيادة في العالم عمليه تاريخية داخل الحضارات الإنسانية ، على البشرية أن تمارسها وتستعد لها ضمن قوانين التاريخ البشري ، الذي لا يأسى لأحد ولا ينافق أحد.

لقد تقبل العالم العربي العثمانيين راضياً ، أعطاهم الخلافة، على وهم أن هذا الجنس الجديد القادم من وسط آسيا الذي يدين بالإسلام ، هو جنس محارب مقاتل قادر على أن يحمي ديار العروبة والإسلام من غارات وغزوات الطامعين الأوربيين، ليكتشف- ((العالم العربي أنه نام على وهم ليصحو على كابوس)) .(٦)

وعندما توجه العثمانيون إلى بلاد اليمن في مطلع القرن السادس عشر للميلاد ، كانت حدودها (اليمن) تمتد شمالا حتى جنوب نجد والحجاز وجنوباً لتشمل بحر العرب وخليج عدن، ومن حدود عمان والربع الخالي شرقاً والى البحر الأحمر وباب المندب غرباً .(٧)

وشكلت الفترة الممتدة من ١٥٣٨م إلى ١٥٤٨م ، فترة توغل للقوات العثمانية في معظم أقاليم اليمن وصلت قمة سياسة البطش والعدوان العثماني بحصار صنعاء في أغسطس ١٥٤٧م ليتم الاستيلاء عليها وسط إراقة دماء أهاليها ومصادرة أموالهم واسترقاقهم، وفي الوقت نفسه توغلوا شمالا حتى صعده وأخمدوا نيران الثورة والمقاومة اليمنيـــة في كل من جيزان وعدن. لتشتد ، إلى حين ، قبضة العثمانيين على كل اليمن. (٨)

إن الأعمال العدوانية وسياسة البطش والسلب والنهب والقتل التي امتاز بها الحكم العثماني في اليمن ، ولدت طاقات جبارة للمقاومة اليمنية في ثورة استمرت طويلاً كانت عنواناً للكفاح الوطني للشعب اليمني ضد الوجود العثماني برمته، وتحت قيادة الإمام المطهر الحسن بن شرف الدين في أهم فترات النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد .[٩] واستعاد العثمانيون سيطرتهم مرة أخرى على اليمن في معارك أعوام ١٥٦٩- ١٥٧١م وليستمروا في توطيد سيطرتهم حتى عام ١٦٠٧ .[١٠]

وما كان للجلاد بين المحتل والمقاومة اليمنية أن ينتهي إلا بجلاء القوات الغاصبة عن الأرض اليمنية فقد تزعم الإمام القاسم بن محمد الثورة اليمنية ضد العثمانيين منذ ١٠٠٦ هـ/- ٧- ١٥٩٨م ومن بعده ابنه الإمام المؤيد محمد حتى تم طرد العثمانيين نهائياً عن الأرض اليمنية عام ١٦٣٥م .[١١]

ودخلت كل من " صبيا " و" جيزان " وكل مناطق المخلاف السليماني وتهامة ولحج وعدن وبلاد البيضاء وحضرموت والمهره لتصل الدولة اليمنية المركزية (القاسمية) غاية اتساعها ولتبسط نفوذها على كل الأرض اليمنية الطبيعية. في عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم الذي تولى الإمامة عام (١٦٤٤م)[١٢] .

غير أن حكم أئمة الدولة القاسمية اليمنية المركزية قد بدأ يعتريه الضعف والانهيار منذ أوائل القرن الثامن عشر للميلاد لأسباب عدة أهمها التنافس على الإمامة، وعدم الاستقرار في نظام الحكم مما شجع الكثير من عمال الدولة والحكام المحليين في مناطق عديدة من اليمن على الانفصال والاستقلال .[١٣]

فخرجت حضرموت عن جسم الدولة المركزية عام ١٧٠٥م وتبعتها سلطنة لحج في إعلان انسلاخها في العام ١٧٢٨م.[١٤] وعند وصول نيبور إلى صنعاء عام ١٧٦٣م كان أشراف " أبو عريش " قد أصبحوا مستقلين في تهامة .[١٥]

ويقدم نيبور صورة كاملة عن حالة التمزق والتفتت السياسي في الرقعة اليمنية بقوله : ((وفي هذه البلاد أمراء عديدون مستقلون". ويضيف " وربما كان الوضع أفضل لو كان يحكم هذه البلاد أمراء أقل عدداً)) .

ويحصر الإمارات والمشيخات المستقلة داخل اليمن بـ (١٤) إمارة ومشيخة، وهنالك أقاليم صغيرة مستقلة أيضا [١٦] ، ويضيف المؤرخ اليمني صالح علي باصرة في بحثه القيم الموسوم " حدود اليمن عبر التاريخ" المقدم إلى ندوة (الحدود السياسية) التي نظمها المجلس الاستشاري في الجمهورية اليمنية في صنعاء (صيف عام ٢٠٠٠م) بالقول: " لقد حدد كارستن نيبور الجزء الأكبر من أجزاء اليمن السياسية في القرن الثامن عشر، لكنه أغفل ذكر بعض الإمارات الجنوبية كدولة آل كثير في حضرموت والمهرة و ظفار، وإمارات العوالق وآل فضل وبلاد الأميري وغيرها من الكيانات السياسية.[١٧] ليكتمل بالقول السابق تصوير التراجيديا السياسية في اليمن التي مهدت لعودة الاحتلالات الأجنبية وتغلغل النفوذ الاستعماري الأجنبي وناء بكلكله على الأرض اليمنية حتى عام ١٩٦٧م.

والحقيقة أن عوامل موضوعية داخلية وخارجية كثيرة أدت إلى رسم هذه اللوحة السياسية البائسة لليمن في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر للميلاد، أدت إلى تقويض دولة الوحدة اليمنية السياسية بزعامة، الإمامة الزيدية واحتلال الأرض اليمنية أهمها في العامل الخارجي :[١٨]

١- تصاعد الصراع بين الدول الرأسمالية من أجل اقتسام العالم.

٢- أصبح البحر الأحمر مجالا حيوياً للاستعمار الغربي، فأدى إلى الاحتلال الإنجليزي لعدن عام ١٨٣٩م وبسط نفوذهم على جنوب اليمن وتوسع العثمانيين على ساحل البحر اليمني المطل على البحر الأحمر في عسير وتهامة اليمن عام ١٨٤٩م ، وصولاً إلى صنعاء عام ١٨٧٢م، كما ساعد افتتاح قناة السويس ١٨٦٩م على زيادة أهمية البحر الأحمر الحربية والتجارية، واهتمام فرنسا وإيطاليا المتزايد به، مما أدى إلى اشتداد الصراع الاستعماري بصورة عامة.

الاحتلال الإنجليزي و أهمية عدن والبحر الأحمر للمخططات البريطانية

من أجل تحقيق الأهداف الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية خططت حكومة الهند البريطانية مدفوعة بالرغبة الملحة للاستيلاء على هذا الميناء الذي يتمتع بأهمية حيوية قصوى من حيث استخدام عدن كمحطة لتموين البواخر البريطانية بالفحم والمياه والمؤن اللازمة، ولاتخاذها مركزاً حربياً ممتازاً لوقف توسع والي مصر محمد علي باشا، وتصفية نفوذه المتزايد في الجزيرة العربية الذي بدأ يهدد طريقي مواصلاتها إلى الشرق عبر الخليج والبحر الأحمر [١٩]

وفي الوقت نفسه اتخاذ عدن قاعدة دفاعية متقدمة لمواجهة الرغبات القوية من قبل روسيا القيصرية الساعية للقفز على مصالح بريطانيا عبر إيران، والوقوف أمام التسلل الفرنسي إلى مصر الهادف إلى ضرب بريطانيا في الشرق من جهة أخرى. [٢٠]

إن الخطط الإنجليزية للاستفادة من احتلالها لعدن تتوسع مع المطامع البريطانية في المنطقة التي

تتلخص إلى جانب ما سبق فيما يلي:

أ. بسط النفوذ البريطاني في جنوب الجزيرة العربية من جهة وفي حوض البحر الأحمر بشقيه الآسيوي والإفريقي.

ب. مراقبة ومنافسة النشاط المصري على ساحل بلاد العرب من جهة، وعلى طول الساحل الغربي للبحر الأحمر وخليج عدن والساحل الشرقي لإفريقيا من جهة أخرى .[20]

ج. المراقبة اليقظة والحذرة للتحركات الفرنسية الاستعمارية المنافسة للمصالح البريطانية في منطقة البحر الأحمر وبخاصة في الحبشة والصومال.

د. الاستفادة من وجودهم في عدن، وتوجيههم الحملات على "الحبشة في العامين (٦٧-١٨٦٨م).

ه. بعد افتتاح قناة السويس سنه ١٨٦٩م زادت أهمية عدن كقاعدة استراتيجية بحريه وعسكرية للبريطانيين في منطقة البحر الأحمر . وقد عمدت بريطانيا إلى السيطرة على مصر والقناة، باعتبارها المفتاح الشمالي للبحر الأحمر، في حين استمرت في الاحتفاظ بسيطرتها المتزايدة على عدن وما حولها باعتبارها المفتاح الجنوبي لهذا البحر. [22]

و. بعد ثلاث سنوات من فتح قناة السويس ١٨٧٢م وجه العثمانيون حمله على اليمن، ثم زحفت قواتهم جنوباً على مقربة من عدن

ز. كان على البريطانيين في عدن أن يواجهوا أيضاً تطلعات الإيطاليين الذين كانت أنظارهم ترنو حينئذ إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر ، ولسياسة استعمارية بريطانية حالفوا الإيطاليين على حساب منافسيهم الفرنسيين لهم بجوار قاعدتهم الاستراتيجية عدن .[24]

الخطوات العملية للاحتلال :

تبدأ تطلعات الإنجليز الفعلية مع بلدان الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر ومنها اليمن منذ مطلع القرن السابع عشر للميلاد . عندما منحت الملكة " اليزابيث الأولى " امتيازاً لشركة الهند الشرقية البريطانية يتيح لها إقامة مشاريع تجارية في هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة [25] .

وتجلى الطابع العسكري البريطاني لاحتلال مراكز ومواقع يمنية بشكل واضح منذ نهايات القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، نتيجة للتسابق الاستعماري المحموم بين بريطانيا وفرنسا، إذ كان الفرنسيون قد دعموا موقفهم في مصر وزاد حجم تجارتهم فيها خمسة وعشرين مرة حجم التجارة الإنجليزية . وبعد أن فقدت فرنسا إمبراطوريتها الهندية ، بدأت تبحث عن وسائل جديدة لدعم سيطرتها على مصر، ومن خلال التسابق الفرنسي الإنجليزي للحصول على امتيازات ملاحية وتجارية . وبعد قيام الثورة الفرنسية عاد الاهتمام الفرنسي مجدداً بمصر وتم احتلالها في خريف عام ١٧٩٨م . [26]

وما إن دخل الفرنسيون مصر حتى احتل الإنجليز ، مباشرة ، في العام التالي- ١٧٩٩م- أهم الجزر اليمنية (ميون / بريم) التي تسيطر على مضيق باب المندب الإستراتيجي الهام لحركة التجارة والبواخر الحربية بين الهند و أوربا . [27]

ليصبح اليمن ذا أهمية لبريطانيا العظمى على مدى قرن ونصف القرن تقريباً إذ بحلول ١٨٣٧م بدأت بريطانيا توجه اهتمامها نحو عدن وفي نفس العام كشف تقرير بريطاني أن محمد علي باشا، والي مصر منذ (١٨٠٥م) كان يخطط منذ ١٨٣٢ للاستيلاء على عدن، وذلك بدعم مركزه في اليمن . وبحلول عام ١٨٣٩م كان هناك ضغط ثنائي من بريطانيا وتركيا لإجلاء قوات محمد علي عن اليمن، وأكد التقرير السابق على ضرورة استيلاء بريطانيا على عدن ، ليس فقط لإحباط خطط والي مصر ، بل أيضاً لتثبيت وجود بريطانيا في عدن كمركز تجاري ومحطة لتزويد السفن التجارية الجديدة التي تسافر بين السويس والهند بالوقود. وفي ١٩ يناير ١٨٣٩م تم الاستيلاء على عدن.

وتوافق احتلال عدن ، من قبل الإنجليز ، انسحاب إبراهيم باشا في ٢٢ أبريل ١٨٤٠م بعد أن وصلت قواته المصرية إلى مشارف تعز وحاولت في العام السابق الاستيلاء على منطقة الحجرية الهامة والخصبة، ومن المؤكد الرغبة الشديدة لمحمد علي في الاستيلاء على عدن [28] التي يقول عنها الباشا "وهي العين التي لليمن " . [29]

سياسة بريطانيا في جنوب اليمن :

يحلل قحطان الشعبي- الذي أصبح أول رئيس جمهورية في جنوب اليمن عام ١٩٦٧م - الأوضاع في جنوب اليمن والسياسة البريطانية فيه بقوله: " بعد أن احتل الإنجليز عدن أخذوا يتوغلون في المناطق

المجاورة لها، في السلطنات والإمارات والمشيخات ، تارة بالتغرير على حكام هذه المناطق وتارة بإغرائهم بقليل من المال والهدايا مظاهر الاحترام المصطنعة وتارة بتوزيع البنادق ، والذخيرة على الرؤساء والقبائل لإثارة الروح القبلية والحروب والأخذ بالثأر فيما بينهم حتى يضطر رئيس كل قبيلة طلب السلطات الاستعمارية في عدن الحماية والمساعدة ضد رئيس قبيلة أخرى، كما لم يتورع الإنجليز في توسعهم أن يستعملوا القوة ."

ويضيف " وقد حرصوا منذ بداية توغلهم في هذه المناطق أن يزيدوا تركيبها السياسي القبلي والاجتماعي تعقيداً وتجزئة وبدائية، متذرعين كعاداتهم بحجة احترام العادات والنزعات القبلية." (٣٠)

ويمكن إلقاء نظرة عامة على مراحل تأثيرات الرأسمالية في اليمن، وعموم الجزيرة العربية من خلال أربع مراحل حتى يومنا هذا ، اثلتان منها في الفترة الزمنية مدار البحث ، الأولى من (١٥٠٠-١٨٠٠م)، و"الثانية من (١٨٠٠-١٩٤٥م)، انحصرت تأثيرات الفترة الأولى في الجانب الاقتصادي بالتجارة، وفي الجانب الجغرافي بمرافئ الخليج والبحر الأحمر، أما في الفترة الثانية، اتبعت السياسة البريطانية عمليات الضم ، تاركة البنى الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية دون تغيير نسبي . (٣١)

ففي الحقبتين الأولى والثانية كانت الرأسمالية تنظر إلى أهمية شبه الجزيرة العربية بصورة هامشية في نطاق مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية، حيث لم تجد المبررات- لتغيير تركيبة المجتمع العربي، رغم التوسع الرأسمالي البريطاني العسكري في سواحل الجزيرة العربية في عشرات السنين التي تلت العام ١٨٠٠ م لتصل في سبعينيات القرن التاسع عشر إلى ثلثي سواحل الجزيرة ، " وكانت السياسة البريطانية في تلك المنطقة تحكمها الرغبة في حماية الهند ، " ومن أجل تحقيق إبقاء الجزيرة العربية عازلاً وحاجزاً فقط ، فقد فرض البريطانيون سياسة إعاقة نمو الحياة الاجتماعية- الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية. (٣٢)

وما وسم هذه المرحلة الاستعمارية، هو عدم وجود دلائل على أشكال الاستغلال الاقتصادي الاستعماري التقليدي (استخراج مواد أولية - توطين مستعمرين أوربيين- فتح أسواق ربحية)، مما كان سيؤدي إلى تغيرات بنيوية اجتماعية في مجتمع شبه الجزيرة العربية واتبعت السياسة الاستعمارية البريطانية سياسة تكريس الانقسامات بين القبائل والمناطق حسب مبدأ " فرق تسد " ، فالانقسامات بين جنوب اليمن وشماله أعطت دفعة قوية وجديدة من التعزيز . (٣٣)

لقد اتبعت السياسة البريطانية " المبدأ المرن" في السياسة لحل المشكلات الخارجية والاستعمارية، لتمتد في كل مكان " مدعومة بمظاهر شتى مثل معاهدات الولاء والصداقة " وهي السياسة التي اتبعتها بريطانيا مباشرة بعيد احتلالها لعدن عام ١٨٣٩م مع سلاطين ومشايخ وأمراء جنوب اليمن. (٣٤)

وبتعقد التنافس الاستعماري في الوطن العربي عامة وشبه جزيرة العرب على وجه الخصوص، وبتطلع الباب العالي إلى مستعمرته المفقودة اليمن ، ومع السبعينات من القرن التاسع عشر غير الإنجليز من أساليبهم الاستعمارية لينتقلوا من معاهـدات " الصداقة والولاء " إلى معاهدات " الحماية " فبدلاً من تسع قبائل كانت تحت الحماية البريطانية عام ١٨٨٠م ، وجد مناسباً رفع عددها مع السياسة البريطانية الجديدة ليصل عدد القبائل -- بعد التاريخ المذكور سابقاً - التي أصبحت لها علاقات تعاهديه مباشرة مع الحكومة البريطانية إلى خمسة عشر قبيلة (٣٥) ولم تمض سنة ١٨٩٦م إلا وكانت هذه المعاهدات قد وصلت ووقعت مع (١٧) من عشرين حاكما في المنطقة المحيطة بعدن في جنوب اليمن. (٣٦)

وبخصوص اتصالات بريطانيا بالمناطق الشرقية لجنوب اليمن فقد كانت بطيئة بسبب بعد هذه المناطق ، وكانت المعاهدة البريطانية- القعيطية مع السلطان القعيطي في المكلا عام ١٨٨٨ م ومع السلطان الكثيري عام ١٩١٨م ولم تشهد حضرموت سيطرة بريطانية كاملة إلا منذ ١٩٣٤م. (٣٧)

ومن الجدير ذكره هنا أن الاحتلال البريطاني لعدن ١٨٣٩م والتغلغل الاستعماري في جنوب اليمن لم يمر بسهولة ؛ إذ شهدت الأرض اليمنية ثورات وحركات مقاومة شبه يومية أقلقت مضاجع السلطات البريطانية وكبدتها الثمن الكبير، متعهدة بعدم مرور مخططاتها الاستعمارية ضد الأرض والإنسان اليمني متوعدة إياها بالكفاح والنضال المستمر والدائم حتى النصر. (٣٨)

السيطرة الأنجلو- عثمانية وسياستهما في تقسيم اليمن (١٨٣٩- ١٩١٨ م)

بداية المخططات .. أمثلة وأدلة:

سنورد الأدلة والأمثلة على الدور الإنجليزي العثماني المبكر وما تلاه من مخططات استعمارية في تقسيم اليمن والوطن العربي وسنجعل القارئ، يحكم على ذلك:-

أولا: يوضح يعقوب (جاكوب) التفكير المبكر لقائد الاحتلال البريطاني لعدن الكابتن هنس في تقسيم اليمن بقوله: " اعتقد هنس (١٨٣٩-١٨٥٤م) أنه من المضر بالمصالح البريطانية أن يصبح الإمام الزيدي أو

إمام الزيدية قريباً جداً من عدن.
وقد دافع عن وجهة نظره القائلة بضرورة القيام في رسم خط الحدود (كحد) لمنع تقدم الزيود نحو الجنوب في اتجاه قعطبة. وهذا هو الحد الجنوبي المعين من قبل لجان الحدود الإنجليزية التركية بعد ذلك الذي تم تخطيطه في عام ١٩٠٢– ١٩٠٤ م . (٣٩)

ثانياً : يضيف يعقوب (جاكوب).. ((في سنة ١٨٤٠م تم إرغام القوات المصرية على الجلاء عن اليمن وسلمت الموانئ اليمنية عن طريق الباب العالي إلى الشريف حسين بن حيدر صاحب " أبو عريش " ، وقد كان هذا التقسيم لليمن والتجزئة فيها نذيراً لكل مشاعر العدوان والخصومات المتتالية بين الأتراك وإمام صنعاء .)) (٤٠)

ثالثاً : انظر كيف يتم القضاء على انتماء عدن إلى وطنها اليمني وفصلها عنه وإذابة الهوية الوطنية والقومية لها .

" ففي عام ١٨٨٤م كتب عن عدن المساعد الأول للمندوب السامي الرائد ف. م هونتر . . وفي تقريره هذا جاء عن عدن ما يلي: " وفي عدن نفسها يجب علينا بالطبع أن نحتفظ دائماً بشعب خليط من السكان بصورة منتظمة وبقبضة حديدية . " (٤١)

رابعاً : وتستكمل حلقات التآمر الاستعماري الصهيوني في تجزئة العالم العربي ومنع وحدته القومية إذ يشير محمد حسنين هيكل إلى وثيقة رسالة بين " روتشيلد " الزعيم اليهودي ورئيس وزراء بريطانيا " بالمرستون " في عام ١٨٤٠م." في مراسلات " روتشيلد " مع " بالمرستون " رئيس وزراء بريطانيا سنه ١٨٤٠ م ، لم يكن لدى " روتشيلد " من حجة لإقناع رئيس وزراء بريطانيا بتشجيع وتأييد هجرة اليهود إلى فلسطين إلا أن تكون مستعمرتهم في الأرض المقدسة حاجزاً يمنع قيام مشروع وحدة عربية تنشئ قوة عظمى في المنطقة على نحو ما حاول " محمد علي باشا " والي مصر أن يفعله قبل " بضعة شهور ". (٤٢)

خامساً : لتصل المؤامرات الاستعمارية الصهيونية غايتها في تقسيم الأمة أشتاتا ، والوعد بوطن قومي صهيوني لليهود في فلسطين، حيث يضيف هيكل: " جلست بريطانيا مع فرنسا، حتى قبل أن تتوقف معارك الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨م)، لاقتسام تركة الخلافة (العثمانية) ، خصوصا في العالم العربي وجرى (بينهما) توقيع معاهدة "سايكس– بيكو"(عام ١٩١٦م) ، مصر والعراق وفلسطين والسودان وشبه الجزيرة العربية من نصيب بريطانيا . وسوريا ولبنان وتونس والمغرب والجزائر من نصيب فرنسا . "

وفوق ذلك – وقبله – فهناك وعد من بريطانيا ليهود العالم، ممثلين في " روتشيلد " بوطن قومي لليهود (٤٣) في فلسطين ، وكان ذلك الوعد قد حدد باسم وعد "بلفور" في الثاني من نوفمبر ١٩١٧م.

ولنا وقفه فيما يتصل بآراء يعقوب (جاكوب) التي وردت في كتابه ملوك شبة الجزيرة العربية، الذي صدر عام ١٩٢٣م، في هذا الاتجاه ، أولا لأنه محايث للأحداث، وثانيا أنه خدم السياسة البريطانية في اليمن في فترة التقسيم الأنجلو – عثمانية والإمامية اللاحقة، وثالثا إن آراءه ضد العرب ووحدتهم كانت مجافيه للموضوعية بل – وليسمح لنا – تتسم بروح استعمارية عنصرية، وإن حوارنا مع آرائه هو حوار مع السياسات الاستعمارية والروح العنصرية التي حكمت الحقبة الاستعمارية في الوطن العربي ومازالت تمارس حتى يومنا هذا.

<u>آراء يعقوب (جاكوب) (هارولد) :</u>

أ. " . . كان الحكم التركي في اليمن (لعنة) كغيره من أنظمة الحكم التي تسير على طريقة (فرق تسد) .. وقد وجدوا العرب انفصاليين (!) بحكم العادة والعرف الذي ثبت مع الزمن، وطول الاستعمال والممارسة وشعار العربي قوله: (اترك كل شخص يرعى نفسه). (٤٤)

ب. نحن (الإنجليز) ميالون كثيراً ، إلى تحريك الاختلاف والتباعد بين الطائفتين في شبه الجزيرة العربية وهو بالأحرى انقسام جغرافي " (!!) .. رغم اعتراف (جاكوب) وبطريقة دعته للأسف بقول: " في اليمن تصلي كلا الطائفتين في مسجد واحد . . . والسنه والشيعة اليمنيون يتزاوجون فيما بينهم . (٥١)

ج. " . . إن الاستقلال شعارهم (العرب) ولا يزال ينقصهم التماسك لتحقيقه . إنهم على عكس، بقر الدربانية لا يستطيعون أن يحافظوا على السير في صف . . إنهم يريدون حكومة (دولة) تقدم لهم اللازم وتتركهم منفردين بأنفسهم . . .

ويستشهد يعقوب (جاكوب) بكلام للمستشرق رينان حول الأسس المكونة والموحدة للأمة بالقول: ((إن الأساس الحقيقي المكون للأمة الذي يؤلف بين أبنائها ليس هو الجنس، ولا اللون، ولا اللغة ولا الدين ولا الحدود الطبيعية، ولكنه الرغبة في الانسجام وقيام حياة مشتركة.)) [٤٦]

د. ومن خلال تهمتي الانفصالية وعدم الوحدة، والتحضر، تتأتى ثالثة الأثافي من خلال رؤية (جاكوب) العنصرية للعرب بأنهم حيوانات متوحشة تحب القتل وسفك الدماء. بقوله: " (الرجال حيوانات تحمل بنادق) والعرب يقعون ضمن هذه الفئة من الرجال ." [٤٧] ويرى الباحثان في ردهما على آراء يعقوب (جاكوب) ما يلي: لقد أقام العرب إمبراطورية واحدة موحدة مترامية الأطراف تفوق إمبراطورية الإسكندر المقدوني والإمبراطورية الرومانية اتساعاً، وتمتد من حدود الصين الغربية والمحيط الهندي شرقاً إلى جنوب فرنسا (غالية) والمحيط الأطلنطي غرباً .

وكان العرب ومازالوا صناع حضارة، حموا الجماعات والطوائف والديانات الأخرى، وبخاصة والمثال على ذلك اليهود في الأندلس، الذين حموهم من بطش المتعصبين الغربيين، والسياسات الاستعمارية الصهيونية الحديثة والمعاصرة أعطتهم الحق بوطن قومي لهم في بلادنا فلسطين، دون وجه حق وتخلصاً منهم، وضمن سياسة استعمارية اتبعت القتل والبطش والإبادة وتهجير بالسكان العرب الأصليين .

ومن ثم لم يكن العرب انفصاليين بل عشاق وحدة في أمة واحدة، وحضارة إنسانية مبدعة لصالح وخير البشرية ، ولم تتطرق العنصرية يوماً إلى ثقافتهم وفكرهم وممارستهم التاريخية . ونحن مع (جاكوب) في اتكائه على مقولة رينان حول أهمية " الرغبة في الانسجام وقيام حياة مشتركة . " كأساس من أسس وحدة الأمم ولكن ما يزيد وحد ة الأمم قوة وتماسكا هي وحدة اللغة وأيضا الثقافة والجغرافيا والتاريخ المشترك، وهو الذي تتمتع به وحدة أمتنا العربية تاريخياً .

إن تهم الانفصالية وعدم السير في صف واحد والعنصرية والهمجية تجاه العرب يطرح تساؤلات عدة . .

أولا : ألستم (والخطاب لصانعي السياسات، الاستعمارية تجاه الوطن العربي) أنتم الذين تفرقون وتشتتون صف بقر الدربانية هذا . . ؟ !

ثانيا : لم يقم العرب أي نظام عنصري أو تفرقة عنصرية في حياتهم شبيه بالنظام العنصري في روديسيا وجنوب إفريقيا ولا التفريق العنصري في الولايات المتحدة وفي الغرب، والسائد حتى يومنا هذا مع مطلع القرن الحادي والعشرين للبشرية ، ثم ألم تكن النازية والفاشية التي قتلت ثمانين مليون من البشر صناعة متحضرة للغرب؟ يا أخانا في البشرية (جاكوب).

واليوم ألم تكل (والخطاب للسياسات، الاستعمارية) بمكيالين في قضايا حقوق الإنسان والشعوب المضطهدة ، فمن يا ترى في الأخير" حيوان يحمل بندقية " وصواريخ وقنابل ورؤوس نووية، تمارس الإبادة الجماعية للشعوب في هـــيروشيما ونجازاكي اليابان وفي كوريا وفيتنام ، وآسيا وأفريقيا والوطن العربي وأمريكا اللاتينية ؟

السياسة الأنجلو – عثمانية في تقسيم اليمن (١٨٧٢ – ١٩١٨م)

تلخيص الصورة :

تركنا آنفاً اليمن عام ١٨٤٠ مقسمة إلى ثلاثة أجزاء : حسين بن حيدر في"أبو عريش وتهامة بمباركة الباب العالي والإنجليز، و " الإمامة " في الهضبة الوسطى والشمالية من اليمن، و"الجزء الجنوبي" المحتل من قبل الإنجليز المتمثل بمستعمرة عدن والنواحي التسع حولها . ودارت على الرقعة الجغرافية اليمنية الطبيعية في هذه الفترة الممتدة من (١٨٣٩ إلى ١٩١٨م) صراع إرادت ثلاث ورابعة غائبة أو مغيبة.

الأولى الدعاوى العثمانية في ملكية كل أراضي شبه الجزيرة العربية [٤٨] ومنها كل الأرض اليمنية التي تمثل في عودتها سريعاً بعد تدخلها في تقسيم اليمن عام ١٨٤٠ إلى تهامة اليمن عام ١٨٤٩م لتبلغ اقصى أتساع لها في المنطقة العربية باحتلالها صنعاء عام ١٨٧٢ م ، وليبدأ حينها الضغط على المصالح البريطانية في الإمارات القبلية التسع التي تحبط بمستعمرة عدن.

الثانية إرادة المستعمر الإنجليزي في الحفاظ على ممتلكاته في جنوب اليمن (المستعمرة والإمارات التسع) وكسب المزيد من الأرض اليمنية تحت أساليب وذرائع استعمارية سبق وأن أشرنا إليها، مطوراً معاهدات " الصداقة والولاء " إلى معاهدات " الحماية " لتشكل دعوي قانوني [٤٩] أمام مطالب الإرادتين الأولى والثالثة الممثلتين بالعثمانيين والإمامة في بقية اليمن وخاصة منذ عام ١٨٧٢م وما تلاها من سنوات .

الثالثة مطالب الإمامة الدائمة بأن اليمن أرض أجدادها، وأنها صاحبة الحق الأولى والأخيرة فيها ، وأنها المرجع السياسي والحقوقي في الأرض اليمنية في التعامل مع الغير.[٥٠]

الإرادة الرابعة الغائبة أو المغيبة هي إرادة الشعب اليمني التي اعتمدت على النفس الطول في المقاومة والكفاح ضد الإرادات السابقة وإن تعاملت مع الإمامة كقيادة لها عندما تؤمن الأخيرة بالكفاح من أجل تحرير الأرض ، والمعادية لها عندما تنكص عن مشروع الكفاح والجهاد ضد المحتل الغاشم. ولتقلب إرادة الشعب اليمني الوطنية والباسلة الطاولة على كل الإرادات المعادية مفشلة خططهم الاستعمارية التقسيمية الانفصالية ومحاولة التفتيت والتقسيم الطائفي ولتنتصر في النهاية محققه لنفسها الوحدة الوطنية والاستقلال السياسي منذ سبتمبر الخالد ١٩٦٢ م وأكتوبر المجيد المتجسد في الجلاء عام ١٩٦٧م ، ليصل الشعب اليمني إلى غايته المنشودة في وحدة الأرض والإنسان في الثاني والعشرين من مايو (١٩٩٠ م) . [٥١]

الخطط والسياسات – الإجراءات البروتوكولات للتقسيم

الخطط والسياسات :

بعد تسليم الباب العالي والإنجليز " أبو عريش " وتهامة إلى حسين بن علي حيدر عام ١٨٤٠م ، طلبت الإمامة الزيدية عام ١٨٤١م مساعدة الإنجليز في إجلاء ، الحسين بن علي حيدر عن التهائم دون جدوى. [٥٢]

وفي عام ١٨٤٣م أرسل الإمام وفداً لطلب المساعدة من الإنجليز فاعتذروا مجدداً ، وبعد فشل سياسة تأليب الإنجليز، والحصول على مساعدتهم هددت الإمامة بالاستيلاء على لحج. [٥٣]

غير أن مستجدات طرأت في صنعاء تمثلت في استيلاء الإمام المتوكل محمد بن يحي عام ١٨٤٥م على منصب الإمامة ، وإعلانه الجهاد على أشراف " أبو عريش "، وأوشك حينها الإمام المتوكل على الانتصار واسترداد هذه المنطقة المستقلة إلى حضن اليمن ، مما جعل الإمبراطورية العثمانية تسارع لاحتلال الحديدة، وأجبرت الإمام المتوكل على توقيع اتفاقية معهم ، تبقي الإمام في مواقعه السابقة ، على أن يكون ممثلا للباب العالي وسط رفض المقاومة اليمنية عودة الاحتلال العثماني والاتفاق الإمامي العثماني وللتغلغل الإنجليزي الاستعماري في جنوب اليمن. [٥٤]

على أن العوامل الداخلية والخارجية التي حكمت هذه الفترة الممتدة من (١٨٤٩ إلى ١٨٧٢م) عام احتلال العثمانيين للمناطق الجبلية الشمالية وللعاصمة اليمنية صنعاء ، قد ساعدت على توطيد سلطة المحتل الغاصب للأرض اليمنية، وبقائها مقسمة وغير موحدة . وتمثلت أهم هذه العوامل في سلبيات التشرذم والتفتت السياسي في جنوب اليمن، والصراع بين الأئمة ، إذ اصطرع على سبيل المثال تسعة من الأئمة على حكم مرتفعات اليمن في الفترة (١٨٤٩ – ١٨٥٥م) .

كما أن افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م قد مكن العثمانيين من سرعة إرسال حملات جديدة لتكتمل سيطرتها شبه الكاملة على شمال اليمن في العام ١٨٧٢م . [٥٥]

وبعد احتلال العثمانيين صنعاء عام ١٨٧٢م عززوا مركزهم ، واتخذوا سياسة مناوشة البريطانيين في عدن ، من خلال مساعدة القبائل في جنوب اليمن بتحريضهم إياهم على الاستيلاء على لحج، ودخل العثمانيون تدريجياً أرض العبدلي والحوشبي والأميري ليحتلوا الضالع في الختام. [٥٦]

وبسياسة الاحتلال والتوسع العثماني هذه وصلت الرقعة الجغرافية اليمنية التابعة لنفوذهم إلى أقصى اتساعها في هذه الفترة (١٨٧٢م) إذ جعل الأتراك اليمن ولاية واحدة، فقسموها إلى أربع متصرفيات (تعز – صنعاء – عسير – الحديدة)، وكان الوالي (الحاكم) العثماني يقيم في صنعاء، وقسمت كل متصرفية إلى عدة أقضية ،كل قضاء يحكمه قائمقام.

وتشتمل متصرفية تعز على قضاء (إب – العدين – الحجرية – المخا– قعطبة)، ومتصرفية صنعاء على (حراز – حجه – ذمار – يريم – رداع – عمران) ، وتتضمن عسير (أبها – رجال ألمع – القنفذه) والحديدة تشمل (زبيد – اللحية – ريمة – حجور – بيت الفقيه – باجل – أبو عريش) ... [٥٧]

وشكلت الإمارات "التسع " [٥٨] المدى الذي وصل إليه التغلغل الإنجليزي في جنوب، اليمن حتى عام ١٨٧٢م و تتشكل هذه الإمارات من:-

١) العبدلي	٤) الحوشبي	٧) الصبيحي
٢) الفضلي	٥) العلوي	٨) اليافعي
٣) العقربي	٦) الأميري	٩) العولقي

ويوضح أريك ماكرو أثر الوجود العثماني في اليمن بعد ١٨٧٢م على السياسة البريطانية تجاه إمارات وسلطنات جنوب اليمن بقوله : ".. وقد أدى وجود الأتراك في اليمن إلى عقد مالا يقل عن ١٤ اتفاقية حماية

على مدى الأعوام الستة والعشرين التي تلت سنة ١٨٧١م ، وأدت النشاطات والعمليات العسكرية لدعم لجنة الحدود الأنجلو- تركية إلى إبرام أكثر من ١٣ اتفاقية أخرى ، كما تم التوقيع على ثلاث اتفاقيات أخرى بين سنتي ١٩١٢- ١٩١٥م ، وذلك في أعقاب الحرب التركية الإيطالية، وفي سنة ١٩١٩م كان في الأراضي المحيطة بعدن والجزر المجاورة ٣١ زعيماً وقعت معهم اتفاقيات.) (٥٩)

خطط متبدلة.. وسياسات حثيثة للتقسيم

خطط متبدلة :

شكل الغزو العثماني لسلطنات جنوب اليمن (١٨٧٢م)، واحتلاله أراضي الحوشبي والصبيحي والأميري الذي جوبه بمقاومة بريطانية شديدة ، – شكل – بداية الصراع الأنجلو – عثماني المرير من أجل النفوذ والسيطرة في جنوب الجزيرة العربية (٦٠) . وحاول الباب العالي التأكيد على حقوقه في سواحل البحر الأحمر وخليج عدن – ناهيك عن حقوقه التاريخية في الجزيرة العربية المشار إليه سابقاً – وعلى مصير وسيادة الدولة العثمانية وسلامة أراضيها، بعدما ضمنتها معاهدات لندن في عام ١٨٤٠م وباريس في عام ١٨٥٦م ، وبرلين في عام ١٨٧٨م . (٦١)

على أن الرياح سارت عكس ما تشتهي السفن. إذ سارت السياسة البريطانية إلى فرض الحماية البريطانية على إمارات جنوب اليمن والانتقال إلى اتباع سياسة الهجوم في صراعها مع العثمانيين بعد أن كانت السياسة البريطانية السابقة والمفيدة لها تقوم على دعم وحدة الإمبراطورية العثمانية المتهالكة، والحفاظ على التأثير البريطاني في الأستانة مع تقوية النفوذ البريطاني في الولايات العربية.

فتغيرت سياسة بريطانيا منذ عام ١٨٨٦م إزاء الإمبراطورية العثمانية، مدفوعة بأسباب وعوامل متعددة، فالخطر الإمبريالي الألماني الساعي للاستيلاء على الولايات العربية العثمانية قد نشط بشكل كبير مع التبدلات الاقتصادية وتفاوت التطور الاقتصادي والسياسي على الصعيد العالمي والبحث عن أسواق جديدة لبريطانيا وفرنسا كحل من خطر المنافسة ، والسعي للتوسع الجغرافي للمستعمرات لتوفير المواد الخام ، واشتداد الصراع الاستعماري من أجل اقتسام العالم، ونتيجة ذلك راهنت الأوساط البريطانية على تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية والاستيلاء على الأراضي العربية التابعة لها (٦٢)

خطط وسياسات حثيثة :

سبق أن أوضحنا الرغبة البريطانية في إقامة حدود (كحد) لمناطق نفوذها في جنوب اليمن ونفوذ الغير منذ أن وطــأت أقدامها المحتلة الأرض اليمنية، متذرعين بأسباب واهية وطروحات عقيمة تمثلت في أن محمد علي باشا كان في عام ١٨٣٩م قد أشار أو اعترف بأن الجبال المطلة على شمال سهل لحج تشكل الحدود الجنوبية لليمن (!)، وأن مطالبهم الحالية بعيد اشتداد الصراع الأنجلو – عثماني على مناطق النفوذ اليمن عام ١٨٧٢م ، تتمثل في حماية استقلال الزعماء العرب المحليين الذين يتمتعون باستقلالهم منذ ١٦٣٣م وأيا كانت حقوق الباب العالي في السيادة على اليمن، فإن حكومة جلالة الملكة تود أن يحاط الباب العالي علماً – كما سبق الحال مع محمد علي باشا في عام ١٨٣٩م – " بأنها ترغب في احترام استقلال الوطنيين المقيمين بجوار عدن . (و) لن تقف مكتوفة الأيدي إذا ما حدثت أية محاولة للانتقاص من سيادتهم . " (٦٣)

وانتقلت بريطانيا إلى السعي الحثيث لإقرار التقسيم ولو من طرف وأحد تمثل في صدور التعليمات من حكومة الهند البريطانية إلى المقيم السياسي البريطاني في عدن في شهر مارس عام ١٨٧٧م بأن يبذل الجهود للوصول إلى تسوية واتفاق مع والي اليمن العثماني لتحديد الحدود بين منطقة النفوذ العثماني والنواحي التسع المرتبطة ببريطانيا بمعاهدات صداقة وولاء . (٦٤)

كما تمثل في مد الحماية على القبائل أو الإمارات التسع (٦٥) لاتخاذه ذريعة قانونية لبسط النفوذ وإرغام العثمانيين كي يوافقوا على تحديد خط مستقر للحدود بين منطقتي النفوذ البريطانية والعثمانية في جنوب اليمن (٦٦) وفي شهر أغسطس ١٨٨٩م أقترح على الحكومة البريطانية أن تتخذ من جانبها الخطوات اللازمة لتحديد الحدود بين منطقتي النفوذ البريطانية والعثمانية في جنوب اليمن دون انتظار موافقة العثمانيين على ذلك بل أن عليها أيضاً إجبارهم على احترام هذه الحدود. (٦٧)

مؤامرة التقسيم :

برتوكولات.. معاهدة . . مقاومة يمنيه مستديمة ..

شهدت الفترة الزمنية الممتدة من ١٨٨٦ إلى ١٩١٨م تبدلات وتغيرات سياسية على المستوى اليمني والإقليمي والدولي . أهم ما يميزها ثلاث محطات كان لها تأثيرها في التاريخ اللاحق للمنطقة والعالم.

الأولى : تتمثل في خطوات ما سمي بالبرتوكولات سيرا صوب معاهدة الحدود عام ١٩١٤م وتقسيم اليمن إلى منطقتي النفوذ بريطانية عثمانية[٦٨] مع ما استتبعه من ولادة قسم ثالث في منطقة عسير اليمنية حكمها، عامل المقاومة أولا ضد الأتراك بعد صلح دعان ١٩١١م وغلبة المصالح الإيطالية وفشل المحاولة الإماميه العثمانية لغرض انضواء الأدارسه تحت لواء الإمامة الزيدية والمظلة العثمانية ومن ثم التحالف الادريسي البريطاني في الحرب الأولى ١٩١٥م لتؤول أملاك آل عايض ولأدارسه اليمنية في النهاية إلى آل سعود تباعاً في عام ١٩٢٠ و ١٩٢٦م . [٦٩]

وكانت النتائج كما نلاحظ وخيمة على وحدة الأرض والشعب اليمني، ضمن سياسة إماميه حذرة ومحايدة، وغير قادرة على قيادة مقاومة حقيقية تؤدي إلى تحقيق نتائج وطنيه تستعيد وحدة الأرض والإنسان اليمني. [٧٠]

ثانياً : الصراع الانجلو- عثماني . ، فقد استغل الطرفان كل مكامن القوة والضعف لديهما من أجل إنجاز مخططاتهم التآمرية ومصالحهم الإيثارية الاستعمارية، واستعان الطرفان ووظفا كل التحالفات والعلاقات والأحداث المحلية والإقليمية والدولية لصالح فرض شروطــهما على الآخر.

وما يلحظ هنا غلبة المخططات البريطانية وانتصارها في النهاية، المتمثل في فرض المعاهدة الانجلو - عثمانية وجعل العثمانيين يعترفون بمنطقة النفوذ البريطانية وترسيم الحدود بين عدن والمحميات وشمال اليمن مقسمين اليمن إلى شطرين، وكان الخاسر الوحيد في هذا هو الشعب اليمني الذي استمرت مقاومته ضد هذه المؤامرة والذي شكل المحطة الثالثة الواعدة في الصراع.

لقد حكم هذا الصراع وصاحبه عدة تأثيرات:-

أ. لم يوافق العثمانيون على بدء ترسيم الحدود والمبادرة من أجل تنفيذها وتوقيع المعاهدة إلا بعد أن ساءت أوضاع الإمبراطورية العثمانية في ظل نهوض حركة التحرر الوطني ضدها في مقدونيا وألبانيا والحجاز وشمال اليمن.

ب. فشل الباب العالي في كسب تأييد ألمانيا للحفاظ على الأملاك العثمانية في ولاياتها العربية، ومحاولة ألمانيا الاستيلاء على جزر فرسان اليمنية ، التابعة للعثمانيين عام ١٩٠٠م ، والحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤م وانشغال روسيا عن منافسة بريطانيا، والتحالف البريطاني الفرنسي والاتفاق الودي بينهما ١٩٠٤م، وإعطاء مراكش لفرنسا التي تطمع فيها ألمانيا، مقابل عدم اعتراض الفرنسيين على النفوذ البريطاني في مصر، فتحقق للإنجليز شغل ألمانيا بصراعها مع الفرنسيين منذ ١٩٠٥م.

ج. التلويح الدائم ، من قبل بريطانيا ، باستخدام سياسة البارجة والمدفع ضد النقاط الحساسة والإستراتيجية لنفوذ العثمانيين في منطقتي النفوذ في جنوب اليمن سواء في الدريجة وماوية والضالع والصبيحى والشيخ سعيد والمخا والحديدة، وبعد خروج العثمانيين في منطقتي نجد مرقد وشبوه في جنوب اليمن ، استخدم سلاح الجو الملكي بصورة مكثفة .

د. كما كان للصراع الحاد على الكويت بين العثمانيين والإنجليز الذي كاد أن يتحول إلى صدام عسكري في مياه الخليج العربي، كان له أثره في هذا السياق ويصب لصالح الإنجليز في ترسيم الحدود وتقسيم اليمن. [٧١]

ونتيجة لذلك سارعت الأستانة (في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠١م إلى إبداء اقتراحها على البريطانيين بتقسيم اليمن، وصدر قرار تشكيل لجنة أنجلو - عثمانية لترسيم الحدود في أواخر عام١٩٠١م .

وما نريد أن نؤكد عليه هنا ما يلي:-

١) أن رسم الحدود بين شمال اليمن وجنوبه كان محصلة متميزة للصراع الأنجلو - عثماني من اجل الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية[٧٢] ومذ نفوذ بريطانيا على الجزيرة العربية وما تبعه من نتائج التقسيم للوطن العربي باتفاقية سايكس - بيكو وكمحصله لانتصار الحلفاء في الحرب، العالمية الأولى.

٢) قدرة بريطانيا على تقويض دعائم سلطه العثمانيين وسيادتهم في منطقة البحر الأحمر نهائياً مع نهاية الحرب العالمية الأولى ، ناهيك عن أملاكها في المشرق العربي برمته ، ناهيك عن المغرب العربي الذي خرج عن سلطتها مبكراً .

٣) ظلت معاهدة الحدود الانجلو – عثمانية الأساس لرسم الحدود وتقسيم اليمن إلى شطرين ، وحتى بعد خروج العثمانيين من اليمن عام ١٩١٨م سواء في الاتفاق الإمامي – الإنجليزي عام ١٩٣٤م وما تبعه من أحداث الصراع بين الأخيرين حول شبوه والتأكيدات الواردة في اتفاقهما بعد ذلك عام ١٩٥١ م . [٧٣]

٤) قاوم الشعب اليمني فكرة التقسيم ولجان ترسيم الحدود إلى درجة أن القطيبي فرض على اللجان الانجلو – عثمانية ترسيم حدودها على الهواء والخارطة فقط دون قدرتها على الوصول إلى المنطقة لرسمها على أرض الواقع ، ناهيك عما يتصل بالحدود شرقاً،التي حددت فلكيا لتصل إلى درجة العرض ٢٠ و تتصل باتفاق الطرفين السياسيين في منطقة الخليج العربي.

وبالنسبة للمقاومة الوطنية في عموم اليمن لمشاريع تقسيم اليمن قد استمرت المقاومة للإحتلالين الإنجليزي والعثماني منذ بدء عمل لجان ترسيم الحدود ١٩٠١م ، وأثناء وبعد انتهاء عملها في البرتوكولات ١٩٠٣ – ١٩٠٥م ، وما قبل صلح دعان بين الإمامة والعثمانيين وبعده، وما قبل توقيع المعاهدة الحدودية الانجلو– عثمانية وبعدها. [٧٤]

لقد اعتقد العثمانيون والإنجليز أن توقيع معاهدة الحدود سيضمن لهما الاستقرار والديمومة في المنطقة ويكسبهما الشرعية لسياستيهما التقسيمية التشطيرية للأرض والشعب اليمني، [٧٥] فالبائع والمشتري لم يكن لهما الحق أصلا فيما ابتاعا واشتريا فكلاهما لا يملكان وأعطيا لنفسيهما – وبكل أريحيه – شيئاً لا يستحقانه وعندما صح الصحيح كان الشعب اليمني وهو المالك الحقيقي يستعيد الحق والكرامة والاستقلال والوحدة بالنضال والكفاح والمقاومة والوحدة الوطنية، ولا راد لإرادته لأنها من إرادة الله.

خطوات الترسيم وتوقيع البرتوكولات .. والمعاهدة

اقـــترح العثمانــيون في تشرين الأول (أكتوبر)١٩٠١م على بريطانيا تقسيم اليمن، وصدر قرار بتشكيل لجــنة انجلو– عثمانية. لترسيم الحدود في أواخر عام ١٩٠١م، وعقدت اللجنة أول اجتماع لها في بداية العام التالي، استمرت في عملها حتى سبتمبر عام ١٩٠٧م. [٧٦]

وكـــان الإنجلـــيز فـــي فترة سابقة لتشكيل اللجنة الحدودية الإنجليزية – العثمانية ، قد بادروا بصفة مـــنفردة مـــنذ (نهايات القرن التاسع عشر) بتحديد خط للحدود بين منطقتي النفوذ أسمي هذا الخط بـــ " خط وهاب" كولونيل بريطاني ، الذي يبدأ من رأس شيخ سعيد قرب قرية تربة ، ويمتد إلى الشمال الشرقي ملتوياً فـــي بعـــض الأماكن ويصل إلى منطقة مدينة القطيب فقط . " وبخاصة أن العثمانيين لا يحتلون يافع والعوالق والمهرة وبقية القبائل شرقاً ، مما جعل تحديد خط وهاب يقف في منطقة القطيب (ردفان) . [٧٧]

وضمن عمل لجنة الحدود في شباط (فبراير) ١٩٠٢م لم يرغب الإنجليز في الحديث عن "خط وهاب" الــذي لا يلبي أطماعهم الاستعمارية ، وتم إشعار العثمانيين الذين كان لهم موقف سلبي تجاه هذه الأطماع – بـــأن يـــافع العليا والعوالق العليا من ضمن الإمارات التسع التابعتين لبريطانيا "فإذا رغب العثمانيون في رسم حـــدود هذه الأراضي فيجب أن يمر خطها بالحدود الشمالية ليافع العليا والعوالق العليا ، بما في ذلك البيضاء وبيحان . [٧٨]

وبســـبب التـــنافس الاستعماري ضغطت ألمانيا على الباب العالي ، مدفوعة بخوفها من تعزيز مواقع الـــنفوذ البريطانـــي فـــي حوض البحر الأحمر . [٧٩] فقام العثمانيون ، في بداية عام ١٩٠٢م ، باحتلال أجزاء كبيرة من إمارة الضالع ، وبخاصة المنطقتين الهامتين الجليلة وجبل جحاف . [٨٠]

واتبعـــت بريطانـــيا تجـــاه الهجـــوم العثماني ، والمماطلة في الخروج من الضالع ، سياسة التهديد العســـكري وزيادة قواتها في المنطقة ، مطالبين بخروج القوات العثمانية فوراً من إمارة الأميري (الضالع) ، ورغـــم مرســـوم الباب العالي ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢م القاضي بسحب القوات العثمانية من الضالع والشـــروع برسم الحدود في المنطقة المختلف عليها ، إلا أن الأمور لم تسو إلا بصدور مرسوم آخر في ١٨ مـــارس ١٩٠٣م – ونتيجة لمزيد من الوعيد البريطاني والتغيرات الدولية لصالحها – قضى المرسوم بسحب القـــوات العثمانية من الجليلة إلى قعطبة ، والموافقة على نقل أهم المناطق إلى نفوذ الإنجليز ، والبدء برسم الحدود وفقاً للمطالب البريطانية . [٨١]

وفـــي عـــام ١٩٠٤م ، تمكنت لجنة إعداد الحدود من الدخول إلى منطقة الصبيحي ، التي تتمتع بأهمية استراتيجية كبرى ، لصلتها بمضيق باب المندب الممر الوحيد إلى البحر الأحمر من الجنوب . [٨٢]

واستطاعت لجنة الحدود الأنجلو – عثمانية في آيار (مايو) ١٩٠٤م ، رسم الحدود على طول ١٣٨ ميلاً من وادي بنا شرقاً وصولاً إلى قرية دار أم بيم ، التي تبعد عن مضيق باب المندب بحوالي ٤٥ ميلاً . [٨٣]

ونشـــب خلاف بين الطرفين المحتلين لليمن آنذاك ، دار حول سببين رئيسيين يتعلقان برسم الحدود قرب باب المندب والثاني استمرارية خط الحدود من وادي بنا فالشعيب شرقاً ، واستمرت هذه الأزمة عامي ١٩٠٤

– ١٩٠٥م ، استخدم فيها الطرفان وبخاصة الإنجليز كل وسائل الضغط والتهديد العسكري ، والظروف الدولية المواتية لصالح مد النفوذ البريطاني في جنوب اليمن وبقية المنطقة العربية .[٨٤]

ومما زاد الطين بلة ، بالنسبة للجانب التركي ، هو اشتداد المقاومة اليمنية والهزيمة العثمانية أمامها فـي معـركة شهاره الفاصلة التي تعتبر تحولاً مهماً لتسمى اليمن بعدها بمقبرة الأناضول ؛ ومما له دلالة في ذلـك التسليم العثماني بالمطالب الإنجليزية هو توقيع الجانب العثماني على البرتوكول السادس الختامي للجنة الحدودية الأنجلو – عثمانية يوم ٢٠ إبريل عام ١٩٠٥م ، ودخول الإمام يحي بن حميد الدين صنعاء يوم ٢١ إبريل عام ١٩٠٥م متوجاً انتصار المقاومة اليمنية الظافر بعيد معركة شهاره .[٨٥]

وإن خذلـت المقاومـة اليمنية ذلك ، بالمفاوضات الإمامية العثمانية التي قادت إلى صلح دعان عام ١٩١١م[٨٦] ، ويعلـق الدكتور المقالح على ذلك بأن الإمامة حينها "قد ركبت موجة الكفاح الوطني" ، وأثارت بتوقـيعها الصـلح ريبة المقاومة اليمنية التي عبرت عن نقدها للصلح وشروطه والنتائج التي توصل إليها ، ومردوده السلبي على الآفاق المستقبلية لحركة المقاومة التاريخية صوب كنس قوى الاحتلال بشقيه العثماني والإنجليزي وتوحيد الوطن .

وعبر الشعر الشعبي عن ذلك صراحة في عدم جدوى "صلح دعان" (قائلاً) :

قالوا سبر صلح " دعان " فيه سدوا الرحال
وما دريـنا عليش تمـوا ، وكيف المقـال
ما غير ليـش ما يسدوا قبل بدع القتـال ؟
علـيش سرنا وجينا في السبال والجبـال
لا سـيرتك ما تفيدك : مـا يضر الجلوس

ولسان حال الشاعر المثل المعروف " كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا " .[٨٧]

وكان البرتوكول السادس الموقع في إبريل ١٩٠٥م قد وافق فيه العثمانيون على الاعتراف بمد نفوذ الإنجلـيز شرقاً إلى يافع العليا والعوالق العليا وبيحان التي لم تكن ضمن " النواحي التسع " التي رسمت عام ١٨٧٣م .[٨٨] ومـن الغـرب رسمت الحدود من دار أم بيم حتى شيخ مراد ، وتعهد الباب العالي بعدم تسليمه الأراضي المتاخمة لحدود الصبيحي إلى إي طرف ثالث ، وهكذا أنهت اللجنة الأنجلو – عثمانية ترسيم الحدود نهائـياً شـاطرة بذلـك اليمن إلى شطرين بريطاني وعثماني .[٨٩] ولتدرج المداولات حول قضية الحدود في اتفاقية وقعت في إبريل عام ١٩٠٩م وأدخلت في المعاهدة الأنجلو – عثمانية التي وقعت في ٩ مارس ١٩١٤م وتم المصادقة عليها في يونيو ١٩١٤م[٩٠] وتنص بنودها على ما يلي :

المادة الأولى :

يؤكد الطرفان المتعاقدان على ما جاء في البرتوكولات الموقعة من قبل المفوضين العثمانيين والبريطانيين في سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٥ التي يرد نصها في الملحق (أ) من هذه الاتفاقية ويوقعان عليها .

المادة الثانية :

لتأكـيد الالـتزام الـوارد في الفقرة الأولى من البرتوكول المؤرخ في ٢٠ إبريل ١٩٠٥م يصرح جلالة الإمـبراطور العثمانـي بأنـه لن يتنازل بأي شكل كان عن الأراضي التي تقدر مساحتها بـ ٥٥٠ ميل مربع والمـتاخمة لجبل نعمان وحصن مراد والواقعة في أطراف مقاطعة الصبيحة القديمة ويشار إلى هذه الأراضي باللون الأصفر على الخريطة التي تكون الملحق (ج) من هذه الاتفاقية .

المادة الثالثة :

بمـا أن الطرف رقم (١) لوادي بنا المبين على الخريطة الأولى الملحقة بهذه الاتفاقية (ملحق ب) يعتبر الـنقطة الأخـيرة التـي تم تحديدها في الناحية الشرقية فقد اتفق الطرفان المتعاقدان ، بناء على ما جاء في البرتوكول المذكور ، وفيما عدا ما تقتضيه الشروط والتوضيحات الواردة فيه ، على أن تتبع الحدود العثمانية خطـاً مسـتقيماً يبدأ من لكمة الشوب (الشعيب) باتجاه الشمال الشرقي في صحراء الربع الخالي بزاوية ٤٥ درجـة ويلتقـي هذا الخط في الربع الخالي وعلى خط العرض ٢٠ درجة بالخط المستقيم المتجه مباشرة إلى الجـنوب من نقطة تقع على الساحل الجنوبي لخليج عقير الذي يفصل بين الأراضي العثمانية في سنجق نجد وأراضـي قطـر ، وذلـك وفقاً للمادة الثانية من الاتفاقية البريطانية العثمانية بشأن الخليج العربي والأراضي المجاورة المؤرخة في ٢٩ يوليو ١٩١٣م . ويبرز هذان الخطان على الخريطة الخاصة الملحقة بهذه الاتفاقية (ملحق ج) : الأول باللون البنفسجي والثاني باللون الأزرق .

المادة الربعة :

تخضــع هذه الاتفاقية (المعاهدة) للتصديق . ويتم تبادل وثائق التصديق في لندن في أقرب وقت ممكن لا يتجاوز ٣ أشهر . وإشهاداً على ذلك وقع المفوضان هذه الاتفاقية ووضعا عليها ختميهما .

حــررت في نسختين أصليتين في ٩ مارس ١٩١٤م .[٩١] ويشير د. صالح علي باصرة إلى أن المعاهدة الأنجلو – عثمانية السابقة ترتبط بالاتفاقية الإنجليزية – العثمانية الخاصة بالخليج العربي والمناطق المجاورة المؤرخــة ٢٩ يوليو ١٩١٣م ، التي حددت خط الحدود لنفوذ الدولتين بين الأحساء ونجد ، بما يعرف بامتداد الخــط الحدودي ليتقاطع عبر الصحراء مع الخط الأزرق المار بالخليج والمرسوم حسب اتفاقية يوليو ١٩١٣م [٩٢].

ورغــم أن المعــاهدة تتضمن ثلاثة بنود رئيسة وبنداً رابعاً إجرائياً كما هو مبين فيما تقدم إلا أن أباظة يشــير إلــى أنهــا تضمنت بنداً رابعاً يخص تخلي الدولة العثمانية عن كل ما كان لها من حقوق ومطالب في حضرموت ، ويبدو أن ذلك استنتاج من المعاهدة وليس بنداً من بنودها ، إذ أن خط الحدود عند درجة العرض ٢٠ يشمل حضرموت والمهرة بصورة أوتوماتيكية ، وكان ذلك ما ورد نفسه لذى ساطع الحصري أيضاً .[٩٣] ، الذي يرى بدوره تحميل العثمانيين المسئولية لأن أسس تقسيم البلاد العربية بين القوى الاستعمارية الغربية المتنافسة كانت قد تقررت قبل الحرب العالمية الأولى:"تحت علم الحكومة العثمانية نفسها".[٩٤]

ورغم هبوب رياح الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨م) وما سادها من تحالفات دولية أهمها (المانــيا – النمســا – تركــيا) في مواجهة (روسيا – فرنسا – بريطانيا) ، وما استتبعته ظروف الحرب على الأرض اليمنــية مــن اســتيلاء الجيش السابع العثماني بقيادة أمير اللواء علي سعيد باشا على غالبية جنوب اليمن وتمركزه في لحج ، فإن نتائج الأمور لم تكن في صالح إنهاء الاحتلال الإنجليزي – بعد رحيل العثمانيين عام ١٩١٩م واستعادة وحدة الأرض اليمنية .

وإن رأى الأحرار اليمنيون في القاهرة بعد ذلك تحميل الإمامة مسئولية الفشل الذريع في الأمر ، متخذين مــن وثــيقة رســالة أمــير اللواء علي سعيد باشا في لحج التي يطلب فيها من الإمام ووالي اليمن العثماني "بالتبلــيغ لمــن يلزم ، يسارع بارسال أي كائن يكون من له حمية وطنية قهرمانية ، بالوفود إلى باب المندب وإلــى لحــج لاســتلامهما قــبل فوات الأوان" ، معتبرين ذلك تقاعس إمامي واضح لتلبية نداء الواجب لطرد الإنجليز واسترجاع المحميات إلى الوطن الأم اليمن .[٩٥]

وعلــى كل حال فإن هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى جعل قواتهم في اليمن تنسحب انسحاباً كاملاً في مارس ١٩١٨م ، وتم تنازلهم رسمياً فيما بعد عن ممتلكاتهم كافة في الجزيرة العربية تنفيذاً لشروط اتفاقية لوزان عام ١٩٢٣ .[٩٦]

وبهــذا تكــون السياسات الاستعمارية التنافسية ممثلة وبصورة رئيسية في الصراع الإنجليزي العثماني وضــمن ظروف المنطقة اليمنية التاريخية نفسها ، قد أقرت تشطيراً وتقسيماً لوحدة الأرض والإنسان اليمني اســتمرت طــيلة قرنين من الزمان من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ، وتمكنت الحركة الوطنية اليمنية من تجاوزه بعد نضال شاق ومرير في صبيحة الثاني والعشرين من مايو ١٩٩٠م .

ولا يمكــن إغفــال الأحــداث التي تلت الحرب العالمية الأولى والمتمثلة بالخلاف الإمامي – الإنجليزي ، والصــراعات السياســية الداخلــية فــي شبه الجزيرة العربية ، التي خلقت فسيفساء سياسية لأنظمة متعددة ارتبطــت بــتحالفات وحمايــة مــع الإنجليز على طول سواحل شبه الجزيرة العربية ومناطقها الداخلية . وقد اســتطاعت السياســات الاستعمارية البريطانية استغلال كل مكامن الضعف وتوظيف كل مكامن القوة في هذه الأنظمــة لخلــق بــون شاسع وهوة سحيقة من الجفاء والبغضاء والتشاحن ، واللعب على الاختلافات القبلية والمصــالح الشخصــية وتوظــيف المذاهب المختلفة لخلق العداء المستحكم بين الجميع وإقامة الحدود داخل النفوس أولاً وعلى الخارطة الجغرافية والسياسية ثانياً ، خدمة للمصالح الاستعمارية في البقاء ومنعاً لاستعادة العرب لوحدتهم وكرامتهم وعزتهم القومية .[٩٧]

ونخلــص إلى رأيين اثنين كرسا مفهوم التقسيم والتشطير بين شمال اليمن وجنوبه في عهد الإمامة بعد توقيع معاهدة الحدود الأنجلو – عثمانية عام ١٩١٤م .

الأول للمــؤرخ الإنجلــيزي (جافيــن) حــول السياسات الإمامية – الإنجليزية بعد الحرب العالمية الأولى والمساومات والتنازلات بينهما ، قد كرسا موقفين الأول في شمال اليمن الذي هو حكم الإمام والموقف الثاني المقــابل فــي جــنوب اليمن حيث تجمعت وترابطت المصالح لخلق الانفصالية بينهما .[٩٨] والثاني للعديد من المؤرخين والمفكرين [٩٩] ويحملون فيها الجهاز الإداري الإمامي الفاسد والسياسة الإمامية الطائفية مسئولية تكــريس التشطير واستمراره في التاريخ اليمني الحديث . ولن نسترسل فالموضوع خارج إطار الخطة لبحثنا هذا الذي يدور حول السياسة الأنجلو– عثمانية في تقسيم اليمن في الفترة (١٨٣٩ – ١٩١٨م).

خاتمة

لاشـك أن الموقع اليمني ذو الطبيعة الاستراتيجية ، في حركة التجارة والملاحة الدولية ، إلى جانب ما يتمتع به الشعب اليمني من خصائص حب العمل والإنتاج ، وخدمة تطور الحركة التجارية الإقليمية والدولية ، وتطور الوعي والثقافة ، والدور التاريخي المتميز في شبه الجزيرة العربية والمنطقة الإقليمية المجاورة بشقيها الآسيوي والأفريقي ، والطبيعة الجغرافية الخصبة ، وتوفر الثروات المعدنية والسياحية والبيئية ، كل ذلك قد شكل عوامل الإيجاب والسلب في الدوائر الجيوسياسية والتاريخية للشعب اليمني .

فـالموقع كـان مهـوى أفئدة الطامعين والمحتلين ، للفوائد التي تجنى من وراء ذلك ، ومنذ الاسكندر الأكبر مـروراً بالـرومان والبيزنطييـن والفرس ، وحتى العثمانيين والاستعمار الغربي الحديث ، (البرتغاليين والفرنسـيين والإنجليز ... الخ) ، ومن ثم نفوذ السوفييت حتى عام ١٩٩٠م ، والنظام الدولي الجديد ، بزعامة القطب الوحيد في العالم ، مع نهاية القرن الماضي ومستهل القرن الحادي والعشرين .

لقـد شـكلت السياسـات الاستعمارية والأطماع الخارجية ، محفورة بعوامل داخلية سلبية أو سالبة ، العامل الرئيسـي والأساسـي فـي تشـطير وتقسيم اليمن في تاريخه نهاية الوسيط ، مروراً بتاريخه الحديث والمعاصـر ، مما أخر وحدته الوطنية والسياسية وعطل دوره التاريخي الفاعل في المنطقة طيلة قرنين من الزمن وحتى عام ١٩٩٠م .

لقد برهن الشعب اليمني على مضاء حركته وروحه الكفاحية والنضالية وقدرته على تقديم التضحيات الجسام من أجل صون وحدته الوطنية والسياسية ، رغم كل الصعاب وحجم وعدة المحتلين والطامعين ، وبرهن الشـعب اليمنـي علـى أنـه الرقم الصعب في معادلة التاريخ والجغرافيا والتراث والحضارة ، في شبه الجزيـرة العربـية والمنطقة المجاورة بشقيها الأسيوي والأفريقي ، مهما تكالبت عليه الأعداء واشتدت المحن .

فقـد خـرج هـذا الشـعب من غياهب العزلة المفروضة عليه ، بفعل الإمامة والاستعمار ، وتحرر من أسر الاحـتلال الغاشـم والعـزلة المقيتة ، في ثورتين وطنيتين ، كانت معارك حاسمة ، اختزن فيها أطراف الصـراع كل أشكال وأساليب القوة والقمع والتحدي والاستجابة ، لصراع تاريخي كان هو صراع البقاء والوجود .

وشـكلت ثـورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة شهادة ميلاد للوطن اليمني واستعادة للتاريخ اليمني المشرق والمضيء من بين براثن التخلف والموت والقروسطية المقيتة الكهنوتية والدكتاتورية .

ورددت ثورة ١٤ أكتوبر المجيدة أصداء الحياة والكرامة بعد تحطيم سلاسل الذل والهوان والتشطير والاحتلال ، لينبلج فجر الاستقلال المجيد والخالد للأرض اليمنية من ربقه المحتل الأجنبي البغيض .

لقـد كانـت الوحدة اليمنية الهدف الخالد والأسمى ، لكل تضحيات المقاومة والنضال والكفاح والجهاد للشعب اليمنـي والحـركة الوطنية اليمنية ، في التاريخ اليمني الحديث والمعاصر ، هذا الشعب الذي ذاق مرارة الفـرقة والتشـطير والانقسام والانفصال ، كان هو صانع النصر والوحدة في الثاني والعشرين من مايو ١٩٩٠م

إن أهـم الاستخلاصات والنتائج التي أشرنا إلى جزء كبير منها أعلاه تقودنا إلى تلمس ومعرفة أجدى السبل لـتجاوز الماضي وعدم تكراره وفتح آفاق جديدة ورحبة أمام مجتمعنا وشعبنا لتبني رؤية واقعية حديثة ترنو إلى المستقبل وتتطلع إليه بثقة وعلم وعزة وكرامة ، لشعب له موروثه التاريخي والتراثي الإنساني العظيم في المنطقة العربية والإقليم المجاور ، وقدم جهده وخبراته وخدماته للبشرية كلها عبر التاريخ :

- لا تـنفذ المخططات المعادية إلا بتوفر شروط نجاحها الداخلية مثل تخلخل تماسك الجبهة الوطنية ، أو الدعـاوى الشطرية أو الإقليمية أو المناطقية ، أو تبنى وكالات سياسية خارجية من قبل أطراف يمنية تؤثر في المصالح الاستراتيجية العليا للوطن ، في السيادة ووحدة القرار السياسي والاجتماعي .
- مـن الضرورة بمكان الاعتراف بالمصالح الإقليمية والدولية المشتركة ، والاستفادة منها من أجل تقدم الوطن وتطور المجتمع دون المساس بالسيادة والهوية الوطنية والقومية والتراثية للشعب اليمني .
- إن التشـطير والتقسـيم والانفصـال في الرقعة الجغرافية والسكانية والاجتماعية اليمنية هي من آثار الماضـي ، لا مـن أجـل الاستخدام الأيدلوجي الضيق ، والسياسة الآنية النفعية ، إنما يُدرس للعظة والعبرة واستخلاص النتائج ، الداعمة والمساعدة لآليات الدولة والمجتمع في تكريس الولاء الوطني ، وتشـجيع المـبادرات الاجتماعـية الداعية والهادفة إلى إزالة كل فوارق وآثار الحقبة الماضية ، بكل سيئاتها ومضارها .

- المطلـــوب معـــرفة ودراسة شروط الوحدة الموضوعية (الداخلية والخارجية) ، لدولة الوحدة في عهد الدولـــة اليمنية المركزية (القاسمية) ، والاستفادة منها في جوانبها الإيجابية ، والتخلص من سلبياتها المؤثرة على وحدة الدولة والمجتمع .
- ضـــرورة توفـــير جهاز إداري عصري ، فاعل شرعي ، يستوعب خصائص المجتمع اليمني التاريخية والتراثـــية المســـتقبلية ، وخصائص المرحلة التاريخية التي تمر بها البشرية اليوم ، ويمكّن من إدارة التنمية والحياة اليومية بأشكالها اليومية المختلفة ، ويوطد الوحدة الوطنية ويوفر الإمكانيات الشرعية والقانونية لحراك المجتمع بصورة سليمة وسلمية وعادلة وعملية .
- نشــر ثقافـــة وأيدلوجـــية الوحدة في المجتمع اليمني مما يساعد على إذابة كل أشكال العلاقات ما قبل الوحـــدة فـــي المناطقـــية والحزبـــية والطائفية والسلالية .. الخ، والاهتمام بتاريخ الكفاح اليمني ضد المحتليـــن والغـــزاة والغاصبين ، وتكريس معاني العزة والكرامة والاجتراح الكفاحي الوطني والقومي والإنساني وإبراز فوائد وإيجابيات فترات توحد الشعب اليمني السياسية التاريخية ، وإنهاء كل مظاهر السلب التشطيرية النفسية والإدارية والثقافية ... الخ .
- العمـــل علـــى فتح المجال لإبداع الشعب اليمني الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعلمي والإنساني ، استمراراً لدوره التراثي والحضاري الخالد في المنطقة والعالم .

التوصيات :

١. إنشاء قسم "دراسات الوحدة اليمنية" ، يتبع مركز البحوث والدراسات اليمنية في جامعة عدن .
٢. الســـعي الحثيـــث والمســـئول من قبل الدولة والمجتمع والمؤسسات العلمية والثقافية وكل مؤسسات المجـــتمع الأهلـــي والمدنـــي فـــي اليمـــن ، لإذابة كافة الفوارق ومخلفات التشطير ، وثقافة الطائفية والسلالية والمناطقية والعشائرية في الوطن اليمني الموحد .
٣. غـــرس روح الانســـجام ، وإيجـــاد مصالح مشتركة وحيوية بين شعوب الأمة العربية ، تدعم أواصر الوحدة المشتركة في التراث واللغة والثقافة والهوية والتاريخ المشترك .

ملحق رقم (١)

عناوين كتب الإداريين البريطانيين :

١. Hicinbotham T. Aden. London, ١٩٥٨.
٢. Ingrams H. the Yemen. Imams, Rulers and Revolutions. London, ١٩٦٣.
٣. Reilly. B. Aden and The Yemen. London, ١٩٦٠.

عناوين كتب المؤرخين الغربيين :

١. Bush B. Britan India and the Arabs. London, ١٩٧١.
٢. Gavin R. J. Aden under British-Rule. London, ١٩٧٥.
٣. Macro E. Yemen and the Western world. London, ١٩٦٨.
٤. Wenner M. Modern Yemen. Baltimore, ١٩٦٧.

الهوامش

١- سيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ – ١٦٣٥) ط٣ . دار الجبلاوي القاهرة ١٩٧٨ ص٦١ وما بعدها .
٢- أباظة : نفسه ص٣٢ وما بعدها . محمد عبدالعال : بنو رسول وبنو طاهر .
٣- الهيئة المصرية للكتاب الأسكندرية ١٩٨٠م . ص٤٧٢ وما بعدها .

٤- العبدلي (أحمد فضل) : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ط٢ دار العودة ، بيروت ١٩٨٠ ص٩٦ – ٩٧ ، ١٠٠ .
٥- أباظة : نفسه ص٣٧ – ٣٨ : عُبدالعال : نفسه ص٤٩٠ – ٤٩٢ ، سيد مصطفى : نفسه ص٧٣ .
٦- عبدالعال : نفسه ص٤٩٢ وما بعدها : سيد مصطفى نفسه ص٧٥ وما بعدها ، ١١٢ : أباظة نفسه ص٤٠ .
٧- اليمنـــي "شـــمس الدين عبدالصمد" : الاحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان . تحقيق عبدالله الحبشي . ط١ دار التنوير بيروت ١٩٨٦م ص٢١ وما بعدها .
٨- الجرافي "عبدالله عبدالكريم" : المقتطف من تاريخ اليمن ط٢ دار الكتاب الحديث بيروت ١٩٨٣م ص١٠٠ – ١٠١ . لوتسكي . ف. ب. : تاريخ الأقطار العربية الحديثة ط٨ دار الفارابي بيروت ١٩٨٥م ص٧ – ٨ .
٩- بارتولد (ف) : تاريخ الحضارة الإسلامية . ترجمة حمزة طاهر ط٥ ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٣م ص ١٤٦ فمـــا بعدها . أباظة : نفسه ص٥٨ ، ٦٣ . لوتسكي : نفسه ص١٨ وما بعدها ، ٢٢ – ٢٤ ، ٣٢٠ . محمـــد ســـعيد القدال وآخرون : المرشد في تاريخ أوروبا جامعة عدن ٢٠٠٠م ص٢٧ ، ٤١ وما بعدها ١١١ وما بعدها .
١٠- هـــيكل (محمد حسنين) : ملفات السويس . ط١ مركز الأهرام للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٦م ص٢٨ – ١٩ . أباظة نفسه ص٥٦ – ٥٨ .
١١- جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن . دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٧٠م ص٢٩٧ .
١٢- ســـيد مصطفى سالم : نفسه ص١٨٩ – ١٩١ ، ١٩٤ – ١٩٦ – ٢١٢ – ٢١٣ أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ط٢ السنة المحمدية ١٩٦٤م ص٢٦٠ – ٢٦١.

١٣- سيد مصطفى : نفسه ص١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢٣٨ وما بعدها . أحمد حسين شرف الدين : نفسه.
١٤- أحمد حسين شرف الدين : نفسه ص٢٦١ – ٢٦٢ . سيد مصطفى : نفسه ص٢٩٩ ، ٢٠٣ .
١٥- سيد مصطفى : نفسه ص٣٥٤ وما بعدها ، ٣٨٥ ، ٤٠٤ . أباظة : نفسه ص٦٨ .
١٦- ســـيد مصطفى : نفسه ص٣٩٥ – ٣٩٧ أمين الريحاني : ملوك العرب ط٨ دار الجيل بيروت ص١٤٥ . عزيز حورادبيف : نفسه ص٦٨ سلطان ناجي : التاريخ العسكري لليمن ص٢٩ ، أباظة نفسه ص٦٨ .
١٧- أباظة : نفسه ص٦٨ – ٦٩ . العبدلي : نفسه ص١١ ، ١١١ ، ١٢٠ وما بعدها . يعقوب هارولد : ملوك شبه الجزيرة العربية .
١٨- ترجمة أحمد المضواحي : دار العودة بيروت ١٩٨٣ ص٢٣ .
١٩- العبدلي : نفسه ص١١ ، ١١١ أباظة : نفسه ص٦٩ يعقوب : نفسه ص٢٣ .
٢٠- يعقوب : نفسه ص١٧ .
٢١- أنظر حسين العمري وآخرون : في صفة بلاد اليمن عبر العصور . ط١ ، دار الفكر بيروت ١٩٩٠م ص ٢٤٠ – ٢٤١ .
٢٢- غير منشور ص١٣ .
٢٣- عزيز خوراديبف : نفسه ص١٢ – ١٤ أباظة. نفسه ص٦ – ٨ العبدلي: نفسه ص٧ ، ١٥٨
٢٤- أباظة : نفسه ص٥ العبدلي نفسه ص١ ، ٢٣ ، ١٤٥ . أريك ماكرو : نفسه ٦٩–٧٠
٢٥- أباظة : نفسه ص٥ أريك ماكرو : نفسه ص٤٤ – ٤٥ .
٢٦- أباظة : نفسه ص٥ – ٦ أريك ماكرو : نفسه ص٦٩ – ٧٣ – ٧٤ ، العبدلي : نفسه ص١١ ، ١٤٥
٢٧- أباظة : نفسه ص٦ – ٨ أريك ماكرو : نفسه ص٧٨ وما بعدها .
٢٨- أريك ماكرو : نفسه ص٨٧ ، العبدلي : نفسه ص١٥٨ . أباظة : نفسه ص٨
٢٩- أباظة : نفسه ص٨
٣٠- يعقوب (هارولد) ص٢١ ؛ أباظة : نفسه ص ٦٦ ؛ سلطان بن محمد القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن ط ١ – مطابع البيان التجارية – دبي ١٩٩١م .ص ٢١– ٢٢ – فالكوفا (ل . ف) : السياسة الاستعمارية في جنوب اليمن ، ترجمة عمر الجاوي ط٢ ، دار الهمداني – عدن ١٩٨٤ ص٥ .
٣١- أريك ماكرو : نفسه ص ٤٤–٤٥ ؛ فرد هوليداي : نفسه ص ١٠٧ .
٣٢- فرد هوليداي : نفسه ص ١٠٧ ؛ القاسمي : نفسه ص ٤٤

٣٣- شكري (محمد سعيد) : العلاقات الثقافية والفكرية بين مصر واليمن – مجلة سبأ العدد السابع – مطبعة جامعة عدن ص ١٢٢
٣٤- أريـك ماكـرو : نفسه ص ٧ ، ٦٩ – ٧٠ الريحاني : نفسه ص٤١٣ – ٤١٤ يعقوب: نفسه ص ٤٨ القاسمي : نفسه ص ٢٠٩ – ٢١٠ ، ٢١٣، ٢١٥– وما بعدها.
٣٥- يعقوب: نفسه ص ٤٨ – ٤٩
٣٦- قحطـان محمـد الشعبي : الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن" عدن والامارات " دار النصر للطباعة القاهرة ١٩٦٢ ص ٣٣ ، ١٢٩
٣٧- فرد هوليداي : نفسه ص ١٥
٣٨- فرد هوليداي : نفسه ص ١٦ قحطان الشعبي : نفسه ص ٣٣
٣٩- فرد هوليداي : نفسه ص ١٦ يعقوب: نفسه ص ٤٣ فالكوفا: نفسه ص ٢٣
٤٠- الريحاني : نفسه ص ٣٩٧ –٣٩٩ – ٤٤٥ – ٤٤٦ جاد طه : نفسه ص ١٧٥ –١٧٧ يعقوب: نفسه ص ٤٣ صـالح علـي باصره " عدن . السياسة ، الاقتصاد ، الثقافة " العدد (١٧٤) " مجاة الحكمة " عدن . أغسطس ١٩٩٠ ص ٢٦
٤١- الريحاني : نفسه ص ٤٤٧ جاد طه : نفسه ص ١٧٩ – ١٨٠ – ٢٦٦ – ٢٦٨ أباظة : نفسه ص ٤١٤ موسى (ايه . اتش . أي) : القبائل العربية حول عدن . مطبعة الحكومة المركزية بومباي ١٩٠٩م باصره : نفسه ص ٢٦
٤٢- أباظة : نفسه ص ٤٢٤
٤٣- فرد هوليداي : نفسه ص ١٠٩
٤٤- أنظـر على سبيل المثال لا الحصر أريك ماكرو : نفسه ص ٧٢ – ٧٤ ، ٨٥ – ٨٧ أباظة : نفسه ص ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ – ١٩٧ ، ٢٣٤ وما بعدها . القاسمي : نفسه ص ٢٥٨ وما بعدها ٣١٤ – ٣١٥ ، ٣٢١ وما بعدها ٣٤٨ وما بعدها .
٤٥- نفسه ص ٦١
٤٦- نفسه ص ١٨
٤٧- نفسه ص ٢٠٩ أنظر الريحاني : نفسه ص ٤٠٠ – ٤٠١ ، ٤٠٥ – ٤٠٦ لمزيد من التفاصيل عن وضع العرب وسلب الهوية الوطنية والقومية في عدن وأساليب المعاملة السيئة لهم أنظر باصرة : نفسه ص ٢٦ – ٢٧ ، ٣٠ – ٣٢ .
٤٨- نفسه ص ٦٢
٤٩- نفسه ص ٢٩
٥٠- نفسه ص ٧٩
٥١- نفسه ص ٦١
٥٢- نفسه ص ٨٢
٥٣- نفسه ص ٨٤
٥٤- حمزة علي لقمان : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية . دار مصر للطباعة والنشر ١٩٥٩م ص ١٩٨
٥٥- أحمد فخري : اليمن ماضيها وحاضرها . ط ٢ منشورات المدينة بيروت ١٩٨٨م ص٢٠٥ أباظة : نفسه ص ٣٠٥ ، ٥٣٦ .
٥٦- أباظة : نفسه ص ٥٢٩ – ٥٣١ خودابيرديف : نفسه ص ١٤ – ١٥ أنظر مصادر ومراجع الهامش رقم (٦٥) من بحثنا هذا .
٥٧- أحمد فخري: نفسه ص ٢١٤ ، ٢١٩ سلطان ناجي : نفسه ص ٨٨ .
٥٨- عبدالعزيز المقالح : الشعر المعاصر في اليمن . ط ٢ دار العودة بيروت ١٩٧٨م ص١٦ – ١٨ .
٥٩- سيف علي مقبل : وحدة اليمن تاريخيا ط ادارة الحقائق بيروت ١٩٨٧م ص٩ ، ١٠٤
٦٠- حمزة لقمان : نفسه ص ٢٠٦ .
٦١- نفسه ص ٢٠٩ – ٢١٠ .
٦٢- نفسه ص ٢١٠ – ٢١٢ أريك ماكرو : نفسه ص ٧٥ ، ٨٧ – ٨٨ .
٦٣- أريك ماكرو : نفسه ص ٨٦ – ٨٧ العبدلي : نفسه ص ١٥٨ أباظة : نفسه ص ٨
٦٤- أريك ماكرو : نفسه ص ٨٧ .

٦٥- يعقوب : نفسه ص ٧٧ جاد طه : نفسه ص ٢٩٧ .
٦٦- الواسعي (عبدالواسع بن يحي) تاريخ اليمن : المطبعة السلفية مصر ١٣٤٦هـ ص٣٣٧
٦٧- أباظة : نفسه ص ٤١٤ ،٥٢٩ جاد طه : نفسه ص ٢٦٨ ، ٢٩٧
٦٨- نفسه ص ١٠٩ .
٦٩- خودابيرديف: نفسه ص ١٤ .
٧٠- أباظة : نفسه ص ٥٠٣ ، ٥٣٦ خودابيرديف : نفسه ص ١٤ .
٧١- خودابيرديف : نفسه ص ١٥ – ١٦ .
٧٢- جاد طه : نفسه ص ٢٦٣ – ٢٦٥ يعقوب : نفسه ص ٦١ .
٧٣- أباظة : نفسه ص ٥٢٩ .
٧٤- جاد طه : نفسه ص ٢٦٧ – ٢٦٨ وأباظة : نفسه ص ٥٣١
٧٥- أنظـر أريـك ماكرو : نفسه ص ١٠٩ حول حاجة الكابتن هينز منذ وقت مبكر (١٨٣٩م) لايجاد منطقة محايدة بين ما أسماه " عدن واليمن " ، دلال بنت مخلد الحربي : علاقة سلطنة لحج ببريطانيا (١٩١٨ – ١٩٥٩م) ط١ الرياض ١٩٩٧م ص ٤٠ – ٤١ .
٧٦- أباظة : نفسه ص ٥٣١ ، سلطان ناجي : التاريخ العسكري لليمن (١٨٣٩ – ١٩٦٧) د . ت . د . مكان طبع ص ٣٢ .
٧٧- دلال : نفسه ص ٤١ .
٧٨- أباظة : نفسه ص ٥٢٩ – ٥٣١ .
٧٩- أنظـر أتشيبسن (تشي يو) : مجموعة معاهدات والتزامات وسندات متعلقة بالهند والبلاد المجاورة لها (جنوب اليمن)
٨٠- يعقـوب : نفسـه ص ٧٩ ، ١٩٢ أباظـة : نفسه ص ٥٧٨ ، ٦٦١ سيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديـث – اليمـن والامام يحي (١٩٠٤ – ١٩٤٨م) ط ٣ مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٨٤م ص ١٩١ – ١٩٣ .
٨١- المقـالح : نفسه ص ١٦ – ١٨ ، الريحاني : نفسه ص ٢٠٨ العبدلي : نفسه ص ٢٠٨ سلطان ناجي : نفسه ص ٩١ – ٩٣ فرد هوليداي : نفسه ص ٥٦ أنظر مصادر ومراجع الهامش اللاحق (٩٩) .
٨٢- أريك ماكرو : نفسه ص ٨٩ – ٩١ خودابيرديف : نفسه ص١٩ – ٢١ ، ٢٣ وما بعدها ٣٠ وما بعدها أباظة : نفسه ص ٩ – ١٠ سلطان ناجي : نفسه ص ٣٥ أحمد فخري : نفسه ص ٢٢٠
٨٣- خودابيرديف : نفسه ص ١٩
٨٤- أحمد فخري : نفسه ص ٢١٧ ، ٢٢٠ سلطان ناجي : نفسه ص ٩١ ، ٩٣ – ٩٥ أباظة : نفسه ص ١٠
٨٥- أريك ماكرو : نفسه ص ٨٩ – ٩٠ خودابيرديف : نفسه ص ٢١ – ٢٢ ، ٢٤ –٢٥ ، ٢٧
٨٦- يعقوب : نفسه ص ٩٧ سيف علي مقبل : نفسه ص ١٠٤ جاد طه : نفسه ص٢٣٨
٨٧- أريك ماكرو : نفسه ص ٨٩ – ٩١ خودابيرديف : نفسه ص ٢١
٨٨- خودابيرديف : نفسه ص ٢٢
٨٩- نفسه ص ٢٣
٩٠- خودابيرديف : نفسه ص ٢٣
٩١- خودابيرديف : نفسه ص ٢٣ – ٢٤ يعقوب : نفسه ص ٩٥
٩٢- خودابيرديف : نفسه ص ٢٤ – ٢٦ ، ٢٧
٩٣- أريك ماكرو: نفسه ص ٩٠
٩٤- خودابيرديف : نفسه ص ٢٨
٩٥- سلطان ناجي : نفسه ص ٣٥ خودابيرديف : نفسه ص ٣١ – ٣٢
٩٦- جاد طه : نفسه ص ٣٣١ – ٣٣٢ سيد مصطفى :.نفسه ص ٧٣ – ٧٥
٩٧- سـيد مصطفى : نفسه ص ٧٣ – ٧٧ ، ١٤٣ وما بعدها جاد طه : نفسه ص ٣٣٥ المقالح : نفسه ص ١٦ – ١٧
٩٨- نفسه ص ١٥ – ١٧ ، ١٨
٩٩- سلطان ناجي : نفسه ص ٣٥
١٠٠- خودابيرديف : نفسه ص ٣٥ – ٣٦

١٠١- أريك ماكرو: نفسه ص ٩٠

١٠٢- أتشيبسن (سي يو) : نفسه ص ١٧ – ١٩ ترجمة الزميل د.مسعود سعيد عمشوش عن الفرنسية .

١٠٣- باصرة : حدود اليمن عبر التاريخ ص ١٤ – ١٥

١٠٤- أباظة : نفسه ص ٥٥٤ – ٥٥٥ ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ط٢ دار العلم للملايين . بيروت ١٩٦٠م ص٢١٢

١٠٥- ساطع الحصري : نفسه ص ٢٢٧

١٠٦- أنظر العبدلي : نفسه ص ٢٥١ ، ٢٥٥ سيد مصطفى سالم : نفسه ص ٢٣٢ وما بعدها . أنظر الملحق (٣ – ٤) ص ٥١٩ – ٥٢٥

١٠٧- أريك ماكرو: نفسه ص ١٠٩

١٠٨- أباظة : نفسه ص ٥٤٣ – ٥٤٤ ، ٥٦٥ – ٥٦٦ باصرة: نفسه ص ١٥ وما بعدها ، ١٨ – ٢٠

١٠٩- أنظر سلطان ناجي : نفسه ص ٨٧ – ٨٨

١١٠- المقــالح : نفســه ص ١٧ – ١٨ سلطان ناجي : نفسه ص ٨٨ – ٩١ العبدلي : نفسه ص ٢٧٦ – ٢٧٧ ، ٢٨٣ سيد مصطفى سالم : نفسه ص ٢٣٢

١١١- . أنظر الملحق (٣ – ٤) ص ٥٢٩ – ٥٣١ فرد هوليداي : نفسه ص ٥٦

أهم المصادر والمراجع

١. أباظــة ، فــاروق عــثمان : " عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٨٣٩ – ١٩١٨) الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٦م .
الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢ – ١٩١٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٦م .

٢. أتشيبسن ، سي . يو : مجموعة معاهدات والتزامات وسندات متعلقة بالهند والبــلاد المجــــــاورة لها (جنوب اليمن) مجلد (١١) . ترجمة وتقديم د. أحمد زين عيدروس د. سعيد عبد الخير النوبان ط١ ، دار الهمداني للطباعة والنشر – عدن ١٩٨٤م .

٣. بارتولد ، ف : تاريخ الحضارة الإسلامية . ترجمة حمزة طاهر ط٥ ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٣م

٤. باصــره ، صــالح علــي : " حــدود اليمن عبر التاريخ " المقدم إلى ندوة الحدود السياسية التي نظمها المجلس الاستشاري في الجمهورية اليمنية – صنعاء ، صيف عام ٢٠٠٠ م . غير منشور .

_ : " عدن . السياسة ، الإقتصاد ، الثقافة " العدد (١٧٤) " مجلــة الحكمة " عدن . أغسطس ١٩٩٠م.

٥. الجرافي ،عبدالله عبدالكريم : المقتطف من تاريخ اليمن ط٢ دار الكتاب الحديث بيروت ١٩٨٣م

٦. الحربــي ، دلال بنــت مخلــد : " علاقة سلطنة لحج ببريطانيا (١٩١٨ – ١٩٥٩م) " ط١ الرياض ١٩٩٧م .

٧. الحصري ،ساطع : " البلاد العربية والدولة العثمانية " ط٢ دار العلم للملايين. بيروت ١٩٦٠م.

٨. خودابيرديف ، عزيز : " الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن " دار التقدم موسكو ١٩٩٠م .

٩. الريحاني ، أمين : " ملوك العرب " ط٨ دار الجيل بيروت . ب . ت .

١٠. ســالم ، سيد مصطفى : " الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ – ١٦٣٥) " ط٣ . دار الجبلاوي القاهرة ١٩٧٨م.

١١. شرف الدين ، أحمد حسين : اليمن عبر التاريخ ط٢ السنة المحمدية ١٩٦٤م

١٢. الشــعبي ، قحطان محمد : الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن "عدن والامارات " دار النصر للطباعة القاهرة ١٩٦٢ م.

١٣. شكري ، محمد سعيد : العلاقات الثقافية والفكرية بين مصر واليمن – مجلة سبأ العدد السابع – مطبعة جامعة عدن ١٩٩٨م .

١٤. طه ، جاد : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن . دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٧٠م

١٥. عبدالعال ، محمد : بنو رسول وبنو طاهر الهيئة المصرية للكتاب الأسكندرية ١٩٨٠م.

١٦. العبدلي ، أحمد فضل : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ط٢ دار العودة ، بيروت ١٩٨٠م .

١٧. العمري ، حسين وآخرون : في صفة بلاد اليمن عبر العصور . ط١ ، دار الفكر بيروت ١٩٩٠م .

١٨. فالكوفا ، ل . ف : السياسة الاستعمارية في جنوب اليمن ، ترجمة عمر الجاوي ط٢ ، دار الهمداني – عدن ١٩٨٤م .

١٩. فخري ، أحمد : اليمن ماضيها وحاضرها . ط ٢ منشورات المدينة بيروت ١٩٨٨م .
٢٠. القاسمي ، سلطان ابن محمد : الاحتلال البريطاني لعدن ط١ – مطابع البيان التجارية – دبي ١٩٩١م.
٢١. القدال ، محمد سعيد وآخرون: المرشد في تاريخ أوروبا جامعة عدن ٢٠٠٠م
٢٢. لقمان ، حمزة علي : تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية . دار مصر للطباعة والنشر ١٩٥٩م .
٢٣. لوتسكي ، ف. ب. : تاريخ الأقطار العربية الحديثة ط٨ دار الفارابي بيروت ١٩٨٥م .
٢٤. ماكرو ، اريك : اليمن والغرب ترجمة د حسين العمري ط٢ دار الفكر دمشق ١٩٨٧م .
٢٥. عبدالعزيز المقالح : الشعر المعاصر في اليمن . ط ٢ دار العودة بيروت ١٩٧٨م .
٢٦. مقبل ، سيف علي : وحدة اليمن تاريخيا ط١ دار الحقائق بيروت ١٩٨٧م .
٢٧. موسى ، ايه . انش : القبائل العربية حول عدن . مطبعة الحكومة المركزية بومباي ١٩٠٩م .
٢٨. ناجي ، سلطان : التاريخ العسكري لليمن (١٨٣٩ – ١٩٦٧) د . مكان طبع ١٩٧٦م .
٢٩. الواسعي (عبدالواسع بن يحي) تاريخ اليمن : المطبعة السلفية مصر ١٣٤هـ
٣٠. هوليداي ، فرد : الصراع السياسي في شبة الجزيرة العربية ترجمة حازم صاغية وسعيد محيو ط٣ دار أبن خلدون بيروت ١٩٨١م .
٣١. هيكل ، محمد حسنين : ملفات السويس . ط١ مركز الأهرام للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٦م .
٣٢. يعقوب ، هارولد : ملوك شبه الجزيرة العربية ترجمة أحمد المضواحي : دار العودة بيروت ١٩٨٣م .
٣٣. اليمني ، شمس الدين عبدالصمد : الاحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان . تحقيق عبدالله الحبشي . ط١ دار التنوير بيروت ١٩٨٦م .

العمق التاريخي لدولة الوحدة اليمنية ..ومراحل النضال الوطني في سبيل إعادة تحقيقها

د . سلطان عبد العزيز المعمري
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة تعز
ونائب عميد كلية الآداب

تمهيد :-

مثل ومازال يمثل الحدث التاريخي الكبير المحقق في ٢٢مايو ١٩٩٠م تتويجاً موضوعيا ونتيجة منطقية لكل نضالات اليمنيين الوطنية عبر التاريخ القديم والوسيط والحديث – المعاصر من اجل إعادة وحدة الأرض والإنسان اليمني وبناء الدولة اليمنية المركزية الواحدة الموحدة – دولة الوحدة اليمنية. إن قراءة فاحصة لمحتويات المادة الأثرية المكتشفة حتى اليوم (نقوش ومخطوطات ..الخ) تثبت جملة من الحقائق التاريخية التي لا يرقي إليها الشك منها أن تلك النضالات الوطنية لليمنيين أنجزت و أقامت كيانات سياسية موحدة لليمن لأكثر من مرة سواء في الحقبة التاريخية القديمة أو الوسيطة أو الحديثة إي ان اكثر فترات هذه الحقب هي التي عرفت فيها اليمن وحدتها السياسية والإدارية والاقتصادية وحكم الدولة المركزية الواحدة الموحدة للأرض والإنسان فشكلت جميعها عمقاً تاريخياً للكيان الوطني الوحدوي القائم – الجمهورية اليمنية .

المبحث الأول
العمق التاريخي لدولة الوحدة اليمنية

﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ – (قران كريم)

تلي سقوط الدولة المعينية عام ٨٠٠ق.م قيام كيانات سياسية كبرى وحدت الأرض والإنسان في اليمن و يري الباحث:

في تلك الكيانات العمق التاريخي للوحدة اليمنية في صيرورتها التاريخية ، حيث عرفت اليمن تطور كيانات وحدوية على أساس من الاتحاد والتحالف السياسي – العسكري الطوعي أو القسري – إلي دول وممالك لها حكم مركزي شملت سلطة بعضها في الكثير من الأحايين ليس فقط كل مناطق جنوب جزيرة العرب،بل وفي أحايين أخرى أمتد سلطانها ليشمل أيضاً أجزاء من شمال وأواسط الجزيرة العربية .، من تلك الاتحادات "إتحاد دولتي معين وسبا اليمنيتين قبل أن تتفكك الدولة الأولى وتأخذ مكانها الدولة الثانية علي يد المكرب السبئي كرب آل وتر وتحت حكمه في القرن السابع قبل الميلاد ،والحلف السياسي – العسكري الاخر كان بين دول حضرموت وقتبان وسبأ بقيادة ملك سبأ ،ضد دولة أوسان "١" أيضاً في القرن السابع ق.م.، تشهد بهذه الحقيقة وحقائق أخرى العديد من النقوش اليمنية بخط المسند ومنها (نقش النصر) الموسوم ب ((GL 1000A)) .الذي عثر عليه في صرواح المستشرق إدوارد جلازر ١٨٩٢م ،وفيه يرد ذكر المكرب السبئي الملك " كرب آل وتر بن ذمار علي"وانتصاراته العسكرية وانه وحد كل بلاد اليمن وحكمها في القرن السابع .ق.م بأسم الإله المقة وسبأ ، مصادر أخرى " كتب ونقوش " تؤكد قيام كيان سياسي واحد موحد لكل اليمن بحدودها التاريخية في "الألف الأول ق.م"(٢) ويعرف ذلك الكيان بالدولة السبائية الأولى التي ارتبطت بها جل الرموز والأسماء التاريخية التي ذكرها القرآن الكريم في أكثر من آية :- مثل ملكة سبأ ،وسد مأرب ،وسيل العرم ،والشورى وكانت الحضارة اليمنية خلالّ الالف الأول قبل الميلاد قد بلغت " أوج تطورها ومثلت العصر الذهبي للحضارة الإسلامية "(٣)ومعلوم أن القرن الرابع ق.م أيضاً شهد عودة وحدة جميع اراضي منطقة الحضارة اليمنية في كيان سياسي واحد عرف في النقوش اليمنية القديمة والكتب التاريخية القديمة أيضاً بدولة سبأ وذو ريدان " تحت حكم المكرب الملك ياسر يهنعم الذي حمل نفس اللقب ..وبالمثل نجد في النقوش الحميرية تأكيدات عن أن العديد من التبابعة الحميريين والذين ((بلغ عددهم وفقاً للأصفهاني حمزة " ١٦" تبعاً وملكاً – أولهم " الحارث الرائش " وأخرهم ذو نواس "))(٤) ،وحدوا كل بلاد اليمنوحكموها بحدودها التاريخية الممتدة من عُمان و حضرموت شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً ومن شمال " يثرب" شمالاً إلى بحر العرب جنوباً كما قامت دولة اليمن الواحد على يد الملك " اليشرح يحضب الثاني بن فرعم ينهب الثاني " بين عامي ٣٥و١٥ق.م ،وعقب فترة من التفكك والتجزئة والصراع الداخلي بين اجنحة العشائر وقواها من اجل

السـلطة والانفـراد بها تم توحيد اليمن من جديد في الفترة التاريخية الممتدة من القرن الاول الميلادي وحتى القـرن المـيلادي الثالـث فـي ظل الدولة الحميرية حيث وحد هذا الكيان السياسي كامل << اراضي منطقة الحضـارة اليمنـية القديمة >> (٥) وتلقب حكامه بلقب "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات " . ، وفي بداية القرن الرابع الميلادي اصبح الحكام الحميريون يحملون لقب " ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات واعـرابهم في الطود وتهامة والاقاليم الساحلية = ، أو حسب د. بافقيه << ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمـنات "" يمانـه " واعرابهم في النجاد وفي تهامة >>(٦) وقد استمرت اليمن موحدة حتى نهاية حكم التبع الحمـيري الملك ذو نواس عام ٥٢٥م .، أيضاً من التبابعة الذين وحدوا اليمن وحملوا اللقب الحميري الطويل هـذا " شـمر يهرعش ،وذمار علي يهبر الثاني وثأران يهنعم ،وابو كرب أسعد [التبع أسعد الكامل]و حسان يهأمـن ،وشرحبيل يعفر (٧) وأخرون غيرهم والحقيقة انه لم يتوقف عند هؤلاء العمق التاريخي لدولة اليمن الواحـد بـل تواصل عقب ظهور وانتشار الإسلام حيث أصبحت اليمن ولاية واحدة موحدة تحت راية الإسلام وحكـم والي كان يرسل من "المدينة". أولا ثم لاحقا من دمشق فبغداد .، كما توحدت كل بلاد اليمن مرة أخرى خـلال الفـترة الواقعة بين عامي ١٠٣٧و١٠٩٨م ،في كيان سياسي كبير قوي و مزدهر عرف في المصادر التاريخية بالدولة الصليحية بقيادة موسسها علي بن محمد الصليحي وعاصمتها مدينة صنعاء حيث نجحت هذه الشخصية اليمنية التاريخية في وبناء دولة شملت سلطتها اليمن من أقصاه إلى أقصاه ،وعمها استقرارسياسي وامنـي وتطـور اقتصادي و اجتماعي وثقافي وعلمي ، كما شهد نظام الحكم فيها تطوراً أيضاً فقد عمل قادة الدولـة الصليحية على إحياء الجوانب الإيجابية في التقاليد السياسية التاريخية القديمة للمجتمع اليمني ،التي ذكـرها القران الكريم في أكثر من آية ،منها قوله تعالي على لسان "ملكة سبأ"(يأيها الملأ أفتوني في أمري ما كنـت قاطعـة أمـراً حتى تشهدون)) "صدق الله العظيم " أي أنه تم في الدولة الصليحية الأخذ والعمل بمبدأ الشـورى والمشاركة الشعبية في الحكم ،جنباً إلى جنب مع أحداث تطور في الجوانب السياسية و الاقتصادية والـتجارية والزراعـية والعلمية والحرف المهنية واليدوية ،رافق كل ذلك انتعاش ثقافي وفكري بدليل ظهور تيارات فكرية مختلفة للقوى الإسلامية أبرزها "آنذاك " المعتزلة ،الدليل الآخر على مساهمة اليمنيين بدور بارز وفـاعل في تطوير وإكساب الفكر الإسلامي مضامين وإبعاد اجتماعية وفلسفية جديدة كما نجد مثل هذا التوحد والـتطور الاقتصـادي والاجتماعـي والازدهار العلمي والثقافي والفكري أيضا في ظل الدولة الرسولية والتي وحـدت اليمـن وحكمتها أكثر من قرنين من الزمن [١٢٢٩-١٤٥٤م /٦٢٦هـ-٨٥٨هـ] في السياق ذاته ،فالثابـت لدينا أن عهد الدولة الرسولية كان من أخصب فترات التاريخ الوطني لليمن ومعلوم في هذا الجانب أن ملوك هذه الدولة كان لهم إسهامات ملموسة في تحقيق ذلك الازدهار العلمي والثقافي والفكري الذي عرفته الدولة الرسولية بدليل أن العديد منهم قاموا بتأليف الكتب والمصنفات العلمية في علوم الطب والصيدلة والفلك والـزراعة والبيطرية ....الخ ، كما توحدت اليمن أيضاً في ظل الدولة الطاهرية التي أعقبت الدولة الرسولية فـي حكـم اليمـن ١٤٥٤م -١٥١٦م وفي التاريخ الحديث أيضاً قامت الدولة اليمنية الواحدة على يد الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم عام "١٦٦٠م"شملت سلطتها كامل التراب اليمني من مشارف الحجاز شمالاً ،إلى بحـر العـرب جـنوباً ،وإلـى حضرموت شرقاً ،والبحر الأحمر غرباً ،وتعد فترة حكم هذا المتوكل على الله إسـماعيل من الفترات المشهود لها في التاريخ الوطني لليمن بالاستقرار السياسي والأمن والأمان ،وبالتطور الملمـوس فـي النواحي الاقتصادية والتجارية وبالذات الزراعة والتجارة الداخلية والخارجية . فالثابت لدى الباحث ان مثل هذا الازدهار وذاك الانتعاش قد أديا إلى زيادة النشاط التجاري الخارجي للموانئ اليمنية وعلى وجـه الخصـوص مـيـناء المخـاء حيث نشطت وازدهرت " انذاك " وبشكل كببير تجارة تصدير البن اليمني والتـنافس الدولـي على شراء هذة وبيعها السلعة من قبل الشركات العالمية الكبرى أشهرها " شركات الهند الشـرقية " الإنجليزية والهولندية والفرنسية الاحتكارية ، ولاحقاً الامريكية كما رافق ذلك الانتعاش والازدهار الاقتصـادي والـتجاري حالة من الاستقرار الامني والطمانينة على الذات والمال الشخصي ، أو حسب تعبير صـاحب كتاب "البدر الطالع " العلامة والمورخ الشوكاني . لم يرى الناس أحسن من دولته في الامن والدعة والخصـب والـبركة .وما زالت الرعايا معه في نعمة ، والبلاد جميعها مجبورة كثيرة الخيرات ،وكثرت اموال الـرعايا ، وكل أحدٍ آمنٌ على ما في يده لعلمه بان الامام سيمنعه عدله عن ان يتعرض لشئ من ماله (٨) ، كـل ذلك ادى إلى ازدهار الحياة الثقافية والفكرية بدليل ظهور العديد من المشاهير والعلماء اليمنيين في علوم الفقـه والعلـوم الدينـية الأخرى وفي الآداب واللغة وفروعها وفي التاريخ أيضاً أمثال: ابن الجلال والمقبلي ،وابـن الأمير الصنعاني ،وابن المؤيد والحيمي والشوكاني مؤسس "آنذاك "المدرسة الاجتهادية اليمنية .،إلى ذلـك عُرف عن المتوكل إسماعيل حبه للعلم وحبه واحترامه وتقريبه للعلماء بمن فيهم الذين اختلفوا معه في الرأي ووجهوا له النقـد .

وفـــي ضـــوء ما تقدم نخلص "في هذا المبحث" إلى القول بأن جذور دولة اليمن الواحد ترجع إلى سنوات الألـــف الاول ق.م ،وتمـــتد عـــبر مختلف الحقب التاريخية اللاحقة، وان الكيانات السياسية العديدة التي سبق الحديـــث عـــنها تمثل من وجهة نظر الباحث العمق التاريخي لدولة اليمن الواحد عبر التاريخ ، وان اليمن في معظـــم فـــتراتها التاريخية شكلت وحدة متجانسة بشرياً و حضارياً وانها ايضاً توحدت أكثر من مرة في شكل مملكـــة أو دولـــة واحدة قبل الميلاد والإسلام وبعده وفي هذا " تتفق جل الكتب التاريخية الكلاسيكية العربية وغـــير العربية ويؤكده ايضاً الجزء الاكبر من نصوص المادة الاثارية المكتشفة حتي اليوم ومعني ذلك .، أن سمه التوحد والوحدة في كيان سياسي واحد في إطار مملكة أو دولة او ولاية واحدة موحدة هو ما تميزت به معظـــم مـــراحل التاريخ القديم والوسيط والحديث لليمن. من هنا يـــرى الباحث ان الكيانات السياسية اليمنية الواحـــدة الموحدة للأرض والإنسان التى اتى بها "فيما سبق تدلل بما لايدع مجالاً للشك أن الوحدة والتوحد في مختلف حقب التاريخ الوطني لليمن كانت هي القاعدة .وان التجزئة كانت هي الاستثناء.، والحقيقة الاخرى الهامـــة التـــي يـــريد الباحـــث تثبيتها في هذا الجانب هي انه حتى في فترات التجزئة التى عاشتها اليمن فان اخـــتلاف ممـــالك أو دويـــلات و دول التشطير وحروبها ضد بعضها البعض سواء في تاريخ اليمن القديم أو الوســـيط والحديـــث والمعاصـــر. [بما في ذلك اختلاف واحتراب القوى السياسية والاجتماعية التي احتكرت الســـلطة فـــي الدولتين اليمنيتين – "ج.ع.ي"و"ج.ي.د.ش"]كانت أساسا من اجل ظفر أي من تلك الممالك أو الـــدول بالنصـــر وبالتالي توحيد وحكم كل اليمن في إطار كيان سياسي مركزي واحد وقوي .، حتي تم سلمياً وديمقراطياً استعادة وحدة الوطن اليمني وقيام كيانه السياسي الواحد – الحمهورية اليمنية يـــوم "٢٢ مايـــو ١٩٩٠م " .

المبحث الثاني
"مراحل النضال الوطني في سبيل إقامة دولة الوحدة اليمنية "

لايخـــتلف اثنان أن اليمن مثلت في الماضي البعيد وحدة اقتصادية وإدارية واحدة موحدة في كيان سياسي واســـع الأطراف امتدت حدوده في وقت من الأوقات من مشارف " يثرب شمالاً،إلي البحر العربي جنوبياً .ومن عُمـــان شرقاً إلى باب المندب في البحر الأحمر غرباً ،بحيث شكل ذلك الكيان السياسي حتي ٨٠٠ ق.م ،أكبر إطـــار وحـــدوي عـــرفة التاريخ اليمني القديم بعاصمته مدينة معين التي بفضل موقعها الجغرافي المهم انذاك واستقرار أوضاع الدولة الداخلية وتطور الزراعة فيها ،وتوجيهها بما يلبي متطلبات الدولة التجارية واشتهار الســـلع اليمنـــية المعروفة والاتجار بها دولياً انذاك كل ذلك قد جعل من العاصمة " معين مركزاً تجارياً وثقافياً وملـــتقى طـــرق القوافل التجارية ،فازدهرت وتطورت الحضارة اليمنية بحيث مدت ظلها وتأثيراتها إلى خارج حـــدود مملكة معين ،وبالذات إلى بلاد وادى النيل ومابين النهرين ، ووصول عناصر يمنية مهاجرة إلى سدة الحكـــم في بعض دول الأسر المالكة إبان العهد الفرعوني القديم ،وفي عهد دولة الملك حمورابي وفي مناطق أخـــري مـــن مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوب شرق آسيا والقرن الأفريقي ،هذه وغيرها حقائق تاريخـــية ثابـــتة أكدتها الآثار المكتشفة حتى الآن في بلادنا وفي بعض البلدان العربية والأجنبية وموثقة في الكتب والمصادر التاريخية باللغات العربية والأجنبية المعروفة لنا حتي اللحظة (٩) ،بيد أن عوامل الصراعات والنزاعات والحروب الداخلية والتدخلات الخارجية للقوى الاستعمارية الأجنبية ،أفقدت في بعض الفترات اليمن مقومـــات اســـتمرار وحدتها وقوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وبالتالي اضعاف المشترك حضارة مـــناطقها المشـــهود لهـــا بالتأثـــير الايجابي في حضارات الاخر وتحديدا حضارات بلاد وادي النيل والرافدين ،وبالرغم من ذلك واصل اليمانيون تصديهم ومقاومتهم للقوى الأجنبية الغازية بدءاً من حملات القرون الأولى ق.م ،مروراً بالحملة الرومانية عام ٢٤ ق .م ، فالحملات الأثيوبية لاحتلال اليمن في القرون الميلادية الأولي والثانية والثالثة والرابعة والسادسة ، فالبرتغالية والمملوكية في القرنين الرابع عشر والسادس عشر والتركية والبريطانـــية فـــي القرنين السابع عشر والتاسع عشر الميلادي من ناحية .، ومن اجل استعادة وحدة الأرض والإنســـان فـــي دولة يمنية مركزية واحدة من ناحية أخرى ،بحيث أنجزت بعض تلك النضالات و أقامت عبر مخـــتلف مراحل التاريخ العديد من الكيانات السياسية الوطنية الواحدة لأكثر من مرة في شكل دولة أو مملكة تمدد حكمها فشمل كامل أراضى المنطقة اليمنية أي انها مرت منذ سقوط الدولة اليمنية المركزية " دولة معين الأولـــي [١٥٠٠ق. م – ٨٠٠ ق.م]وحتى " مايو " العام ١٩٩٠م ، باكثر من مرحلة يحددها الباحث ب = ست مراحل كبرى ــ رئسه ،ويبين اهم سمات كل واحدة منها على النحو التالـــي:-

المرحلة الأولى :- ٨٠٠ ق.م-٥٢٥ق.م

ان إيمان اليمنيين بوحدة أراضيهم ومصيرهم المشترك كان دائماً وراء وحدة نضالا تهم وانتصاراتهم من أجـل إعـادة وحدتهم وقيام دولهم المركزية الموحدة منذ سقوط الدولة المعينة عام ٨٠٠ م ق.م حين شرعوا بخـوض نضـالات وطنية موحدة حينا ،ومجزأة أحياناً أخرى ،حتى صنعوا يومهم الوحدوي المجيد في الثاني والعشـرين مـن مايو ١٩٩٠م عبر مراحل متدرجة شهدت اليمن خلالها العديد من المحاولات الجادة في هذا الاتجاه ،كان من نصيب هذه المرحلة عدة محاولات اقامت دولة اليمن الواحد اولها تلك التي انجزها كرب ال وتار بن ذمار علي وتار ، عقب انتصاره في حملاته العسكرية في كل الجهات اليمنية وإجراءاته اللاحقة ،على نفـس الصـعيد اقام الملك ياسر يهنعم في القرن الرابع ق . م ، كياناً مركزيا توحدت في ظله كافة إراضي المنطقة اليمنية وقد عرف ذلك الكيان السياسى فى التاريخ القديم بمملكة "سبأ وذو ريدان" التي ظلت سلطتها قائمـة حـتى العـام ١١٥ق.م . و في هذا العام ايضاً كانت بداية حقبة حكم الدولة الحميرية الأولى على يد "اليشرح يحضب الاول بن فرعم ينهب الاول " .

تلى ذلك نشوء صراع داخلي على السلطة اشتركت فيه ثلاث قوى رئيسة وفاعلة في أطار الدولة الحميرية هـي : سـبأ ،وحمير ،وهمدان ،وقد تمكنت العناصر الهمدانية أثناء ذلك الصراع المرير من الوثوب فجأة إلى السـلطة واحتلال عرش الدولة الحميرية لفترة [ستين سنة]، حتى تم ازاحتها عام ٣٥ق.م ،على يد "اليشرح يحضـب الثانـي بن فرعم ينهب الثاني" والذي تمكن ايضا من إعادة توحيد وحكم اليمن [٣٥-١٥ق.م] من اقصـاها إلـى اقصـاها في كيان سياسي واحد قوي اقتصادياً وعسكرياً الامر الذي مكن هذا "اليشرح يحضب الثانـي " مـن الحاق هزيمة كبرى بجيوش القائد الروماني "اليوس جاليوس "عام ٢٤ ق.م .في السياق ذاته فالثابـت لديـنا ان هـذة الدولة في القرن الخامس للميلاد لم تكن توحد وتحكم كامل أراضي المنطقة اليمنية فحسـب،بل وتمكنـت حيـنها من مد نفوذها إلى مناطق خارج اليمن .ومن الملوك الذين اعادوا توحيد اليمن وحكموهـا بكـل حدودها التاريخية في عصر الدولة الحميرية شمر يرعش ٢٠٧- ٢١٢م ،ونشأ كرب يهأمن يهرجـب بن اليشرح يحضب الاول ٢٤٠- ٢٨٠م ، واليشرح يحضب الثاني بن فرعم ينهب الثاني بين عامي ٣٥ -١٥ق.م : شمر يهرعش بن ياسر يهنعم "٢٧٥-٣٠٠م" وكرب يهأمن "٣٧٥ -٣٨٥م" وابو كرب اسعد المعـروف أسـعد الكـامل "٣٨٥-٤٣٥ب.م" ،وحسان بن أسعد الكامل "٤٣٥-٤٤٥م"وشرحبيل يعفر أسعد الكامل "٤٤٥-٤٦٥م " .

المرحلة الثانية ٥٢٥م-١٨٣٩م.

انتهت المرحلة الاولى من مراحل نضالات اليمنيين في سبيل الدولة المركزية الواحدة بسقوط الدولة الحميرية التي حمل حكامها منذ العام ٤٢٥ميلادية لقب ملك " سبأ ،وذو ريدان وحضرموت ويمنات واعرابهم فـي الطـود و تهامـة والهضاب العالية والاقاليم الساحلية "(١٠) التي شملت سلطتها كامل الاراضي اليمنية ومعهـا فـي رأينا انتقلت النضالات الوطنية لليمنيين إلي مرحلة جديدة شن خلالها الوطنيون اليمنييون أشكالاً عدة من النضالات الموحدة حينا،والمجزأة حينا آخر، اي انها تميزت بخط متعرج تارة في صعود وتارة أخرى في هبوط ،نجح بعضها وفشل بعضها الاخر لاسباب وعوامل عدة داخلية وخارجية .

وعلى الرغم من حالة التمزق السياسي والانقسام العقائدي والضعف الاقتصادي التي عاشتها اليمن داخلياً في بعض المراحل التاريخية نجد ان النضالات الوطنية من اجل الانتصار لدولة الوحدة اليمنية ،لم تتوقف وانما ظلت تتواصل حتى عشية ظهور الاسلام .

فعقـب ظهـور الاسـلام وانتشاره عقيدة توحيديه ثم دخول اليمنيين في الاسلام عام ٦٢٨م عادت لليمن وحدتها في عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ،إذ اصبحت ولاية واحدة تتبع مركز الدولة الاسلامية في المديـنة التي كان سيدنا محمد (ص) يرسل منها عماله الي اليمن ، غير ان تلك الوحدة اهتزت عقب وفاة الرسـول الاعظـم ((ص)) بسب الصراع على السلطة وبفعل تأثير النزاعات والاختلافات السياسية والمذهبية التـي شـهدها مركـز الدولـة الاسلامية منذ حادثة السقيفة وطيلة حكم الخلفاء الراشدين والعهدين الاموي والعباسـي وانعكـاس كـل ذلـك سلبا على العباد والبلاد في اليمن وتطورات الاوضاع فيها ، بيد ان السمات السلبية " الصراع ،والحروب ،والفتن الداخلية " التي اتسمت بها اوضاع اليمن خلال الحقبة التاريخية الممتدة مـنذ حادثـة السـقيفة حـتى نهاية القرن الهجري الرابع ،قد رافقتها سمات اخرى ايجابية اهمها – تواصل النضـالات الوطنـية في سبيل اعادة وحدة اليمن –الارض والانسان ،ونجاح بعضها في اقامة كيانات سياسية وحـدت كـامل اراضـي اليمن ، واقصد بمثل هذة الكيانات ،الدولة الصليحية "١٠٣٧- ١٠٩٨م" ، الدولة الرسـولية "١٢٢٩-١٤٥٤م" اى لاكثر من قرنين ، والدولة الطاهرية "١٤٥٤- ١٥١٦م" و الولاية اليمنية

فـــي ظل السيطرة التركية العثمانية لفترة قرن كامل "١٥٣٨-١٦٣٥م " فالدولة اليمنية المركزية الواحدة في ظل – حكم المتوكل على الله اسماعيل و تحديداً في الفترة من "١٦٦٠-١٦٧٦ م " .

لقـــد ادت الصـــراعات السياسية والخلافات المذهبية في الدولة الإسلامية الي خلق حالة من الاضطرابات والحـــروب الداخلـــية فـــي اليمن ، ثم اشتدادها على وجه الخصوص طيلة عهد الدولة العباسية ، ورغم ذلك اســـتطاعت شخصية يمنية قوية مثل علي بن محمد الصليحي ان يخمد تلك الاضطرابات وينهي حالة التجزئة ويقـــيم طـــيلة فترة حكمه وحدة جميع اراضي البلاد اليمنية ، لتتجزأ بعد موته في عهد ابنه حتي جاءت الى الســـلطة((الملكة اروي بنت احمد الصليحي)) فتمكنت هذة المراة من فرض سلطة الدولة الصليحية على كافة المـــناطق التـــي كانـــت قد اعلنت تمردها أوانفصالها عن الدولة المركزية أثناء سلطة وإدارة الصليحي الإبن للدولـــة كما يعود لها الفضل في إجتثاث الوجود النجاحي نهائياً من اليمن عبر تمكنها توجيه ضربة عسكرية قاتلـــة تمكنـــت بها وضع حدا نهائياً لوجود النجاحين وازالتهم بشكل كامل من علي المسرح السياسي اليمني وبمـــوت الملكة بنت الصليحي عام ١١٣٨م اخذت الدولة الصليحية تتجزأ إلى عدة دويلات واقطاعيات صغيرة متـــناثرة هنا وهناك أبزرها الامارة الحاتمية في صنعاء والامارة الزريعية في عدن ،ودولة المهديين في زبيد ،وبهـــذا التداعي والتفكك والتمزق تواصلت الصراعات السياسية والحروب العسكرية فيما بين هذة الامارات ، فتردت الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية اليمنية داخلياً ،وهو ما وفر للتدخل الاجنبي ظروفاً وشروطاً ،سياسية واقتصادية وعسكرية مواتيه لنجاحه من جهة ، ومن جهة اخرى لم تساعد مثل تلك الظروف والشروط القوى الوطنية على مقاومة التدخل الاجنبي ،فكان عام ١١٧٤م عام الاجتياح الايوبي لليمن ،واحتلاله الكامل للمنطقة اليمنـــية وفـــرض الســـيطرة الايوبية من نجران – عسير في الشمال ،فحضرموت شرقاً ،وحتى البحر الاحمر غرباًوخلـــيج عـــدن جنوباً وهو الاحتلال الذى استمر حتى عام ١٤٥٤م ، حينما تمكن الوطنيون اليمنيون من أقامـــة الدولة الطاهرية "١٤٥٤م–١٥١٦م" التي وحدت وحكمت في فترة معينة كامل اراضي المنطقة اليمنية لتســـقط عام ١٥١٦م على ايدي قوات الحملة المملوكيه بتعاون بعض من القوى المحلية التي ناصبت الدولة الطاهرية العداء طويلاً ،وبهذا السقوط عادت التجزئة من جديد للبلاد اليمنية والتي استمرت حتى مجئ القوات التركـــية العثمانية لاحتلال اليمن عام ١٥٣٨م وفرض سيطرتها لاحقاً على مختلف المناطق التي دامت قراية قـــرن مـــن الزمن كانت اليمن من اقصاها الي اقصاها موحدة في ولاية واحدة تتبع الامبراطورية العثمانية ، ولكـــن هذه الوحدة في ظل السيطرة الاجنبية لم تمنع اليمنيين من مواصلة نضالاتهم في سبيل التحرر واقامة الدولـــة اليمنية المستقلة الواحدة ،حتى تكللت تلك النضالات أولا باجبار الاتراك عام ١٦٣٥م على الرحيل من اليمـــن ، وثانـــياً بدء فترة حكم الدول اليمنية المستقلة ،وثالثاً –تمكن المتوكل على الله اسماعيل ابتداءاً من العـــام ١٦٤٤م اخضـــاع المناطق المستقلة عن السلطة في ظوران لسيطرته بدأ باخضاع عدن ولحج وابين وضمها(١١) مروراً بضم البيضاء ،وظفار ، وصولاً إلى حضرموت التي لم تستسلم الابعد معارك ضارية بين قوات السلطة المركزية " بضوران " وقوات السلطنة بقيادة بدر عبد الله ،الذي انهزم خلال المعارك الاولي ،ثم انسحب الي شبام ، فطاردته قوات السلطة المركزية وخاضت معه هناك المعركة الفاصلة التي انتهت باستسلام بـــدر عـــبد الله وقواتـــه واستيلاء قوات المتوكل اسماعيل على المدينة ، وبذلك تم سحق حركة بدر عبد الله الاستقلالية بالقوة العسكرية واخضاع حضرموت وظفار وبالتالي استكمال عملية ضم المناطق اليمنية الجنوبية والشـــرقية الـــي دولة المتوكل إسماعيل ، وفي العام ١٦٦٠م (١٢) ، اصبحت سلطة هذة الدولة تشمل كافة المـــناطق اليمنية من بحر العرب جنوباً، ووسط شبه الجزيرة العربية شمالاً ،وحضرموت وظفار شرقاً، وحتى بـــاب المـــندب غرباً حيث دامت لاكثر من قرن من الزمن وبموت المتوكل إسماعيل عام ١٦٧٦م أخذت تبرز بـــوادر تفكـــك هذة الدولة المركزية نتيجة السياسات الداخلية الجائرة للائمة وفساد سلطتهم الادارية والمالية وبالتالي ظهور حركات استقلالية جديدة ونشوء كيانات سياسية صغيرة مستقلة ، مما أضعف الدولة المركزية فـــي صـــنعاء ،فكانـــت هذه الاسباب جميعها عوامل فتحت شهيه القوى الاستعمارية الاجنبية لاحتلال اليمن ، فـــأخذت توجـــه لليمن حملاتها العسكرية الواحدة تلو الاخرى ،بحيث شكلت مع العوامل الداخلية سابقة الذكر أســـبابا حقيقية لزعزعة أركان الدولة المركزية في صنعاء ، ومن ثم سقوطها النهائي في القرن التاسع عشر حيـــن تمكنـــت الجـــيوش الغازية للامبرطوريتين البريطانية والتركية من تجزءة اليمن ، حيث فأصبحت عدن اليمنـــية عـــام ١٨٣٩م تحـــت السيطرة الانجليزية ، ومنها انطلق المحتلون البريطانيون لاستكمال سيطرتهم واحتلالهم لاراضي الشطر الجنوبي من الوطن اليمني عبر ما أسمي بمعاهدات الصداقة ،فالحماية ،فالاستشارة ،وفـــي عام ١٨٧٢م وقع الجزء (الشمالي) منه من جديد تحت السيطرة والاحتلال التركي– العثماني، وبهذين الاحتلالين دخلت اليمن مرحلة التشطير والتجزئة الكبرى ،ومعها دخلت النضالات الوطنية من اجل اقامة دولة الوحدة اليمنية مرحلة جديدة هي الثالثة من حيث الترتيب الزمني .

المرحلة الثالثة ١٨٣٩ م –١٩١٨م

مما تقدم يتضح جلياً أن العوامل الداخلية المتمثلة في الصراعات السياسية والنزاعات المذهبية وتناقضات المصالح الاقتصادية للقوى الاجتماعية اليمنية داخلياً كانت وراء ظهور وتعدد الدول والامارات اليمنية المتناثرة هنا وهناك ، وقيام الحروب فيما بينها ، فشكلت جميعها باستمرار أسباباً في ضعف الدول اليمنية المركزية في المراحل السابقة .، ومن ناحية ثانية استغلتها القوى الاستعمارية الاجنبية الطامعة دوماً في ثروات اليمن وخيراتها وموقعها التجاري والعسكري المهم لاسقاط تلك الدول اليمنية المركزية والسيطرة على الموانئ والمياه الاقليمية اليمنية لاهميتها التجارية والعسكرية الاستراتيجية لكل هذه الاسباب وغيرها كان احتلال الإمبرطورية الإنجليزية لعدن علم ١٨٣٩م تم توسعها في احتلال المناطق الجنوبية اليمنية عبر التهديد تارة والترغيب تارة ثانية وعقد اتفاقيات ومعاهدات ثنائية مع حكام المناطق الجنوبية اليمنية تارة أخرى وبذلك حسم الاستعمار البريطاني لصالحه مسألة التنافس الدولي على عدن وخطوط التجارة الدولية في البحر الأحمر كما أمن خط الاتصال بمستعمراته في الهند وشرق اسيا ،وقد رات حكومة الباب العالي في ذلك وما سبقته من حوادث في مناطق البحر الاحمر والابيض خطراً على مصالحها ووجودها ،فقررت العودة مرة أخرى لاحتلال اليمن ،فأرسلت الامبرطورية العثمانية حملتها الأولي عام ١٨٤٩م مبتدئة باحتلال الحديدة وأجزاء من مناطق تهامة ومناطق الهضبة الوسطي عززتها بحملات أخرى حتي تم اسقاط صنعاء عام ١٨٧٢ م ، ثم عينت والياً عثمانياًعلى اليمن ومقره صنعاء أخذت تدعمه بالموظفين لمساعدته في الوظائف والإدارات المهمة ،وقد تصدت المقاومة الوطنية اليمنية بقيادة إمام الزيدية الذي أخذ يحرض القبائل اليمنية ضد حكم العثمانيين ،فكانت فترة حكمهم الثانية لليمن مليئة بالحروب والانتفاضات الشعبية التي واجهها الاتراك بشدة وقسوة ،غير ان هذا لايلغي حقيقة ان بعض العناصر التركية من تلك التي كانت ترسل إلى اليمن مجبرة قد تحولت إلى عناصر داعمة ،أومتعاطفة مع نضالات اليمنيين ضد قوات الاحتلال التركي التي ليس فحسب لم تتمكن من ان تخضع كافة مناطق اليمن الشمالي لحكمها ،بل ولم تسلم مناطق تواجدها من هجمات القبائل اليمنية ، بما فيها العاصمة صنعاء التي كثيراً ماكانت تحاصر وتنهب (١٣) ، فيما ظلت صعدة معقل الإمامة الزيدية وما حولها من المناطق الجبلية خارج نفوذ الأتراك ،حتي وصل اليمن أحد الولاة (العقلاء) فقرر انه لافائدة من الاستمرار في سياسية الشدة والقسوة ،وانه من الانسب له ولحكومة الباب العالي البدء في المفاوضات ،وعقد صلح عادل مع قيادة المقاومة اليمنية ،ومع مجيئ اليوم الذى تولى فيه الإمام المنصور بالله محمد بن حميد الدين شؤون الإمامة الزيدية ،شهدت البلاد طوراً جديداً إزداد فيه حجم المقاومة الوطنية اليمنية للأتراك ،وكان هذا الامام شخصية عنيدة تجاه الأتراك ومصراً على انتزاع الاستقلال لبلاده ،لكنه سرعان ما توفي عام ١٩٠٤م ،فخلفه ابنه يحيى الذى تلقب بالمتوكل على الله ،فدخلت معه المقاومة والنضالات الوطنية لليمنيين طوراً جديداً آخر في هذة المرحلة ومن سماتها خروج الاتراك من الشطر الشمالي "مجبرين نهاية العام ١٩١٨ بفعل قوة نضالات اليمنيين من ناحية ،ونتائج الحرب الكونية الأولي السلبية بالنسبة للامبرطورية العثمانية من ناحية ثانية ، وقيام "دولة مستقلة " في(شمال) الوطن والسمة الاخرى استمرار حالة التشطير للوطن اليمني .

المرحلة الرابعة ١٩١٨م – سبتمبر ١٩٦٢م

بتسليم المحتلين الإنجليز الحديده للإدريسي ودعمهم له مادياً وعسكرياً ،بدأت المواجهة السياسية والعسكرية بين الإمام يحيى والبريطانيين في الجنوب اليمني المحتل من ناحية ،وبينه وبين الادريسي وآل سعود من ناحية ثانية ،سبقها دخول الإمام يحي حميد الدين صنعاء في نوفمبر ١٩١٨م ، ولقاؤه القائد العثماني التركي" [أحمد توفيق باشا " ،الذي سلم الامام كل ما تبقي من ممتلكات ومناطق النفوذ التركي في اليمن ، ومع مطلع عام ١٩١٩م أعلن الإمام يحيى قيام المملكة المتوكلية اليمنية كدولة (مستقلة) وفي العام ١٩٢٠م أراد الإمام يحيى التفاهم مع المحتلين الإنجليز ،لكنهم لم يستجيبوا ، فما كان من الإمام الا أن قام عام ١٩٢١م بشن هجوم مسلح علي مناطق حدوديه في المحميات اليمنية الجنوبية (الضالع "الشعيب ، الإجعود ، القطيب) فكان رد الإنجليز هو ارسال طائراتهم للأغارة علي الحاميات العسكرية الإمامية ،وتكبيدها خسائر كبيرة أرغمتها على الإ نسحاب من بعض المناطق المتنازعة عليها .وبموت محمد الإدريسي عام ١٩٢٣م تفرق الكثير من أنصاره فقد دخل حسن الإدريسي عام ١٩٢٦م تحت حماية الملك السعودي عبد العزيز الذي أرسل في العام نفسه وفدأ إلى صنعاء للتفاوض مع الإمام يحيي بهدف الاتفاق معه حول وضع " نجران " ومسألة الحدود بين البلدين غير أن رفض الامام وتمسكه بحقه ببلاد نجران باعتبارها جزءاً لايتجزأ من المخلاف السليماني ، وأن " " نجران " منطقة يمنية مغتصبة من قبل الإدريسي محمد أثناء الحكم العثماني، وبذلك فشلت المفاوضات ، وعاد الوفد السعودي من حيث أتي فكان ان نشبت ازمة حادة بين ملكي

اليمـن والسـعودية اركانهـا الاساسـية وضع نجران اليمنية ومسألة الحدود ، بالاضافة الي وضع " حسن الادريسـي " فـي اعقاب لجوئه الي امام اليمن عام ١٩٣٠م ، وقد تميزت الازمة اياها بالمد والجزر – بين المفاوضات الدبلوماسية والمراسلات حيناً والمواجهات العسكرية احايين اخرى منذ بدايتها عام ١٩٢٦م وحتي انفجار حرب صيف ١٩٤٣م بين المملكتين السعودية واليمنية انذاك.

وفي عامي ١٩٢٧م و ١٩٢٨م تجددت المناوشات في المحميات اليمنية ، وبالذات في الضالع والقطيب رد علـيها الإنجلـيز بشدة ، مستخدماً الطيران لقصف ودك المدن اليمنية الشمالية ، تاركاً وراءه الموت للسكان والذعـر فـي قلـوب الاحياء ، إضافة إلى إرسال المحتلين البريطانيين قطعاً من أسطولهم الحربي إلى البحر الأحمـر لمهاجمـة المملكة اليمنية ، وإنزال جنودهم إلى الحديده ، بعد أن كان حسن الإدريسى المتحالف مع المحتلين الإنجليز والمدعوم منهم ومن آل سعود قبل ذلك قد اقتطع اجزاء من الأراضي اليمنية وسلمها للملكة السـعودية بمقتضى معاهدة وقَّعها الإدريسي مع الملك السعودي في ٢١ أكتوبر ١٩٢٦م ، ثمّ دخل إمام اليمن فـي حربيـن مـع المحتلين الإنجليز في الجنوب ، ومع السعوديين و الإدريسي في الشمال ، إنتهت بهزيمة السـلطة الإمامية و بنتائجهما توقف الامام عن المطالبة بالجنوب اليمني ،ووقع اتفاقتين مذلتين مع المحتلين البريطانييـن فـي جنوب اليمن و السعوديين في شماله اعترف الإمام بموجب الأولي منهما الموقعة في ١١ فـبراير ١٩٣٤م مـع الإنجلـيز لمـدة ٤٠ عاماً بالحدود مع السلطات الاستعمارية ، وبذلك سلم راس النظام الإمامـي الإقطاعـي بوجود الاستعمار في جنوب الوطن ، والتخلي كاملاً عن" قضية تحرير الأراضي اليمنية المحـتلة " فخان بذلك القضية الوطنية ،و لم يقف الإمام عند هذا الحد من الخيانة ، بل استسلم امام المطامع السـعودية التوسعية في اليمن ، فوقع مع العدو الشمالي ((السعودية)) إتفاقية مذلة في مايو ١٩٣٤م تمكن بمقتضاها إبن سعود من ضم أراضي عسير ونجران وجيزان اليمنية الي مملكته التي تمت اقامتها بفضل الدعم السياسي والمادي والعسكري البريطاني وأيضاً بفعل التوسع لاحقا على حساب اراضي الدول العربية المجاورة مـن كـل الجهـات. ، وباحـتلال ابن سعود تلك المناطق اليمنية وتوقيع الإمام يحيي" لاتفاقيتي فبراير ومايو ١٩٣٤م " مع المستعمر الإنجليزي والمحتل السعودي ، تجزأت اليمن إلى ثلاثة إجزاء ،جزء " مستقل " يرزح تحـت وطأة نظام ملكي ــ إقطاعي متخلف ــ انعدمت فيه ابسط مقومات الحريات العامه وحقوق الانسان ، و جـزآن ظلا يرزحان تحت الاحتلال والسيطرة الاجنبية الإنجليزية والسعودية ، في مثل تلك الاوضاع وكرد فعل طبيعـي تجاه سياسات الإمام يحيى القهرية ، وسلطته الكهنوتية المطلقة منذ اعتلائه عرش المملكة المتوكلية اليمنية في بداية عام ١٩١٩م ، وتمسكه بسياسة العزلة ، ورفضه إجراء أي إصلاحات داخلية ، إلى جانب ما جسّـدته وأثبتته الحربان السعودية اليمنية والإنجليزية اليمنية من ضعف السلطة الإمامية وخيانة رأس الدولة والطبقة الإقطاعية في اليمن بتوقيعه لاتفاقيتي ١٩٤٣م – اخذت الفئات المستنيرة من ابناء الشعب في الداخل والخـارج تـتململ وتـتذمر من حكم آل حميد الدين وتخاذلهم أزاء النضال من أجل استكمال تحرير الاراضي اليمنـية المحتلة وإعادة توحيد اليمن الارض والانسان ،وقد تم التعبير عن ذلك التململ والتذمر باشكال عديدة سـرية وعلنـية ،فردية وجماعية سلمية "شعراً ونثراً "ثم قيام حركة معارضة وطنية جديدة دعت إلي اسقاط الحكم الامامي وتحرير الجنوب اليمني المحتل و توحيد كل اليمن وثبتت ذلك برنامجياً..، ومعني ذلك ان قضية اعـادة توحـيد اليمـن ارضـاً وانسـاناً في هذة المرحلة اصبحت مهمة نضالية برنامجية بالنسبة للعديد من التنظيمات والقوى السياسية والاجتماعية في اليمن وبالمقابل وجدت ايضاً هنا وهناك تنظيمات وقوى سياسية واجتماعية اخرى لم ترفع مطلب اعادة الوحدة اليمنية والدولة اليمنية الواحدة فحسب وانما غيبت هذة المهمة الوطنية عن برامجها السياسية وحصرت مطالبها باحداث اصلاحات محدودة في شطر دون الشطر الاخر ، أي انها سيدت في برامجها وانشطتها السياسية الروح والنزعة الشطرية (١٤).

المرحلة الخامسة : سبتمبر ١٩٦٢م – نوفمبر ١٩٦٧م

لـم تكـن الـثورة السـبتمبرية الوطنية التحررية الديمقراطية عام ١٩٦٢م ، إلاّ تتويجاً طبيعياً لمجموع النضـالات والمحـاولات والحـركات الوطنـية خلال التاريخ السابق لسبتمبر ٦٢م ضد الظلم وضد السياسات الاضـطهادية والقهـرية للسـلطة الامامية الكهنوتية المتحجرة من جهة ، ومن اجل التحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتهما من جهة ثانية ، وأقامت دولة الوحدة من جهة ثالثة .

ومـع هـذا الانتصـار الوطني احتلت مسألة الوحدة اليمنية ، أهمية خاصة ودخلت مرحلة اكثر جدية إذا وضعها الثوار السبتمبريون الوطنيون لها هدفاً خامساً لهم في برنامجهم السياسي المقر عشية القيام بالثورة ، والمعلـن صـبيحة انتصارها فيما جعلت منها السلطة السبتمبرية الوطنية بقيادة الزعيـم " الفقيد عبد الله السـلال " قضية نضالية يومية ، وبذلك شكل السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م البداية العملية لمرحلة جديدة في نضالات الوطنيين اليمنيين الطويلة والشاقة في سبيل إعادة تحقيق الوحدة وقيام دولة اليمن الواحد

بدليل انه رغم تعدد اشكال الصراع المبررة وغير المبررة داخل المعسكر الجمهوري ، ودخول الثورة منذ الايام الأولي لانتصارها في معارك عسكرية وسياسية مع بقايا النظام الملكي المباد وفلول المرتزقة المدعومين من قبل الانظمة العربية الرجعية والاستعمارية الاجنبية فقد ،ظلت قضية اعادة تحقيق الوحدة والدولة اليمنية الواحدة في قلب النهج الوطني والممارسة اليومية لقيادة الثورة بزعامة المشير السلال ،الذي أصدر في الرابع والعشرين من ابريل ١٩٦٣م قراراً جمهورياً قضي بتعيين المرحوم قحطان محمد الشعبي مستشاراً لرئيس الجمهورية لشؤون الجنوب اليمني المحتل ، كما عملت السلطة اليمنية الثورية في شمال الوطن حينها على إيجاد الظروف اللازمة وتهيئتها لتجميع أبناء الشطر الجنوبي من الوطن وتنظيمهم أستعداداً ليوم التحرير ، فكان يوم ١٨ أغسطس من نفس العام حدثاً تاريخياً ففي ذلك اليوم عقد اجتماع موسع تمخض عنه تشكيل الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل ، كما وضعت قيادة الثورة السبتمبرية وسلطتها الوطنية – الثورية تحت تصرف الثوار كل امكانيتها السياسية و المادية و العسكرية و البشرية والإعلامية للإعداد لبدء الثورة المسلحة وإعلانها في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م والتي فجرتها الطلقة الاولي الشجاعة من على قمم جبال ردفان ، فكانت تلك هي الشرارة التي ايقظت الجماهير اليمنية للنضال المسلح ،بعد ان انضجت النضالات السياسية للحركة الوطنية اليمنية خلال المراحل الماضية في الجنوب والثورة السبتمبرية في الشمال ، الظروف الموضوعية والذاتيه لبدأ الانطلاقة الإكتوبرية المسلحة ضد الوجود الاستعماري البريطاني فاشتعل السهل اليمني كله وتواصل النضال بأشكاله المختلفة بقيادة الجبهة القومية ومشاركة كافة فصائل العمل الوطني القومية والثورية والتقدمية اليمنية ، حتى تحقق لشعبنا في الجنوب استقلاله السياسي في ٣٠ من نوفمبر ١٩٦٧م ، وبذلك أنجزت ثورة سبتمبر الوطنية التحررية الديمقراطية كاملاً هدفها الأول المتمثل في التحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتهما " وإقامة حكم جمهوري على مستوي الساحة اليمنية ((شمالاً وجنوباً)) ، ومع ذلك لم تحقق الوحدة ! ؟ ...واستمر التشطير لربع قرن قادم ((من نوفمبر ١٩٦٧م حتي ابريل ١٩٩٠م)) .

المرحلة السادسة نوفمبر ١٩٦٧م مايو ١٩٩٠م

ارتبطت هذه المرحلة بأحداث مهمة ،أثرت بشكل سلبي في مجرى التطورات السياسية في اليمن ، تأتي في مقدّمتها هزيمة الأنظمة العربية ، وجيوشها في حرب يونيو عام ١٩٦٧م ، وانعقاد مؤتمر الخرطوم بين ممثلي مصر والسعودية حول القضية اليمنية ،ثم تمكن قوى التحالف المشائخي – الكمبرادوري – من القيام بالانقلاب النوفمبري عام ١٩٦٧م ،وكعادة اليمنيين كان الرد على ذلك قوياً ،تمثل في طرد آخر جندي بريطاني مستعمر من جنوب الوطن اليمني ، في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م بعد كفاح مسلح وسياسي دام أكثر من أربع سنوات .

وهكذا كان شهر نوفمبر ١٩٦٧م ، بالنسبة لليمنيين سيفاً ذو حدين : قطعت القوى المشائخية الكمبرادورية اليمنية والقوى الرجعية العربية والاستعمارية الخارجية بأحد جانبيه حبل التواصل السبتمبري – الاكتوبري الوحدوي ،فانتكست الثورة في الشمال مؤقتاً وبالجانب الآخر من السيف أجتث الثوار الوطنيون والتقدميون اليمنيون جذور التواجد الاستعماري البريطاني من على الارض اليمنية ، واقاموا بدلا عنه دولة وطنية مستقلة – هي((جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سابقاً)) ، التي اعتبرها اليمنيون خطوة هامة عُلقت عليها الجماهير اليمنية ،إلى جانب انتصار ثورة سبتمبر الوطنية التحررية الديمقراطية عام ١٩٦٢م آمالها الكبيرة في استعادة وحدة الوطن اليمني بالطرق السلمية والديمقراطية بعد ان خاضت في سبيل تحقيقها القوى السياسية والاجتماعية الفاعلة والمؤثرة نضالات عديدة ،وبأشكال مختلفة سلمية وغير سلمية ، مجزأة أحياناً وموحدة احياناً أخرى ، وبالذات في المراحل التاريخية المتأخرة من مراحل النضال في سبيل اعادة الوحدة وقيام دولة اليمن الواحد .

لقد كرست هذه المرحلة وتحديدا خلال السنوات من ١٩٦٧م وحتى ١٩٨٩م التشطير ومعاناته ،عبر الاجراءات والممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتباينة للقوى السياسية التي وصلت لى السلطة شمالاوجنوباً) في شهر نوفمبر ١٩٦٧م ، فتشكلت في الشطرين علاقات اقتصادية – اجتماعية بقيادتين ونهجين متناقضين .

إن تفاقم حدة الصراعات السياسية والاجتماعية في إطار قوى السلطتين في الشطرين بعد نوفمبر ١٩٦٧م ،وتباين مواقفهما وتعارضهما ازاء القضية الوطنية وأزمة الديمقراطية التي عاشتها اليمن بشطريها سابقاً ،وتخوف السلطتين السياسيتين في الشطريين من ممارسة القوى والاحزاب الوطنية ،والتقدمية والقومية المعارضة لهما للعمل السياسي العلني ، وتغييبهما لمسالة التحالفات السياسية و الاجتماعية ، وغياب وحدة قوى المعارضة نفسها وضعفها أحياناً، وتقييماتها الخاطئة لطبيعة النظامين وإجراءاتهما على كافة الأصعدة ،

وتهميش النظاميين "" بنسبة متفاوتة طبعاً "" لدور الجماهير ومنظماتها النقابية والإبداعية وتحجيم إسهاماتهافي اتخاذ القرارات وتنفيذ خطط السياسات الداخلية والخارجية ، وتدخل السلطتين السياسيتين في شؤون المنظمات الجماهيرية ، كل ذلك شكل عوائق فعلية أمام إعادة وحدة الوطن أرضاً و انساناً في كيان سياسي واحد. بكلمات اخرى ان جملة من العوامل والاسباب الذاتية والموضوعية الداخلية والخارجية ، قد حالت في االفترة من نوفمبر ١٩٦٧م وحتي نوفمبر ١٩٨٩م دون تحقيق اليمنيين وحدتهم الوطنية نوجزها بالاتي :-

١-الاثار السلبية لحرب يونيو ١٩٦٧م بين الجيش الاسرائيلي وجيوش دول المواجهة العربية .

٢-تمكن قوى التحالف المشائخي الكمبرادوري المدعوم خارجياً من حسم مسألة السلطة ،عبر القيام بانقلابها النوفمبري عام ١٩٦٧م ،وطرحها لقضية الوحدة من منظور تكتيكي إحتوائي ، واستغلاله سياسياً واعلامياً لكسب الوقت و التهيئة السياسية داخلياً وخارجياً لتعزيز وضع السلطة عسكرياً بهدف إسقاط " النظام الماركسي " في الجنوب على حد تعبيرها "بالسلم أو الحرب " وهو الشعار المرفوع آنذاك من قبل المجلس الجمهوري وبالمثل سعت قوى السلطة في جنوب اليمن لاسقاط النظام الرجعي في الشمال حسب وصفها انذاك للحكم في صنعاء .

٣- الموقف المعادي للوحدة من قبل بعض الانظمة العربية الرجعية والاستعمارية الأجنبية وتدخلاتها المستمرة في الشؤون الداخلية لليمن ودعمها متعدد الجوانب لركائزها المحلية من القوى والفئات الاجتماعية المتخلفة المعادية للوحدة والتقدم الاجتماعي لليمن .

٤-في الجانب الاخر لم تعمل الجبهة القومية عقب إستلامها السلطة السياسية في جنوب الوطن ، على الإسراع بطرح مشاريع عملية وصادقة لحل القضية الوطنية وإعادة تحقيقها سلمياً وديمقراطياً بأعتبارها قضية وطنية ملحة تتطلب الحل ، وبذلك ابتعدت السلطة حينها عن برنامجها السياسي المعلن أثناء حرب التحرير الوطنية ، الذي أكد << أن الجنوب جزء لايتجزء من اليمن الطبيعية ، وأن الوحدة بين شطري اليمن أمر واجب التنفيذ >>(١٥) .

٥-إشتداد حدة الصراع السياسي والايديولوجي ، والتناقضات المبدائية وغير المبدئية داخل التنظيم الحاكم " الجبهة القومية " والاختلاف حول سبل تحقيق الوحدة اليمنية وقضايا التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي اللاحق للجمهورية الوليدة ، وتحديد الطرق اللازمة لمعالجتها وقد تجسدت تعبيرات تلك التناقضات والاختلافات في حركات((٢٠ مارس ، ١٤مايو ١٩٦٨م ، ومؤتمر زنجبار في نفس العام ، ثم حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩م ، فحركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨م وأخيراً أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦م)) .

٦-لقد عمق التوجه السياسي والاجتماعي للثورة في الجنوب ، منذ حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩م بخطواته وإنجازاته الوطنية على كافة الأصعدة الداخلية والخارجية ، الهوة السياسية – الاجتماعية والاقتصادية والثقافية "بين الشطرين " وبأعدت المسافات الزمنية المطلوبة اختصارها لإعادة وحدة الوطن ، وبنفس القدر كان للنهج السياسي و الاقتصادي الرأسمالي المتخلف والمشوه للسلطة في الشمال "سابقاً " وإجراءاتها السياسية والامنية القمعية بعد الخامس من نوفمبر ١٩٦٧م دوره السلبي في توسيع تلك الهوة .

٧- كان للحصار الرجعي – الامبريالي للعاصمة صنعاء – المعروف بملحمة السبعين يوماً (أواخر ١٩٦٧م وحتى بداية فبراير ١٩٦٨م) رغم انتصار قوى الثورة فيه ودحرها الحصار أدوارسلبية على نضالات الوطنيين اليمنيين من أجل إعادة الوحدة ، و ذلك بفعل استغلال قوى التحالف النوفمبري لانتصار السبعين يوماً وتوجيهه لضرب القوى الوطنية و الثورية والتقدمية والوحدوية ، بدءاً بضرب المقاومة الشعبية بالحديدة في مارس عام ١٩٦٨م ، مروراً بأفتعال السلطة النوفمبرية في صنعاء لأحداث أغسطس من نفس العام ، وانتهاءاً بما أعقبها من ممارسات السلبية تمثلت بتصفية الوجود السياسي والعسكري لحركة القوميين العرب في المؤسستين العسكرية والأمنية ، وفصل واعتقال سلطة صنعاء واعتقالها للمئات من العناصر الوطنية والقومية والتقدمية العاملة في مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية ، وقتل السلطة لمئات العناصر الحزبية من مختلف فصائل الحركة الوطنية اليمنية ، واضطرار آلاف الموطنين مغادرة الشمال والجوء الي الجنوب بعد ان كانت اعداد مماثلة من ابناء الجنوب قد لاقت نفس المصير عقب استلام الجبهة القومية للسلطة وحكمها في عدن .

٨- قيام السلطتين في الشطرين بعد نوفمبر ١٩٦٧م ،بأعمال وانشطة سياسية وعسكرية في أراضي الدولة الاخرى سابقاً ، وتبني ودعم كلاً منهما لقوى المعارضة الموجودة من هذا الشطر في الشطر الآخر ،واستخدام كل هما للعنف أسلوباً لحل الخلافات فيما بين السلطتين من جهة و في إطارهمامن جهة ثانية وفي تعاملهما مع القوى السياسية الوطنية الأخرى من جهة ثالثة .

٩-اشتراك السلطتين في التهيئة والإعداد و إشعال حربين عسكريتين أهليتين بين اليمنيين في اعوام ١٩٧١ م و ١٩٧٩م ، دفعت الجماهير الشعبية اليمنية خلالها الثمن غالياً ،كما اضاعت السلطتان فيهما عشرات المليارات من الدولارات ، في محاولة يائسة من الطرفين لإسقاط أحدهما الآخر بالقوة العسكرية . فكانت الحـربان المشـار إلـيهما التعبـير العملي لاطروحات التيار اليمني – المتطرف في السلطة النوفمبرية بصـنعاء ، والتيار اليساري المغامر في سلطة حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩م في الجنوب ، حول طرق وسبل إعادة الوحدة اليمنية .

١٠- مواقــف الانظمة العربية الرجعية والاستعمارية الغربية المعادية للثورة اليمنية ،وانشطة تلك الانظمة التخريبـية ودعمهـا المـادي والسياسـي والعسكري لركائزها في اليمن " بقايا النظام الملكي المباد " والمجامـيع السلفية المتخلفة "بهدف اسقاط النظام الجمهوري ، ومنع أية خطوة إيجابية تخطوها القوى الوطنية داخل السلطتين وخارجهما باتجاه اعادة تحقيق الوحدة وقيام الدولة اليمنية الواحدة .

١١- ارتـباط حـوارات السلطتين حول الوحدة خلال فترة ما قبل ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩م بالموسمية الناشئة عقـب الصـدامات والحروب العسكرية ،التي كانت عادة ماتنتهي بعقد لقاء للقمة اليمنية ، تخرج بتوقيع بـيان أو اتفاقية حول الوحدة ،يتم فيها التاكيد من قبل الجانبين على اهمية العمل من أجل استعادة وحدة الارض والانسـان فـي اليمن ،غير ان محتويات وبنود تلك البيانات وبنودهما والاتفاقيات ظلت حبيسة ادراج قـيادات النظامين السابقين في " الشطرين " ولم تجد طريقها الى التنفيذ طيلة سنوات هذه المرحلة ["السادسـة " والاخـيرة انشاء الله] من مراحل النضالات الوطنية في سبيل اعادة وحدة اليمن الارض والانسـان في كيان وطني واحد وضعت اتفاقية ثلاثين نوفمبر ١٩٨٩م اسسه فيما وضع بيان ٢٢ مايو ١٩٩٠م الـنهاية الابديـة لعهـود التشطير والتجزئة باقراره الوحدة الاندماجية بين النظامين الشطريين السـابقين ، وإعـلان قيام الكيان السياسي الموحد لليمن – الجمهورية اليمنية –بقيادة ابن اليمن الرمز الوحـدوي المشير علي عبد الله صالح .

المصادر

(١) راجع :بايور .ج.م، ولوندن .أ "تاريخ اليمن القديم ..، جنوب الجزيرة العربية في اقدم العصور "ترجمة أسامة أحمد ، ط (١) ١٩٨٤م صـــ٢٢-٢٣ ، اصدار دار الهمداني للطباعة والنشر المعلا – عدن .
(٢) المصدر ذاته صـــ٢١ .
(٣) راجع د. بافقيه ، محمد عبد القادر " تاريخ اليمن القديم " ط(١) ،صـــ٢٢ .
(٤) المصدر ذاته ، صـــ١٩ .
(٥) بايور ،ولوندن ، المصدر السابق ،صـــ٥٧ .
(٦) د. بافقيه المصدر السابق ، صـــ٢٤ .
(٧) نفس المصدر صـــ٢٤ .
(٨) نقــلا عــن د. العمـــري ، حسين عبد الله " تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ١٥١٦م – ١٩١٨م . من المتوكل اسماعيل الي المتوكل يحيي حميد الدين " ط (١) ١٩٩٧م ، صـــ٦١.
(٩) مـــن تلـــك الكتـــب :– د. بافقيه " المستشرقون والاثار اليمنية " د. فخري ، احمد الارياني " اليمني .. ماضـــيها وحاضرها " ، زيد عنان " من اثار همدان (السبائية)" ، د. علي ،جواد " المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام "، و" التاريخ العربي القديم " عمل مشترك لمجموعة من الباحثيين الغربيين الذين كان لهم رحلات استكشافية الي اليمن .، وغيرها من الاعمال ذات العلاقة .
(١٠) بايور ، لوندن ، المصدر السابق ، صـــ٧٤ .
(١١) انظر : باوزير ، سعيد عوض . " صفحات من التاريخ الحضرمي" الطبعة الثانية – عدن ١٩٨٣م صـــ ١٤٨ .
(١٢) المصدر ذاته ، صـــ١٤٩ .
(١٣) انظر : الجرافي ، عبد الله عبد الكريم.. " المقتطف من تاريخ اليمن " القاهرة ١٩٥١م صـــ٢٥٩.
(١٤) لمعرفة تحديدنا الرؤى البرنامجية والمواقف السياسية لتنظيمات الحركة الوطنية اليمنية ازاء قضية الوحدة ، انظر د: المعمري ،ســلطان عبد العزيز " مساهمات وروئ في بعض القضايا التاريخ اليمني " ، ط(١) تعز ١٩٩٨م ،صـــ٨٢-١٧٩ .
(١٥) انظــر : " الميثاق الوطني للجبهة القومية لتحرير جنوب اليمني المحتل – المقر من المؤتمر الاول عام ١٩٦٥م ، طبعة معهد بأذيب للعلوم الاجتماعية – عدن بدون تاريخ ،صـــ٣٥ .

المسار التاريخي للوحدة اليمنية

(١٩٦٧-١٩٧٢م)

د. عبدالوهاب العقاب
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة إب

المقدمة

في عام ١٩٠٤ م توفي الإمام محمد بن يحيى حميد الدين ، وعقدت البيعة لابنه يحيى حميد الدين وفقا للتقليد الفكري الزيدي الذي أرسى أسسه الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي . جاء الإمام يحيى وريثاً لأبيه في معتركه السياسي تجاه العثمانيين .. وفي عام ١٩١١م عقدت اتفاقية بين الإمام يحيى والعثمانيين، وقد عرفت بمعاهدة دعان ، اعترف العثمانيون بموجبها بنفوذ الإمام يحيى على المناطق الشمالية فقط على أن يعترف بالسيادة العثمانية وأن يكون موظفاً تابعاً للنفوذ العثماني،

في عام ١٩١٤م تم التصديق على تقسيم اليمن بين بريطانيا وتركيا ، فتم تعيين الحدود [1]... ومنذ هذا التاريخ أقر التقسيم السياسي لليمن الكبير .. وفي أواخر أكتوبر ١٩١٨م عقدت هدنة (موندروس) بين تركيا وبريطانيا .. التي نصت على انسحاب القوات العثمانية والإدارية من شبه الجزيرة العربية [2] . وقام الوالي العثماني بصنعاء (محمود نديم بك) باستدعاء الإمام يحيى حميد الدين ، لتسليه صنعاء ، تنفيذا لمعاهدة (موندروس) وتسليمه مقاليد الحكم وقصر غمدان وكل ما فيه من معدات حربية .. وأبدى الوالي العثماني " محمود نديم بك " حرصه الشديد على إبراز أهمية الإمام يحيى وشخصيته التاريخية ، باعتباره الوريث الشرعي للحكم العثماني في اليمن بعد جلاء العثمانيين منها .. وعقب إعلان هدنة (موندوروس) ، طلبت السلطات البريطانية في عدن من الإمام يحيى حميد الدين ، تسليم القوات التركية المرابطة في أراضيه ، لأن الإمام يحيى رفض هذا الطلب، انتهى الأمر باحتلال القوات البريطانية المناطق المحيطة بعدن التي عرفت باسم المحميات ، ووجد الإمام يحيى نفسه في مواجهة مباشرة مع الإنجليز في جنوب اليمن والملاحظ أن المناطق المحيطة بعدن كانت مرتبطة بمعاهدات حماية بينها وبين الإنجليز ، منذ السادس والعشرين من أبريل عام ١٨٧٢م . وقد بلغ عدد هذه المعاهدات إحدى وثلاثين معاهدة للحماية ، غطت الجانب الغربي والجانب الشرقي لمحمية عدن .

وباستقلال الإمام يحيى بالسلطة ، تجاهل اتفاقية الحدود التي وقعت بين الدولة العثمانية والإنجليز على اعتبار أنها عقدت بين مغتصبين للأراضي اليمنية .

وبزحف القوات البريطانية نحو المحميات استسلمت القوات التركية المرابطة هناك . وأعلن الإمام يحيى رسمياً أنه لا يعترف بأية اتفاقيه عقدها الأتراك مع الإنجليز حول الأراضي اليمنية. وأنه لا يتقيد بشيء منها إذ أنها باطلة لحصولها من غير صاحب الحق . وعندما استسلم الأتراك في لحج أعلن الإمام أنه غير ملزم بنتائج تصرفات الأتراك في تنازلهم واستسلامهم فاستولت القوات البريطانية على مدينة الحديدة رداً على تصريحات الإمام يحيى .. وفي أواخر يناير ١٩٢١م سلمت بريطانيا الحديدة إلى لإدريسي عدو الإمام يحيى [3] .. وبعد حين نجح الإمام يحيى في استرداد الحديدة من قبضة الإدريسي .

وطالب الإمام يحيى من الحكومة البريطانية اعترافا بحق سلطته على عدن والمحميات ، على أن يمنح بريطانيا تنازلاً محدوداً بالشكل الإداري الذي يمكن أن تخضع له هذه المناطق الجنوبية مع حماية للمصالح البريطانية في عدن .. ورفضت بريطانيا هذا الطلب . فعقد الإمام اتفاقية صداقة مع إيطاليا في فبراير عام ١٩٢٦م وعقد معاهدة تسليح معها أيضاً عام ١٩٢٧م .. وعقد معاهدة تجارية مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٨م ، وبموجبها سمح الإمام للسوفيت بوجود بعثتهم التجارية في صنعاء [4] . وكان الهدف من ذلك أن يمد جسوراً من العلاقات بينه وبين هذه الدول التي هي على خلاف مع بريطانيا .. ولم يكن النصر حليف

---

(1) سلطان ناجي : نشوء الدعوة إلى الوحدة اليمنية ، المستقبل العربي ، بيروت ، يناير ١٩٨٤م ، عدد (٥٩)

(2) فاروق عثمان : العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين (١٩١٩-١٩٣٩) ، القاهرة ، دار المعارف،ص ٥٤

(3) حسن أبو طالب : الصراع بين شطري اليمن ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ديسمبر ، ١٩٧٩م ،ص١٣

(4) حسن : أبو طالب : مرجع سابق ، صـ١٤

الإمـــام يحـــيى ، فقد كان يحارب في جبهات متعددة ، كانت جبهة الإدريسي في المناطق التهامية ، ثم سقوط الإدريســـي ، والتهام آل سعود منطقة عسير وجيزان إلى جانب تمرد بعض القبائل اليمنية في الداخل ، وكانت قواتـــه محـــدودة وجـــبهات القـــتال أكبر من إمكانياته . ودفع الصراع الدولي بين بريطانيا من جهة وألمانيا وإيطاليا من دول المحور في البحر الأحمر من جهة أخرى إلى خطب ود الإمام يحيى ، واتخذت بريطانيا قراراً بعـدم الاعـتداء على المناطق الجنوبية الخاضعة له عام ١٩٣٢م . من أجل ذلك أوفدت بريطانيا حاكم عدن (الكولونـــيل رايللـــي) لتوقـــيع معـــاهدة مع الإمام يحيى عرفت بمعاهدة صنعاء عام ١٩٣٤م [1] . وبموجبها اعترفـــت بريطانـــيا بحقوق اليمن في المحميات ، والتعهد بالسلام والصداقة على أن تبقى الحدود على ما هي علـــيه لمـــدة (٤٠ عامـــاً) قادمـــة .. وعـــندما قام الأمير عبدالله بزيارة إلى لندن تباحث مع وزير الدولة البريطانـــي ، قبل شهر من اغتيال الإمام يحيى ، حول قضية اليمن المحتل .. قال وكيل الوزارة البريطاني إن موقـــف الإمـــام يحـــيى كان صلباً وأنه ما زال يعتبر المنطقة الجنوبية جزءاً لا يتجزأ من اليمن .. وخلال تلك المباحثات ظل الأمير يسمي المنقطة المتنازع عليها (الجبهة الجنوبية من اليمن) وترتب على معاهدة صنعاء ، ١٩٣٤م انسحاب القوات اليمنية من مناطق عدة من المحميات التي كانت مرتبطة بمعاهدة حماية مع إنجلترا .. وفـــي العـــام نفسه فرضت الحرب السعودية اليمنية معاهدة الطائف في ترسيم الحدود بين الحكومة اليمنية والمملكة السعودية في ٢٠ مايو ١٩٣٤.[2] ولم تكن المعاهدة في صالح الحكومة اليمنية ، عدا (البند الثاني والعشرون) من المعاهدة الذي ينص على إعادة الحوار على مسألة تحديد الحدود في كل عشرين عاما قمريا.

وفـــي شـــتاء مـــن عام ١٩٥٩م ، فاجأت مفوضية المملكة المتوكلية اليمنية في واشنطن موظفي وزارة الخارجـــية المهتمـــين بالشئون العربية بإرسالها بطاقة تهنئة فاخرة وغير عادية ، بها خريطة كبيرة للجزيرة العربـــية ، تمثلت فيها العاصمة اليمنية صنعاء بجوهرة صغيرة تحيطها منطقة مظللة بالإضافة إلى اليمن عدن وكـــل محمـــية عـــدن ، وظفار ومسقط و عمان ، وشاطئ الإمارات في الخليج وجزء كبير من الربع الخالي ونجران وعسير .. ورداً على ذلك أنشأت بريطانيا في عام ١٩٥٩م ، اتحادا فيدرالياً لإمارات الجنوب الذي تم تعيينه من قبل السلطات البريطانية .[3]

وعندما قامت ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م دخلت اليمن في حرب أهلية اشتركت مجاميع وطنية جنوبية في الدفـــاع عن الثورة السبتمبرية ، وكان هذا التلاحم الثوري أحد بوادر العمل الوحدوي ، وبدأت مرحلة التغيير السياســـي لشـــطري اليمن عقب حركة الخامس من نوفمبر عام ١٩٦٧م في اليمن الشمالي ، والاستقلال في جنوب اليمن في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧م .

المسار التاريخي للوحدة اليمنية
(١٩٦٧-١٩٧٢م)

بـــدأت مـــرحلة التغيـــير السياســـي لشطري اليمن عقب حركة الخامس من نوفمبر ١٩٦٧م في اليمن الشمالي التي تزعمها القاضي عبد الرحمن الإرياني ، والاستقلال في جنوب اليمن في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م .

ففـــي الشـــمال أعلنت حكومة العيني في البيان الأول لها . أنها ستقوم بتصحيح الأوضاع والمصالحة مع المملكـــة العربـــية السعودية ، وكان مبدأ المصالحة من المهام الأولى لحركة نوفمبر ، وقد رفض المصالحة (الراديكاليون) من الجمهوريين .

وكانـــت الـــنوايا السعودية أيضاً تجاه اليمن الشمالي غير حسنة ، وظن الملكيون أن الانقلاب النوفمبري انشقاق في الصف الجمهوري ، وبدأوا يعدون العدة للهجوم على صنعاء خاصة بعد انسحاب القوات المصرية من اليمن .

ودارت رحـــى المعـــارك في أشرس هجوم للقبائل على صنعاء ، وحوصرت سبعين يوماً ، ووقف شباب المقاومـــة الشـــعبية بصمود تجاه القوى التقليدية القبلية التي تريد إعادة الحكم الملكي من جديد وكان النصر حليف الجمهوريين .

---

(1) نفس المرجع ، ص ١٤

(2) د / محمد إبراهيم الحلوة : التحديث السياسي في اليمن الشمالي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، عدد (٣٥)

(3) Robet . W . stookey ,Yemen . the Politcs of Yemen Arab rebublic Boulder . Colo : Westriew . 1978 . P.1 . نقلا عن : سلطان ناجي ، مرجع سابق ، ص٣٩ :

وفي السابع عشر من مارس ١٩٦٩م ، افتتحت الحكومة الجلسة الأولى للمجلس الوطني الذي يعتبر أهم مؤسسة ديمقراطية ليكون السلطة العليا في البلاد (١)

وفـــي ذكـــرى الخامس من نوفمبر تحدث الرئيس الإرياني (٢) ، عن الدور النضالي الذي قامت به حركة الخامس من نوفمبر تجاه الأعاصير التي تعرضت لها الثورة من قبل أعدائها التقليديين الإماميين .

وقد تمسكت القيادة السياسية العليا برغبتها في إزالة كل أسباب الخلاف وإقامة العلاقات الحسنة مع الجيران ، وأكـد الإرياني أن سياسة حكومته قائمة على حسن النوايا تجاه الآخرين ، التي بنيت على مبدأ إقامة علاقات أخوية مع المملكة السعودية .

واعـــتمدت فـــي المجـــال الداخلي علي سياسة فتح الصدور ومد الأيدي لكل يمني يريد العودة إلى صف الشعب وبهذه السياسة تحقق اللقاء اليمني الأخوي ، وتوحد الصف ، وانضم معظم من كانوا من المعارضين إلى الصف الجمهوري ، وقطعت على المناوئين للجمهورية كل حججهم .

تطور العلاقات بين شطري اليمن :

عـــندما حصـــل اليمـــن الجنوبي على الاستقلال وتخلص من الاستعمار الإنجليزي في أواخر نوفمبر عام ١٩٦٧م تشـكلت أول حكومة للجبهة القومية ، وضمنت الحكومة في تشكيلها وزارة للثقافة والإرشاد وشئون الوحدة اليمنية واسند هذا المنصب ، لعبد الفتاح إسماعيل .

وكانـــت حكومـــة الإريانـــي تعانـــي من هجمات القوات القبلية المساندة للنظام الملكي ، مما دفع الجبهة القومية إلى إرسال قوات مقاتله لمساندة القوات الجمهورية في حروبها القبلية .

وأسند الدفاع عن صنعاء للفريق حسن العمري ، عندما حاصرت القوات القبلية المساندة للملكيين صنعاء لمـــدة سبعين يوماً ، بأسلحة سعودية ثقيلة وخفيفة . والتحمت القوات الشبابية الجنوبية والشمالية في خندق واحد ، وتم فك الحصار ، وبعد ذلك انقلب العمري على القوات الشعبية (٣) وبعض القادة العســكريين الذين يحملون أفكاراً تقدمية ذات طابع يساري ، وتم ضرب فصائلهم ، وطرد رجالهم من الجيش فـــي عـــام ١٩٦٨م ، علـــى إثر محاولة انقلابية قام بها الضباط العسكريون الصغار ، يساندهم بعض أنصار المقاومـــة الشعبية ، وكان الهدف منها تقويض نظام الحكم والاستيلاء على السلطة ، وكانت تصفية أغسطس ١٩٦٨م ، التـــي تحولـــت من فكرة مبدأ تصفية اليسار في الصف الجمهوري ، إلى تصفية طائفية بين زيدي وشافعي ، من هنا بدأت العلاقات تتجه نحو منحنى خطير قائم على عدم الثقة بين وجهات النظر .

وفـــي الثاني من شهر فبراير ١٩٦٩م ، أصدرت وزارة الخارجية في صنعاء بياناً تضمن مسألة الوحدة اليمنية وجدية حكومة اليمن الشمالي ، في ضرورة إعادتها ، لكن البيان كان ينبئ بحدة السلوك الذي اتجهت إلـــيه حكومـــة عدن . وإن اليمن الشمالي سلك كل الطرق من أجل إرضاء تلك الحكومة . وأضاف البيان أن النزعة الانفصالية في عدن رفضت كل تلك العروض المقدمة من حكومة صنعاء .

وأبرز ما تناوله البيان ، هو أن حكومة صنعاء ، قدمت اقتراحاً يقضي أن يكون للأمم المتحدة ممثل واحد في شطري اليمن ، وأن تكون بعثة الخبراء والتطوير التابعة للأمم المتحدة واحدة .

ومـــن أجـــل التخطيط الاقتصادي لليمن الواحد يتم استحضار لجنة اقتصادية من الأمم المتحدة ، وإنشاء تمثـــيل دبلوماســـي موحـــد لشـــطري اليمن ، وجهاز دفاع وطني موحد ، وإنشاء فرع في عدن للبنك اليمني المركزي ، بدلاً من أن يظل الاقتصاد هناك حكراً على بيوت أجنبية . والبدء في توحيد المصالح والمؤسسات ، وكذلك إقامة مؤتمر وطني يضم ممثلين عن الشطرين ، تنبثق عنه حكومة ومجلس وطني تشريعي واحد ، وقد قوبلت هذه الاقتراحات بالرفض .

وحاولـــت حكومـــة عدن خلق معارك جانبية واستفزازات ، والالتجاء إلى سياسة التسويف والمزايدات ، حيث قامت بغزو منطقة مسورة وقتل المواطنين ، وهدم البيوت ، وسلب الأموال واعتقال المواطنين وسجنهم، كل ذلك من أجل تعميق الانفصالية ، وخلق الخلافات وافتعال المعارك (٤).

---

[1] محمد إبراهيم الحلوة : مرجع سابق ، ص١٦٢.

[2] الوثائق العربية : مجلد (١٩٦٩) الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ص ص (٧٠٤-٧٠٦) " صنعاء٥/١١/١٩٦٩م " الثورة – صنعاء ٦/١١/١٩٦٩م .

[3] عبد العاطي محمد أحمد : الدبلوماسية السعودية في الخليج والجزيرة العربية ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٩م ، ص٩٥ .

[4] الوثائق العربية ، مجلد ١٩٦٩م ، بيروت ، الجامعة الأمريكية ، صـــ صـــ (٩٩-١٠٠)

لا يختلف هذا البيان كثيراً عن لهجة بيان وزارة الخارجية السابق ، ويكاد يكون الطرح واحداً ، لكن السؤال هل من المنطق تحديد مقاعد تعد ، باثني عشر مقعداً ، لدولة لها كيانها وسيادتها وذاتيتها الإيديولوجية ؟ ، ألم يكن من بعد النظر للمسألة طرح نظام سياسي موحد لدولة الوحدة ، في إطار دستور موحد ينظم العلاقات السياسية الداخلية والخارجية ، وإعداد تصور للهيكل التنظيمي المالي والإداري الموحد ، وتحدد المقاعد بحسب التوزيع السكاني لكل أبناء اليمن ؟ ، فرفض هذه الفكرة ، كان وارداً بالضرورة ، لكونها اقتراحات من طرف واحد .

والمنطق يقضي فتح حوار موضوعي بين جميع القوى السياسية في شطري اليمن ووضع تصور للنظام السياسي الموحد ، كان ذلك أجدى من تحميل كل طرف مسئولية التقصير والتسويف ، وبالتالي يتم تقريب وجهات النظر المختلفة .

وقد شهدت الشهور الأخيرة من عام ١٩٦٨م والأولى من عام ١٩٦٩م ، عدة أحداث دامية بين حدود الشطرين داخل أراضي اليمن الشمالي ، وكانت اتهامات صنعاء ، إلى قحطان الشعبي ، رئيس اليمن الجنوبي ، بأنه يعمل على الزحف نحو صنعاء ، وجمعت صنعاء كل النازحين الجنوبيين رداً على عناصر المقاومة والمسرحين من الجيش [1] ، الذين تدفعهم اليمن الجنوبي لعمليات انتقامية على شكل حرب العصابات .

وسقطت (الوديعة) من أراضي اليمن الجنوبي ، بيد المملكة العربية السعودية ، في معركة فاشلة ، فبرر سقوط تلك المنطقة المهمة ، سقوط نظام قحطان عام ١٩٦٩م ، فابتهجت صنعاء لسقوط الشعبي وسميت تلك الحركة ، بالحركة التصحيحية [2] .

وعلى إثر استيلاء الجناح اليساري على السلطة بعد تصفية قحطان الشعبي ورفاقه ، بدأت المرحلة الجديدة تعمل على صيغة هدنة بينها وبين اليمن الشمالي ، حتى تستكمل بناء التنظيم السياسي الجديد في الداخل .

ونلاحظ ذلك من خلال رد محسن العيني رئيس وزراء اليمن الشمالي ، على أسئلة جريدة الرأي العام الكويتية [3] ، حول مستقبل العلاقة مع اليمن الجنوبي ، أجاب : " إن العلاقة الآن طيبة ، ونرجو أن تتحسن علاقتنا لمصلحتنا جميعاً بل إننا نتطلع إلى وحدة اليمن شمالاً وجنوباً . "

وفي أواخر نوفمبر عام ١٩٧٠م قام رئيس اليمن الجنوبي بزيارة رسمية لليمن الشمالي والتقى برئيس اليمن الشمالي في مدينة " تعز " واتفق الطرفان على البدء في اتخاذ إجراءات وحدوية على شكل اتحاد فيدرالي يجمع بين الدولتين .

وفي الأول من ديسمبر ١٩٧٠م تم تغيير تسمية اليمن الجنوبية ، إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وأعلن ، سالم ربيع علي ، رئيس مجلس الرئاسة في بيان وجهه للشعب ، بأن هذا التغيير جاء استجابة للإرادة الشعبية ، وأن هذه التسمية الجديدة الخالية من أية نظرة تثبت التجزئة وإنما تؤكد على يمنية المنطقة .

وكان رد الفعل في اليمن الشمالي على لسان رئيس الوزراء محسن العيني ، حيث قال " إن الاسم الجديد سيحدث تساؤلات عديدة ، فلو نظرنا للموضوع من زاوية الوحدة فإن التسمية ستكون موضع حدتها لفكرة الوحدة عندما تكون اليمن الديمقراطية بدلاً من الجنوبية ، كما أنه بصدد اتخاذ خطوات لربط البلاد سياسياً واقتصادياً ، فإذا كان كذلك ، فإن التسمية ليست في صالح هذه الخطوات، فهذه التسمية ليست سوى رغبة لدى الجماهير في الجنوب ، سعياً وراء طمس أي أثر للانفصال بين شطري اليمن شماله وجنوبه . " [4]

الحرب الحدودية بين شطري اليمن ١٩٧٢م :

تدهورت العلاقات بين شطري اليمن نتيجة للسياسات غير المتوافقة إيديولوجياً ، فعلى الرغم من اتفاق (تعز) يومي ٢٥و٢٦ نوفمبر ١٩٧٠م بين قيادتي الشطرين على أساس البدء في إقامة اتحاد فيدرالي بين اليمن الجنوبي واليمن الشمالي . إلا أن إطلالة عام ١٩٧١م شهدت توتراً في الموقف من جديد ، حيث استقبل اليمن الشمالي شخصيات معارضة من الجنوب .

---

[1] عبدالله البردوني : اليمن الجمهوري ، دمشق، مطبعة الكاتب العربي ، ط١، ١٩٨٣م ، ص ٦١١.

[2] المرجع نفسه ، ص٦١٢

[3] الرأي العام – الكويت – (١٩٧٠/٣/٣١م) .

[4] عادل رضا : محاولة لفهم الثورة اليمنية ، القاهرة ، المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٤م ، ص٢٧٧.

وفي الوقت نفسه استقبل اليمن الجنوبي عناصر معارضة من الشمال ، بسبب ما قام به شطرا اليمن من تصفيات للعناصر المناوئة لكل منهما والتي لم يكن من المقبول بقاؤها في الداخل ، لذلك عمد كل من النظامين إلى تطهير عناصره إيثاراً وإرضاء لأنظمة خارجية لا تقر فاعلية هذه العناصر وبقائها.
وأخـذت ممارسـات الحرب الإعلامية في التصاعد ، مع إعلان كل من صنعاء وعدن تبعية أجزاء معينة من منطقة حريب (١).

وتفجـر الموقف في صدام مسلح بين الشطرين على مناطق حدودية منذ بداية شهر فبراير وحتى نهاية مـارس ١٩٧٢م واتسع نطاقها أيضاً في سبتمبر من العام نفسه ، وكان لدولة الكويت دور في الوساطة بين شطري اليمن ، إلا ان جهودها لم تؤد إلى تسوية للنزاع .

وفـي سـبتمبر ١٩٧٢م انعقـد مجلس الجامعة العربية في دورته العادية ، فتقدمت الجمهورية العربية اليمنية إلى مجلس الجامعة العربية ، بطلب للنظر في الموقف الناتج عن تدهور العلاقات بين الدولتين، بإعتبار أن كـلاً مـنهما عضو في مجلس الجامعة العربية ، وأصدر المجلس توصيته بأن يقوم الأمين العام مع لجنة خاصـة مكونة من ممثلي الجزائر، وسوريا، والكويت، وليبيا، ومصر، من أجل تحقيق المصالحة بين الدولتين اليمنيتين، وتسوية خلافاتهما، حول مناطق الحدود .(٢)

وتـم تشـكيل لجـنة مكونة من وزراء خارجية الدول العربية الخمس المذكورة ، وبرئاسة الأمين العام للجامعـة العربية واجتمعت هذه اللجنة في نيويورك أثناء انعقاد الدورة السابعة والثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة وفي ٤ أكتوبر ١٩٧٢م . استمعت اللجنة إلى المذكرات المقدمة من وزيري خارجية شطري اليمن من ثـم دعـت اللجنة الحكومتين المتنازعتين إلى الإسراع بوقف إطلاق النار وسحب كل منهما قواتها ،إلى وراء المـناطق الحدوديـة ودعت اللجنة إلى قيام ممثلين عن الجامعة العربية ، بزيارة منطقة النزاع كخطوة أولى لتسوية الخلاف. (٣)

وفـي تلـك الأثـناء قامـت اللجنة بزيارة لكل من عدن ، وصنعاء ، في شهر أكتوبر ، وبعد أن أجرت مشـاوراتها تم الاتفاق في الثالث عشر من أكتوبر ، في صنعاء وعدن، على وقف إطلاق النار وإنهاء الأعمال العسـكرية ، ووقـف الحملات الإعلامية ، وانسحاب قوات الجانبين إلى مسافة عشرة كيلو مترات من الحدود المشتركة . ومنع الحشود العسكرية على الحدود التي قد تسبب تجدد الاشتباك.(٤)

واتفـق الجانـبان علـى تشـكيل لجنة عسكرية مشتركة تتولى الإشراف على تنفيذ وقف إطلاق النار ، ووجهـت دعوة للحكومتين إلى الاجتماع في مقر الجامعة العربية بالقاهرة . وفي اليمن الشمالي صرح رئيس وزراء في اليمن الشمالي ، السيد محسن العيني بقوله : ((إننا نعتبر الجنوب والشمال دولة واحدة وإذا كانت الظـروف قد جعلت من اليمن حكومتين ، فإننا نرجوا أن تكلل جهود المخلصين من أبناء اليمن في الشطرين لإعـادة الوحدة الطبيعية التي هي هدف كل يمني ونحن أحرص ما نكون على التعاون والتنسيق في كل مجال مـع الجنوب بل ونذهب في ذلك إلى أبعد مدى يذهب إليه الأخوة في الجنوب ، وسنبذل كل جهد وسنرحب بكل مسعى فيه خير ومصلحة للشعب اليمني الموحد)) .(٥)

وبـرزت المشـاكل على السطح التي حددها السيد محسن العيني، رئيس الوزراء وهي أساسيات الخلاف وتتضمن وجود ما يزيد عن مائة ألف يمني جنوبي لاجئ في اليمن الشمالي لجأوا خلال عام ١٩٦٩م و١٩٧١ م ، ولا تستطيع اليمن الشمالي أن تجابه أعباء معيشتهم في ظروفها المالية السيئة وعودتهم إلى الجنوب يعد عنصـراً مهمـاً مـن عناصـر الاستقرار ، وكانت هناك أيضاً مشكلة اليمنيين الشماليين الذين كانوا يزاولون الـتجارة فـي عدن وفي غيرها من مدن الجنوب ولهم فيها ممتلكات قد أممت والمطلوب تعويضهم ومعاملتهم معاملـة الأجانب . وبالنسبة للحدود، التي يرفض الشماليون تسميتها حدوداً ويسمونها أطرافاً ، ويرفضون أن تكون هناك حدود في تراب وطن واحد يطالبون بحسم الموقف في هذه الأطراف ، فإذا قامت وحدة أو اتحاد ، فإن المشكلة تكون منتهية .. وإذا حدث غير ذلك، فإن اليمن الشمالي تطلب إعادة مدينة (حريب) اليمنية وحل المشاكل التي نتجت عن حوادث قتل القبائل والشماليون يتركون للجنوبيين التصرف على طريقة الحل بالتحكيم

---

[1] حسن أبو طالب : مرجع سابق ، ص٨٠

[2] ١- قرار مجلس الجامعة العربية رقم (٢٩٦١) الدورة العادية (٥٨) في ١٣ سبتمبر ١٩٧٢م .

٢- بطرس بطرس غالي : مرجع سابق ١٥٨ ، أنظر أيضاً البيان الصادر من لجنة الجامعة العربية للمصالحة بين صنعاء وعدن يوم

٣/ ١٠/ ١٩٧٢م

٣- حسن أبو طالب ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

٤- عادل رضا ، محاولة لفهم الثورة اليمنية ، القاهرة ، المكتب المصري الحديث ١٩٧٤م ٢٨١.

القبلي أو بدفع الدية، أو بما يرونه كفيلاً بتسوية المشكلة . وأخيراً حدد محسن العيني ، مسألة أمن القبائل وفق الأساليب التي يعدها الشماليون مؤدية إلى الاغتيال عن طريق صناديق المفرقعات وغيرها من الكمائن التي تودي بأرواح الكثيرين [1].

وأعلنت حكومة اليمن الديمقراطية موقفها على لسان وزير خارجيتها ، محمد صالح العولقي ، الذي طالب بضرورة عقد لقاء بين الجانبين لمعالجة المشاكل المشتركة ، وكذلك تصفية كل معسكرات التدريب في اليمن الشمالية ، وسحب كل جانب قواته المسلحة من الحدود ، وكذلك فتح الحدود ، وإعادة التجارة بين البلدين إلى ما كانت عليه وعدم السماح بأي نشاط سياسي لأي تنظيمات تعمل من داخل اليمن ضد اليمن الديمقراطي . والسير في طريق وحدة البلدين بواسطة لجان اقتصادية وعسكرية وثقافية تتولى وضع الأسس الوحدوية بين شطري اليمن.[2]

وأصدرت حكومة اليمن الديمقراطية بياناً ، طالبت فيه ، بعقد لقاء عاجل بين القيادتين الشمالية والجنوبية ويكون في صنعاء أو عدن . وطالب البيان بوقف النشاطات التي ينتج عنها أعمال تخريبية . وإحياء اللجان السياسية المشكلة لحل أزمة على الحدود وتسمية أعضاء من جانب الشطر الشمالي في اللجان الاقتصادية ، والجمركية ، والمالية ، وإحياء أعمال اللجان ، والبدء في ممارسة نشاطها ، وتؤكد حكومة عدن في بيانها على استعدادها لبحث أي مقترح يتقدم به جانب الشطر الشمالي من اليمن[3] .

هذه المقترحات الجنوبية حرصت على إزاحة الستار القائم بينها وبين اليمن الشمالي . كما ألمحت الحكومة في اليمن الجنوبي إلى أن الدوائر الإمبريالية والرجعية هي التي تعمل على تفجير المواقف بين الشعبين الشقيقين وأن اليمن الجنوبي لن يفرط في مكتسباته وهذه إشارة إلى دول الخليج والسعودية التي ترتبط بعلاقات جيدة باليمن الشمالي.

وفي الثالث عشر من أكتوبر أصدرت لجنة التوفيق بياناً [4]رصدت فيه ما قامت به اللجنة أثناء زيارتها لكل من جمهوريتي اليمن ومدى استجابة البلدين لقرارات اللجنة ودعت إلى استشعار المسؤولية لقادة البلدين الشقيقين تجاه الأمة العربية التي تؤمن بوحدة التراب اليمني وطالبت اللجنة باستمرار وقف إطلاق النار ووقف الأعمال العسكرية نهائياً ووقف الحملات الإعلامية ، وكذلك انسحاب قوات الجانبين إلى ما وراء الحدود ،ومنع أية حشود عسكرية قد تؤدي إلى تجديد الاشتباكات، والعمل على دعوة لجان عسكرية مشتركة من الجانبين ، لمراقبة تنفيذ ما سبق، بالاستعانة بدوريات عسكرية مشتركة، ويمكن للجامعة العربية أن توفد مندوبين عنها للاشتراك في ذلك . ودعوة وفدي الجانبين إلى الاجتماع في مقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في القاهرة في ٢١ أكتوبر ١٩٧٢م على أن يمنح الوفدان صلاحيات كافية وأن تكون نقاط البحث على طاولة الاجتماع على النحو التالي :-

- عودة أهل الجنوب إلى بلادهم ، وإيجاد تسوية شاملة ترضي أهل القبائل الشمالية . وتعويض من أممت ممتلكاتهم من الشماليين ، وتسوية مشاكل الأراضي المتنازع عليها . مع سحب الحشود العسكرية وفتح الحدود، والامتناع عن الأعمال المعادية. وإحياء اللجان المشتركة في جميع المجالات، وبحث التدابير والإجراءات التي تؤدي إلى الوحدة الحقيقية بين شطري اليمن لعرضها على مؤتمر القمة الذي يحدد زمانه ومكانه في هذا الاجتماع ، مع تحضير جدول أعماله وكل ما يلزم لإنجاحه . وتنهي اللجنة بيانها بالحرص الشديد على بذل مساعيها في تسوية كل الخلافات من أجل عودة السلام إلى المنطقة .

وفي السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٢م اجتمعت اللجنتان المشتركتان لشطري اليمن ، بمدينة الضالع، واتخذت قرارات هامة[5]. وجاء في البيان المشترك أن اليمن الشمالي ملتزم بسحب قواته من القرى التي تم احتلالها وبعودة المواطنين إلى قراهم على أن تبقى قوات اليمن الشمالي في الحصن في جبل بركان وتنسحب من باقي الجبل مع حرية تحركها للاستطلاع في الممرات ومداخل الجبل عموماً ..ويلتزم اليمن الجنوبي بسحب قواته الموجودة وراء سناح إلى الخلف إلى معسكراتها بجوار الضالع ، والمعسكرات الأخرى البعيدة عن الحدود . ومنع المتسللين وإزالة الألغام والبدء في انسحاب القوات العسكرية من منطقتي الضالع وقعطبة في خلال أسبوع ابتداء من يوم الثامن عشر من نوفمبر ١٩٧٢م . وتقوم لجان مشتركة مكونة من الطرفين لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه بمساعدة المراقبين في لجنة المراقبة العسكرية لجامعة الدول العربية.

١[1] – المرجع نسه ، ص ٢٨٦ .

١'– المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

٢– عبد الرحمن يوسف بن حارب : من وثائق الوحدة اليمنية ، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة ، الشارقة ، ط١، ١٩٩٠، ص١٨ م.

٣[4]– المرجع نفسه: ص ٢٣: (صادر في ١٣ / ١٠/ ١٩٧٢ م الموافق ٦ رمضان ١٣٩٢ هـ الجمعة ، عدن .)

٤[5]– المرجع نفسه : ص ٢٦ .

الاتفاق بين حكومتي شطري اليمن والمشاريع الوحدوية المقترحة :

كـــان للجنة التوفيق العربية دور توفيقي في صياغة الاتفاق بين حكومتي شطري اليمن انطلاقا من مبدأ توطـــيد دعائم السلام وتعزيز العلاقات الأخوية بين شطري اليمن، والتمهيد لإقامة الوحدة بين شطري اليمن، مـــن أجـــل المساهمة في معركة المصير العربي، ضد التحالف الإمبريالي الصهيوني وتم الاتفاق بين حكومتي شطري اليمن على ما يلي :-

- سحب الحشود وفتح الحدود.
- انسحاب الجانبين من المناطق التي تم الاستيلاء عليها بعد ٢٦ سبتمبر ١٩٧٢م .
- عودة النازحين إلى شمال اليمن وجنوبه، الراغبين في العودة إلى أماكنهم .
- إيقاف ومنع جميع الأعمال التخريبية ، والنشاطات السلبية من الجانبين .
- إغلاق معسكرات التدريب وتصفية الأعمال العدوانية من الجانبين .
- تصفية المشاكل التي تؤثر على العلاقة بين الطرفين .
- تعيين ممثلين شخصيين من رئيسي الدولتين لمتابعة تنفيذ الاتفاق بين الجانبين.
- يعقد اجتماع لرئيسي الدولتين في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٧٢م .
- يتم تنفيذ هذا الاتفاق في مدة أقصاها شهر واحد .[١]

وتـــبلور الموقف في تقديم مقترحات كمشروع للوحدة ، فقد تقدم الشطران في أواخر أكتوبر ١٩٧٢م . ناقش المشروع الجنوبي المقترح الوحدة اليمنية ، على اعتبار أنها مطلب جماهيري ، وقضية مصيرية للشعب اليمنـــي ، ويرى المشروع أن التجزئة مرفوضة مهما كانت وتحت أي اسم لأنها المدخل الأساسي لشل حركة التقدم في الوطن كله.

فـــالوحدة ليســـت أملاً بقدر ما هي قضية التقدم والحضارة وخطوة أولى نحو وحدة الأمة العربية كلها. ومن حيـــث المـــبدأ لا بـــد مـــن توحيد أراضي اليمن كلها من عسير حتى المحافظة السادسة ،من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، في دولة واحدة أساسها الحرية والعدالة ومما لا شك فيه أن اليمن كان يعاني قدراً كبيراً مـــن التخلف نتيجة التفتيت والطائفية والشللية وغيرها من الأمراض الاجتماعية كما أن التجزئة الطويلة التي ابـــتدأت منذ الاحتلال التركي الأول في القرن ١٦م ، ووجود الأئمة والسلاطين والاحتلال البريطاني والإرهاب الذي سلط على الشعب اليمني قد وضعت جميعها صعوبات حقيقية في طريق الوحدة اليمنية تحتاج إلى الصبر والتفانـــي مـــن أجـــل تصـــفيتها وإزاحتها عن حياة المواطن . وصارع شعب اليمن الظلم والإرهاب والتخلف الاجتماعي والاقتصادي بثورات عديدة كان آخرها ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م والرابع عشر مـــن أكـــتوبر ١٩٦٣م . ويضـــيف المشروع أن إيمان حكومة اليمن الديمقراطي بالوحدة جعلها تلغي قانون الجنسية القديم وتقوم بتوحيد الجنسية اليمنية .

إن موقع اليمن الاستراتيجي المسيطر على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر يزيد اليمن إيماناً بقضية وحدة الأراضـــي اليمنـــية وإمكانية تحقيقها، وسيضاعف من الجهود المشتركة من أجل الجزر اليمنية التي أصبحت مراكز للأسطول الأمريكي والنشاط الإسرائيلي في البحر الأحمر.

وحـــدد المشـــروع الفـــترة الانتقالـــية من أجل تهيئة الظروف المناسبة لشعب اليمن في ممارسة حقه الديمقراطـــي في ظل حريات عامة، وتوخي المشروع الالتزام بما جاء في بيان الوساطة العربية من خلال فتح الحـــدود بين شطري اليمن ، والامتناع عن أي عمل عسكري أو سياسي أو إعلامي يؤدي إلى إثارة المشاكل وعرقلة العمل النشط من أجل تنفيذ هذا المشروع .

ويـــتم تشـــكيل وتحديـــد اختصاصات المجلس اليمني الأعلى الذي يتكون من رئيس وأعضاء المجلس الجمهوري ومجلس الرئاسة ويجتمع مرة واحدة كل ثلاثة شهور أو إذا دعت الضرورة بإحدى العاصمتين.

وتكـــون رئاســـة المجلس بالتناوب ، ومن اختصاصات المجلس الأعلى ، بحث الأمور المتعلقة بتوحيد سياسة الحكومتين، اليمنيتين في مختلف المجالات ، وإزالة العقبات التي تعترض تحقيق الوحدة اليمنية .

وتتشـــكل مجـــالس فرعية لدراسة التفاصيل المقدمة بتوحيد سياسة الحكومتين ، في جميع المجالات ، وتقديـــم المقـــترحات والتوصـــيات بشأنها إلى المجلس الأعلى . واتخاذ القرارات في المقترحات والتوصيات المقدمة من المجالس اليمنية الفرعية . ووضعها أمام السلطات التشريعية في الشطرين للتصديق عليها .

ويشـــكل المجلـــس الأعلى في أول اجتماع له لجنة دستورية من ممثلي السلطتين تكون مهمتها إعداد مشـــروع دســـتور للدولـــة اليمنية الموحدة . ويقدم إلى المجلس الأعلى لعرضه على المجالس التشريعية في

---

[١]- عبد الرحمن بن حارب : مرجع سابق ، ص ٢٩ .

الشطرين للمصادقة عليه وعرضه على الشعب اليمني للاستفتاء العام ، وتشكل مجالس يمنية على مستوى الوزراء المختصين في الشطرين ..وتجتمع المجالس الفرعية مرة كل شهرين أو في الوقت المناسب لها بحسب الضرورة .

ويشكل المجلس الأعلى مجالس فرعية . وذلك للشئون الخارجية والشئون التعليمية.والثقافية والصحية والاقتصادية والعسكرية والتشريعية والإعلامية. وتتمثل اختصاصات المجالس الفرعية في رسم الخطوط العريضة للسياسة الخارجية ، وتوحيد السياسة الاقتصادية وفق دراسة خطط ومشاريع التنمية للشطرين وإقامة مشاريع مشتركة في الزراعة والصناعة والمواصلات وتوحيد السياسة الجمركية ، لخلق سوق يمنية واحدة ، وتوحيد السياسة النقدية، وفي الإطار العسكري توحيد السياسة العسكرية والأمن، وتأسيس مؤسسات عسكرية موحدة. ومن اختصاصات المجلس اليمني الفرعي توحيد السياسة التشريعية، ووضع مشروع قانون موحد للجنسية اليمنية . ومشروع تأسيس المنظمات السياسية والنقابية والمهنية ، وفي مجال التشريع الجنائي والمدني ومنع مشاريع قوانين موحدة وفي مجال الصحة والتعليم والثقافة ، يرى المشروع توحيد السياسة التعليمية والتربوية وإنشاء مؤسسات تعليمية وثقافية وصحية موحدة .

وفي مجال السياسة الإعلامية ، وضع خطوط عريضة لتوحيد وتوجيه الشعب اليمني نحو تحقيق الوحدة اليمنية وإنشاء مؤسسات إعلامية موحدة ، وإنشاء اتحادات للتبادل الثقافي . إن تشكيل هذه المجالس يعتبر خطوة عملية أساسية لتحقيق وحدة يمنية متينة .

أما المشروع المقدم من الجمهورية العربية اليمنية، فقد ألمح على تبني شكل وحدوي على النحو التالي:

- انصهار الكيانيين في كيان واحد أي دولة يمنية واحدة ذات علم واحد ، مع دمج كل المؤسسات ببعضها، كالجيش والأمن ، وكذلك السلطة التشريعية ، والتنفيذية في إطار واحد وكذلك دمج المؤسسات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والخدمات .
- الأخذ بمبدأ الديمقراطية الواسعة وبالوسائل العملية لتحقيق الوحدة على أن تكون لجان مشتركة لدراسة توحيد الكيانات القائمة وتشكل اللجان من : اللجنة الدستورية، لإعداد دستور دائم للدولة الموحدة ، ولجنة قانونية وقضائية. وتختص بدراسة القوانين المختلفة في شطري اليمن وإعداد صيغة موحدة لهذه القوانين لإقرارها من السلطة التشريعية بعد قيام دولة الوحدة. واللجنة الاقتصادية والمالية ، واللجنة الثقافية والإعلامية ، واللجنة العسكرية ، ولجنة الخدمات والمرافق العامة ، ولجنة الشئون الداخلية والإدارة المحلية ، ويحدد العمل هذه اللجان فترة زمنية عن ستة أشهر .

ويعهد بإدارة الأعمال في البلاد من كلا الشطرين إلى حكومة مؤقتة ووفقاً للأسس التالية :-

- تعليق الدستور في كلا الشطرين . واعتبار كلتا الحكومتين في الشطرين مستقيلة . وتشكيل الحكومة بالتفاهم بين ممثلي السيادة في الشطرين والجامعة العربية في لقاء يضم رئيس الدولة في الشطرين ، والأمين العام للجامعة العربية ، مع مراعاة أخذ وجهة نظر القوى الوطنية التي لا تمثلها السلطات القائمة في الظروف الراهنة .

وتتولى الحكومة المؤقتة إلى جانب تسيير أعمال الدولة المهام التالية :-

- توفير الضمانات كافة لعودة كل القوى والعناصر الوطنية إلى مواطنها للمساهمة مع كل الشعب في التعبير عن رأيه في مسيره ومستقبله . وكذا التهيئة للوحدة ، وإيجاد المناخ السليم لإقامة حوار فكري حول مشروع الدستور قبل طرحه للاستفتاء العام في صيغته النهائية ، والتعبير عن الرأي في المشروع الدستوري ونظام الدولة للوحدة خلال فترة زمنية لا تزيد عن شهرين . والإعداد للاستفتاء العام واتخاذ الإجراءات الكفيلة لنزاهته وحريته وفقاً للأسس الموضحة في الفترة التالي:
- إن دستور الدولة يجب أن يقر من قبل الشعب وفقاً لاستفتاء عام حر ، ديمقراطي ويتم تحت إشراف لجنة الجامعة العربية بعد التصديق عليه من قبل المؤسسات الدستورية القائمة في كلا الشطرين . وعندما اجتمع رئيسا وزراء الشطرين اتفقا على تعزيز الموقف الوحدوي(1)، وتصفية الخلافات القائمة وإزالة أسبابها ، وخلق مناخ ملائم لإقامة الوحدة بين شطري اليمن .

في ظل الهيمنة الإمبريالية والقوى الصناعية الكبرى أصبحت الوحدة بين قطرين حلماً لأنها تحد من ظاهرة التبعية للقوى الكبرى التي تفرض رؤيتها ومنظورها السياسي على مقدرات السيادة الوطنية ، وإذا قدر لليمن صناعة استقلالها وخلاصها من التبعية ، تستطيع أن تواكب مسيرة البناء والتغيير في هذا العالم المتغير

---

[1] ١- عبد الرحمن يوسف بن حارب : مرجع سابق ص ص ٤٥-٤٦ أنظر (بيان محادثات القاهرة) الصادر بتاريخ ٢١/ ١٠ / ١٩٧٢م .

، وربط الحاضر بالماضي من أجل صياغة قرار سياسي مستقل ، ولتحقيق ذلك يجب الاتفاق على محددات الأهداف السياسية لدول الوحدة ، مع الأخذ في الاعتبار التجارب الوحدوية في الساحة العربية والتقصي والدراسة في مسببات انهيار بعضها ونجاح أخرى من أجل أن يكون شعب اليمن على بينة من أمره .

دور الجامعة العربية واتفاقية القاهرة (٢٨ أكتوبر ١٩٧٢م) :

في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر ١٩٧٢م ، أصدرت لجنة التوفيق العربية بياناً يقضي باتفاق وحدوي بين شطري اليمن ، فقد عقد رئيسا وزراء اليمن اجتماعاً موسعاً تحت سقف الجامعة العربية وبحضور أعضاء لجنة التوفيق العربية ناقشا خلال اجتماعهما الحيثيات التي تبنى عليها قضية الوحدة اليمنية .

وأكدت الحكومتان اليمنيتان مسئوليتهما التاريخية والقومية على أن التراب اليمني واحد . والشعب واحد يرفض التجزئة والانقسام ، وأنها حقيقة يقرها التاريخ رغم كل المحاولات لترسيخ الانقسام، من أجل ذلك كان النضال وكانت التضحيات عبر مراحل اليمن التاريخي.

والتاريخ يحدثنا عن طبيعة الانقسام بين شطري اليمن عام ١٩١٤م ، وباتفاقية بين دولتين أجنبيتين هما تركيا التي فرضت سيطرتها على اليمن الشمالي من جهة ، وإنجلترا المحتلة لجنوب اليمن من جهة أخرى .

لذلك كانت الضرورة تقضي بفتح باب الحوار بين شعبين شطرهما الاستعمار، وعودة الفرع إلى الأصل .

وكون الوحدة اليمنية هدف قومي من أجل الضمان للحريات الديمقراطية لكافة القوى الوطنية، ومن أجل بناء اقتصادي وطني مستقل ، ولحماية استقلال وسيادة اليمن من أي تدخل عدواني خارجي. من أجل ذلك اتفق الجانبان على أن الوحدة اليمنية قضية مصيرية وقضية تقدم وحضارة للشعب اليمني ، وأن الوحدة اليمنية الشاملة فوق أنها أمل كل يمني على طول رقعة اليمن ، هي حاجة أساسية لتوطيد دعائم الاستقلال السياسي وبناء اقتصاد وطني مستقل . وهي أيضاً ضرورة قومية كونها تشكل خطوة جادة نحو تحقيق وحدة الأمة العربية كلها .

وتجاوباً مع الجهود التي بذلتها لجنة التوفيق العربية المشكلة بقرار مجلس جامعة الدول العربية[1]. من أجل تسوية الخلافات بين شطري اليمن ، وهي الجهود التي تمثل اهتمام الأمة العربية بواقع شعب اليمن ومستقبله وعملاً بأحكام المادة(٩) من ميثاق جامعة الدول العربية ، فقد اتفقت الحكومتان على قيام دولة موحدة تجمع بين شطري اليمن شماله وجنوبه .

- حيث تم الاتفاق على قيام وحدة بين دولتي اليمن الشمالي واليمن الجنوبي ، تذوب فيها الشخصية الدولية لكل منهما في شخص دولي واحد ، وقيام دولة يمنية واحدة .
- ويكون للدولة الجديدة ، علم واحد وشعار واحد وعاصمة واحدة ، ورئاسة واحدة وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة .
- ويكون نظام الحكم في الدولة الجديدة ، نظاماً جمهورياً وطنياً ديمقراطياً . ويضمن د ستور دولة الوحدة جميع الحريات الشخصية والسياسية ، والعامة للجماهير كافة ، ولمختلف مؤسساتها، ومنظماتها الوطنية والمهنية والنقابية ، وتتخذ جميع الوسائل الضرورية لكفالة ممارسة الحريات. وتضمن دولة الوحدة جميع المكاسب التي حققتها ثورتا سبتمبر وأكتوبر.
- وكخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة ، تتخذ الإجراءات اللازمة نحو عقد مؤتمر قمة يجمع رئيسي الدولتين للنظر في الإجراءات الفورية اللازمة لإتمام الوحدة على أن ينعقد هذا المؤتمر في الموعد الذي يحدده رئيسا الحكومتين ، على أن يختار كل من رئيسي الدولتين ممثلا شخصياً له ويشرف هذان الممثلان على أعمال اللجان الفنية الواردة في المادة " السابعة " .
- وتستمر جامعة الدول العربية في تقديم مساعداتها اللازمة لإنجاح هذه الوحدة بناء على رغبة الدولتين ويشكل مؤتمر القمة للدولتين اللجان الفنية المشتركة من عدد متساو من ممثلي الدولتين لتوحيد الأنظمة والتشريعات القائمة في كل منهما ، وتحديد فترة زمنية أقصاها سنة لانتهاء هذه اللجان من المهام المعهودة بها إليها . وتبدأ هذه السنة من تاريخ توقيع هذا الاتفاق .
- وتم الاتفاق على تشكيل لجان فنية من ممثلي الدولتين على مستوى عال ومن المتخصصين ، ويحق لهذه اللجان تكوين لجان فرعية لتسهيل أعمالها . وتتكون من :-

• لجنة تختص بوضع مشروع الدستور .

١- قرار رقم (٢٩٦١) بتاريخ ١٣/ ٩/ ١٩٧٢م .

- لجـنة مــن مهامها توحيد السياسة الخارجية للدولتين ووضع الأسس للسياسة الخارجية للدولة الجديدة الموحدة .
- لجـنة للشـئون الاقتصـادية والمالـية . وتم الاتفاق كذلك على تشكيل لجان أخرى للشئون التشريعية والقضـائية ، وشئون التربية والثقافة والإعلام ، والشئون العسكرية ، وكذلك للشئون الصحية والإدارة والمرافق العامة ، كالاختصاص بنظام الحكم المحلي ومرافق الدولة وتسييرها .

وعـند انتهاء اللجنة الدستورية من صياغة الدستور ، يطرح من قبل الدولتين على المجالس التشريعية المختصة للموافقة عليه طبقاً للأنظمة الدستورية لكل منهما .

ويقوم رئيسا الدولتين ، بتنظيم عمليتي الاستفتاء على الدستور وانتخاب سلطة تشريعية موحدة للدولة الجديـدة طـبقاً للدسـتور الجديـد . وتنفيذاً لذلك . يشكل رئيسا الدولتين ، لجنة وزارية مشتركة تضم إلى عضـويتها وزيـري الداخلية في كلا الشطرين لكي تقوم بالإشراف على هذه الأعمال ، وذلك خلال ستة أشهر على الأكثر من تاريخ موافقة السلطات التشريعية في الدولتين على مشروع الدستور .

ويكون لهذه اللجنة كل الصلاحيات اللازمة للقيام بمهمتها . ويدعو رئيسا الدولتين جامعة الدول العربية لإيفاد ممثلين عنها للمشاركة في أعمال اللجنة .

وتـم الاتفـاق كذلـك علـى إنهاء المجالس التشريعية في الدولتين فور إقرار مشروع الدستور الجديد بالاسـتفتاء الشـعبي . وفـي حالة موافقة الشعب على مشروع الدستور يمكن قيام الدولة الجديدة فوراً طبقاً للدسـتور . ويـتم العمل بأحكام الدستور الجديد فور إقراره .وتنفيذاً لما ورد في بيان الجنة التوفيق ، وعملاً بأحكام المواد السابقة ، يقرر الطرفان التزامهما الكامل بهذه الأحكام وتنفيذها [1]

لقـد فرضـت هذه الاتفاقية على حكومتي شطري اليمن ، البدء في الحوار الجاد ، والوصول إلى نتائج مرضـية للطرفيـن رغـبة في توطيد دعائم السلام ، وتصفية المشاكل القائمة بين أبناء اليمن الواحد وإزالة أسـبابها وتعزيـز العلاقـات الأخوية وتدعيماً لروابط الكفاح المشترك ، وحماية اليمن من نفوذ الاستعمار ، والاسـتعمار الجديـد ، ولوضـع طاقات البلاد في خدمة أغراض التنمية والتطور ، ومن أجل توفير الشروط الخاصـة لإقامـة الوحـدة بين شطري اليمن ومن أجل المساهمة في معركة المصير العربي ضد الإمبريالية والصهيونية .

وعلـى الرغم من أن المشروع الوحدوي جاء بقرار سياسي من القيادة السياسية العليا لشطري اليمن ، وتغييـب دور القنوات الدستورية والشعبية ، إلا أن ظروف الحرب بين شطري اليمن تستدعي رأب الصدع وفق آلية جديدة تلغي التمزق الإنشطاري . وكانت المبادرة التي قدمها كلا الشطرين في مشروعين وحدويين ، دليل على أن الخيار في الوحدة مبدأ الجانبين وأمل تطلعات الشعبين اليمنيين .

قمة طرابلس بين شطري اليمن (٢٨ نوفمبر ١٩٧٢م):

فـي طـرابلس الغـرب بالجمهوريـة الليبية انعقد اجتماع قمة ثنائية بين عبد الرحمن الإرياني ، رئيس المجلـس الجمهـوري في اليمن الشمالي ، وسالم ربيع علي ، رئيس مجلس الرئاسة ، في اليمن الجنوبي ، بدعوة من الرئيس الليبي معمر القذافي . في الفترة من ٢٦-٢٨ نوفمبر عام ١٩٧٢م .

وقـد شـارك لقاء القمة اليمني الرئيس الليبي ، وبحث الرئيسان أوضاع اليمن بصفة عامة ، والاقتتال الأخـير علـى وجه الخصوص . وأكد الرئيسان على ضرورة الإسراع في تنفيذ اتفاقية الوحدة ببيان رئيسي الـوزراء فـي شـطري اليمن الذي عقد في القاهرة في أواخر أكتوبر من العام نفسه ، واتفقا على توفير كل الظـروف الملائمـة لبـناء اليمن الموحد ، في ظل المحافظة على منجزات ثورتي سبتمبر وأكتوبر ، وتوفير المـناخ الديمقراطـي من أجل مجتمع متطور ، وحرص الرئيسان على سرعة إنجاز أعمال للجان المشتركة ، واتفقا على الأسس التالية :-

- أن يقيم الشعب العربي في اليمن ، دولة واحدة تسمى " الجمهورية اليمنية " وعلماً واحداً .
- أن تكـون صـنعاء عاصـمة الجمهورية اليمنية . والإسلام دين الدولة ، والتأكيد على القيم الروحية ، وتتخذ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع .
- وتعتبر اللغة العربية الرسمية للجمهورية اليمنية .
- وتهدف الدولة إلى تحقيق الاشتراكية ، مستلهمة الطراز الإسلامي العربي ، وقيمه الإنسانية ، وظروف المجتمع اليمني بتطبيق العدالة الاجتماعية التي تحظر أي شكل من أشكال الاستغلال . وتعمل الدولة عن

[1] يحيى العري اليمن الواحد (سلسلة وثائقية عن الوحدة اليمنية) إصدار مكتب شئون الوحدة صنعاء . ٢٢ مايو ١٩٩٠م ، ص٤٣

طـريق إقامـة علاقـات اشتراكية في المجتمع على تحقيق كفاية في الإنتاج وعدالة في التوزيع بهدف تذويب الفوارق سلمياً بين الطبقات ، وأن تكون الملكية العامة للشعب أساس تطوير المجتمع وتنميته ، وتحقـيق كفايـة الإنتاج والملكية الخاصة غير المستغلة مصونة ولا تنزع إلا وفقاً للقانون ، وبتعويض عادل .

وأشـار البـيان إلـى الاتفـاق بين الجانبين على أن يكون نظام الحكم في الجمهورية اليمنية ، وطنياً ديمقراطـياً ، علـى أن ينشأ تنظيم سياسي موحد يضم جميع فئات الشعب المنتجة صاحبة المصلحة في الـثورة للعمـل ضد التخلف ومخلفات العهدين الإمامي ، والاستعماري ، وضد الاستعمار القديم والجديد والصهيونية .

وتشكل لجنة مشتركة لوضع النظام الأساسي ولوائحه مستهدية بالنظام الخاص بإقامة الاتحاد الاشتراكي العربـي فـي الجمهوريـة الليبـية، وعلى اعتبار أن مجمل نقاط الاتفاق عموماً أخذت صيغة عاطفية، وتأثر الرئيسان بكرم الرئيس معمر القذافي فقد جاملاه على الأخذ بالنظام الليبي الثوري والاشتراكية العربية ، وهذا دلـيل قطعـي على أن الرئيسين اليمنيين لم يتفقا بعد ، فمن غير المنطقي أن تضحي الطبقة الجديدة الممثلة بالحزب الحاكم في اليمن الجنوبي بالمكتسبات الثورية ، ومن الصعب قبول مفهوم الاشتراكية والأخذ بالمفاهيم الثورية الليبية في اليمن الشمالي .

نتائج قمة ليبيا بين شطري اليمن:

فـي ضـوء مـا تم الاتفاق عليه في ليبيا ، بدأت اللجـان أعمالها . ففي الفترة من ٢١-٢٣ ديسمبر ١٩٧٢م . صـدر بيان عن اجتماعات لجنة الممثلين الشخصيين ، أدلى به ، محمد سليم اليافي ، عضو اللجنة ، والممثل الشخصي للأمين العام للجامعة العربية .

وقد عرض نتائج الاجتماع في بيانه ، والمح إلى ما قام به الممثلون الشخصيون من وضع برنامج عمل لأعمـال اللجـان الفنـية المشتركة وتحديد اختصاصاتها ، وتحديد الزمن للانتهاء من أعمال كل لجنة وأماكن انعقادهـا والنظام الداخلي لها ، وحدد البيان النقاط التي تم الاتفاق عليها ، كاستمرارية الاتصال بين الممثلين الشخصيين طوال أعمال اللجان . وتوفير وثائق العمل والأدوات اللازمة لذلك .

وتـم الاتفـاق أيضاً على عقد لقاءات اللجان في عاصمتي الشطرين ، ففي صنعاء تجتمع لجنة الشئون الاقتصـادية ولجنة الشئون التشريعية والقضائية ، ولجنة الشئون العسكرية ، ولجنة الشئون الصحية .. وفي عـدن تجـتمع لجـنة الشئون الدستورية ، ولجنة الشئون الخارجية والتمثيل الدبلوماسي والقنصلي ، ولجنة شـئون التربـية والثقافة ، والإعلام ، ولجنة الإدارة والمرافق العامة . على أن تبدأ اللجان أعمالها في فترة لاتـتجاوز العشرين من شهر يناير ١٩٧٢م وترفع تقاريرها إلى الممثلين الشخصيين في منتصف شهر يونيو ١٩٧٣م.

ويدورهـم يرفعونها إلى رئيسي شطري اليمن في أواخر يونيو ، وتعتبر هذه اللجان في حالة انعقاد دائم ولهـا أن تطلب خبراء للاستئناس برأيهم إذا اقتضى الأمر وتكون جميع جلساتها مغلقة . ومن توصيات لجنة الممثليـن الشخصـيين المـرفوعة لرئيسـي المجلسين الجمهوريين في شطري اليمن لاتخاذ القرار المناسب بشـأنها، التـي حددهـا البيان بسبع نقاط ، منها تشكيل لجنة مشتركة تقوم بوضع النظام الأساسي واللائحة الداخلية الخاصة بالتنظيم السياسي الموحد، وتوحيد رعاية مصالح اليمنيين بالخارج وعودة النازحين .

وأن يعيـن الممثل للأمين العام لجامعة الدول العربية مندوبين له ، واحد منهما في صنعاء ، والآخر في عدن ، وتعيين سكرتير دائم للجنة الممثلين الشخصيين يكون مقره في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

وتكوين لجنة دائمة تتألف من الممثلين الشخصيين الخمسة وأن تتم اجتماعاتها كل ثلاثة أشهر بالتناوب بين مدينتي صنعاء وعدن . وتكون رئاسة اللجنة في كل مرة للممثل الشخصي في مقر الاجتماع ، ويحق لكل ممثل شخصي أن يسمي مندوباً له .

وقـد ألقى هذا البيان بظلاله على نتائج ما أقرته تلك الاجتماعات ، وفي الفترة من منتصف شهر أبريل إلـى التاسع عشر منه ، عقدت اجتماعات الدورة الثانية في مدينة عدن ، وناقش المجتمعون ما تم تنفيذه من توصيات الدورة الأولى للجنة الممثلين الشخصيين ، وقدم الممثلان الشخصيان لشطري اليمن تقريرين شاملين كما قدم الممثل الشخصي للأمين العام للجامعة تقريراً مفصلاً أيضاً حول سير تنفيذ الاتفاقات المعقودة ، وسير العمل في اللجان الفنية المشتركة وما أنجزته من أعمال [1]

---

[1] العرشي : اليمن الواحد ، مرجع سابق ، ص ص ٥٨-٥٩ .

وقدمـــت اللجـــنة توصياتها التي كان من بينها : التأكيد على تشكيل لجنة سياسية مشتركة من الشطرين لإعـــداد الـــنظام الأساســـي واللائحـــة ، الخاصين بالتنظيم السياسي الموحد ، وعلى ضرورة اتخاذ الخطوات التنفـــيذية العاجلة لوضع الاتفاق الذي تم بين وزيري داخلية الشطرين في الأول من مارس ١٩٧٣م ، موضع التنفـــيذ وتسمية أعضاء الجانبين في اللجان المشتركة التي أقر الوزيران تشكيلها وبصورة خاصة فيما يتعلق بالموضوعات التالية :

- النازحون ، حوادث الأطراف ، المعتقلون .

وأوصـــت اللجـــنة في بياتها حث المسئولين لشطري اليمن باصدار عفو عام عن جميع النازحين ، كما حثت وزيري داخلية الشطرين على العمل لحل مشكلة النازحين .

كما أوصت اللجنة بوقف الحملات الإعلامية ووضع خطة مشتركة تضمن التنسيق بين أجهزة الإعلام في الشطرين ، وتوثيق الصلات بينها ، والبدء في التنسيق بين مختلف قطاعات الحياة بما يحقق الربط بين ما تم مـــن بحـــث نظري في الوحدة وفي اتخاذ خطوات عملية في التعاون الاقتصادي والجمارك والبريد ، والهاتف والمواصلات والطيران وغيرها .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الباحثين

وحدة الأرض والإنسان في اليمن السعيد

إعداد : أ . م . محمد سعيد شكري

رؤية جديدة

تقوم فكرة ندوة " اليمن ... وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ " على قراءة جديدة لمفهوم الوحدة اليمنية عبر التاريخ ، من خلال التعرف على جوهر " التنوع " في التاريخ والتراث والحضارة اليمنية كروافد لنهر الوحدة القائمة على " وحدة التنوع " والمتبلورة في شخصية جغرافية حضارية تاريخية تبيء الخلق والإبداع الحضاريين للإنسان اليمني متلاقحة مع " التكامل " الضرورة ، ليحكما معاً وحدة مسار الحركة التاريخية للجغرافيا والبشر والاقتصاد والثقافة والحضارة في اليمن عبر تاريخه الطويل .

كانت الوحدة ضرورة من أجل حيوية التنوع وشرط من شروط الخلق والإبداع الحضاريين ، وكانت في الوقت نفسه استجابة لفاعلية التنوع والخلق والإبداع ، وللتكامل الضرورة ، لتصبح حاضنة وحدة اجتماعية بشرية ثقافية تاريخية حضارية ، حقيقية وواقعية لا انفصام فيها ، رغم تعدد الإيالات والمدلولات السياسية (النظم السياسية – الدول السياسية) في بعض فترات التاريخ اليمني ، والتي رغم اتساعها حيناً ، أو قزميتها حيناً آخر ، لم تحل أو تلغي ، ولم يكن في استطاعتها ، ولا في إمكانها ، أن تفك الارتباط الأزلي بين وحدة الأرض والإنسان والحضارة في اليمن السعيد .

إن الخروج من مفصل السياسي وشرنقته وشراكه ، إلى البحث عن حقائق " وحدة التنوع " وتبيء الخلق والإبداع الحضاريين للإنسان اليمني في رقعة جغرافية طبيعية موحدة هي " اليمن " ، – إن ذلك – لا ريب سيغني الثقافة اليمنية ، ويرد الاعتبار لحقيقة ودور العوامل الأساسية الفاعلة والمكونة للتاريخ والتراث الوطني اليمني الواحد والموحد ، وهي المعول عليها دائماً رغم الإغفال لها في حركة البحث العلمي حتى يومنا هذا .

إن هذه الحقيقة العلمية كانت مثار نقاش جاد وهادف في قسمي التاريخ – كليتي الآداب والتربية – جامعة عدن ، دفعنا إلى رفع مقترحنا إلى عمادتي الكليتين وإلى السيد الأستاذ الدكتور / رئيس جامعة عدن .. الموقر ، من أجل الدعوة إلى الإنتداء لكل الطاقات الفكرية والثقافية الخيرة في الوطن اليمني ، لتدارس الفكرة واغناءها ، وبحثها بعمق في شتى جوانبها ضمن ندوة علمية تشارك فيها الجامعات اليمنية ومراكز الدراسات والبحث والثقافة وبقية هيئات المجتمع المدني في الجمهورية اليمنية ، بغية الخروج بدراسات علمية معمقة ، تفيد عملية الحراك الثقافي والاجتماعي في يمن الوحدة ، وتأسيساً لمرحلة جديدة من البحث العلمي والأكاديمي في الجامعات اليمنية كرؤية وبرؤية جديدة للفكر والثقافة والتاريخ والتراث في اليمن .

فجدلية الانتماء للأرض اليمنية ليست وليدة سنوات أو بضع عقود أو قرون منها ، إنها آلاف السنين ، الصانعة لجينات حب اليمني لوطنه ولثوابت أمته ، واليمني يفخر بذلك الإنتماء الوطني والقومي ، وهو الصانع بكل تواضع للعلاقات الإنسانية مع بني البشر عبر الرمل والماء منذ آلاف السنين .

تراتيل وترانيم من سفر الوحدة :

شـكلت الوحـدة اليمنية هاجساً رومانسيا أبدياً في وجدان الشعب اليمني ، إنها الآمال الكبار التي تجسدت تاريخياً بتلاقح الإنسان اليمني الفاعل مع الطبيعة الخصبة الخضراء ، وبمقدار الممارسة العملـية للإنـتاج والإبداع البشريين ، كانت تتشكل رويداً رويداً أحلام التوحد للأرض والإنسان ، من خـلال وحـدة التعدد والتنوع ، تنوع السهل والجبل ، الماء والخضرة والجفاف ، ومياه البحر ورمال الصـحراء ، وحبات المطر " الحياة " عبر قنوات وسدود تحي الأرض والإنسان ، وتبدع حياة روحية واقتصادية واجتماعية وحضارية لليمنيين وللعالم . ومن هنا لا نغالي في القول من أن الوحدة اليمنية أصـبحت عملاً يومياً ، وخبزاً يومياً ، وهماً يومياً ، وحلماً يومياً للإنسان اليمني عبر مسيرة التاريخ اليمني على الجغرافية الطبيعية اليمنية ، رغم كل عوادي العزلة والأعداء والانتكاسات والزمن .

وتجـد هذه الأحلام بالتوحد حقيقتها وصيرورتها السياسية على يد الدول الموحدة : " سبأ " ، " سـبأ وذو ريـدان " ، " سـبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت " ، " سبأ وذو ريـدان وحضرموت ويمنـت وأعـرابهم فـي الجـبال والتهايم "... وفي العديد من الدول الموحدة لليمن في العصـور الوسـطى (الإسـلامية) ، وفـي الجمهورية اليمنية في ٢٢ من مايو ١٩٩٠م في التاريخ اليمني المعاصر .

ومـن هنا نستطيع أن نقول : " في البدء كانت الوحدة " ، في حنايا الأرض اليمنية الطبيعية الطيـبة ، فـي مخيلة وعقل الإنسان اليمني العظيم ، في مخيلة وعقول ملوك وحكام عظماء أمثال ، كـرب أل وتر ،شمر يهرعش ، و" تبع " أسعد الكامل ، وذو نواس ، وذو يزن ، وعلي بن الفضل ، والصليحي ، والمتوكل إسماعيل والسلال وعلي عبدالله صالح .

فـي حـدو حداة عيس القوافل التجارية بين الماء والماء عبر الصحراء العربية ، وربابنة السـفن فـي الـبحر والمحيط ، وفي سواعد وعقول عمال السد والقنوات ، وبناة المدن والحضارة ، وفـلاح " أرض الجنتيـن " والجوف وصنعاء والسحول ويحصب وتهامة وحضرموت ... ، في عقول وسواعد عمال النقابات اليمنية في التاريخ اليمني الحديث والمعاصر .

إنهـا وحـدة تتجلى في طراز المعمار الحضاري لمدن شبام وشبوة وتمنه ومأرب وصرواح ونجـران وصـنعاء . وزبـيد وتـريم وتعز وجبلة وصعدة وجرش وبيشه . وفي وجدان آلاف الثوار والأدبـاء والمفكريـن والشعراء والفنانين : من ذي جدن وامرؤ القيس وعمرو بن معد يكرب وطالب الحق والحسن الهمداني ونشوان وسليمان المهري والشهداء السبعة وابن الأمير والمقبلي والشوكاني والزبيري والموشكي والحورش والوزير والوريث والعزب والمطاع وحميد والنعمان وعلي عبدالمغني ولـبوزه والبردونـي والمقـالح والـربادي والجـاوي ومحيرز ولطفي والقرشي والمحضار ودماج والشحاري .. وثوار ثورات ١٩٤٨م وسبتمبر وأكتوبر ... الخ .

انهـا فـي قول الحق الصادق " بسم الله الرحمن الرحيم : " إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت مـن كل شئ ولها عرش عظيم " ... " إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا علي وأتونـي مسلمين * قالت يأيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون * قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك فأنظري ماذا تأمرين " ، إنها في " بلدة طيبة ورب غفور " ، وفـي أنصـار الإسلام " الذين تبوأوا الدار والإيمان "، وقول المصطفى : " ترجع ثلثا بركة الدنيا الى اليمن " ، " والإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية " .

إنهـا حلـم توحـد أزد الـبحر بأرض السد ، و" بوك " التهامي ورفاقه " أرض امجبل " و " الجمهورية أو الموت " ، ووكر النسر حيث " القمة العالية " ، وصمود الحرس الوطني وجيش سبتمبر في وجه الحصار .

إنها " أزال " ، " صنعاء " ، " إذا رمدت عميت اليمن " ، و " لا بد من صنعاء وإن طال السفر " وعدن " عين اليمن " وميناؤها " فتاة الجزيرة " ومشتل الحركة الوطنية اليمنية الحديثة والمعاصرة ، إنها حضرموت الحضارة والهجرة والثقافة ، وقوانين قتبان و " المسود " الحكم والشورى .

إنهـا حجارة الحضارة في الجوف ومأرب وجرش وصرواح ، ومساند مهره وظفار الساحل والخلـيج والجزيرة العربية والشام ، ومساند الأمهره وأكسوم وإقليم التجري ، وممفيس وجزر البحر المتوسط . وخطوط قوافل البخور والتوابل في العالم القديم ، وإرتفاع أشرعة سفن البحارة اليمنيين ، فـي المحـيط والـبحر الأوساني والبحر الإرتيري ، وفي توق معابد نينوى وبابل وفينيقية وممفيس وطيبة وأثينا وروما لشعلة النار الإلهية اليمنية في معابدها وقصورها .

وفـي خطـى شموخ القائد السامي هانيبال الذي حاصر روما ، وعمرو شهيد " نهاوند " فتح الفـتوح ، وانفراجة أذرع باريس المتبسمة المتهللة شوقاً ولهفاً ورغبة في احتضان الحضارة العربية الإسلامية لدى اقتراب القائد التهامي اليمني عبدالرحمن الغافقي منها عند أبواب بواتيه .

إنهـا صرخة امرؤ القيس المدوية في المكان والزمان من دمون " إنا معشر يمانيون ، وإننا لأهلـنا محـبون " ، وفـي حوار العيس مع حاديها عند موافاتها " لحجاً " وبانت الأعلام من " عدن " متسائلة : " أمنتهى الأرض ياهذا تريد بنا .. فقلت كلا ولكن منتهى اليمن " .

إنها في إرادة الإنسان اليمني العظيم المولدة " للمستحيل من رحم العدم " ، في أرض " الآلهة " و " أبـناء الآلهـة " ، فـي بلاد يفوح عرق آلهتها بخوراً ، وفيها " دم الأخوين " والجزع والعقيق اليمانيا ، أرض الثورات و " السيف اليماني " و " مقبرة الغزاة " .

وفي " تبع " كاسي " البيت الحرام " ويثرب التسمية السبئية ومعان المعينية ، والبتراء وغزة وبصرى ودمشق التجارة اليمنية .

إنها سنابك خيل الفتح المتحضرة المهموزة بالفارس العربي على ثرى العراق والشام ومصر والمغـرب العربي ، وعلى صخور فارس والسند والأندلس ، التي أينعت على إيقاع حوافرها غروس الخـير وسـنابل العلـم والمعـرفة والجمال ، وورود الحرية والحضارة في عصر سيادة الإسلام في العصور الوسطى .

و" نفحات طيب " الحضارة والمحبة والجمال والشعر والموشحات في قصور وشوارع قرطبة وأشبيلية وغرناطه ، وفي حرية التجارة مع الهند والصين .

إنهـا رحلة الإسلام الهادية والموحدة التي قادها المهاجر اليمني الى الهند وسنغافورة وجاوه وأندونيسيا وشرق إفريقية .

إنهـا قادمة من معبد " أوام " " محرم بلقيس " و " عم " و" المقه " ، و " نسر " و" يغوث " ، إلـى المدراس والكنيس والقليس إلى المسجد والجامع ، وفي آلاف العلماء والفقهاء والمتصوفة ، من هذا الشبع الروحي والثقافي الحي والمتنوع والمتعدد .

و فـي شـعر " الحمينـي " وحكمـة " علي بن زايد " و " حميد بن منصور " ، وفي " الدان الحضرمي " والغناء اللحجي واليافعي والصنعاني ، وفي تنوع وغنى الفلكلور الشعبي اليمني .

وفـي ريحـان وورود الأرض اليمنية ، و " شقر " الجوف وصعده والحجرية ، وأنواع عنب صـنعاء ، والـورس والكندر واللبان ، وبرود المعافر ، و " حاكة اليمن " و " اليماني الذي يظل يشد كـيراً ويـنفخ دائباً لهب الشواظ " ، وفي أسوداد حقول " السحول وقتاب وجهران والبون وبيشة وبنا وتبن وتهامة ... الخ " ونكهة بن المخا ، ومن جمال الجزر اليمنية في البحر والمحيط.

إنهـا في جمال " عيون اليمنيات " ، وصباحة وجوههن ، وفي عفافهن وطهارتهن ، وحبهن لـلأرض ، في حكمة " بلقيس " وشموخ وثقافة " السيدة الحرة بنت أحمد " ، وتضحية وفداء " دعرة الردفانية " ونجوى مكاوي ، والحركة النسائية الوطنية اليمنية الحديثة والمعاصره .

فـي إبـل مهره ، وخيول عنس ومأرب والجوف ، والبقر الجندية ، وكلاب سلوق ، وعيون المهـا فـي أبين وشبوه ، وأسود عتود ، وفي ال" وان " وال " بتاع " ، ومفردة (الآرافه) الباقية حتى اليوم في مصر .

إنهـا فـي الصـهاريج والقـلاع ، وحصن الغراب ، والمحافد والمخاليف والأربطة والهجر والحوط ، وسد الخانق في صعده ، وسدة المكلا ، والغويزي وشهارة ، ودرب أسعد الكامل . لقد كان " نهـر اليمانيين واحد " ، وسيظل نبض قلوبهم " يمنياً " ، ومسيرة دربهم " عربياً " ، ولن ترى على أرضهم " وصيا" .

إنهـا فـي اليمـن الموئل الأول للساميين وللعرب ، وفي ثوابت أدوارها القومية والإنسانية العظيمة عبر التاريخ .

من هذا الألق اللامتناهي ، وهذا التوق الأبدي العظيم للتوحد صنعت الوحدة بين اليمنيين عبر الـتاريخ وهو الذي أعاد روح العنقاء السياسي بكل عظمته وجلاله في حدث الوحدة اليمنية المعاصرة فـي يومها الخالد ٢٢ مايو ١٩٩٠م ، والذي يعتبر أبرز وأهم حدث ثوري تاريخي في جنوب الجزيرة العربيـة فـي التاريخ الحديث والمعاصر ، وحد الثورة اليمنية (سبتمبر وأكتوبر) سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً ، وبتحقق الوحدة اليمنية أستعاد التاريخ اليمني الحديث والمعاصر توازنه ، ليقف على رجليه وليبدأ رحلة الألف ميل في ألفية العالم الثالثة .

